تشانغ ليان قن

郑连根

تاريخ الصين المختصر

A Very Brief View of Chinese History

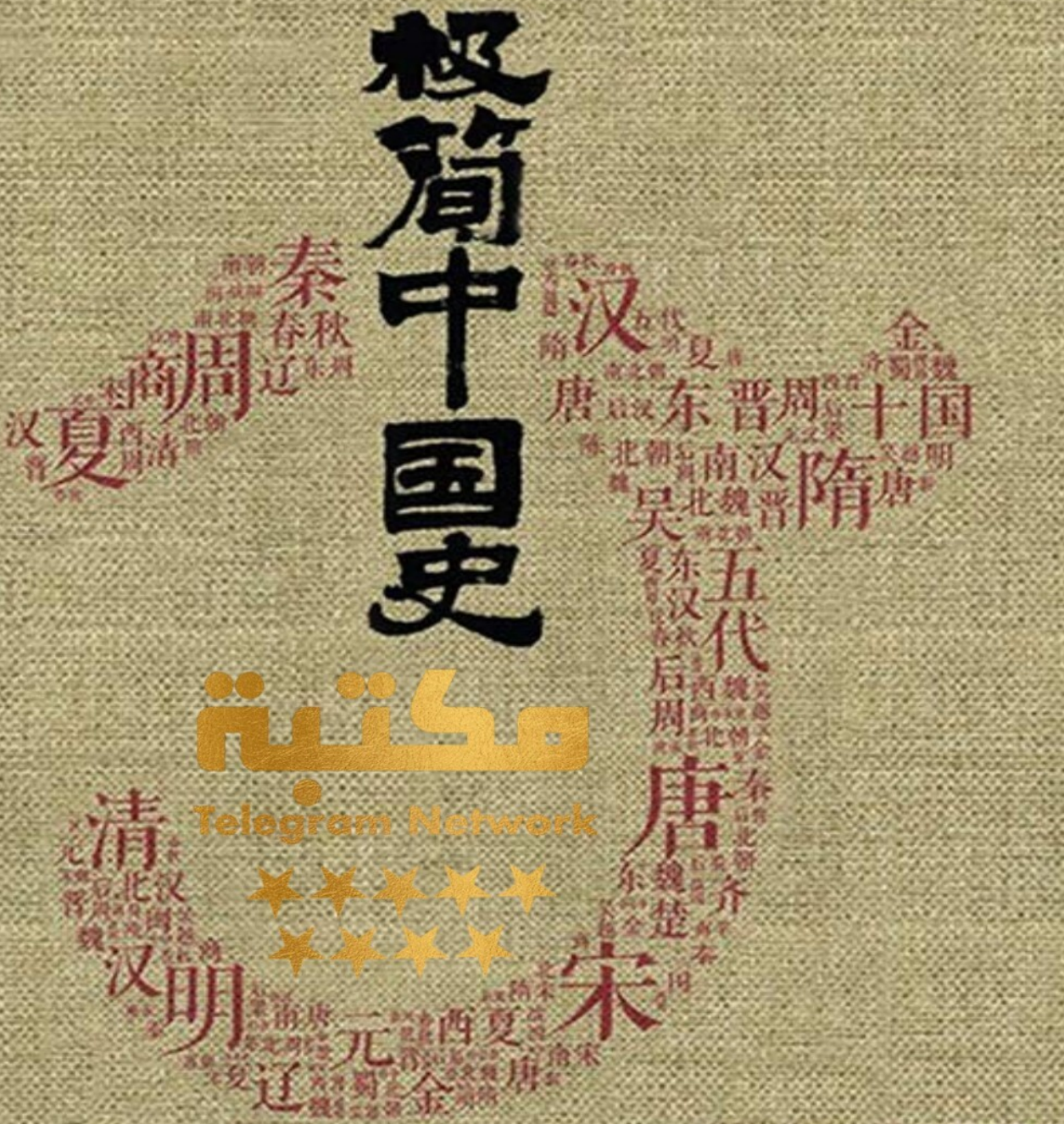

مكتبة
Telegram Network

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

تاريخ الصين المختصر

«مكتبة ♔ النخبة»

A Very Brief View of Chinese History

极简中国史

تشان ليان قن

郑连根

تاريخ الصين المختصر

A Very Brief View of Chinese History

极简中国史

ترجمة

فؤاد حسن

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

B&R BOOK PROGRAM

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الصيني

极简中国史

Translated by فؤاد حسن A Very Brief View of Chinese History

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر

.Shandong Qilu Press Co., Ltd

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

郑连根 Copyright © 2017 by Zheng Liangen

Original Chinese edition published by Shandong Qilu Press Co., Ltd., China Arabic translation rights arranged with Shandong Qilu Press Co., Ltd., China All rights reserved

Arabic Copyright © 2018 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-02-6519-6

جميع الحقوق محفوظة للناشر

acebook.com/ASPArabic
vitter.com/ASPArabic
ww.aspbooks.com
sparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 785108 785107 (+961-1)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

المحتويات

مقدمة 7

الفصل الأول: من القبيلة البدائية إلى البلد 13

نهران طويلان وست مناطق ثقافية 15

التراب الأصفر والإمبراطور هوانغ دي 24

من ترويض دا يوي الأنهار إلى ثورة شانغ تانغ 32

من حبس الإمبراطور ون لأسرة تَشو في مدينة يولي إلى قضاء الإمبراطور وو على أسرة شانغ 43

انهيار أسرة تَشو الغربية 52

المنافسة بين الأمراء الإقطاعيين في عصر الربيع والخريف ونظرة "الطاعة للإمبراطور ومقاومة العدو" 61

عصر الممالك المتحاربة: عصر تسوده المواجهة العسكرية 72

المدارس الفكرية المختلفة: الصحوة الثقافية من الآلهة إلى الإنسان 84

الفصل الثاني: العدد الأول للإمبراطوية أسرة تشين الملكية وأسرة هان الملكية 97

أسرة تشين الملكية: أول أسرة ملكية في تاريخ الصين 99

كيف ترث أسرة هان الغربية "تراث الإمبراطور تشين شي هوانغ" 110

عهد الإمبراطور وو لأسرة هان 123

عهد الإمبراطور وو المتأخر من سلالة هان الحاكمة 134

تغيير النظام من قبل وانغ مانغ وازدهار أسرة هان الشرقية وانهيارها 144

الممالك الثلاث وسلالتا جين والأسرتان الشمالية والجنوبية: عصر الحرب واندماج القوميات 156

الفصل الثالث: العدد الثاني للإمبراطوية أسرة سوي الملكية وأسرة تانغ الملكية 169

سلالة سوي: تأسيس الإمبراطورية الموحدة من جديد 171

من تأسيس تانغ العظمى إلى مجتمع الاستقرار الازدهار في فترة تشنقوان 181

عصر الإمبراطورة وو تشاو تيان 195

المجتمع المزدهر في عهد كاييوان 210

الأزمة في العصر المزدهر 223

مأساة في أواخر عهد أسرة تانغ 235

الفصل الرابع: العدد الثالث للإمبراطوية 247

أسرة سونغ الملكية وأسرة يوان الملكية 249

من تمرّد تشن تشياو إلى معاهدة تان يوان 259

إصلاح أسرة سونغ 272

أسرة سونغ الجنوبية التي رضيت بسيادة جزئية 286

صعود الإمبراطورية يوان وسقوطها 296

الفصل الخامس: من الإمبراطورية إلى الجمهورية أسرة مينغ الملكية وأسرة شينغ الملكية وجمهورية الصين 305

"الإمبراطور الكثير الشكوك والوساوس" تشو يوان تشانغ 307

من معركة جينغنان إلى معركة تو مو بو 317

تلاشي سلالة مينغ الملكية ونشوء سلالة تشينغ الملكية 330

حكم أسرة تشينغ المبكرة 341

تراجع أسرة تشينغ 351

عواصف وأمطار جمهورية الصين 366

مقدمة

علينا أيضًا تحسين نظرتنا للتاريخ باستمرار

فلنبدأ بالحديث عن تطبيقات الهواتف الجوالة. في الوقت الحاضر، يضيف كل واحد منا العديد من التطبيقات على هاتفه الجوال، لكنني لا أعرف إن لاحظتم أن هذه التطبيقات تطلب منا في أغلب الأوقات تحديثها. ليس هناك من تطبيق يجرؤ على القول إن هذا هو الإصدار الأخير الخاص بي ولن أحدّث مرة أخرى. السؤال التالي هو: يحتاج التطبيق الموجود في الهواتف الجوالة إلى التحديث المستمر، فهل نظام المعرفة، والأفكار، والنماذج المعرفية في أذهاننا بحاجة إلى التحديث أيضًا؟ الجواب طبعًا. كما قال كونفوشيوس: "ادرس وتعلّم من وقت إلى آخر." ما قصده كونفوشيوس بقوله هذا هو أن الإبقاء على التعليم هو الطريق الصحيح للحصول على السعادة في الحياة. بكلمات أخرى، إن حياة التعلّم هي حياة سعيدة. أليس التعلّم هو عملية تحديث العقل باستمرار(بما في ذلك نظام المعرفة، والأفكار، والتفكير، والأنماط وما إلى ذلك)؟. في الواقع، إن الإبقاء على التعليم في حياتنا هو الموقف الصحيح دائمًا للحياة والذي يجب المحافظة عليه. مع ذلك، فإن الحفاظ على هذا الموقف باتجاه العلم مهم جدًا في عصر الانترنت. منذ مئات السنين، أتقن الكثير من الناس حرفة أسلافهم، ولم يكونوا بحاجة إلى تعلّمها بعد ذلك. كما يمكنهم أن يعيشوا حياة كريمة بالاعتماد على هذه المهارة. منذ عقود، تمكّن العديد من الأشخاص من عيش حياة مستقرة طالما عملوا

بوظيفة آمنة ومستقرة. على الرغم من أنه لا يزال هناك عدد قليل من هاتين الحالتين، الا أنه من الواضح أنها عادات قديمة. علاوة على ذلك، يمكن التوقع بأنه في المستقبل، لن يكون الإستقرار لدى الناس مرتبطًا بوظيفة آمنة ومستقرًا أو مرتبطًا بحرفة مكتسبة، بل سيكون كما الحال في التطبيقات، عبر الحفاظ على استمرارية التعلّم في حياتنا ورفع مستوى المعرفة لدى الفرد في الوقت المناسب عبر تحديث المعرفة، والأفكار وطريقة التفكير. أولئك الذين يجيدون التعلّم والتطور المعرفي هم أكثر عرضة للفوز في هذا العصر السريع التغير.

أعتقد أن التطبيق هو استعارة عظيمة لهذا العصر، يكشف عن واحدة من أهم خصائص الوقت بمعنى: لا يوجد زمن كامل، فقط زمن تقدّمي. في هذا العصر، فقط من خلال التطوير المستمر لنظام المعرفة والأفكار وطريقة التفكير، يمكن للناس مواكبة وتيرة العصر. بعبارة أخرى، لا يمكن المبالغة في تقدير أهمية التطوير المعرفي في المستقبل.

بالعودة إلى التاريخ وكتاب التاريخ الذي كتبته؛ عندما يتعلق الأمر بالتاريخ، سيفكر الكثير من الناس تلقائيًا: أليس التاريخ هو ما حدث في الماضي فقط؟ ما العلاقة بين هذا والترقية المعرفية؟ جوابي هو: أولًا، نظرة الشخص للتاريخ هي جزء مهم من نظامه المعرفي، وثانيًا التاريخ هو معرفة ذات محتوى غني ومستويات معقدة، وثالثًا، يحتاج مفهوم التاريخ أيضًا إلى التحديث باستمرار.

لا يخبر التاريخ الناس بما حدث في الماضي فحسب، بل يشرح أيضا سبب حدوث هذه الأشياء، فهو لا يخبر الناس فقط العلاقة بين هذا الحدث التاريخي وبين آخر، بل أيضا يسمح بإطلاق الأحكام على الأحداث والشخصيات التاريخية، وهذا الأمر لا يساعد الناس على توضيح السياق التاريخي فحسب، بل يلهمهم أيضًا التفكير في القوانين التاريخية والمسار التاريخي، فالبحث التاريخي لا يقتصر فقط على التاريخ، بل يشمل أيضا الحاضر والمستقبل. يمكن تشبيهه إلى حد ما بالتطبيقات الموجودة على هواتفنا، فهو يحتاج إلى تحديث مستمر لإصلاح الثغرات. هذا لا يعني ما قاله هو شي يو وهو "التاريخ كفتاة صغيرة متأنقة"، بل يعني أنه حتى عند مواجهة الحقائق التاريخية نفسها، فمن المحتمل للأشخاص من مختلف العصور أن تلتفت لهذه الحقائق، وإستخلاص إستنتاجات مختلفة حتى بين ناس من العصر نفسه، وذلك بسبب وجهات النظر والأفكار وطرق دراسة التاريخ المختلفة. هذا يشبه وقوف عدد من المصورين أمام الجبل ذاته، حيث أنه من المؤكد أن كل من هؤلاء المصورين سوف يلتقط صورًا مختلفة للجبل نفسه. إنه أمر طبيعي تمامًا. لهذا

السبب في عملية قراءة التاريخ، لا نحتاج إلى فهم الحقائق التاريخية فحسب، بل علينا أيضا الإطلاع على تفسيرات المؤرخين للأحداث والشخصيات التاريخية، فضلًا عن أفكارهم وقيمهم. بعبارة أخرى، لا تتطلب دراسة التاريخ "البحث عن الحقيقة" فحسب، بل تتطلب أيضًا "البحث عن الحكمة" و"البحث عن الخير" و"البحث عن الجمال".

إن كتابي هذا "تاريخ الصين المختصر" يشبه إلى حد ما تطبيقًا تاريخيًا قمت بتطويره. حيث حاولت أن أصعد التفكير الثنائي المتمثل في الخير والشر، والولاء والخيانة، والفائزين والخاسرين، وتجاوز التألق الرخيص والحزن والغضب والعاطفة، والاعتماد على أحدث نتائج البحوث متعددة التخصصات من منظور جديد، والنظر عن قرب إلى التاريخ الكامل للحضارة الصينية. خاصة فيما يتعلق بترقية أشكال التنظيم الاجتماعي، وظهور وسقوط السلالات، وتماسك الجماعات العرقية وتوسعها، وظهور الأشكال الثقافية واستيعابها، وتطور الروح الوطنية وانتقالها. لقد أوليت اهتمامًا خاصًا لهذا الكتاب، وحاولت استخدام أسلوب سردي هادئ ومحتوى تفاعلي.

لا أحد يستطيع أن ينكر أن للصين تاريخًا طويلًا وموارد تاريخية غنية ومجموعة واسعة من الكتب التاريخية. لكن مع ذلك، فإن التاريخ الطويل ووفرة الوثائق التاريخية لا يمكّنان الناس بطبيعة الحال من الحصول على المعرفة والرؤية التاريخية الصحيحة، فليس من السهل اليوم على الناس تكوين فهم صحيح للتاريخ، وأن يستخدموا الموارد التاريخية بشكل صحيح، وأن يستوعبوا الحكمة التاريخية في عصرنا الحالي. ومن خلال خبرتي الطويلة في قراءة وكتابة التاريخ، تمكنت من فهم السياق العام لتطوّر تاريخ الصين والخصائص الرئيسية للفترات التاريخية المختلفة، وذلك لأتمكّن من مساعدة الناس على تكوين رؤية أصح للوضع العام للتاريخ.

من الجدير بالذّكر، أن هذا الكتاب كان بمثابة تحدي وإغراء بالنسبة لي. لم أستطع تحمّل الإغراء، لذلك ما كان لي سوى قبول التحدي. هذا الكتاب هو نتيجة 20 عامًا من القراءة المتراكمة للتاريخ. فيما يتعلّق بنتائج البحوث التاريخية للأسلاف، لقد قارنت مرارًا وتكرارًا ما يجب مراعاته، وبعد الإنتهاء من التحضيرات اللازمة بدأت بالكتابة. أثناء كتابتي أحاول قدر المستطاع التغلب على ما يلهيني والإبقاء على تركيزي باستمرار، حيث تعمدت أن أجعل حياتي منتظمة للغاية للتأكد من أن لدي ما يكفي من الطاقة والوقت للكتابة كل يوم.

كما تمنيت، لم ينقطع إيقاع كتابة هذا الكتاب تقريبًا، وتمكنت من إنهائه في بضعة أشهر. أتمنى أن ما كتبته هو تاريخ عام عادل ومنطقي وسلمي

للصين. في عملية تأليف هذا الكتاب، وبالإضافة إلى السعي وراء الحكمة والخير والجمال، أود أن أضيف السعي وراء الذكاء إلى الكتابة التاريخية. بمعنى آخر، يجب أن نعكس إحساسنا وحكمتنا أثناء عملية كتابة التاريخ، وأن نعكس تفكيرنا الجديد في العصر الحديث. لكي نكون أكثر تحديدًا، يجب تنفيذ مبدأ "الأعراف الثلاثة" قدر المستطاع في عملية الكتابة وهي: إتساع الإختراق، الرؤية على مستويات عدّة، وعمق التفكير المتعدد الأبعاد. أتوقع أنه بعد قراءة هذا الكتاب، سيتكوّن لدى القارئ مفهوم واضح للتاريخ الصيني ككل، وسيحصل على بعض المفاجآت بين السطور: "اتضح أن للتاريخ هذا الجانب"، أو "يمكن تفسير التاريخ بهذه الطريقة".

بالطبع، ما يسمى بملاحقة "الذكاء" ومبدأ "الأعراف الثلاثة" هو فقط اتجاه جهودي في الكتابة. يعتمد مقدار ما قمت به على وجه التحديد، سواء أكان جيدًا أم لا وعلى حكم القراء هو ما أتطلّع إليه بصدق.

والآن عودة إلى موضوع التطبيقات، لو كان هذا الكتاب "تاريخ الصين المختصر" عبارة عن تطبيق، لكان بحاجة أيضًا إلى التحديث المستمر، وليست سوى الإصدار الأول للكتاب، والذي يمثّل مستوى معرفتي الحالي بالتاريخ الصيني وأوجه القصور والأخطاء. في النهاية، أتمنى من عائلة فانغ أن لا تتردد في تنويري.

تشانغ ليان قن

2017-5-10

الفصل الأول

من القبيلة البدائية إلى البلد

نهران طويلان وست مناطق ثقافية

التاريخ لا ينفصل عن القصة، والقصة لا يمكن فصلها عن الشخصيات وفضاء تحرّكاتهم.

عندما نتحدث عن تاريخ الصين المختصر، بالطبع لا يمكننا الاستغناء عن الشعب الصيني وجغرافيا البلد.

في عمليات التطور التاريخي الطويلة، شكّلت الأراضي الصينية مسرحًا بحيث كلّ صيني ممثّل عليها. لكن يجب أن نكون واضحين بأن كليهما يتغيّر ويتجدّد باستمرار، بعبارة أخرى، في هذه المسرحية لتاريخ الصين، لا يتغيّر الممثلون باستمرار فقط، بل يتغيّر المسرح (كبيرًا أو صغيرًا) ويتجدّد محتوى المسرحية دائمًا.

لنتحدث عن المسرح أولًا. إذا كنا نرى الجغرافيا الصينية من منظور تاريخي، فإن ما نسميها "الصين" ليست بلدًا ذات حدود واضحة، بل منطقة جغرافية طبيعية تغذّي ثقافة الصين الأساسية في ظل تغيّرات مستمرة. على الرغم من أن حدود هذه المنطقة تغيّرت من حين لآخر، إلا أنه يمكننا تحديد نطاقها التقريبي. هذا النطاق عبارة عن منطقة شاسعة في شرق آسيا: شمالًا إلى الصحراء المغولية، جنوبًا إلى البحر، غربًا إلى جبال الهيمالايا على هضبة تشينغهاي - التيبت، وشرقًا إلى المحيط الهادئ.

يبدو الفضاء الجيومكاني في الصين فضاء مغلقًا إلى حد ما، إذ إن البحار تحيط بشرقها وجنوبها، والجبال تقف أمام غربها وشمالها. تتنوّع التضاريس في هذه المنطقة الشاسعة، فهناك سهول ومروج، وصحارى وجبال، وبحيرات وجزر، وأحواض وتلال. تماشيًا مع البيئات الجغرافية المتنوعة، وتُعدّ الثقافة الصينية أيضًا مجموعة من الثقافات المتنوعة، حيث

شكّلت التعددية الثقافية في البداية ارتباطًا وثيقًا بأساليب الحياة المختلفة للأسلاف الصينيين. على سبيل المثال، اعتاش الأسلاف الصينيون في الهضبة المغولية المنتشرة في شمالي الصين من الرعي وانتقلوا سعيًا وراء العشب حتى هاجروا عدة مرات في غضون عام، فأوجدوا ثقافة بدوية. وعاش الأسلاف في سهول اللوس على الزراعة، عملوا بجد بغضّ النظر عن المشقّات، اقتنعوا بالمعيشة في المنطقة وما أحبّوا الهجرة إلى أماكن أخرى، وابتكروا ثقافة زراعية. أما الأسلاف في المناطق الساحلية في جنوب شرقي الصين، فعاشوا صيادين، وكسبوا عيشهم من صيد الأسماك في البحر، فكانت لهم ثقافة بحرية. إن هذه الثقافات المختلفة مثل الأنهار الصغيرة تصبّ في نهر كبير، أي نهر الحضارة الصينية. لذلك، يجب أن نعرف أن الحضارة الصينية تكوّنت من الثقافات والتنوّع والسلالات المختلفة منذ العصور القديمة.

بطبيعة الحال، "لم تُبْنَ روما في يوم واحد". لم تكن أراضي الصين شاسعة في البداية، ولم تكن الثقافة الصينية عريقة كذلك، بل أخذتا تتوسعان وتتطوران تدريجيًا على مدى التاريخ الطويل، وسنناقش هاتين النقطتين بالتفصيل لاحقًا.

المشكلة التالية أمامنا هي: من أين جاء الصيني الأول؟

هناك العديد من الفرضيات حول أصل موطن البشر. و"فرضية الخروج من أفريقيا" من بينها هي أكثر فرضية إقبالا عند علماء العصر الحديث. وفقًا لهذه الفرضية، ظهر البشر القدماء في قارة أفريقيا منذ حوالى 200.000 سنة، وصلوا قارة آسيا قبل خمسين أو ستين ألف سنة. هاجروا على طول طرق مختلفة: الطريق الأول هو خط سواحل شرق آسيا في المحيط الهادئ عبر المحيط الهندي من الجنوب؛ الثاني هو داخل جنوب غربي الصين مرورًا بجنوب شرق آسيا، ثم انتشروا شمالاً وشرقًا؛ والثالث كان بالوصول إلى منطقة شمالي آسيا عبر الشرق الأوسط. في البداية، اعتمد البشر على جمع الثمار وبذور النباتات من أجل لقمة العيش، فكان لا بدّ أن يعيشوا حول الأحواض الخصبة. نتيجة لذلك، أصبح حوض النهر الأصفر وحوض نهر اليانغتسي أقدم أماكن المعيشة للأجداد الصينيين. منذ ما يقرب من 10 آلاف عام، عرف الناس في حوض النهر الأصفر في شمالي الصين تدجين الأبقار والمطاردة وصيد الأسماك، وبدأت تتعدّد طرق إنتاج الطعام، وهذا يشير إلى تحوُّل دور الإنسان من ملتقط الأغذية سلبيًا إلى المنتِج مبادرةً. إنه تقدُّم عظيم!

قبل سبع أو ثماني آلاف سنة، زرع الأسلاف الصينيون الدخن في منطقة من الجزء الشرقي لجبال تايهانغ إلى سهل بوهاي، وهذا هو النشاط

الزراعي الأول للصينيين. في وقت لاحق، انتشرت زراعة الدخن بسرعة حتى إلى اليابان اليوم. وفي الوقت نفسه، بدأ الصينيون بزراعة الأرز في حوض نهر اليانغتسي في جنوبي الصين. حسبما أظهره موقع التراث خمودو في مقاطعة تشجيانغ فإن الصينيين في ذلك الوقت قد عرفوا حفر الآبار وصناعة السفن، كما عرفوا مهارات الاستفادة الكاملة من مياه الأنهار لري الأرز. بفضل ذلك تطورت الحضارة الزراعية في حوض النهر الأصفر وحوض نهر اليانغتسي. وفقًا لكتاب "تاريخ الحضارة الصينية" الذي ألّفه المؤرخان الصينيان يوان شينغ بي ويان وون مينغ، شكّلت الحضارة الصينية ست مناطق ثقافية رئيسية في حوض النهر الأصفر وحوض نهر اليانغتسي في العصر الحجري الحديث، وهي: منطقة يان لياو الثقافية التي تشمل شرقي منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم وغربي مقاطعة لياونينغ ومقاطعة خبى اليوم، ومنطقة قان تشينغ الثقافية التي تشمل مقاطعتي قانسو وتشينغهاي اليوم، ومنطقة شاندونغ الثقافية في مقاطعة شاندونغ اليوم، ومنطقة السهول الوسطى الثقافية التي تقع في مقاطعتي خنان وشانشي رئيسيًا اليوم، ومنطقة جيانغ تشه الثقافية التي تغطّي مقاطعتي جيانغسو وتشجيانغ اليوم، ومنطقة المجرى الأوسط لنهر اليانغتسي الثقافية التي تقع عند المجرى الأوسط لنهر اليانغتسي. قد استكشفت الحضارات الأثرية العديدة للشهادة على وجود هذه المناطق الثقافية، مثل حضارة هونغ شان وحضارة فو خه في منطقة يان لياو الثقافية، وحضارة بي شين - دا لونغ كوه - لونغ شان في منطقة شاندونغ الثقافية، وحضارة يانغ شاو في منطقة السهول الوسطى الثقافية، وحضارة بان بوه في منطقة قان تشينغ الثقافية، وحضارة ما جيا بانغ وحضارة ليانغ تشوه وحضارة خمودو في منطقة جيانغ تشه الثقافية، وحضارة تشو جيا لينغ في منطقة المجرى الأوسط لنهر اليانغتسي الثقافية.

ما هو أكثر إثارة للاهتمام هو أن المناطق الثقافية الست المذكورة أعلاه تواصلت مع بعضها وأثّرت ببعضها الآخر. جاورت حضارة يانغ شاو في منطقة السهول الوسطى حضارةَ بي شين - دا وون كوه - لونغ شان في مقاطعة شاندونغ وحضارةَ تشو جيا لينغ في منطقة المجرى الأوسط لنهر اليانغتسي، فمن الطبيعي أن تتواصل وتتعلّم من بعضها البعض باستمرار. يجدر الذكر أنّ حضارة هونغ شان في شمالي الصين وصلت إلى وادي نهر فيه خه في مقاطعة شانشي مرورًا بممرّ المرج في مدينة تشانغجياكو قبل أكثر من 4000 عام، واندمجت مع حضارة يانغ شاو في منطقة السهول الوسطى. وقد شكّل التطوّر المنفرد والتواصل المتبادل للمناطق الثقافية الرئيسية الست طاقة إنمائية هائلة أنشأت في نهاية المطاف حضارةَ "الأسر الثلاث" الشهيرة في تاريخ الصين، ألا وهي حضارة أسر شيا، شانغ وتَشو.

المعلومات الإضافية: كيف عاشت الأسلاف الصينية في العصر الحجري الحديث؟

من يدرس التاريخ يعرف أن إنسان بكين ويوانمو ولانتيان، قد عاشوا في فترة العصر الحجري القديم. وتشير ما تسمى بالأدوات الحجرية القديمة إلى الأدوات الحجرية المنحوتة التي تحتوي على الفؤوس والمكاشط والمدببّات وغيرها. وكانت قد عرفت في ذلك الوقت المشي منتصبة واستخدام النار منذ وقت غير طويل، لذلك كانت مهاراتها لصنع الأدوات باستخدام الحجر منخفضة نسبيًا.

في العصر الحجري الحديث، تمت ترقية المجتمع البشري من الدرجة 1.0 إلى الدرجة 2.0. إن مستوى هذه الترقية كبير إلى حد كبير، حيث لم يتعلم "الإنسان الحديث" فقط صقل الأدوات الحجرية الجديدة، بل أتقن أيضًا تقنيات الزراعة، وبدأ زراعة الدخن والأرز فأنتج الأغذية بنفسه.

مع تطوّر تقنيات الإنتاج، خضع أسلوب الحياة البشرية لتغيّرات هائلة أيضًا. قبل ست أو سبع آلاف سنة، نشأت قرى زراعية في أجزاء مختلفة من الصين، وبدأ الإنسان بتكوين مجتمع أكبر للإنتاج والمعيشة بشكل جماعي. ظهر تقسيم العمل لديهم، وعرفوا بناء الأسوار والمنازل وإنتاج النبيذ، إلى جانب إقامة طقوس القرابين. بالطبع، ظهر اختلاف في المستوى بين الطبقة الحاكمة التي تتمتّع بالثراء والرفاهية والطبقة العامة التي عانت من الفقر والمشقات في القبائل والقرى ذلك الوقت.

تُظهِر حضارة هونغ شان في شمال شرقي الصين أن هناك مقابر كبيرة لزعماء القبَائل والمذابح، ومعابد الآلهة. إن الأثر الثقافي الرمزي لحضارة هونغ شان هو تنين اليَشْم، مما يدلّ على استطاعة الأسلاف نحت منتجات اليشم الدقيقة والجميلة جدًا في ذلك الوقت، ولا شك أنه لا يمكن أن يتمتّع أحد بمقابر عالية المستوى ومنتجات اليشم النفيسة إلا الطبقة الحاكمة في القبائل.

وكذلك الحال في جنوبي الصين، اكتُشفت المذابح والمقابر ومنتجات اليشم لحضارة ليانغ تشوه في مقاطعتي جيانغسو وتشجيانغ اليوم. غير أن منتجات اليشم الممثّل لها ليس شعار تنين اليشم بل تسون اليشم (منتجة اليشم الأسطوانية كان شكلها دائرة داخليًا ومربعًا خارجيًا، واستُعملت في طقوس القرابين). كانت تقنية صنعها أكثر صعوبة وتعقيدًا، فهي لا تتطلب فقط من الحرفي أن يقطع اليشم الكبير بدقة، ولكن أيضًا تحويله إلى أسطوانة ذات شكل دائرة داخلي ومربع خارجي، إضافة إلى نحت الزخارف الجميلة عليها.

كانت قرى دا وون كوه الثقافية في شبه جزيرة شاندونغ كبيرة جدًا، وعدد المقابر ومرفقات الجنائز التي تم العثور عليها كبير، كما ظهر الاستقطاب بين الأغنياء والفقراء ودفن الزوج مع الزوجة، هذا الأمر الأخير قدّم دليلًا على تحوّل المجتمع الأمومي إلى المجتمع الأبوي. تتميّز ثقافة دا وون كوه بالمنتجات الفخارية الملوَّنة المطلية بألوان فاقعة وزخارف مختلفة. ظهر الفخار الأبيض والفخار الأسود في المرحلة المتأخرة، وبلغت مهارات تصنيع الفخار الأسود الذروة خلال فترة ثقافة لونغ شان التي ورثت ثقافة دا وون كوه، فالفخار الأسود في تلك الفترة كان مشهورًا بضوئه الأسود، وخاصة الكوب الفخاري عالي المقبض، فالفخار رقيق مثل قشر البيض، فكان يُطلق عليه فخار قشر البيض.

ملخّص وجهة النظر: الثورة الزراعية دفعت الارتقاء الاجتماعي

إن تاريخ البشرية طويل جدًا، والتاريخ المدوّن هو لفترة قصيرة نسبيًا منه.

عاش الإنسان على جمع البذور والثمار والصيد منذ 2.5 مليون سنة، ولم تحدث الثورة الزراعية إلا قبل 10 آلاف سنة، حيث تحوّلت طريقة حصول الإنسان على الغذاء من الجمع والصيد إلى الزراعة وتربية الدواجن. إنها ثورة كبيرة في تاريخ تطوّر البشرية. تسببت الثورة الزراعية في زيادة سريعة في إجمالي كمية الغذاء وظهور فائض الملكية. كما دفعت الثورة الزراعية على إنشاء النظم الأكثر تعقيدًا في القبائل البدائية، فظهر تماشيًا معه تقسيم العمل في المجتمع والانقسام الطبقي والتحسن الهائل في الإنتاجية والازدهار العظيم في الثقافة.

بالطبع دفع الإنسان ثمنًا باهظًا للثورة الزراعية. وقال المؤرخ الإسرائيلي يوفال نوح هراري في كتابه *"العاقل: تاريخ مختصر للجنس البشري"*: "لم تجلب الثورة الزراعية عصرًا من الحياة السهلة، بل جعلت حياة المزارعين أصعب في إرضائهم مما كانت عليه في مرحلة جمع البذور والثمار، فكان عليهم أن يبذلوا جهودًا أكثر للمعيشة". في الحقيقة إن حياة الصائدين والجامعين كانت أكثر تنوّعًا وقابلية للتغيير، وأقل احتمالية في أن يواجهوا خطر الجوع والمرض. في الواقع، زادت الثورة الزراعية الكمية الكلية للغذاء، لكن الزيادة في الكمية لا تعني الغذاء بجودة أفضل والحياة الأفضل راحة، بل إنها تسببت في انفجار سكاني فقط، وولدت مجموعة من النخب المدلّلة والغارقة في رفاهية الحياة. كان عمل المزارعين أصعب من عمل الجامعين

بشكل عام، مع أن الحال الغذائي للأول أسوأ من الثاني في نهاية المطاف. يمكن القول إن الثورة الزراعية هي أكبر أكذوبة في التاريخ. وقال يوفال نوح هراري أيضًا: "إن الجوهر الحقيقي للثورة الزراعية هو السماح لمزيد من الناس أن يعيشوا في حالة أسوأ".

ما قاله يوفال نوح هراري هو بالتأكيد نظرية بيانية وفريدة لها دلائل عديدة. ومع ذلك، وفيما يتعلق بالتطور التاريخي الكلي، فإن الثورة الزراعية لا تزال مهمة جدًا. إذا نظرنا إلى جميع المصادر الرئيسية للحضارة الإنسانية، فإن السبب في إمكانها أن تصبح رائدة الثقافات القديمة هو أن هذه المناطق دخلت مرحلة الثورة الزراعية في وقت مبكر. علاوة على ذلك، ما تمّت ترقية البنية الاجتماعية للقبائل البدائية إلا بعد الثورة الزراعية.

كانت المناطق الأولى في العالم التي دخلتها الثورة الزراعية هي حوض النهرين دجلة والفرات اللذين يتدفقان في الشرق الأوسط اليوم من الغرب إلى الشرق، مما شكّلا سهولًا رسوبية في منطقة المجرى الأسفل. هنا بدأ القدماء يروّضون الخنازير والأغنام منذ 10 آلاف سنة، ومنذ حوالى 9000 سنة زرعوا الحبوب بما في ذلك الشعير والقمح والشوفان والجاودار. يمكن القول إن تاريخ ممارسة الزراعة وتربية الدواجن في حوض النهرين أقدم بألف أو ألفي سنة مما كان عليه في الصين. ومع ذلك، فإن أقدم المحاصيل المزروعة الصينية هي الدخن، والماشية الأقدم هي البقر، وتختلف عن حوض النهرين تمامًا. لذلك إن الحضارتين القديمتين طوّرتا "ثورة زراعية" بشكل مستقل ولم يحدث التعلّم المتبادل بينهما.

قبل أكثر من 5000 سنة، نشأت ثقافة العبيد في المستنقعات في المجرى الأسفل لنهر الفرات. تكونت ثقافة العبيد من قرية مركزية وعدد من المستوطنات، وتُعدّ مقدمة للاقتصاد الحضري البشري. عرف الإنسان في ذلك الوقت بناء الأسوار وتنظيم الأسواق في المدينة. كما أتقن علم التقاويم الفلكية واستعمال أدوات القياس وبناء المعابد. إن دلَّ ذلك على شيء فإنه يدل على أن المجتمع في حوض النهرين قد تطوّر إلى مجتمع كبير ومعقّد منذ حوالى 5000 عام، حيث ظهر فيه تقسيم العمل، وطقوس القرابين، واستقطاب الطبقات، وذلك يشابه تطوّر ثقافة هونغ شان وثقافة ليانغ تشوه في الصين في نفس الوقت.

في الـ 2.5 مليون سنة المنصرمة، اعتمد البشر على جمع البذور والثمار والصيد للمعيشة، كانت ظروفهم المعيشية وأنشطتهم الروحية بسيطة للغاية وبدون أي تغيير تقريبًا. حتى دخول الثورة الزراعية ما أنتج ثقافات

متنوعة في العصر الحجري الحديث في غضون آلاف السنين؛ لا شك أنه تقدم سريع.

في الواقع، تطوّر المجتمع البشري دائمًا في شكل متسارع. فتطوّرت الثورة الزراعية، وقد تجاوزت الإنجازات الحضارية المصنوعة على مدى آلاف السنين إجمالي الإنجازات الحضارية المصنوعة طوال 2.5 مليون سنة قبلها، والثورة الصناعية تطورت أيضًا بتسارع، وكانت الثروات الاجتماعية المحدثة في أكثر من 200 سنة أكثر مما كان عليه طوال ألفي سنة قبلها، والثورة المعلوماتية التي تتميز بالتكنولوجيات الحيوية والإلكترونية والإنترنت تقدمت بتسارع أيضًا، فهي تتيح لحياة الناس ترقية كبيرة داخل عقود أو حتى سنوات. أتذكّر أن الناس اعتادوا على إرسال معلومات مهمة عبر البرقية قبل 30 سنة، لكنهم أتقنوا استخدام "وي شات" للاتصالات قبل ما يقرب من ثلاث سنوات فقط. مقارنة مع البرقية غالية الثمن وصعبة الحمل، يمكن القول إن "وي شات" هدية من تقدّم العلوم والتكنولوجيا.

التاريخ له ضوء ينبعث من العصور العريقة وينير الواقع مباشرة ويعطي الناس أسبابًا كافية للإيمان بالمستقبل.

التراب الأصفر والإمبراطور هوانغ دي

قبل أكثر من 4000 عام، تدهورت في نفس الوقت تقريبًا بعض المناطق الثقافية التي كانت مبهرة جدًا في العصر الحجري الحديث مثل مناطق هونغ شان ودا وون كوه وليانغ تشوه. وبقيت ثقافة السهول الوسطى على طول النهر الأصفر وحدها تستمر في تطوّرها بثبات وظلّت أسباب التراجع لغزًا حتى اليوم.

أظهرت الأرصاد الجوية القديمة أنه خلال تلك الفترة، شهدت الكرة الأرضية الشمالية بأكملها فترات طويلة من الجفاف والبرودة. إذن، هل كان هذا المناخ سببًا في تدهور المناطق الثقافية في العصر الحجري الحديث؟ إذا كان الجواب نعم، فلماذا بقيت المنطقة الثقافية في السهول الوسطى على طول النهر الأصفر وحدها متطوّرة؟ ماذا حدث بالضبط على أراضي الصين في الفترة الطويلة الجافة والباردة غير المسبوقة؟ ما زلنا غير قادرين على الإجابة على هذه الأسئلة في الوقت الراهن، على الأقل نعجز عن إعطاء تفسير مقنع.

الآن لننظر إلى ضفاف النهر الأصفر. تُسمى التربة هنا جغرافيًا التربة الصفراء المدرّجة، مع طبقات تربة عميقة تتراوح في العمق من مئات الأذرُع إلى آلاف الأذرُع. هناك العديد من الفتحات الصغيرة في التربة الرقيقة مثل الأوعية الشعرية الدموية. يمكن امتصاص ونقل الماء الموجود في باطن الأرض باستمرار إلى السطح عن طريق هذه الفتحات الصغيرة لتزويد الماء اللازم لنمو المحصول. ذهب البعض إلى أن هذه الميزة للتربة الصفراء صالحة جدًا لتطوير الحضارة الزراعية، قد تكون سببًا هامًا لتغلّبها على اختبار المناخ الجاف. ومع ذلك، فإن نموّ المحاصيل الزراعية لا يتطلّب الظروف المائية فحسب، بل يحتاج أيضًا إلى درجة حرارة مناسبة، فكيف حمت التربة الصفراء

المحاصيل من البرد لفترة طويلة؟ هذا يعتبر لغزًا أيضًا. يبدو أن طبيعة التربة الصفراء نفسها عاجزة عن تقديم تفسير مقنع كافٍ.

ولكن على كل حال، نجت ثقافة السهول الوسطى على طول النهر الأصفر وتطورت بقوة واستمرار، وأصبحت في نهاية المطاف المنطقة الأساسية للحضارة الصينية. وهي المنطقة التي ولدت فيها أسطورة "الأباطرة الخمسة".

يشير اسم "الأباطرة الخمسة" إلى أباطرة خمسة حكماء وعظماء قبل الأسرة شيا الملكية، ألا وهم أباطرة هوانغ، تشوان شيوي، دي كو، ياو، شون. في السرد التاريخي الصيني، يعدُّ "الأباطرة الخمسة" نموذج الإمبراطور الحكيم، رائد الحضارة الصينية، ومثال الأباطرة من جميع الأجيال، حتى كتب المؤرخ سيما تشيان "السجلات التاريخية" ابتداء بمسيرة الأباطرة الخمسة، بالتحديد الإمبراطور هوانغ دي الذي يعتبر الإمبراطور الأول للأمة الصينية.

وفقًا لسجلات سيما تشيان، انتسب الإمبراطور هوانغ دي إلى قبيلة شاو ديان، اسمه الحقيقي شيوان يوان، واسم عائلته قونغ سون. كان ذكيًا جدًا عندما ولد، وتكلّم بعد ولادته بوقت قصير، وقد ظهر ذكاؤه في طفولته، وتحلى بالصدق والاجتهاد مع مرور نشأته، حتى أصبح بالغًا متميزًا بالحكمة وبعد البصيرة والفِراسة غير العادية.

في عهد الإمبراطور هوانغ دي، حدثت الحروب بين القبائل وعاش الشعب في الظلمات. من أجل إنقاذ الشعب من الفوادح، بدأ هوانغ دي تدريب الجنود لإجهاض تحرّكات الأمراء الإقليميين الذين لم يبرز ولاؤهم والذين عادوا واستسلموا وأطاعوه. خلاصة القول إن الإمبراطور هوانغ دي قاد قبيلته لينتصر على القبائل الأخرى بعد حروب شديدة وحصل على حق الحكم على ضفاف النهر الأصفر.

لم تخضع قبيلتان لهوانغ دي، أحدهما قبيلة يان دي، والأخرى تشييو. فشنّ هوانغ دي حربًا على يان دي لثلاث مرات في منطقة بان تشوان حتى انتصر عليه، وأدرج الشعب والأراضي من قبيلة الإمبراطور يان دي إلى جيب حكمه. يرجع الأصل التاريخي لإطلاق الصينيين في الأجيال اللاحقة على أنفسهم اسم أحفاد الإمبراطورين هوانغ دي ويان دي إلى هنا.

وبعد ذلك، جرت المعركة بين هوانغ دي وتشي يوي في منطقة تشو لو، حيث أسره وقتله، وضم قبيلته إلى قبضته. منذ ذلك التاريخ، خضع جميع الأمراء لحكم هوانغ دي فأصبح زعيمًا معترفًا به من قبل جميع القبائل. استمر

في فتوحاته بعد توليه زعامة القبائل الموحّدة، من لم يخضع يحاربه ويستولي على أرضه، ثم يقوم بسحب قواته، وكان يبني طرقًا ويشقّ جبالًا في المنطقة لتحسين معيشة الشعب.

عاش الإمبراطور هوانغ دي في جبل شيوان يوان، وتزوج من فتاة باسم لوه تسو من قبيلة شي لينغ. كانت أول شخص يزرع شجر التوت ويربي دودة القزّ، وعلّمت الشعب تقنيات تربية دودة القز، وحلّ الحرير والنسيج.

أنجبت لوه تسو ابنين، أحدهما شيوان شياو الملقّب بتشينغ يانغ، ولّاه أبوه أميرًا على منطقة نهر مينجيانغ لمقاطعة سيتشوان اليوم؛ والآخر تشانغ يي، تولّى إمارة منطقة نهر يا لونغ جيانغ المسماة مقاطعة سيتشوان اليوم. يمكن أن نرى من مواقع منطقتي الحكم لهما أن الإمبراطور هوانغ دي قد وسّع نطاق نفوذه إلى حوض نهر مينجيانغ ونهر يا لونغ جيانغ في مقاطعة سيتشوان من خلال الفتوحات والحروب المستمرة. في هذا الوقت، أظهرت القبائل المتناثرة في العصر الحجري الحديث اتجاهًا للتكامل، فنشأ بقوة مجتمع سياسي وثقافي أكثر تعقيدًا ومستوى أعلى من التقدم من القبائل الابتدائية. لا يمكن اعتبار هذا المجتمع بلدًا بالمعنى الدقيق للكلمة إلى حدٍّ ما، لكنه اتحاد كبير متكوّن من قبائل عديدة، ولديه حاكم عام هو الإمبراطور هوانغ دي لممارسة السلطة العليا، وجمع الهيئات ووحّد الحكم. في السرد التاريخي للأجيال اللاحقة، كان الإمبراطور هوانغ دي أول جد حضاري للأمة الصينية وأول إمبراطور نموذجي، لأنه وحّد البلاد وحكمها بشكل جيد. "البلاد" هنا ليست مفهومًا جغرافيًا فحسب، بل مفهومًا سياسيًا أيضًا، لأنه يعكس القدرة على دمج القوى المختلفة على الأراضي الشاسعة في إدارة موحّدة ومنظّمة.

دُفن الإمبراطور هوانغ دي بعد وفاته في تشاون شان (قال البعض إن هذا المكان في جنوب غربي مدينة سوي ده لمقاطعة شنشي اليوم، وقال البعض الآخر إنه في شمالي مدينة هوانغ لينغ لنفس المقاطعة اليوم)، أما الإمبراطورية التي أسسها فأورثها لأحفاده. كان الوارث الأول له هو تشوان شيوي ابن تشانغ يي ابن الإمبراطور هوانغ دي، اسمه الحقيقي قاو يانغ. وفقًا للسجل التاريخي، كان شخصًا هادئًا وقورًا وحكيمًا، فهم حقائق الأمور، زرع محاصيل متنوعة وربّى ماشية مختلفة للاستفادة الكاملة من الموارد الأرضية، وضع مواسم الفصول الأربعة لتتوافق مع قوانين الطبيعة، صاغ الآداب احترامًا للآلهة والأرواح، استعاد قواعد العناصر الخمسة (الذهب، الخشب، الماء، النار، التراب) والفصول الأربعة لتثقيف الشعب، طهّر الجسم والعقل لتقديم القرابين إلى الأرواح والآلهة. إنه زعيم جيد بكل من القدرة والأخلاق.

بعد وفاة الإمبراطور تشوان شيوي، خلفه الإمبراطور دي كو ابن تشاون جي ابن شيوان شياو ابن الإمبراطور هوانغ دي.

أنجب الإمبراطور دي كو ابنًا سمّاه فانغ شيون أي الإمبراطور ياو لاحقًا، لكن فانغ شيون تنازل عن العرش للإمبراطور شون، ثم تنازل شون عن العرش للإمبراطور دا يوي، فشكّل نظامًا معروفًا في تاريخ الصين، ألا وهو نظام التنازل عن العرش.

المعلومات الإضافية: المعركة بين الإمبراطور هوانغ دي والإمبراطور تشي يوي

كان تشي يوي زعيمًا لقبيلة جيو لي، حسب الأكاديميات التاريخية، له 81 أخ، جسمه يشبه الوحش لكن يتكلم مثل الإنسان، رأسه صلب كالنحاس وجبهته صلدة كالحديد، أكل الرمل والحجارة وأكل الأرز والخبز مثل الإنسان، ابتكر أسلحة متقدمة مثل السكين والرمح والقوس، فانتشرت سمعته وهيبته في البلاد. هذه الأوصاف القليلة تجعل من السهل علينا التفكير في الشخصيات الموجودة في لعبة ورلد أوف وركرافت (World of Warcraft) أو الروايات الخيالية العلمية. لا يسعنا إلا أن نتساءل: هل هو إنسان حقيقي؟ حتى لو كان، فيكون من الحياة خارج الأرض.

بالنسبة إلى الأسلحة التي صنعها تشي يوي، السكاكين والرماح والمطرد والخناجر. الشيء الأكثر إثارة للإعجاب هو أنه يقال إنّ تشي يوي اخترع القوس أيضًا، الذي يمكن قتل العدو عن بعد 100 قدم ويُعتبر سلاح الهجوم عن بعد بكل معنى الكلمة في عصر الأسلحة الباردة، وهو ما يعادل صواريخ اليوم. حتى اليوم، لا يزال يُستخدم في القوات الخاصة في بعض البلدان. إذا اخترع تشي يوي القوس حقًا، فيمكن اعتباره أول خبير في صنع الأسلحة في العصور القديمة، ولا أحد يمكن أن يهز مكانته العليا في تاريخ تطوير الأسلحة.

أحسن تشي يوي استخدام السحر أيضًا، فكان يأمر الرياح والمطر لإضعاف قوة العدو القتالية أثناء الحرب. كان قويًا جدًا، حتى عجز يان دي عن قهره. في البداية، حاول يان دي شراءه بمنصب عالي وممتلكات وافرة. لكنه ما رضي وكان هدفه العرش، حتى هجم على قبيلة يان دي التي لم يتمكن منها، فهرب إلى منطقة تشو لو، وطلب من هوانغ دي إرسال القوات لإنقاذه.

قرّر الإمبراطور هوانغ دي محاربة تشي يوي. ولأن هوانغ دي فاز بقلوب الشعب، فالتجأت القبائل الأخرى إليه للمساعدة في مهاجمة تشي يوي. يمكن تقسيم عملية المعركة تقريبًا إلى الجولات الثلاث التالية:

الجولة الأولى: حشد هوانغ دي قوات مختلف القبائل للقتال ضد تشي يوي في ضواحي ولاية جي تشو. أمر هوانغ دي أولًا تنينًا طيّارًا تخزين المياه المتراكمة هناك لإغراق جيش تشي يوي، ولكن تشي يوي أدرك خطة هوانغ دي، ودعا آلهة الرياح والمطر إلى المساعدة. فجأة، اجتمعت السحب السوداء وهبت العاصفة، وهطلت الأمطار الغزيرة، نتيجة لذلك فقدت قوات هوانغ دي طريقها، ووقعت في حالة سيئة.

الجولة الثانية: أمام الحالة الصعبة هذه، واصل الإمبراطور هوانغ دي توجيه قواته في حين سعى لطلب المساعدة من إلهة با التي كانت إلهة زلحاء وتشرف على الجفاف، حيثما تذهب تجفّ المياه ولو نقطة واحدة، بل سيعاني هذا المكان من الجفاف لعدة سنوات. لبّت دعوة هوانغ دي، وسافرت إلى منطقة تشو لو لتوّه، نفّذت السحر، فتوقف المطر. بطل سحر تشي يوي وهرب.

الجولة الثالثة: اغتنم الإمبراطور هوانغ دي الفرصة واستخدم "عربة البوصلة" لتوجيه طريق الجنود لمطاردة العدو، وهزم قوات تشي يوي في ضربة واحدة، بل قبل تشي يوي ذاته. وفقًا للأكاديميات التاريخية، كانت هذه المعركة شرسة للغاية و"نزف الدم إلى مكان يبعد خمسة آلاف كيلومتر". طبعًا أن الوصف المبالغ هذا لا يجدر الإعجاب به مقارنة مع السحر الذي أظهره طرفا المعركة.

ملخّص وجهة النظر: أول إله صنعه الصينيون

على الرغم من أن قصة الإمبراطور هوانغ دي أسطورة، إلا أننا نستطيع استنتاج أن هذه الفترة هي المرحلة التي نمت فيها القبائل الزراعية على طول النهر الأصفر واندمجت مع القبائل الأخرى من خلال الحرب. تُظهِر أسطورة انتصار الإمبراطور هوانغ دي على الإمبراطورين يان دي وتشي يوي المسار القاسي العظيم لتحوّل المجموعات القبلية المختلفة إلى مجتمع أكبر من خلال الاندماج المستمر.

قاد الإمبراطور هوانغ دي قبيلته من نصر إلى آخر باستمرار ووحّد القبائل المختلفة، لذلك، كثرت الأساطير عنه، وشخصيته أصبحت أكثر قوة

وشجاعة مع انتشار هذه الأساطير. أخيرًا، أصبح "إلهًا" حقًا. حتى الأشخاص الأربعة الذين ورثوه أصبحوا "آلهة" أيضًا فيما بعد.

كذلك قصة تنازل العرش بين الأباطرة الثلاثة ياو وشون ويوي بعد الإمبراطور هوانغ دي. هناك رأيان عن هذه القصة. الرأي الأول هو النظرة التاريخية الأرثوذكسية، الذي يعتبر القصة حالة كلاسيكية لتنازل الحاكم النبيل عن عرشه لمن يملك القدرة والأخلاق، لقد تنازل الإمبراطور ياو عن عرشه للإمبراطور شون الذي تنازلَ عن عرشه إلى الإمبراطور دا يوي في شيخوخته، وجرى تعاقب السلطة بينهم في جو سلمي وودي دائمًا. جاء الرأي الثاني من *"السجلات التاريخية المكتوبة على البامبو"*، يقول إن نقل السلطة بين الأباطرة الثلاثة ليس سلميًا، بل عبر الانقلاب بقوة. فقد استولى الإمبراطور شون على السلطة من يد الإمبراطور ياو ونفاه، وذلك حدث بين الإمبراطور شون والإمبراطور دا يوي أيضًا. أما ابن الإمبراطور دا يوي فاستبدل بالقوة ولي العهد يي الذي اختاره الإمبراطور دا يوي ليكون خليفته.

أيهما القول الصحيح؟ لا أعلم. ما يمكنني قوله هو أن كلا الحالتين يمكن أن تحدث في التاريخ، بل أن "يتم دمجهما في واحدة" - جرت عملية تعاقب الحكم ودّيًا وسلميًا على السطح - وبالقوة في الحقيقة. مثل أسلوب نقل السلطة بين الإمبراطور شيان دي في أسرة هان الشرقية الملكية وبين الإمبراطور تساو بي في عهد الممالك الثلاث. في حفلة التنازل عن العرش الكبيرة، عبّر الإمبراطور شيان دي عن نيته في التنازل عن العرش بعبارات "مخلصة"، وكلّف تساو بي تسلّم السلطة، لكن في الحقيقة قام بذلك مضطرا. حسب السجل التاريخي، جلس تساو بي على العرش بعد الحفلة والتفت إلى المسؤولين حوله وقال لهم: "أعلم ما جرى بين الأباطرة الثلاثة ياو وشون ويوي الآن". هذا القول يكمن فيه معنى عميق، لا سيما أنه يخرج من فم الإمبراطور الذي شهد حفل "التنازل عن العرش" عينه، فيجدر التفكير فيه.

على غرار الإمبراطور هوانغ دي، تستهدف الأساطير المسجَّلة في الكتب التاريخية عن "الأباطرة الأربعة" والإمبراطور دا يوي إلى إبراز شخصياتهم النبيلة ومواهبهم وقدراتهم غير العادية. من البديهي أن هذه السجلات تستخدم أسلوب مبالغًا فيه. من المستحيل على الإنسان أن يأمر الريح والمطر ويدعو الوحش والأشباح والآلهة من أجل مساعدته في المعركة. في يومنا هذا الذي تزدهر العلوم والتكنولوجيات فيه، ليس من المستغرب أن الناس لا يصدّقون ما يملكه "الأباطرة الخمسة" من القدرات الغريبة. لكن إذا نظرنا إلى المجتمع القديم قبل أكثر من 4000 سنة، يمكننا أن نستنتج كيف

أصبحوا آلهة - فهم ليسوا آلهة أصلًا - ولكن سحرهم الشخصي تضاعف بشكل لانهائي بينما تستمر القبائل في التطور والتوسع إلى الخارج. صاروا الممثلين والقادة الروحيين للقبائل والاتحاد القبلي، هكذا اكتملت عملية انتقالهم من الإنسان إلى الآلهة. نظرًا للظروف الثقافية والفنية في ذلك الوقت، لن يتلقى صنع الآلهة الشك والنقد من قبل الناس، بل سيشجّع الجنود ويعزّز تماسك الاتحاد القبلي والقبائل. في هذا المعنى، فإن الإمبراطور هوانغ دي هو الإله الأول الذي صنعه أبناء الصين. أما الأباطرة تشوان شيوي ودي كو وياو وشون ودا يوي فأصبحوا آلهة لأنهم ورثوا سلطة الإمبراطور هوانغ دي.

من ترويض دا يوي الأنهار إلى ثورة شانغ تانغ

بعد "الأباطرة الخمسة"، دخل التاريخ الصيني أسر شيا وشانغ وتشو الثلاث. على الرغم من أن السجلات التاريخية لهذه الفترة بسيطة نسبيًا، إلا أنها أكثر دقة من الفترة التاريخية السابقة.

أسّس دا يوي أسرة شيا. تولّى منصب سي كونغ (منصب صيني قديم يعادل وزير الموارد المائية اليوم) وأشرف على الشؤون الداخلية واشتهر بإنجازاته في ترويض الأنهار، تحكي الأسطورة أنه مرَّ بباب داره ثلاث مرات ولم يدخله مرة واحدة خلال ثلاثة عشر عامًا أمضاها في مكافحة الفيضان. كان أبوه يروِّض الأنهار قبله لكن فشل فأُعدم. استخلص دا يوي العبرة من فعل أبيه وأبدع أسلوبًا جديدًا لترويض الأنهار، فالتجأ إلى صرف المياه بدلًا من سدودها. حيث وجد أن المنطقة التي يمرّ بها النهر الأصفر كانت مرتفعة في الغرب والشمال، ومنخفضة في الشرق والجنوب، وإذا حفر قنوات في جبال تايهانغ، يمكن أن يجري النهر إلى البحر بسلاسة. ونتيجة لذلك، نجح دا يوي في ترويض الفيضان واكتسب ثقة الإمبراطور شون ودعم الشعب. تنازل شون عن العرش إليه، قَبِلَ وأصبح زعيمًا للبلاد.

قسّم دا يوي البلاد إلى تسع ولايات وفقًا للوضع الجغرافي الصيني، ونفّذ نظام التوريث ونظام الإقطاع في جميع الولايات، حيث على كل ولاية تقديم المنتجات المحلية الخاصة والضرائب إلى الحكومة المركزية التي يحكمها دا يوي، ومن الواضح أن منهج الحكم هذا أسهل في الإدارة من الاتحاد القبلي الأصلي. عرف ذلك في التاريخ بـ "تحديد دا يوي التسع ولايات".

ترك هذا الأسلوب للتقسيم الإداري آثارًا بعيدة المدى على الأجيال اللاحقة. إذ إنّ "الولايات التسع" أصبحت مرادفًا للصين، ولا يزال العديد من المدن يستخدم أسماء الولايات التسع القديمة، مثل مدن جيتشو وتشينغتشو ويانغتشو وجينغتشو. إن دلّ ذلك على شيء، فإنه يدلّ على أن عملية ترويض دا يوي للأنهار والإدارة الموحدة للولايات التسع لاحقًا هي في الواقع عملية لنشر الثقافة وتوسيع نفوذ السلطة من السهول الوسطى إلى أنحاء الصين.

من أجل تطوير الزراعة بقوة وتعزيز التجارة العادلة، أمر دا يوي بتوحيد التقاويم ومعايير القياس. وقد أصدر تقويم شيا (أي أسرة شيا) *"شيا شياو تشينغ"* إلى البلد بأسره. يبيّن هذا التقويم بموجب ترتيب "الاثنا عشر شهرًا"، التنجيم والأرصاد الجوية والظواهر الأحيائية والشؤون الزراعية والسياسية المناظرة لكل شهر لتسهيل الإنتاج الزراعي والحكم الإداري، ولذلك يُعرف تقويم شيا أيضًا باسم "التقويم الزراعي". إضافة إلى ذلك، فإن وحدات الطول (مثل تسون، التشي والتشانغ) ووحدات الوزن (مثل جين، ليانغ، وما إلى ذلك) التي لا تزال تُستخدم من قبل الصينيين اليوم، تمّ وضعها بشكل موحد خلال أسرة شيا. كما قام دا يوي بإصلاحات إدارية وشكّل نظامًا سياسيًا وعسكريًا خاصين، فأنشأ مناصب عسكرية مثل "تشيغ" الستة و"شي" الستة، ومناصب مسؤولية عن التقاويم الفلكية في الفصول الأربعة مثل "شي" و"خه" ومناصب مسؤولة عن الأسلحة مثل "تشه تشينغ".

من أجل معاقبة المجرمين، أمر دا يوي المسؤول شي آن بصياغة "قانون يوي" (هو قانون عقوبات)، الذي ينص على مختلف الجرائم والعقوبات المقابلة، حتى اخترع سجنًا خاصًا للمجرمين، سُمِّي بـ "هوان تو" (يعني سجنًا ترابيًا دائريًا).

شجّع دا يوي بناء المدن في جميع أنحاء البلاد لتسهيل الاستيطان والتنمية الاجتماعية للشعب. جاء في *"بوه وو تشي"* (موسوعة الأشياء المختلفة): "بنى دا يوي سور المدينة، فيمكنه الهجوم عندما يكون قويًا، يمكن الدفاع عنه عندما يكون ضعيفًا، ويمكنه المقاومة عندما يغزو العدو، لعلّ بناء مجمع للمدينة الداخلية والخارجية بدأ من دا يوي". إلى جانب ذلك، أنشأ وأكمل دا يوي سلسلة من القواعد واللوائح الخاصة بالتعليم والمالية والآداب والفنون والطقوس الدينية والكِهانة إلخ.

لم تُدخله إنجازات دا يوي المذكورة أعلاه في صفوف الزعماء الحكماء فقط، ولكن أيضًا تعرض لنا الترقية الاجتماعية من القبيلة إلى الدولة. من

ترويض الفيضانات وإنشاء هيكل السلطة بين الحكومات المركزية والمحلية، إلى تنفيذ نظام التقاويم ومعايير القياس والأنظمة الإدارية، كلها تشير إلى أن النظام الذي يحكمه دا يوي قد تجاوز قيد القبائل والاتحاد القبلي وتصاعد إلى إطار الإمبراطورية. وعندما حكم إحدى القوى الناشئة، استفاد دا يوي من استراتيجية إقناع الشعب بالأخلاق، حتى استسلمت له قبيلة "سان مياو" الهمجية بشكل طوعي، مما وسّع من نطاق نفوذ أسرة شيا من حوض النهر الأصفر إلى نهر اليانغتسي. كما زار دا يوي بنفسه المنطقة الجنوبية الشرقية وعقد مؤتمرًا في مدينة توشان بمقاطعة آنهوي اليوم واستقبل الأمراء الإقليميين هناك. أثبت مؤتمر توشان مرة أخرى القوة الوطنية الشاملة الكبيرة والتأثير القوي لأسرة شيا. جعل كل ذلك أمة شيا الصينية تصبح أكبر مجموعة سياسية وثقافية (آنذاك). بناء على ذلك، يستحق دا يوي حقًا لقب "مؤسِّس أسرة شيا" الذي أطلقه عليه المؤرخون.

بعد وفاة دا يوي، ورث ابنه تشي العرش. منذ ذلك الوقت حل نظام التوريث محل نظام التنازل عن العرش المحمود لنقل السلطة بين أباطرة ياو وشون ويوي.

دامت أسرة شيا لأكثر من 400 عام (من القرن 21 قبل الميلاد إلى القرن 17 قبل الميلاد)، لكن السلطة لم يسيطر عليها أحفاد دا يوي باستمرار، بل سقطت إلى قبضة هويي الذي اشتهر بالرماية لفترة ما. لم تتم إعادة توطيد نظام أسرة شيا إلا بعد نهضة شاو كانغ.

كان الإمبراطور الأخير لأسرة شيا هو شيا جيه. كان طاغية مشهور في تاريخ الصين، فقد فرض ضرائب شديدة على الجماهير، وبنى عمارات كثيرة، وعاش حياة فاخرة للغاية. نصحه الوزير قوان لونغ بانغ: "إذا استمر الأمر على هذا النحو، فإنه سيثير غضبًا شعبيًا أكبر ويفقد المزيد من قلوب الناس". أغضب قوله شيا جيه فقتله. قال شيا جيه: "طالما أن هناك الشمس في السماء، لن أهلك". لقد حقد عليه الشعب وشتموه وقالوا: "متى تموت أيها الشمس؟ إننا نفضّل الموت معك!".

سمع شيا جيه أن البنات في قبيلة يوشي جميلات، فبعث الجيش إليها وخطف فتاة جميلة اسمها موه شي. دلّع شيا جيه هذه الفتاة وأهمل الشؤون الوطنية بشكل متزايد.

في هذه المناسبة، ازدادت قوة قبيلة "شانغ" بسرعة في المجرى الأسفل للنهر الأصفر. كان قائد هذه القبيلة هو شانغ تانغ، وهو حفيد الجيل الرابع عشر من تشي حفيد الإمبراطور دي كو حفيد الإمبراطور هوانغ دي. في

هذا الصدد، فإن شانغ تانغ هو من أحفاد الإمبراطور هوانغ دي، نسبه عريق أيضًا.

رأى شانغ تانغ تصرفات شيا جيه الفاسدة، فعزم على إسقاط أسرة شيا.

اهتمت قبيلة شانغ بطقوس تقديم القرابين للسماء والأرض والأجداد كحدث مقدّس لا يضاهى. غير أن قبيلة "قه" المتاخمة لا توافق على ذلك. فأرسل شانغ تانغ أشخاصا إلى قائد تلك القبيلة قه بو للضغط عليه. وقال قه بو إنه لا يوجد تضحية لتقدم. فأرسل شانغ تانغ له الأبقار والأغنام للتضحية.

ومع ذلك، لم يضحّ قه بو بهذه الأغنام والأبقار، بل أكلها هو! يمكننا معرفة مدى فظاظة هذا الشخص.

أرسل تانغ شانغ أشخاصًا ليسأله السبب مرة أخرى، واعتذر قه بو وقال إننا فقراء جدًا لدرجة أننا لا نستطيع تقديم الأغذية الكافية للطقوس!

سمع شانغ تانغ عذره، أرسل بعض الشباب من قبيلته لمساعدة أهل قبيلة قه في الزراعة، ودعا العجوز والأطفال ليقدموا لهم الأطعمة. لكن قه بو لم يشكره على لطفه، بل قتل طفل مرسل الطعام.

أثار هذا الحادث غضب قبيلة شانغ، فقرر شانغ تانغ القضاء على قبيلة قه بو فورًا. وقام بمهاجمة العديد من القبائل الصغيرة التي أثارت المشاكل دائمًا في طريق الانسحاب، ونجم عن ذلك نموّ قوة قبيلة شانغ بسرعة.

وقت ازدياد قوة قبيلة شانغ، تعرّض شيا جيه للمشاكل، حيث تحمّلت بعض القبائل ظلمه فوق طاقتهم فوقفت ضده. رأى شانغ تانغ أنه حان الوقت للقضاء على أسرة شيا، واستدعى الجيوش والضباط ليُقسموا على الإطاحة بأسرة شيا. وفي اجتماع حلف اليمين، قال شانغ تانغ: "لست متمردًا، ولكن شيا جيه يقوم بالشرّ. إن السماء تريد مني أن أهلكه. لا أستطيع مخالفة أمر السماء!" وهذا يعني أن ظلم شيا جيه المفرط يُفقد شرعيةَ نظام أسرة شيا. لم تعد السماء تدعم شيا جيه، وأمر بدلًا من ذلك شانغ تانغ أن يقضي على شيا جيه ويحل محله.

جرت معركة شرسة بين جيش شانغ تانغ وجيش شيا جيه في قرية يو سونغ (غرب مدينة يونغ جي، مقاطعة شانشي اليوم). هزم جيشُ شانغ تانغ جيشَ شيا جيه بالضربة القاضية. هرب شيا جيه من المعركة إلى مينغ تياو (شرق مدينة فنغ تشيو، مقاطعة خنان اليوم)، وقاد شانغ تانغ الجنود لمتابعته،

وحدثت الحرب بينهما مرة أخرى، وتم القضاء على قوة شيا جيه الرئيسية هذه المرة. هرب شيا جيه متّجهًا نحو الجنوب ووصل إلى نان تشاو (جنوب غرب مدينة تشاو هو، مقاطعة آنهوي اليوم)، لكن شانغ تانغ ثابر على مطاردته، ولم يعد شيا جيه قادرًا على المقاومة واضطر إلى الاستسلام. نفى شانغ تانغ شيا جيه، وانتهت أسرة شيا رسميًا.

بعد هزيمة شيا جيه، أنشأ شانغ تانغ أسرة شانغ، واتخذ مدينة بوه (قرب مدينة شانغ تشيو، مقاطعة خنان اليوم) عاصمة لها. من أجل تعزيز سيطرته على البلاد، قام شانغ تانغ بإنشاء بوه الغربية في مدينة يان شي وبوه الجنوبية في مدينة قو شو على التوالي، وسمّى المناطق التي يسيطر عليها أهل شانغ مباشرة "المناطق الداخلية" والمنطقة النائية باسم "المناطق الخارجية"، مما غيّر من نظام العلاقة غير المتماسكة بين المناطق المركزية والمحلية في أسرة شيا، وعزّز السلطة المركزية.

في العصور القديمة، وصفت الطبقة الحاكمة تغيّر الأسر بأنه تغيّر نيّة السماء، لذلك، يطلق على إسقاط شانغ تانغ أسرة شيا "ثورة شانغ تانغ" في الكتب التاريخية.

سكنت أسرة شيا أولًا عند المجرى الأعلى للنهر الأصفر وكانت بيوتها مبنية على المنطقة المرتفعة. كانت أسرة شانغ تسكن أولًا عند المجرى الأسفل للنهر الأصفر عند المنطقة المنخفضة. بالنسبة إلى حلول أسرة شانغ مكان أسرة شيا، فسّر السيد تشيان مو في *"المنهاج في تاريخ الصين"*: "انعطف النهر الأصفر قديمًا من مقاطعة خنان الشرقية إلى الشمال، ومرّ بحوض نهر تشانغخه اليوم وصبّ في البحر عند مدينة تسانغتشو في مقاطعة خبي اليوم. عاشت أسرة شانغ عند ملتقى مقاطعات خنان وشاندونغ وخبى حول المنعطف للنهر الأصفر في مجراه الأسفل، مقابل أسرة شيا القاطنة عند ملتقى مقاطعات خنان وشنشي وشانشي حول المنعطف للنهر الأصفر في مجراه الأعلى... لعله بسبب الظروف الأفضل للتربة والمناخ في منخفضات المجرى الأسفل للنهر الأصفر، فكانت الحياة والثقافة هناك مزدهرتين، واللياقة البدنية للسكان كانت ضعيفة، فمن السهل الوقوع في الإسراف أو إدمان الشهوات والملذات، وعلى العكس وبسبب الظروف القاسية للتربة والمناخ في مرتفعات المجرى الأعلى للنهر الأعلى، كانت الحياة والثقافة هناك بسيطتين، فأحسن السكان استخدام القوة، واتحدوا عسكريًا وسياسيًا. توسّع نفوذ أسرة شيا نحو الشرق تدريجيًا، وأحبَّ أبناء شيا حياة الملذات حتى أطاحت بهم قبيلة شانغ وأعلنت إنشاء أسرة جديدة - أسرة

شانغ -. عند تأسيسها بنى أبناء شانغ دولة أكثر انتظامًا تدريجيًا، ثم نهضت قبيلة تَشو في المنطقة الغربية، واتبعت طريق أسرة شيا لغزو أسرة شانغ حتى تغلبت عليها، وانتقلت تدريجيًا إلى سهول المجرى الأسفل للنهر الأصفر. وبنت دولة أكثر اكتمالًا وانتظامًا في العصور القديمة الصينية تربط المجرى الأعلى بالأسفل للنهر الأصفر، هذه هي أسرة تَشو". يمكن ملاحظة أن تعاقب سلطة شيا وشانغ وتَشو يعني أن الثقافة المحصورة أصلًا في السهول الوسطى قد توسعت إلى حوض النهر الأصفر كافة، وجاء معها التحسين والترقية بنظام حكم الدولة. وذلك يمثّل الاتجاه العام للتطور التاريخي لأسر شيا وشانغ وتَشو الثلاث.

المعلومات الإضافية: نقل بان قينغ العاصمة

كانت العاصمة الأولى لأسرة شانغ في مدينة بوه (قرب مدينة شانغ تشيو، مقاطعة خنان اليوم). لكن في الثلاثمائة سنة اللاحقة، تغيّرت عاصمة هذه الأسرة خمس مرات، أشهرها نقل بان قينغ العاصمة.

لماذا انتقلت العاصمة مرارًا؟ السبب هو الكوارث الطبيعية علاوة على الكوارث الاصطناعية. على سبيل المثال، غُمِرت العاصمة بفيضان كبير، كانت كارثة طبيعية أدّت إلى نقل العاصمة. وإلى جانب ذلك، دائمًا ما حدثت الصراعات حول نظام التوريث بين أفراد العائلة الملكية لأسرة شانغ، إذ قال بعض الناس إنه يجب أن يُورِّث الأبُ ابنه العرش، بينما قال البعض الآخر بأن على الأخ أن يُورِّث أخاه الصغير العرش. غالبًا ما اندلع الصراع بين الإخوة أو بين الأعمام وأبناء إخوتهم. أسفر النزاع الداخلي المتكرر عن عدم الاستقرار السياسي، فيضطر إلى نقل العاصمة أحيانًا.

كان بان قينغ الإمبراطور العشرين من أسرة شانغ، ومن أجل تجنّب الكوارث الطبيعية، فقد قرّر نقل العاصمة من مدينة يان (مدينة تشيوي فو مقاطعة شاندونغ اليوم) إلى مدينة يين (قرية شياو تون في مدينة آنيانغ مقاطعة خنان اليوم).

في البداية لقي قرار نقل العاصمة معارضة الكثير من الناس. فضّل معظم النبلاء الراحة غير راغبين في الانتقال، وحرّض بعض النبلاء الأقوياء المدنيين على الانتفاضة ضده، مما أثار ضجّة كبيرة لم تمنع بان قينغ من نقل العاصمة. رفع شعارَي "أمر السماء" و"الأباطرة الأولين"، مدّعيًا أن هذه الخطوة تتماشى مع أمر السماء وتتوافق مع القوانين التي وضعها الأباطرة الأولون.

أحضر النبلاء الذين عارضوا هذه الخطوة، وحاول إقناعهم فقال: "أقرر نقل العاصمة من أجل استقرار بلادنا. أنتم لا تفهمونني، بل تعارضونني وتنشرون الذعر بين الناس. إذا أردتم تغيير قراري، فهذا مستحيل". قبيل الانتقال إلى العاصمة الجديدة، حذّر مرة أخرى: إذا كان أحد ما زال يصرّ على انتهاك أمر نقل العاصمة، سأقتله!

نقل بان قينغ أخيرًا عاصمة أسرة شانغ إلى مدينة يين بنجاح في ظل المزيج من النصح والتحذير القوي.

تتمثّل منافع نقل العاصمة في النواحي التالية: أولًا، كانت الأراضي في مدينة يين خصبة جدًا، وهي أفضل بكثير من العاصمة القديمة سواء من حيث بناء العاصمة أو تطوير الإنتاج الزراعي. ثانيًا، بعد الانتقال إلى العاصمة الجديدة، لا بد من إعادة كل شيء، مما قيّد سلطة أفراد العائلة الملكية والنبلاء، وخفّف التناقضات الطبقية، وأفاد استقرار حكم أسرة شانغ. أخيرًا، يمكن أن يؤدي نقل العاصمة أيضًا إلى تجنُّب هجمات بعض القوى المعادية وهو أمر صالح للأمن القومي.

بعد ذلك، تم تحديد عاصمة أسرة شانغ في مدينة يين بشكل دائم، لذلك سميت أسرة شانغ أيضًا باسم يين شانغ. في العصر الحديث، اكتشف الناس عددا كبيرًا من الآثار الثقافية القديمة في قرية شياو تون في مدينة آنيانغ مقاطعة خنان، مما يثبت أن هذه المنطقة عاصمة أسرة شانغ حقًا، فيطلق عليها "أطلال يين شيوي". الآثار الأكثر شهرة التي تم اكتشافها هناك هي المنتجات البرونزية والنصوص المنقوشة على العظام، وكلاهما من النماذج الأفضل لثقافة أسرة شانغ.

ملخّص وجهة النظر: المنتجات البرونزية والنصوص المنقوشة على العظام

تمَّ اكتشاف المنتجات البرونزية والنصوص المنقوشة على العظام على نطاق واسع خلال الحفريات الأثرية في مدينة آنيانغ في الفترة من 1934 إلى 1935.

لقد أدهش اكتشاف المنتجات البرونزية علماء الآثار، إذا لم يروا ذلك بأعينهم، فإنهم لن يصدّقوا أن أسرة شانغ القديمة يمكنها صنع هذه المنتجات البرونزية الجميلة.

في خريف عام 2015، ذهبت إلى المتحف الوطني في بكين للزيارة، حيث عرض هناك العديد من المنتجات البرونزية الرائعة المكتشفة من أطلال

يين شيوي. على الرغم من أني قد رأيت بعض الصور عنها في الكتاب من قبل، ما زلت مصدومًا للغاية عندما واجهت الشيء الحقيقي. تتنوّع المنتجات البرونزية في عهد أسرة شانغ، فبعضها استُخدم في الطقوس الدينية، وبعضها كان أسلحة أو أواني الحياة اليومية. أعجبت بمستوى إنتاجها العالي ودقة النقش والرسوم المعقدة والجميلة. مثل الإناء البرونزي هو مو وو دينغ، يبلغ ارتفاعها 133 سم وطولها 112 سم وعرضها 79.2 سم، وترك الحجم الضخم تأثيرًا بصريًا قويًا على الناس. كما أن كل قطعة من المنتجات البرونزية المكتشفة من مقبرة فو هاو كانت رائعة جدًا.

تبرز هذه المنتجات البرونزية من خلال الزجاج ضوءا باهتًا، كأنها تروي قصة أسرة شانغ العريقة. إن نمط المنتجات البرونزية ورسومها لأسرة شانغ فريد من نوعه أيضًا، وجمالها ليس لطيفًا ولا قويًا، بل هو جمال وحشي خاص، ويبدو أنه ينوي إخافة الناس. وصل هذا النوع من الجمالية إلى الذروة في عهد أسرة شانغ. بعد ذلك اختفى فجأة. ظهرت الثقافة الناضجة هذه أمامنا فجأة، ثم اختفت فجأة، فشعرت بدهشة شديدة. يجب أن تكون هناك مرحلة التمهيد قبل ظهور هذه المنتجات البرونزية الجميلة، لكن لا؛ يجب أن تكون هناك مرحلة التراجع قبل زوال هذه الثقافة الرائعة، ولكن لا يوجد. قد تكون هذه المراحل موجودة، لكننا ما زلنا نفتقر إلى اكتشافات أثرية جديدة لدعمها؛ وربما ما زلنا لا نعرف إلا القليل عن تاريخ أسرة شانغ، ولا يمكننا تفسير كل ذلك بالتفصيل.

تذكرت قصة تقول إن سيما تشيان ذهب إلى مدينة تشيوي فو لرثاء كونفوشيوس. قال: "جئت إلى بلد لو (مسقط رأس كونفوشيوس، في مقاطعة شاندونغ اليوم)، ونظرت إلى المعابد والعربات والأزياء الخاصة بكونفوشيوس والأشياء المستعملة في طقوس القرابين، تذكرت مشهد الطلاب الذين درسوا الآداب في منزله في الوقت المحدد، فبقيت وطفت هناك ولم أتمكن من المغادرة". شاهدت بعناية المنتجات البرونزية الرائعة التي تعود إلى عهد أسرة شانغ، وتجولت هناك لفترة طويلة ولم أستطع المغادرة، وملأ قلبي إحساس معقّد مثل سيما تشيان. مع أن الضوء من البرونز ليس ساطعًا، غير أنه يحمل ما يجعلني أشعر بالرهبة وأطلق عصافير الخيال في روحي من ثقل إرث أسرة.

لحسن الحظ، نجحنا بفك شفرة النصوص المنقوشة على العظام. يرمي معظم هذه النصوص المنقوشة على أصداف السلاحف وعظام الحيوانات إلى الكهانة. هذا يدل على أن الرجال في أسرة شانغ أحبوا الكهانة وقاموا بها قبل الصيد أو الخروج دائمًا. وقد أكدت محتويات النصوص

المنقوشة صحة ما قيل في أسرة هان الملكية: "إن الرجال في أسرة شانغ اهتموا باحترام الآلهة والأرواح". احترم أهل شانغ الأرواح والآلهة، فأحبّوا إقامة طقوس القرابين والتخييل، وذلك يختلف تمامًا عن أسرة شيا التي اهتمت بالولاء وأسرة تَشو التي اهتمت بالآداب.

سواء أكانت العناية بالولاء أو الآداب، فهي أمر يحثّ على العمل الجدي، يشدد "الولاء" على تطبيق روح الولاء والصدق، وتؤكد "الآداب" على احترام الفنون والأدب والأناقة، أما احترام الأرواح والآلهة فهو نوع من الثقافة الغامضة البعيدة عن الحياة الحقيقية. من هنا، يمكننا رؤية الميزات الخاصة لأسر شيا وشانغ وتَشو من هنا.

من حيث اللغة، فإن الكلمات المنقوشة على العظام من لغة متكاملة حرفيًا ونحويًا، وهي الأصل للأحرف الصينية التي نستخدمها اليوم. هذا الإنجاز وحده يكفي لتعزيز قدرة أهل شانغ على إدارة المجتمعات الكبيرة، ووجوده يمنح ثقافة أسرة شانغ علامة باهرة في التاريخ الصيني.

من حبس الإمبراطور ون لأسرة تَشو في مدينة يولي

إلى قضاء الإمبراطور وو على أسرة شانغ

قبل حلول أسرة تَشو مكان أسرة شانغ، كانت قبيلة تَشو قبيلة تابعة لأسرة شانغ، وعاش أبناؤها في منطقة شنشي وقانسو، وانتقلوا شرقًا إلى السهول تحت جبل تشيشان (التي تقع الآن شمال غربي مدينة تشيشان بمقاطعة شنشي) بسبب الغزوات من قبل القبائل البدوية مثل رونغ ودي. نمت وقويت في عهد حكم جي تشانغ (الذي أصبح الإمبراطور ون لأسرة تَشو فيما بعد)، وغطّت قواتها مقاطعتي شنشي وشانشي ومنطقة خيتاو في منغوليا الداخلية، فتأهلت لتحدّي أسرة شانغ.

حاكم أسرة شانغ في هذا الوقت هو الإمبراطور تَشو، كان طاغية مشهورًا في التاريخ مثل الإمبراطور شيا جيه. وفقًا للكتب التاريخية، كان ذكيًا وقويًا فطريًا، "يستطيع سحب تسعة أبقار مقلوبة، ولديه القدرة على مداعبة ليانغ ييتشو"، ويجرؤ على القتال مع الوحوش دون سلاح، فهو رجل قوي جدًا. كان عسكريًا بارعًا أيضًا، فبعد أن أصبح إمبراطورًا، أرسل قوات لمهاجمة القبائل في المنطقة الشرقية للنهر الأصفر، ومدّد حدود أسرة شانغ إلى منطقة حول نهر يانغتسي ونهر هوايخه، وتوسعت البلاد لتشمل مقاطعات شاندونغ وآنهوي وجيانغسو وتشجيانغ والمنطقة الساحلية لمقاطعة فوجيان اليوم. ومع ذلك، فإن الحروب المستمرة التي شنها الإمبراطور تَشو ضد أسرة شانغ قد استهلكت القوة الوطنية وشددت العبء على الشعب.

لكن أكبر خطأ اقترفه الإمبراطور تَشو كان انغماسه المفرط في اللهو وانصرافه عن هموم الشعب وآماله. إذ إنه فرض ضرائب شديدة على الشعب، وبنى قصرًا فاخرًا باسم "لوتاي" في مدينة تشاو قه (مدينة تشي شيان في مقاطعة خنان اليوم) عاصمة أسرة شانغ الثانية، وكنز فيه ثرواته وأمواله؛ وشيّد خزانة كبيرة تدعى "جيوي تشياو" وملأها بالأغذية؛ جمع الكلاب والخيول والحيوانات النادرة من أنحاء البلاد وربّاها في حديقته؛ دلّل فتاة جميلة تدعى داجي وأشبع كل ما طلبته. من أجل إرضاء شهوته، ابتكر مشروعًا ترفيهيًا أسماه "بركة الخمر وغابة اللحم"، حيث ملأ البركة بالخمر وعلّق اللحوم في الغابة بجانب البركة، ركب الإمبراطور تَشو والفتاة داجي والمسؤولون الآخرون القارب على سطح البركة، مع العديد من الرجال والنساء الذين رقصوا عراة على الشاطئ، أكلوا وشربوا وتمتعوا بملذات الحياة.

تململ الشعب من الإمبراطور تَشو حتى خانه بعض الأمراء الإقليميين، فابتكر أسلوبًا لتعذيب معارضيه، قرّن المعارضين بعمود النحاس المحترف حتى الموت. هذه الطريقة في التعذيب سميت بـ "عقوبة باولوه".

كان جي تشانغ وجيو هو وأ هو أكبر الوزراء الثلاثة في قبيلة تَشو آنذاك. لدى جيو هو ابنة جميلة أهداها للإمبراطور تَشو، لكنها لم تحب الإمبراطور فقُتلت بل قُتل أبوها الوزير مفروما. شعر الوزير أ هو بأن الإمبراطور تَشو بالغ في التعامل مع الوزير جيو هو، وحاول الدفاع عنه بكل طاقته، ما أغضب الإمبراطور تَشو فقتله مجفّفًا بالشمس. يمكننا أن نشعر بوحشية الإمبراطور تَشو من هاتين القصتين.

سمع الوزير جي تشانغ مصيبة الوزيرين السابقين، تنهّد للتعبير عن حزنه، ولم يتخيّل أن هذه اللهفة ستتسبّب بسجنه. كشف الوزير تَشونغ عن تصرّفه هذا فأمر الإمبراطور تَشو بسجنه في مدينة يولي (شمال غربي مدينة تانغ يين في مقاطعة خنان اليوم).

قيل إن جي تشانغ سُجن في مدينة يولي لمدة سبع سنوات، وفي هذه الفترة تحمّل الإهانة في سبيل جمع أربعة وستين شكلًا سداسيًا حتى تأليف *"كتاب التغيرات"*. أدرك جي تشانغ في عملية الكتابة أن تطوّر الكون يلتزم بقواعده، يجب على الحكيم احترام هذه القواعد لتصويب نفسه من خلال التعلّم من السماء والأرض، كما جاء في *"كتاب التغيرات"*: حركة السماء طافحة بقوة، وعليه فإن الحكيم يقوّي نفسه ولا يسمح للتعب أن يكون مدخلًا إليه؛ حالة الأرض خضوع برضى، وعليه فالحكيم الذي يتحلّى بسعة الأفق، يحمل العالم الظاهري.

قدّمت قبيلة تَشو العديد من النساء الجميلات، والخيول والكنوز إلى الإمبراطور تَشو من أجل إنقاذ زعيمهم جي تشانغ. قبل الإمبراطور تَشو هذه الهدايا وأطلق سراح جي تشانغ. كما قدّم جي تشانغ قطعة كبيرة من الأرض في غرب نهر لوه شوي إلى الإمبراطور من أجل إلغاء عقوبة باولوه. قبل الإمبراطور تَشو الأرض ووافق على طلبه. من خلال هذه الوساطة، حصل الإمبراطور تَشو على فوائد حقيقية مثل الجميلات والخيول والكنوز والأراضي، بينما اكتسب جي تشانغ ثقة الشعب. هذا النوع من التبادل يرمي إلى استيفاء حاجات الطرفين سطحيًا وإبراز أخلاقهما واقعيًا.

نفّذ جي تشانغ الحكم الرشيد بقوة بعد عودته إلى قبيلة تَشو، وفي نفس الوقت، زار وعيّن الحكماء وانتظر الفرصة للقضاء على أسرة شانغ. سرعان ما التقى جي تشانغ مع جيانغ تايقونغ أثناء صيده على حافة المياه، وقد أعجب الاثنان ببعضهما البعض في أول رؤيتهما، وقررا التعاون معًا والبحث عن طريقة لإسقاط أسرة شانغ. من أجل تعزيز القوة الوطنية، نقل جي تشانغ العاصمة إلى فنغ يي (جنوب غرب حي تشانغ آن، مدينة شيآن مقاطعة شنشي اليوم)، وأطلق على نفسه "الإمبراطور ون". ناصر جيانغ تايقونغ الإمبراطور ون على الحكم بينما ساعده في تطوير الإنتاج، وتدريب وتسليح الجيش. بعد فترة من التطور، قويت قبيلة تَشو حتى سيطرت على ثلثي البلاد.

توفي جي تشانغ دون أن يدرك مهمته لإسقاط أسرة شانغ. ورث العرش ابنه جي فا أصبح الإمبراطور وو لاحقًا. نقل العاصمة إلى هاو جينغ (التي تقع الآن شمال غرب حي تشانغ آن، مدينة شيآن بمقاطعة شنشي)، وكلّف جيانغ تايغونغ تاي شي معلمًا له، وأخاه الصغير جي دان مناصرًا له، واستمر في إكمال مهمة والده للقضاء على أسرة شانغ.

في هذا الوقت، لم يتب الإمبراطور تَشو وما زال يسعى وراء الملذات. نصحه الوزير وي تسي مرارًا وتكرارًا دون جدوى فاستقال؛ حاول عمه الوزير بي قان إقناعه بالتخلي عن اللهو بقصارى الجهد، لكنه لم يعطِ أذنًا صاغية بل أمر بطلب قلب عمه. خاف الوزير الآخر جدًا، وتظاهر عمدًا بأنه عبد مهووس، لكنه لم ينج من مصير السجن. شعر الوزراء الآخرون في مناصب "تاي شي" و"شاو شي" من أسرة شانغ بأن الوضع قاسي جدًا، فأخذوا الآلات الموسيقية وأواني القربان وفرّوا إلى قبيلة تَشو.

مضى عامان، نبذ الإمبراطور تَشو أنصارُه وأتباعُه بالتوالي، عرف الإمبراطور وو أن الوقت قد حان لإسقاط أسرة شانغ، فقاد الجيش من قبيلة تَشو وثماني قبائل أخرى لمهاجمة أسرة شانغ. قاتل الجيش بقيادة الإمبراطور وو ضد جيش أسرة شانغ في مويه (شمالي مدينة شينشيانغ، مقاطعة خنان

اليوم) وهزم جيش شانغ في ضربة واحدة. أدرك الإمبراطور تَشو بأن الوضع قد خانه، فصعد إلى قصر لوتاي وانتحر حرقا، وانتهت أسرة شانغ رسميًا. بعد القضاء على أسرة شانغ، أسس الإمبراطور وو أطول أسرة في التاريخ الصيني - أسرة تَشو.

من المعلوم أن أسرة شانغ قد تطورت إلى مستوى حضاري مرتفع نسبيًا من حيث الزراعة وتربية الدواجن والبناء والتعدين. من حيث السياسة، ظلت العلاقات بين السلطات المركزية والإقليمية قائمة منذ زمن طويل. في ظل هذه الظروف، يمثّل حلول أسرة تَشو محل أسرة شانغ تعاقب الحكم سياسيًا، الوراثة والتطوير ثقافيًا. بالنسبة إلى نظام الحكم، قسّم الإمبراطور وو البلاد إلى عدد من الممالك التابعة، واقتطعها إلى الأقارب والوزراء الأبطال، واتخذ نظام التوريث لأراضيهم المقطّعة. امتلك الأمراء جيشهم الخاص والحق في إقطاع أراضيهم إلى المسؤولين في مناضب "تشينغ" و"دافو"، والتمتّع بحق الحكم الذاتي الكبير. لكن في المقابل ينبغي للأمراء أن يمثلوا بين يدي الإمبراطور وتقديم هدايا الولاء إليه في الوقت المحدد وأن يقدموا تقارير الأعمال إليه. عندما يقرر الإمبراطور إرسال قواته لمحاربة المتمردين والعدو، يجب على الأمراء بعث قواتهم لمساعدة الإمبراطور في القتال. هذا هو نظام الإقطاع الشهير في أسرة تَشو الغربية، وترك تأثيرًا بعيد المدى في التاريخ ووضع في بادئ الأمر النمط السياسي الذي يسيطر به الإمبراطور على البلاد بشكل موحّد.

القراءة الموسعة: نظام الإقطاع في أسرة تَشو الغربية

بعد قضاء الإمبراطور وو على أسرة شانغ، لم يقم بإزالة قوة أبناء شانغ بالكامل، بل كلف وو قنغ، ابن الإمبراطور تَشو آخر ملوك أسرة شانغ، أميرًا واتخذ مدينة تشاو قه عاصمته لمواصلة حكم أبناء شانغ. وفي الوقت ذاته، من أجل منع تمرد أبناء شانغ، أقطع الإمبراطور وو الأراضي حول مدينة تشاو قه إلى إخوته الأصغر الثلاث (أي قوان شو، تساي شو، هوه شو) كدول مشرفة ثلاث لمراقبة الأمير وو قنغ وأهل شانغ تحت حكمه. بالإضافة إلى ذلك، أقطع الإمبراطور وو إمبراطورية تشي إلى جيانغ تايقونغ، وإمبراطورية لو إلى تَشو قونغ دان، وإمبراطورية يان إلى شاو قونغ شي وهلم جرا. ويعدّ ذلك المرحلة الأولى من تنفيذ نظام الإقطاع في أسرة تَشو الغربية.

هدف الإمبراطور وو من خلال تنفيذ النظام الإقطاعي إلى إقامة شبكة متماسكة تربط الأمراء في جميع أنحاء البلاد، بحيث كان كل أمير فردًا من العائلة الملكية أو مسؤولًا بطلًا، وتزاوج أمراء الولايات التابعة مع بعضهم

البعض، ونتيجة لذلك، أصبح كل أمير قريبًا من الإمبراطور. حوّل نظام الإقطاع الإمبراطور وجميع الأمراء إلى مجتمع موحّد السلطات تربط بينهم العلاقة الدموية والإقطاعية للحفاظ على الاستقرار السياسي لأسرة تَشو. لكل إمبراطورية تابعة لأسرة تَشو الغربية مدينتها الخاصة، ويطلق على من يقيمون داخل المدينة "المواطنون"، ويطلق على من يقيمون خارج البلاد "ناس برّيون"، اختلف النوعان من الشعب في حقوقهم والتزاماتهم. معظم المواطنين من الطبقة الأرستقراطية وهم قدموا الخدمة العسكرية والجسدية، في حين أن الناس البريين من الطبقة العامة وهم قدموا الخدمة الزراعية وغيرها من أعمال السخرة. وبهذه الطريقة، نسج النظام الإقطاعي لأسرة تَشو الغربية شبكة كبيرة تشمل جميع الطبقات والمجموعات العرقية.

ومن المؤسف أن الإمبراطور وو "توفي ولم يستقر وضع البلاد"، ومات في السنة الثانية بعد انتهاء الأسرة شانغ. خلفه ابنه جي يونغ الملقب بإمبراطور تشنغ. كان صغيرًا لا يستطيع حكم البلاد، فاستعان بعمه تَشو قونغ ليحكم نيابة عنه.

اندلعت الأزمة في هذا الوقت أيضًا. اشتبه قوان شو وتساي شو والآخرون الذين سيطروا على المناطق الشرقية بأن تَشو قونغ أراد اغتصاب العرش، وتآمروا مع فلول قوات أسرة شانغ لإطلاق تمرّد. قاد تَشو قونغ الجيش وقمع الفتنة تلبية لأمر الإمبراطور تشنغ، وقتل قوان شو ورئيس قوات شانغ وو قنغ، ونفى تساي شو. بعد ذلك، أعاد تَشو قونغ إقطاع الأمراء. في المنطقة الوسطى، كلّف الوزير الحكيم وي تسي في أواخر أيام أسرة شانغ ليحكم بعض أبناء شانغ في إمبراطورية سونغ بعد مقتل وو قنغ، وكلّف كانغ شو ليحكم البعض الآخر من أنباء شانغ في إمبراطورية وي؛ في المنطقة الغربية، عيّن تانغ شو حاكم إمبراطورية جين ليحكم مدينة أسرة شيا القديمة؛ في المنطقة الجنوبية، عيّن تساي تشونغ حاكما لإمبراطورية تساي؛ في المنطقة الشرقية، كلف دينغ قونغ، ابن جيانغ تايقونغ، حاكم إمبراطورية تشي، وبو تشين ابن تَشو قونغ حاكم إمبراطورية لو. وقد أظهرت الدويلتان الجديدتان تشي ولو أن قوة أسرة تَشو قد تجاوزت قوة أسرة شانغ ووصلت إلى السواحل الشرقية.

كما بنى تَشو قونغ العاصمة الشرقية لوه يي لأسرة تَشو، يعتبر قراره هذا قرارًا بصيرًا. حيث تقع عاصمة أسرة تَشو مدينة هاو جينغ في منطقة قوان تشونغ (في مقاطعة شنشي اليوم)، وهي ملائمة للتحكم في المناطق الغربية وليس من السهل السيطرة على المناطقة الشرقية. بناءً على ذلك، بنى تَشو قونغ عاصمة شرقية في مدينة لوه يي التي كان يسيطر عليها أبناء شانغ،

وسمّى العاصمة الشرقية تشنغ تشو والعاصمة الغربية (مدينة هاو جينغ) تسونغ تشو. تكاملت العاصمتان تسونغ تَشو وتشنغ تَشو لتحقيق السيطرة على الغرب والشرق في نفس الوقت. يمكن اعتبار فكرة تَشو قونغ لبناء عاصمتين لحكم الأراضي الشاسعة خطوة مبدعة نظرًا للظروف الفنية في ذلك الوقت. اعتبارًا من هنا اكتملت المرحلة الثانية من تنفيذ النظام الإقطاعي في أسرة تَشو الغربية، واستقر الوضع السياسي بأكمله حتى الآن.

حكم تَشو قونغ البلاد لسبع سنوات، ثم أعاد السلطة إلى الإمبراطور تشنغ الذي خلفه ابنه الإمبراطور كانغ ليحكم أسرة تَشو. عُرف عهد الحكم للإمبراطورين تشنغ وكانغ في التاريخ بأنه "عهد تشنغ وكانغ"، حيث "عاشت البلاد في الأمن والاستقرار، ولم يُستخدم القانون الجنائي لأكثر من 40 عامًا" خلال حكمهما، فالشعب عاش في سلام ورضا والتزم بالقوانين. يرجع أصل مصطلح "مجتمع رغيد الحياة" (بالصينية "مجتمع شياو كانغ") الذي نستخدمه اليوم من هنا، لأن كلمة "كانغ" تعني الحياة الرغيدة في اللغة الصينية.

ملخّص وجهة النظر: الإسهامات الثقافية لأسرة تَشو

قضى الإمبراطور وو على أسرة شانغ، ثم أسّس أسرة تَشو لتحل محلها، لم تشهد هذه العملية تغيّرًا في السلطة فقط، بل تغيّرات كبيرة في الثقافة والأفكار. خاف أهل شانغ من الأرواح، فاهتموا بطقوس القرابين؛ أما أهل تَشو فاهتموا بالآداب، وعلّقوا الأهمية على التعليم الأدبي والفني والبناء الأخلاقي. إنهما ثقافتان مختلفتان تمامًا.

خلال فترة الحكم، بذل تَشو قونغ جهودًا كبيرة في "صياغة نظام الأدب والفنون" بالإضافة إلى قمع الفتنة والحكم السياسي، حيث صاغ مجموعة كاملة من القواعد الأخلاقية وضبط السلوك لأعضاء الطبقة الأرستقراطية، عرفت بـ "تَشو لي" (أي نظام الأدب في أسرة تَشو). قيل إن محتويات "تَشو لي" شاملة ودقيقة، حتى يبلغ عدد القواعد ثلاثمائة عامة وثلاثة آلاف تفصيلًا. يعتبر ذلك أفضل دليل على ازدهار نظام الأدب في أسرة تَشو.

في وقت لاحق، طرح كونفوشيوس نظرية "خلق الرحمة" و"حكم الرحيم" على أساس "تَشو لي"، بناء على ذلك تشكلت سلسلة كاملة من الأنظمة الأخلاقية والمعنوية التي تشمل "الرحمة، العدالة، الأدب، الحكمة والصدق". وقال كونفوشيوس: "كانت الثقافة في أسرة تَشو متقدمة ومزدهرة، لذلك التزم بنظامها الأدبي". لذلك نشيد بثقافة أسرة تَشو. يمكن القول إن أفكار كونفوشيوس يمكن إرجاعها إلى مفهوم الحكم للإمبراطور ون

والإمبراطور وو وتَشو قونغ. لا سيما تَشو قونغ الذي اعتبره كونفوشيوس مثالًا روحيًا له، حتى حلم به دائمًا.

إضافة إلى ذلك، لدى أهل تَشو مساهمة رائعة، أي أنهم لم يغرقوا في النصر بعد إسقاط أسرة شانغ، بل اخذوا عبرة من زوالها وطرحوا في النهاية رؤية جديدة تجاه القدر، أي "أمر السماء غير ثابت، مفتاح النجاح يكمن في الأخلاق"، وهذا يعني أن القدر لن يصلح لنظام معيّن إلى الأبد، ولا يمكن لأي حاكم الحصول على حفظ السماء سوى من يستوفي المعايير الأخلاقية.

مثل هذه الرؤية تجاه القدر تُعدُّ اختراقًا فكريًا غير مسبوق في التاريخ، وتكمن أهميتها في: أولًا، لا تأتي شرعية النظام من أمر غامض لآلهة القبائل أو آلهة الجبال أو الأنهار، ولكن من انضباط الحاكم الذاتي الأخلاقي. أقوال وأفعال الإمبراطور ووزرائه إذا توافقت مع معايير أخلاقية، فاعتُبر حكمه شرعيًا، وإذا انتهكت قواعد الأخلاق، فإن شرعية النظام سوف تضيع، وسيقع النظام في قبضة الآخرين. ثانيًا، تتمتع السماء بحق الإشراف والحكم على الإمبراطور. لا بدّ أن يحمل الإمبراطور المسؤولية الأخلاقية التي تمنحها السماء لحكم البلاد تماشيًا مع نية السماء. حكمت السماء على الإمبراطور وفقًا لتوافق أقواله وأفعاله مع المعايير الأخلاقية. إذا كان الإمبراطور يهتم بشؤون البلاد ويضبط نفسه أخلاقيًا، فيصلح القدر له. إذا لا، فسوف تستعيد السماء الحظ منه وتمنحه للآخرين.

خرجت رؤية أهل تَشو تجاه القدر من حدود الأفكار الإلهية في العصور القديمة. منذ أسرة تَشو، تحولت هموم الحكام من التركيز على إرضاء الآلهة لانضباط أنفسهم، كما تحوّل مفهوم الحكم في البلاد من "تفخيم الأرواح" إلى "تعظيم الأدب". عند هذه المرحلة، تحولت الثقافة الصينية القديمة تدريجيًا من ثقافة القرابين إلى ثقافة الأدب، من الباطنية إلى العقلانية.

انهيار أسرة تَشو الغربية

ذكرت سابقًا أن أسرة تَشو طرحت رؤية رائعة تجاه القدر تربط شرعية النظام بأخلاق الحاكم ربطًا قويًا. هذا ليس تقدمًا كبيرًا في تاريخ الفكر فقط، ولكنه أيضًا مثّل رؤية أسرة تَشو العليا لإنشاء دنيا منتظمة. غير أن الحلم ساحر لكن الواقع قاسٍ، إن المثل العليا المتمثلة في حكم البلاد والمطالب الأخلاقية التي وضعها السلف سوف تتخلى عنها دائمًا الأجيال القادمة.

ذكر الملوك الأولون عبرة فناء أسرة شانغ ذكرى عميقة، لذلك حفظوا القول "مصير انهيار أسرة شيا ليس بعيدًا عن سقوط أسرة شانغ"، وحاولوا تجنّب تكرار نفس الأخطاء. في عهد أسرة تَشو الغربية، اعتُبر كل من تَشو قونغ والملوك ون ووو وتشنغ وكانغ جميعهم من الحكماء والنماذج للأجيال اللاحقة. لكن بعد تعاقب السلطة لمجرد عدة أجيال، لا مفر للحكّام الجدد من أن يصبحوا مخدَّرين ويسترخوا في يقظتهم ويفقدوا أخلاقهم حتى يسيروا مسار آخر الملوك لأسرتي شيا وشانغ القديم. في إشارة إلى تراجع أسرة تَشو الغربية، دائمًا ما يذكر الناس إمبراطورين طاغيين، الإمبراطور لي والإمبراطور يو، ويمكن القول إن هذين الإمبراطورين هما رمز الحاكم الظالم.

كان الإمبراطور لي الإمبراطور العاشر لأسرة تَشو الغربية وهو طاغية مشهور. لقد بلغ استغلاله وقهره للشعب درجة تحطيم عظامهم وامتصاص نخاعهم. لقد فضّل وزيرًا يدعى رونغ يي قونغ، وأمره بجمع الثروات قدر الاستطاعة. نتيجة لذلك، بدأت أسرة تَشو الغربية تطبيق نظام "البراءة"، واحتلال جميع الموارد الطبيعية مثل البحيرات والأنهار والغابات، وعدم السماح للشعب باستخدام هذه الموارد لكسب الأرباح. إذا أراد أحد مطاردة الحيوان وصيد السمك وجمع العقاقير هلمّ جرّا، فيجب عليه دفع ضريبة عالية. كذلك نهب الثروة من أيدي الشعب الذي لم يرضَ بذلك كثيرًا، فبدأوا بانتقاد ظلمه.

غضب الإمبراطور لي جدًا وأمر بمنع الشعب من انتقاد الحكم. كما وجد جواسيس من إمبراطورية وي ليراقبوا أولئك الذين انتقدوا الحكم على وجه التحديد، ويبلغ الإمبراطور لي الذي يأمر بقتل هذا الشخص. ونتيجة لذلك، قُتل الكثير من الناس، ولم يعد يجرؤ الناس على انتقاد الحكم، حتى على الكلام، إذا تلاقى صديقان على الطريق لا يتمكّنا إلا من استخدام الاتصال البصري لتبادل التحيات.

لم يعد هناك صوت النقد، وكان الإمبراطور لي سعيدًا للغاية قائلًا للوزراء بفخر: "انظروا يمكنني إيقاف الشائعات، والآن لا يجرؤ أحد على الانتقاد".

نصح الوزير شاو قونغهو وقال: "هذا مجرد سد أفواه الشعب، ومغبته أكثر خطورة من مغبة سد النهر. سيتسبّب النهر المسدود بخسارة أكثر إذا فاض من جديد، ينطبق الحال على سد أفواه الشعب. من يجيد ترويض المياه يصرفها ليتدفق الماء دون عوائق، ومن يجيد إدارة البلاد يسمح الناس بالتحدث الحر ليقولوا ما يعرفون، إن نسدّ الأنهار بقوة، سوف ينهار السد وتفيض الأنهار حتمًا. إلى متى يمكننا أن نسدّ أفواه الشعب بقوة؟".

كان قول شاو قونغهو معقولًا جدًا، لكن الإمبراطور لي لم يقتنع به واستمر في استخدام العقوبة الشديدة لإيقاف صوت الانتقاد. بعد ثلاث سنوات، أي في عام 841 قبل الميلاد، ما طاق الشعب في العاصمة الصبر واتحدوا لإثارة شغب. حاصروا القصر الملكي وأرادوا قتل الإمبراطور لي الذي هرب إلى منطقة تشي (في شمال شرقي مدينة هوه شيان بمقاطعة شانشي الآن). هذا هو "الشغب الوطني في أسرة تَشو الغربية" الشهير في تاريخ الصين.

بعد طرد الإمبراطور لي، لم يعد هناك من إمبراطور، فتسلّم الوزيران شاو قونغهو وتَشو قونغ حكم البلاد، وسُمِّيت هذه الفترة بـ "حكم قونغ خه". من السنة الأولى لعهد حكم قونغ خه، أي في عام 841 قبل الميلاد، بدأ تحديد الزمن في التاريخ الصيني.

تراجعت سلطة أسرة تَشو بعد الشغب الشعبي، وانخفضت القوة الوطنية ولم يتبقَّ من الأسرة القوية قديمًا سوى دولة قوية الخارج وفارغة الداخل.

في السنة الرابعة عشرة لحكم قونغ خه (828 قبل الميلاد)، توفي الإمبراطور لي في منطقة تشي واعتلى العرش ولي العهد ابنه الإمبراطور

شيوان لاحقًا. كان الإمبراطور شيوان حكيمًا نسبيًا، واكتسب حكمه دعمًا من الممالك التابعة، وعرفت هذه الفترة في التاريخ بـ "نهضة الإمبراطور شيوان". لكن للأسف الشديد، بعد وفاته خلفه الإمبراطور يو الذي كان طاغية معروفًا في التاريخ أيضًا.

كانت زوجة الإمبراطور يو ابنة الوزير شينهو، ولدت ابنًا يدعى ييجيو أصبح وليًا للعهد. لكن بعد فترة ما، حصل الإمبراطور يو على فتاة جميلة اسمها باوسي، وأنجبت طفلًا أيضًا يُدعى بوهفو. لأن الإمبراطور يو أحب باوسي كثيرًا، أراد تغيير الإمبراطورة إلى المحظية باوسي، وتبديل ولي العهد من ييجيو إلى بوهفو. بناءً على ذلك، شكّلت الإمبراطورة القديمة وابنها وأبوها شينهو تحالفًا سياسيًا انتظر فرصة التمرد ضد الإمبراطور يو وباوسي.

لم تضحك باوسي أبدًا، فحاول الإمبراطور يو إضحاكها بكل طريقة، ولكنه لم يفلح. ثم قرّر الإمبراطور يو استخدام موارد الدفاع الوطني لشراء ابتسامتها. حيث بنت أسرة تَشو أكثر من 20 برج إنذار قرب جبل ليشان. إذا حدث الهجوم، يشعل الجنود النيران لطلب المساعدة من الأمراء القريبين. لكن في هذه المرة، أمر الإمبراطور يو بإشعال النار في جبل ليشان على الرغم من عدم وجود الهجوم. رأى الأمراء القريبون الشعلة، اعتقدوا أن هناك حربًا، أسرعوا إلى الحضور والإنقاذ. عندما وصلوا، اكتشفوا أنه لم تكن هناك حرب على الإطلاق. أرسل الإمبراطور يو رجلًا لإخبارهم: إنها مجردة لعبة بينه وزوجته، ارجعوا!

شعرت باوسي بأن هذا النوع من الألعاب ممتع جدًا، وضحكت أخيرًا. بيد أن الأمراء قد أزعجوا منها وغضبوا كثيرًا.

ألغى الإمبراطور يو الإمبراطورة وولي العهد في نهاية المطاف بسبب محبته لِباوسي. أغضب قراره هذا الوزير شينهو الذي تحالف مع إمبراطورية تسنغ وقبيلة تشيوان رونغ، وشنَّ هجومًا على الإمبراطور يو.

بعد تعرّضه للهجوم، أمر الإمبراطور يو بإشعال النيران في أبراج الإنذار مرة أخرى وطلب المساعدة من الأمراء القريبين. غير أن الأمراء الذين تضايقوا بلعبته ليسوا مستعدين للحضور هذه المرة. احتل جيش قبيلة تشيوان رونغ العاصمة هاو جينغ، وقتل الإمبراطور يو وابنه بوهفو، وإحتل باوسي ونهبها. انتهت أسرة تَشو الغربية في عام 771 قبل الميلاد رسميًا.

بعد مقتل الإمبراطور يو، أجمع الأمراء على دعم ولي العهد السابق ييجيو ليعتلي العرش، أي الإمبراطور بينغ لاحقًا. بعد هجوم قبيلة تشيوان رونغ

للعاصمة هاو جينغ، تدمرت المدينة إلى حدٍّ كبير، من المرجح مهاجمتها مرة أخرى في أي وقت. في سبيل تجنُّب الخطر، نقل الإمبراطور بينغ العاصمة إلى مدينة لوه يي في عام 770 قبل الميلاد، الأمر الذي يمثّل بداية رسمية لأسرة تَشو الشرقية - لأن مدينة هاو جينغ تقع في الغرب والمدينة لوه يي تقع في الشرق، فسمى الناس أسرة تَشو التي تمركزت في مدينة هاو جينغ أسرة تَشو الغربية، والتي تمركزت في مدينة لوه يي أسرة تَشو الشرقية.

تنتمي أسرتا تَشو الغربية والشرقية إلى أسرة تَشو، إلا أن الفرق بينهما كبير جدًا. في عهد أسرة تَشو الغربية، كان الفتح وصنع الثقافة، حيث أسقط الإمبراطور أسرة شانغ وأنشأ أسرة جديدة، وتحلّى بالمزايا الجغرافية والأخلاقية. احتل هضبة اللوس وأطل على السهول الشرقية، في المجال العسكري، تقدّم أهل تَشو شرقًا وجنوبًا ووسّعوا الأراضي بقوة؛ في المجال السياسي، ونفّذوا نظامًا إقطاعيًا، وشكّلوا هيكلًا متماسكًا لحكم البلاد، وبلغت سلطة الإمبراطور ذروتها؛ في مجال الثقافة، حكموا البلاد بالأخلاق السامية واهتموا بالأدب والفن، وأنشأوا نظامًا اجتماعيًا ناضجًا بين الطبقات المختلفة. يمكن القول إن أسرة تَشو الغربية أسرة متقدمة سياسيًا وثقافيًا وعسكريًا وحقّقت إنجازات عظيمة.

يمكن اعتبار أسرة تَشو الشرقية أسرة محافِظة مقارنة بالتقدم القوي لأسرة تَشو الغربية، ولحقتها لفظيًا فقط، فالملوك في عهد أسرة تَشو الشرقية فقدوا السلطة السياسية ولم يعد بإمكانهم حل أمر الأمراء. كانت أكبر خاصية لأسرة تَشو الشرقية "انهيار الأدب والفن" الذي يشير إلى تفكّك شامل للمجتمع، ولا يقتصر على فقدان الملوك السلطة السياسية وتراجع ثقافة الأدب والفن بين الطبقة الأرستقراطية، بل يثير الفوضى التامة للمنظومة الأخلاقية والمعنوية وتفكك النظام الاجتماعي وتشويهه وإعادة تشكيله. يمكن القول إن أسرة تَشو الغربية كانت فترة من البناء المستقر في التاريخ الصيني، في حين أن أسرة تَشو الشرقية كانت فترة من التحوّل المضطرب وتختلفان إلى حدٍّ كبير.

القراءة الموسعة: حملة الإمبراطور تشاو نحو الجنوب انعطاف لتراجع أسرة تَشو الغربية

لم يبدأ تراجع أسرة تَشو الغربية خلال فترة حكم الإمبراطور لي، بل يرجع إلى ما قبله. بعد حكم الإمبراطورين تشنغ وكانغ الشهيرين، ورث ابن الإمبراطور كانغ جيشيا العرش، وصار الإمبراطور تشاو. في عهد حكمه، بدأت

قوة أسرة تَشو الغربية تتراجع. كان الحدث الرمزي للانحدار "حملة الإمبراطور تشاو نحو الجنوب دون العودة".

جرى الحدث كالتالي: تركزت قوة أسرة تَشو في المناطق الشمالية والغربية وتوسعت نحو الجنوب والغرب تدريجيًا. يشير التوسع نحو الغرب إلى الخروج من مأزق تونغقوان في مقاطعة شنشي إلى العاصمة الشرقية مرورًا بالسهول الوسطى، والمجرى الأسفل للنهر الأصفر حتى السيطرة على دويلتي تشي ولو. اتبعت هذا المسار عملية قضاء الإمبراطور وو على أسرة شانغ وحملة تَشو قونغ العسكرية نحو الشرق. أما التوسع نحو الجنوب فيشير إلى الخروج من مأزق ووقوان في شنشي إلى سهول نهر يانغتسي ونهر هانشوي حتى السيطرة على منطقة نانيانغ ونانجيون في حوض نهر يانغتسي ونهر هوايخه. أطلق الإمبراطور تشاو حملته نحو الجنوب لمهاجمة دولة تَشو. من المؤسف أن هذه العملية العسكرية فشلت أخيرًا، وعندما عبر الإمبراطور تشاو نهر هان، انقلبت سفينته ومات غريقًا.

ما يلفت النظر أنه بعد وفاة الإمبراطور تشاو، لم تصدر أسرة تَشو خطاب النعي للأمراء. سأل بعض الأمراء عن هذا الأمر، وأجابت: عندما تجوّل الإمبراطور في المناطق الجنوبية، مات غريقًا خلال عبور النهر. كانت الإجابة غامضة، لذلك كان التسجيل لموته في الكتب التاريخية بسيطًا جدًا. لحسن الحظ، في يناير 2003، تم اكتشاف مجموعة من الأواني البرونزية في مدينة ميشيان بمقاطعة شنشي، وقد نقشت على إحدى اللوحات البرونزية عبارة "سافر الإمبراطور جنوبيًا لمهاجمة دولة تَشو"، والتي تثبت أن الإمبراطور تشاو سافر إلى المناطق الجنوبية ليس للتجول ولكن للقتال.. كان سبب "الحملة الجنوبية" غير شرعي في الأصل، وفشلت الحملة ذاتها، وتوفي الإمبراطور تشاو عينه أيضًا في منتصف النهر، ويمكن اعتبارها فشلًا كاملًا لتوسّع نفوذ أسرة تَشو إلى الجنوب. عرفت أسرة تَشو أيضًا أن "الحملة الجنوبية" أمر مخجل للغاية، وما أرادت أن يعرفها الآخرون، فلم تصدر خطاب النعي للأمراء خوفًا من فقدان هيبتها وعزّها.

خلف الإمبراطور تشاو الإمبراطور مو، مع رغبة في إبراز قوة أسرة تَشو من خلال طريق عسكري، فهاجم قبيلة تشيوان رونغ، لكنه حصل على "مجرد أربعة ذئاب بيضاء وأربعة أيائل بيضاء". تحوّلت المعركة القاهرة إلى نشاط صيد صغير، صارت أضحوكة. والنتيجة الأكثر خطورة هي أن القبائل التي اعترفت بأسرة تَشو وقدّمت هدايا الولاء لها في الوقت المحدد قديمًا، لم تعد تأتي منذ ذلك الحين، بعبارة أخرى إن أسرة تَشو فقدت قدرتها على حكم

القبائل التي لم تعد ممتنّة لأسرة تَشو لأنها شنت الحروب دون أسباب معقولة، ولم تعد تخاف منها لأن غزوتها لا تحمل على القلق.

فشل حملة الإمبراطور تشاو نحو الجنوب ومهاجمة الإمبراطور مو قبيلة تشيوان رونغ أضرَّ بشكل خطير بالعلاقات الخارجية لأسرة تَشو، وتَشوّشت صورتها بشكل كبير. ليست هذه هي المشكلة الأكثر خطورة، بل إن الإمبراطور مو استخدم العقوبة القاسية لقمع الشعب، حيث أصدر أكثر من 3000 بند من القانون الجنائي، وأشهرها "العقوبات الخمس"، ألا وهي عقوبة تشينغ (الوشم على الجبهة)، وعقوبة يي (قطع الأنف)، وعقوبة بين (قطع القدم)، وعقوبة قونغ (تشويه الأعضاء التناسلية)، وعقوبة دابي (الإعدام). أليس هذه العقوبات مثل عقوبة باولوه التي اُخترعت في أسرة شانغ؟ ألم يخطِ الإمبراطور مو طريق الإمبراطور تَشو آخر الملوك لأسرة شانغ؟

ملخّص وجهة النظر: أسباب انهيار أسرة تَشو الغربية

سواء أكانت في الحكم الوطني أو في البناء الثقافي، فإن أسرة تَشو الغربية لديها العديد من الممارسات الرائعة التي تجدر التعلّم منها، فقد تركت أثرًا ثقافيًا عميقًا على الأجيال اللاحقة في الصين. يجب أن نستفيد من خبراتها في إنشاء الدولة وتطويرها بصفتها أسرة ناجحة نسبيًا في التاريخ، وفي الوقت نفسه، علينا أن نأخذ العبرة من تراجعها وسقوطها.

ربط الناس سقوط أسرة تَشو الغربية بالفساد الأخلاقي للإمبراطور يو عادة. هذا بالطبع ليس خاطئًا. إذ يمكننا العثور على الذنوب المختلفة من آخر الملوك في عملية انهيار جميع الأسر الحاكمة تقريبًا، ومع ذلك، المبالغة في عزي الأسباب إلى العيوب الشخصية للملوك ستعيقنا عن الدراسة الأكثر تعمقًا للمشكلة.

لا سيما في عهد أسرة تَشو الغربية. من الواضح أن الحاكم الذي يحتاج إلى تحمّل المسؤولية عن سقوط الأسرة ليس مجرد الإمبراطور يو، بل الملوك تشاو ومو ولي جميعهم. لكن أشعر أنه لا يزال غير كافٍ لانتقاد أخلاق هؤلاء الحكام، لعل هناك سببًا أعمق وراءهم.

تأسست أسرة تَشو الغربية على التوسع بالقوة من الغرب إلى الشرق الذي يعتبر هجرة مسلحة عدوانية واحتلالًا عسكريًا. بعد تأسيس البلاد، نُفِّذ نظام الإقطاع وثقافة الأدب والفن على أساس قوة عسكرية أيضًا. أبدعت أسرة تَشو الغربية كنموذج حاكم لإقطاع الأمراء بعد الحملة العسكرية، مثلما فعله الإمبراطور وو خلال قضائه على أسرة شانغ وما قام به تَشو قونغ بعد

حملته نحو الشرق، حيث إن توسيع أراضيها وازدهار السياسة يتطلبان دائمًا قوة عسكرية قوية. لكن في ضوء الدروس المؤلمة المترتبة على زوال أسرة شانغ، كان مفهوم الحكم لأسرة تَشو هو "تعظيم الأدب"، الذي دعا إلى تعزيز البناء الأخلاقي والتعليم الأدبي. نتيجة لذلك، ظهر التناقض بين الانفتاح العسكري وتعظيم الأدب ثقافيًا. على الرغم من أنه ليس تناقضًا جوهريًا، فهناك صراعات داخلية كبيرة بينهما. فكلما تأكدت النظرة تجاه نية السماء التي تتمحور حول البناء الأخلاقي، تراجعت شرعية استخدام القوة. قد لا يكون هذا التناقض واضحًا في بداية إنشاء الأسرة، ولكنه كبر مع تطور الأسرة إلى مرحلتها المتأخرة.

إذا حُكمت الأسرة من قبل الملوك الذين يتحلون بالأخلاق الحميدة والقدرة العالية على الحكم، قد يخفّ هذا التناقض وتدوم أسرة تَشو الغربية لفترة أطول. لكن لا أحد يستطيع ضمان أن جميع الملوك من الحكماء، في ظل النظام الوراثي، من المحتم أن يظهر الملوك الطغاة كما حصل في أسرة تَشو الغربية.

سيشدِّد الملوك الطغاة التناقضات المتأصلة في نظام الأسرة الحاكمة، حيث خالفت تصرفات هؤلاء الطغاة النظرة تجاه نية السماء التي تتمحور حول البناء الأخلاقي وأدّت مباشرة إلى "انهيار نظام الأدب والفن". بمجرد انهيار نظام الأدب والفن، وقعت أسرة تَشو الغربية في الفوضى، فاستحالت نجاتها من مصير الانهيار أيضًا.

المنافسة بين الأمراء الإقطاعيين

في عصر الربيع والخريف ونظرة

"الطاعة للإمبراطور ومقاومة العدو"

فتح نقل الإمبراطور بينغ العاصمة إلى مدينة لوه يي، ستار عهد أسرة تَشو الشرقية. تنقسم أسرة تَشو الشرقية إلى مرحلتين بموجب خصائصهما المتباينة: عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة، حيث يمكن تلخيص عصر الربيع والخريف بعبارة "فترة سباق الهيمنة"، بينما تنتمي عصر الممالك المتحاربة إلى "فترة الممالك العسكرية الجديدة".

كان الموضوع السياسي السائد في عصر الربيع والخريف هو السباق في بناء دولة مهيمنة. لماذا يريد الكل أن يكون مهيمنًا؟ تُعزى أهم السبب إلى فقدان الإمبراطور السلطة السياسية. جاء في كتاب *"تسوه تشوان"*: "انتقل الإمبراطور بينغ إلى العاصمة الشرقية اعتمادا على قوة دويلتي جين وتشينغ المقطّعتين". يمكن الملاحظة من هنا أن العائلة المالكة قد فقدت السلطة على حكم الأمراء. في ظل ذلك، خاضت مختلف الممالك التابعة في سباق الهيمنة بالتوالي، وبدأ عصر الربيع والخريف.

في عصر الربيع والخريف، ظهر تفكك النظام الاجتماعي بأكمله مصاحبًا لفقدان الإمبراطور سلطته السياسية. كانت أول بادرة لهذا التفكك هو الصراع الأهلي في مختلف الممالك. على سبيل المثال، في إمبراطورية تشينغ، تعادى الأمير تشينغ تشوانغقونغ مع أخيه الصغير قونغ شودوان حتى

التجآ إلى استخدام القوة؛ في إمبراطورية لو المعروفة بثقافة الأدب، وقع حادث استقلال الأمير لو هينغقونغ بعد قتل شقيقه لو يينقونغ؛ وفي إمبراطورية سونغ، انفجرت الفوضى بعد قتل هوادو الأميرين كونغ فوجيا وسونغ شانغقونغ. من أجل اكتساب السلطة، غالبًا ما تحدث الاضطرابات السياسية المتمثلة في المحاربة بين الإخوة أو بين الوزراء والأمراء في الممالك التابعة، مما يدل بشكل تام على أن النظام السياسي والأخلاقي الذي تأسس في الأيام الأولى لأسرة تَشو قد انهار.

البادرة الثانية لتفكك النظام الاجتماعي هي الحرب المتكررة والاستحواذ بين الأمراء. كانت الممالك المقطّعة بين إخوة خاضعين لإمبراطور في أسرة تَشو، وكان الجميع عضوًا في "الصين" ويجب أن يتعاملوا مع بعضهم البعض بالمحبة. لكن بعد فقدان الإمبراطور سلطته السياسية، سرعان ما تباعدت "ممالك الإخوان"، واستحوذت الممالك القوية على الممالك الصغيرة باستمرار. وفقًا لبعض الإحصاءات، خلال عصر الربيع والخريف، استحوذت إمبراطورية تُشو على 42 إمبراطورية صغيرة، وضمت إمبراطورية جين 18 إمبراطورية صغيرة، ودمجت إمبراطورية تشي مع 10 إمبراطورية صغيرة، ودمجت إمبراطورية لو مع 9 مملكات صغار، ودمجت إمبراطورية سونغ مع 6 مملكات صغيرات هلمّ جرّا.

تسبّبت المعركة بين الممالك التي تنتمي إلى "هواشيا" (يعني "الصين" قديمًا) واستهلاك بعضها البعض في الهجوم من قبائل يي دي. ما يسمى هواشيا ويي دي يشير في الواقع إلى الفرق في نمط الحياة والمفاهيم الثقافية بينهما. كان تأسيس أسرة تَشو الغربية في الأصل عبارة عن التوسع العسكري للقبائل الزراعية، ولم تقتصر مناطق نفوذها على المناطق الزراعية في الممالك التابعة فقط، بل امتدت إلى المناطق البدوية المعروفة باسم "يي دي" أو "مانيي" (يعني القبائل البربرية). عندما تقوى الممالك التابعة، يمكنها قمع هجوم قبائل يي دي؛ عندما تضعف تعجز عن المقاومة. في ذلك الوقت، كانت القبائل الأكثر تهديدًا للممالك في السهول الوسطى قبيلة ديرن وقبيلة شانرونغ في الشمال، وإمبراطورية تُشو في الجنوب (اعتُبرت إمبراطورية تُشو في ذلك الوقت قبيلة بربرية).

من أجل تغيير وضع الاضطرابات والمحاربة بين الممالك التابعة، وفي سبيل مقاومة قبائل يي دي، نهض الأميران المهيمنان تشي هوانقونغ وجين ونغونغ.

في عصر الربيع والخريف، أعلن الأمراء الإقطاعيون السيطرة واحدًا تلو الآخر بسبب تعدد القوى الكبرى في ذلك الوقت وعدم وجود قوة واحدة

قادرة على السيطرة على الغير آنذاك. كان أول أمير الأمراء في عصر الربيع والخريف هو الأمير هوان من إمبراطورية تشي.

خلال إدارة الأمير هوان، عيّن قوان تشونغ رئيس الوزراء للإشراف على سلسلة من الإصلاحات في إمبراطورية تشي، الأمر الذي أدخل إمبراطورية تشي إلى صفوف الدول الكبرى في الشرق. في حالة أن الممالك الواقعة في السهول الوسطى كانت عالقة بشكل عام في مشاكل داخلية وخارجية، قامت إمبراطورية تشي القوية ودافعت عن نظام البلاد من خلال توفير الدعم العسكري وتصدير القيم. فيما يتعلق بتوفير الدعم العسكري، ساعدت إمبراطورية تشي ولايتي شينغ ووي على مقاومة غزو قبائل دي، وساعدت إمبراطورية يان على هزيمة قبيلة شان رونغ. بالإضافة إلى الدعم العسكري، طرح الأمير هوان فكرة داعية إلى "إطاعة للإمبراطور ومقاومة العدو"، التي تقوم على التفسير: لأن الإمبراطور يفقد السلطة السياسية، فهناك التحارب بين الممالك التابعة، ولأن بلدان السهول الوسطى ليست موحّدة، فلا يمكن أن تقاوم غزو قبائل يي دي، ومن أجل مقاومتها، يجب أن نحترم الإمبراطور ونطيعه ونقدّم هدايا الولاء في الوقت المحدد. يمكن القول إن "الطاعة للإمبراطور" هي وسيلة ضرورية لـ "مقاومة العدو"، و"مقاومة العدو" تسمح للإمبراطور، الذي فقد سلطته السياسية، بالاحتفاظ بمكانته الشريفة لفظيًا.

بعد إعلان الأمير هوان من إمبراطورية تشي الهيمنة، اجتمع مع الأمراء على التوالي 15 مرة، وقاوم بالفعل هجوم قبائل دي وشان رونغ من الشمال وإمبراطورية تُشو من الجنوب. علاوة على الإجراءات السياسية والعسكرية العديدة، أكّد الأمير هوان على بعض أفكار الحكم والآداب الأخلاقية أيضًا. في اجتماع كويتشيو عام 651 قبل الميلاد، قرأ الأمير هوان نص العهد أمام حكام مختلف الممالك، التي تنص على أن جميع الممالك يجب أن "تتقارب مع بعضها البعض"؛ لا تسدّ مصدر المياه؛ لا تعيق تداول المواد الغذائية؛ لا يجوز تبديل الزوجة بالمحظية؛ لا يمكن قتل المثقفين وكبار الموظفين عرضًا؛ لا يمكن إيقاف نظام التوريث للوجهاء؛ يجب احترام الأكفاء وتربية النخب إلخ. إذا انتهك شخص ما هذه البنود، فسيُعتبر "خائنًا وفوضويًا"، ويمكن قتله.

كانت هذه الفكرة المطروحة من قبل الأمير هوان فكرة متقدمةً صالحة لمعالجة المشاكل الموجودة في ذلك الوقت، مثل البنود التي ينص عليها العهد "تتقارب الممالك مع بعضها البعض"، لا تسد مصدر المياه، لا تعيق تداول المواد الغذائية، هي في الواقع ضمان للحفاظ على نظام دولي طبيعي. لا يمكن استخدام القوة وفرض "العقوبات الاقتصادية" بسهولة عندما تنفجر

النزاعات بين الممالك المختلفة، بل يجب عليها طلب حكم أمير الأمراء، وهذه الآلية للتعامل مع الأزمات الدولية أفضل وأفعل بكثير من استخدام القوة. بالإضافة إلى ذلك، "لا يجوز إبدال الزوجة بالمحظية؛ لا يمكن قتل المثقفين وكبار الموظفين عرضًا" وغيرها من القيود قد تشتبه بأنها "تدخل في شؤونه الداخلية"، بل إنها في الحقيقة لمنع نشوب حرب أهلية في مختلف الممالك. لا يمكنه اعتلاء العرش إلا ابن زوجة الأمير، بدون القاعدة الصارمة "لا يجوز إبدال الزوجة بالمحظية"، قد تتحدّى المحظية الأصغر والأجمل مكانة زوجة الإمبراطور بوسائل متنوعة وغير شرعية، الأمر الذي أثار الصراع بين الأب والابن أو بين الإخوة دائمًا، وتسبّب بالفوضى في ربوع البلاد.

إذن، من يتأهل ليكون أمير الأمراء؟ الجواب في غاية البساطة - من يملك القوة العسكرية والأخلاق. من المستحيل أن يكون أحد أميرَ الأمراء في عصر الربيع والخريف دون قوة عسكرية قوية، وفي الوقت نفسه، مجرد القوة العسكرية لا يكفي، من اللازم أن يتحلّى بالأخلاق الحميدة والمستقيمة، وهذا ما يقوله الكتاب التاريخي: "من له الأخلاق يكون رئيس الخليقة". يمكننا أن نجد هذه الخصائص تنطبق على الأمير هوان من إمبراطورية تشي بوضوح. وينطبق ذلك على المهيمنين الآخرين أيضًا بشكل عام.

بعد وفاة الأمير هوان من إمبراطورية تشي، أعلن الأمير شيانغ من إمبراطورية سونغ المهيمنة هيمنته، وهو الذي كلّفه الأمير هوان برعاية ولده، لكن هيمنته دامت لوقت قصير جدًا وسرعان ما هُزم بإمبراطورية تُشو. بعد ذلك، أعلنت الهيمنة بتتالي الأمير ون من إمبراطورية جين، الأمير مو من إمبراطورية تشين، والأمير تشوانغ من إمبراطورية تُشو. في أواخر عصر الربيع والخريف، أعلنت هيمنة الأمير خه ليوي من إمبراطورية وو والأمير قَو جيان من إمبراطورية يوه أيضًا، لكن مناطق نفوذهما كانت مقتصرة في الجنوب الشرقي، ولم يكن لهما تأثير يذكر على السهول الوسطى.

القراءة الموسّعة: الأمير هوان أنقذ إمبراطورية يان وحارب إمبراطورية تُشو

في عام 663 قبل الميلاد، غزت قبيلة شانرونغ إمبراطورية يان مرارًا، فطلبت إمبراطورية يان المساعدة من إمبراطورية تشي. اجتمع الأمير هوان والأمير تشوانغ من ولاية لو في منطقة نهر جيشوي لمناقشة قضية العمل المشترك لمحاربة قبيلة شانرونغ. وعده الأمير تشوانغ للعمل معًا ظاهرًا، ولكنه في الواقع لم يتحرك. قاد الأمير هوان ورئيس الوزراء قوان تشونغ والوزير شيبينغ القوات متوجهًا إلى الشمال لمحاربة قوة شانرونغ. اتحدت قوات تشي وهزمت قوة شانرونغ، وأنقذ إمبراطورية يان في نهاية المطاف.

امتن الأمير تشوانغ من إمبراطورية يان من الأمير هوان كثيرًا، ودّعه بعينه حتى نسي المسافة وخرج من حدود إمبراطورية يان ودخل حدود إمبراطورية تشي دون وعي. وفقًا للقانون في ذلك الوقت، "لا يجوز للأمير توديع الآخر خارج حدوده". عندما عرف الأمير هوان هذه الحالة، قال للأمير تشوانغ: "لا يمكنني أن أكون فظًا لأمير يان"، ثم قطع وأهدى المنطقة التي وطأ الأمير تشوانغ عليها إليه. سمع الأمراء الآخرون هذا الأمر، اقتنعوا بأخلاق الأمير هوان - وهو أقوى رجل عسكريًا وأخلاقيًا، إنه أمر نادر جدًا!

بالإضافة إلى هزم قبيلة شانرونغ في الشمال، اتجه الأمير تشي إلى الجنوب لمحاربة إمبراطورية تُشو. انتسبت قبيلة تُشو إلى شخص يسمى جيليان، عندما حكم شيونغ يي هذه القبيلة، اقتطع الإمبراطور تشنغ لأسرة تَشو منطقة تُشو إليه (جنوب شرق مدينة تسيقوي في مقاطعة هوبي حاليًا). لكن قبيلة تُشو اعتبرت نفسها قبيلة بربرية، رفض أمير تُشو المشاركة في اجتماع الأمراء الذي عُقِد تحت مبادرة الإمبراطور تشنغ لأسرة تَشو، مما يعني أنه لا يطيع الإمبراطور. في السنة الرابعة والعشرين خلال عهد حكم الإمبراطور تشاو لأسرة تَشو، قاد الإمبراطور تشاو حملته نحو الجنوب، لكنه مات غريقًا أثناء عبوره نهر هان شوي، وسقطت أغلبية جنوده معه. ها هو الحدث المعروف في التاريخ - "حملة الإمبراطور تشاو لأسرة تَشو نحو الجنوب دون العودة". عندما حكم الأميران ون ووو من إمبراطورية تُشو، امتد نفوذ تُشو إلى المجرى المتوسط لنهر هان شوي بعد التوسع المستمر وغزو ولايتي سوي وشن واستحواذ ولايتي دينغ وشي، أصبحت الإمبراطورية قوية على نحو متزايد. في عام 666 قبل الميلاد، غزت دون أي سبب وانهزم بتحالف قوات الممالك تشي ولو وسونغ. في عام 659 قبل الميلاد، غزت إمبراطورية تُشو إمبراطورية تشينغ مرة ثانية على حجة تقارب الأخير من إمبراطورية تشي.

من أجل مقاومة تُشو، تحالفت إمبراطورية تشي مع ممالك لو وسونغ وتشن ووي وتشينغ وشيوي وتساو في عام 656 قبل الميلاد.

بعث الأمير تشنغ من إمبراطورية تُشو رسولًا إلى الأمراء وقال: "يعيش الإمبراطور في الشمال، وأعيش في الجنوب. حتى لو هربت الخيول فلن تصل إلى حدود الطرف الآخر. لا أعرف لماذا جاء الإمبراطور إلى بلادنا اليوم؟".

أجاب رئيس الوزراء لإمبراطورية تشي قوان تشونغ نيابة عن الأمير هوان قائلًا: "قال الأمير شاو كانغ قونغ لجدّي تاي قونغ من قبل: يمكنك قهر أي أمير لنصر أسرة تَشو. سمح لأجدادي أن يقهروا الأمراء داخل المناطق الممتدة إلى البحر شرقًا، إلى النهر الأصفر غربًا، إلى مو لينغ جنوبًا، إلى وودي

شمالًا، لا تقدمون عشب ماو للعائلة المالكة، فلا يمكن للإمبراطور تصفية النبيذ به خلال طقوس التضحية، سآتي لأسألكم مسؤولية هذا الأمر ومسؤولية وفاة الإمبراطور تشاو عندما يتجوّل في بلادكم".

أجاب رسول إمبراطورية تُشو: "صحيح أن ذنب عدم تقديم عشب ماو ذنبنا، سنصوّب الأمر. وبالنسبة لوفاة الإمبراطور تشاو، فاسأل على جانبي نهر هان شوي!".

واصل جيش تحالف الأمراء التقدم إلى الأمام وتمركز في منطقة شينغ (الآن في شرق مدينة يانشي بمقاطعة خنان). واجهت قوات التحالف وجيش إمبراطورية تُشو بعضهما البعض حتى الصيف. أرسل الأمير تشنغ من إمبراطورية تُشو الرسول تشيوي وان للتفاوض مع جيش التحالف. استعرض الأمير هوان مع رسول تشو الجيش على عربة واحدة. وقال الأمير هوان: "أأشن الحرب لنفسي؟ إنه لوراثة العلاقة الودية التي أنشأها أجدادنا. ما رأيكم في تحسين العلاقة معنا؟".

أجاب تشيوي وان: "الإمبراطور يزور بلادنا سعيًا وراء نعمتنا. يتمنّى أمير تُشو الانضمام إليكم، فرجاء منكم قبوله".

بعد المفاوضات، أعرب الأمير تشنغ من إمبراطورية تُشو عن نيته في الانضمام إلى التحالف الذي يرأسه الأمير هوان من إمبراطورية تشي وإطاعة قيادة تشي. في الختام وقّع الأمير هوان ورسول تُشو عهد التحالف. في هذه الحملة لقهر إمبراطورية تُشو، تحقّق الهدف الاستراتيجي المتمثل في إجبار إمبراطورية تُشو على الاعتراف بمكانة الإمبراطور لأسرة تَشو الشرقية وعدم غزو الممالك في السهول الوسطى أبدا دون شن الحرب الشرسة ضد إمبراطورية تُشو.

قام الأمير هوان من إمبراطورية تشي بمقاومة هجوم قبيلة يي دي في الشمال ومحاربة إمبراطورية تُشو في الجنوب، مما حافظ على التنمية الاقتصادية والثقافية في السهول الوسطى، إن إنجازاته لا تُمحى في التاريخ. قال كونفوشيوس ذات مرة: "إن الأمير ون من إمبراطورية جين ماكر وليس مستقيمًا، والأمير هوان من إمبراطورية تشي مستقيم وليس ماكرًا". إنه تقييم مرتفع نسبيًا. نعلم أن كونفوشيوس لا يحب العديد من الأمراء في عصر الربيع والخريف ووصفهم بأنهم "خائنون وفوضويون". قدّر الأمير هوان بأنه "مستقيم وليس ماكر" ليس فقط بسبب هيمنته، ولكن لأنه تحلّى بالخصائص الأخلاقية والثقافية الراقية. إلى جانب ذلك، تتوافق نظرة الأمير هوان "الطاعة للإمبراطور" التي تصلح لاستعادة "تَشو لي" (الأدب في أسرة تَشو) مع مفهوم

كونفوشيوس الثقافي طوال مدى حياته إلى حدٍّ كبير؛ ونظرة "مقاومة العدو" لا تصلح لحماية التنمية الاقتصادية لممالك السهول الوسطى فقط، بل تلعب أيضًا دورًا مهمًا في الدفاع عن الحضارة في السهول الوسطى.

ملخّص وجهة النظر: الجوهرة والتأثيرات للمحاربة بين الأمراء الإقطاعيين

كانت الحروب بين الأمراء الإقطاعيين في عصر الربيع والخريف والتحالف بينهم لاحقًا في الأساس طريقتان تقوم عليهما الإمبراطورية المهيمنة لوضع "النظام الدولي". من خلال شن الحروب، نهبت القوى العظمى الأرض والسكان والممتلكات، وسّعت قوتها، ثم ثبتت مصالحها وامتيازاتها من خلال التحالف مع الممالك الأخرى. لا بد للممالك الضعيفة الاعتماد على القوى الكبرى لطلب حماية أمن الذات بالاستسلام السياسي وتقديم هدايا الولاء اقتصاديًا. لذلك يقول الناس دائمًا إنه في هذه الفترة لا حرب عادلة، حيث أن الحروب في هذه الفترة تسعى وراء الهيمنة والمصالح وليس العدالة. غير أن هذه الحروب والتحالفات اللاحقة لها التأثيرات الإيجابية الموضوعية التالية في المقابل:

أولًا، لقد وسّعت حروب الهيمنة أراضي "هواشيا". على سبيل المثال، سيطر الأمير مو من إمبراطورية تشين على القبائل البربرية في الغرب، مما مد حدود "هواشيا" إلى الغرب بشكل كبير؛ واستحوذت إمبراطورية تُشو على الممالك الصغيرة الواقعة في أحواض نهر يانغتسي ونهر هواي خه ونهر هان شوي وأصبحت إمبراطورية مهيمنة فيما بعد، هذا يشير إلى إدراج هذه المناطق الجنوبية إلى خارطة "هواشيا".

ثانيًا، خلقت حروب الهيمنة عدة مراكز إقليمية كبيرة وعزّزت تكامل القوميات. في عصر الربيع والخريف، واصلت أقليات القوميات المعروفة بـ "يي دي" مضايقة السهول الوسطى، فرفع المهيمنون في السهول الوسطى شعار "مقاومة العدو" لمقاومتها مع دمج وإعادة توزيع الموارد، لذلك ظهرت اتجاهات المواجهة والهجرة والتبادل القوية غير المسبوقة في الصين. اندمجت الممالك المختلفة التي تنتمي إلى قومية هواشيا مع قبائل الأقليات القومية تدريجيًا من خلال المواجهة والحروب المتبادلة، الأمر الذي سرّع التبادلات الاقتصادية والثقافية بين القوميات المختلفة. أعلنت القوى الكبرى الهيمنة بالتناوب، وهي في الواقع تشكل أربعة مراكز إقليمية، ألا وهي منطقة انصهار ثقافات القوميات الشرقية التي تتمركز في إمبراطورية تشي، ومنطقة انصهار ثقافات القوميات في السهول الوسطى المتمركزة في إمبراطورية جين، ومنطقة انصهار ثقافات القوميات الشمالية الغربية المتمركزة في

إمبراطورية تشين، منطقة انصهار ثقافات القوميات الجنوبية التي تتمركز في إمبراطورية تُشو. لقد تعلمت هذه مناطق انصهار الثقافات الكبيرة واستفادت بعضها من البعض من خلال التبادلات المتكررة، مما مكّن من التحوّل والتحسين السريعين للنظام والاقتصاد والثقافة والعسكر في المجتمع بأسره.

ثالثًا، سرّعت حروب الهيمنة في ترقية النظام. كان النظام الإقطاعي الذي أنشئ خلال عهد أسرة تَشو الغربية في الأساس نظامًا أبويًا يتداخل فيه مجتمع الدم ومجتمع القوى بشكل كبير. الإمبراطور لأسرة تَشو هو سيد البلاد وربّ البيت الكبير. في عصر الربيع والخريف، كان المجتمع قد تحوّل بالكامل، و"انهار نظام الأدب والفن": في أول عصر الربيع والخريف، أصبح الإمبراطور عميلًا فقد سلطته، وانتقلت السلطة إلى قبضة أمير الأمراء. ثم اغتصب الوزراء تحت الأمراء (مثل الوزراء الكبار الثلاث في إمبراطورية لو الذين عرفوا بـ "هوان الثلاث"، والوزراء الكبار الستة في إمبراطورية جين الذين عرفوا بـ "تشينغ الستة") سلطة الأمراء بتتالي؛ وفي أواخر عصر الربيع والخريف، نهب المسؤولون تحت الوزراء (ما يسمى بالمسؤول الثانوي) السلطة من الوزراء. أدى الانتقال المستمر للسلطة إلى الطبقات الدنيا إلى تصفية الأرستقراطيين القدامى من الطبقة الحاكمة تدريجيًا، وقد لعبت طبقة المثقفين وكبار الموظفين الناشئة دورًا متزايد الأهمية. تماشيًا مع نزول السلطة، حدث نزول الثقافة وتحديث النظام. ينعكس نزول الثقافة في إزالة المدارس الرسمية وازدهار المدارس الخاصة، وقد تفكّك نظام الثقافة الأكاديمية المحتكرة بالطبقات العليا بالكامل، وبدلًا من ذلك، ازدهر التعليم ونشر الثقافة والأفكار بين عامة الشعب، مما أعطى الفرصة للشعب المتدني لتعلّم الشعر والكتابة والأدب والفن. غيّر بعض الشعب العادي مصيره من خلال التعلم، وأصبحوا "الوجهاء"، وانكسرت الطبقة الاجتماعية الجامدة، ونشطت الحيوية الاجتماعية والإمكانات الشخصية منذ ذلك الوقت.

رابعًا وعلى الجبهة الاقتصادية، تواصلت المناطق مع بعضها البعض وتمَّ توزيع العديد من الموارد بفضل النمو السكاني. مثل الغذاء، فقد تمت زراعة الدخن الذي أُنتج أصلًا في الشمال والأرز الذي أُنتج في الجنوب أصلًا على نطاق واسع في البلاد خلال عصر الربيع والخريف؛ كما انتشرت تقنيات زراعة القمح وفول الصويا إلى أرجاء الصين المختلفة؛ وظهرت المنتجات الحديدية حتى أوشكت على أن تحل محل المنتجات البرونزية. كثر وازداد تبادل البضائع في الصين، واستُخدمت العملة على نطاق واسع، وبدأ التجار الأثرياء في الظهور، نشأ الاقتصاد السلعي نتيجة لذلك.

عصر الممالك المتحاربة:

عصر تسوده المواجهة العسكرية

من عام 476 قبل الميلاد (يصادف العام الأول من حكم الإمبراطور يوان لأسرة تَشو) إلى زمن توحيد الإمبراطور تشين شي هوانغ الممالك الست في عام 221 قبل الميلاد، يطلق على هذا التاريخ الممتد على مدار 250 عامًا عصر "الممالك المتحاربة". يمكننا معرفة مدى كثافة الحروب في تلك الحقبة من العبارة "الممالك المتحاربة".

في أواخر عصر الربيع والخريف، هناك ست قوى عظمى: ممالك جين وتُشو وتشي وتشين ويوي ويان، وكانت إمبراطورية جين هي إمبراطورية الهيمنة الأطول وقتا. في وقت لاحق، تقسمت إمبراطورية جين من قبل العائلات السياسية الثلاث تشاو وهان ووي، وأي حدث "تقسيم العائلات الثلاث إمبراطورية جين" المعروف في التاريخ. في الوقت نفسه، استبدلت إمبراطورية تشي التي تنتمي إلى عائلة جيانغ في الأصل، بعائلة تيان، وكان يسمى "حل عائلة تيان محل عائلة تشي" في التاريخ. يعدّ الحدثان رمزًا فاصلًا بين عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة. صعدت إمبراطورية يوي فجأة في أواخر عصر الربيع والخريف، ثم سقطت بإمبراطورية تُشو في منتصف عصر الممالك المتحاربة، ونتيجة لذلك، ظهرت القوى العظمى السبع في عصر الممالك المتحاربة وهي ممالك تشين وتُشو وتشي ويان وتشاو ووي وهان، التي أطلق عليها "القوى المهيمنة السبع في عصر الممالك المتحاربة". تحالفت القوى العسكرية الكبرى السبع مع بعضها البعض لمواجهة القوى الأخرى، ونجم عن ذلك استعار نيران الحرب على أراضي الصين.

في عصر الربيع والخريف، كان أهم حدثين رئيسيين بالنسبة للأمراء هما التضحية والحرب، وبحلول عصر الممالك المتحاربة، أصبحت الحرب على رأس أولويات أمراء جميع الممالك، حتى أهم بكثير من التضحية. إضافة إلى ذلك، فقد تطورت الحرب في عصر الممالك المتحاربة إلى مرحلة غير مسبوقة من حيث الطبيعة والحجم والوسائل التكتيكية والنظرية العسكرية، يجدر التحدث عنها منفردًا.

في عصر الربيع والخريف، كان هدف الحرب هو "الهيمنة"، أي سباق الهيمنة - الخاسر من الولايتين المنخرطتين في الحرب يخضع لحكم الفائز، ويقرّ بمكانته الدولية، لكن في عصر الممالك المتحاربة، لم تعد طبيعة الحرب هيمنة، بل استحواذ، أي أن الغرض الرئيسي من شن الحرب هو الاستحواذ على الأراضي والاستيلاء على المدينة. إذا كانت حرب الهيمنة تستهدف إلى حفظ الوجه، فإن حرب الاستحواذ ترمي إلى المنافع الملموسة، مثل الأراضي والمدينة والسكان إلخ. بعبارة أخرى، لم تقتصر خسارة الحرب على ضياع الوجه فحسب، بل تشمل فقدان المدينة والأراضي والشعب. لذلك، كانت الحرب في عصر الممالك المتحاربة أكبر حجما بكثير من الحرب في عصر الربيع والخريف، وكانت الوسائل التكتيكية أكثر تعقيدًا وقسوة. كانت الحرب في عصر الربيع والخريف صغيرة الحجم، حيث كان عدد الجنود أقل (لا يزيد عدد العربات المقاتلة عن ألف عربة)، تنتهي الحرب في يوم واحد عادة. لكن في عصر الممالك المتحاربة، كثيرًا ما يزيد عدد الجنود عن عشرات الآلاف أو حتى مئات الآلاف، وتستمر الحرب لفترة طويلة، ومن غير الغريب أن تدوم معركة لعدة أشهر آنذاك. على سبيل المثال، استمرت الحرب بين ولايتي تشين وتشاو في منطقة تشانغ بينغ الشهيرة لمدة ثلاث سنوات، وكان عدد الجنود المشاركين في الحرب ما يقرب من مليون شخص، وبعد هزيمة قوة تشاو، قُتل ما يصل إلى أربعمائة ألف جندي مستسلم على أيدي قوة تشين، وكان حجم الحرب وتعقيد وضعها وقسوتها لم يسبق لهما مثيل.

بالإضافة إلى ذلك، تطورت وسائل الحرب والمستوى التكتيكي أيضًا إلى ذروة غير مسبوقة خلال عصر الممالك المتحاربة، تجاوزت حالها في عصر الربيع والخريف إلى حد كبير. كان نمط الحرب في عصر الربيع والخريف بسيطًا نسبيًا، حيث استخدم كلا الجيشين عربة لترتيب شكل المقاتلة في ساحة مسطحة نسبيًا، ثم قاموا بالانقضاض على الطرف الآخر. لكن في عصر الممالك المتحاربة، مع توسّع نطاق الحرب وتعقّد ظروف القتال، قد عفا الزمن على العربات. لماذا؟ أولًا، كانت شروط استخدام العربة محدودة جدًا، ولا يمكن استخدامها سوى في السهول، وليس في المنطقة الجبلية، فكانت

عيوبها واضحة تمامًا. ثانيًا، بالمقارنة مع سلاح الفُرسان، فإن العربات صعبة الحركة. قاتل سلاح العربات مع سلاح الفرسان، لو فاز سلاح العربات، لاستطاع سلاح الفرسان أن يهرب سريعا ولن تتمكن العربات من اللحاق به، ولو هزم سلاح العربات، فمن المستحيل أن يرهب من متابعة سلاح الفرسان. ثالثًا، لم تتكيّف العربات مع وضع الحرب في ظل ظروف التكنولوجيا الجديدة. خلال عصر الممالك المتحاربة، امتلكت جميع الممالك سلاح الأسهم، الذي يعادل "السلاح بعيد المدى" في ذلك الوقت، في ضوء ذلك، ألم تصبح العربات هدفًا معلنًا للسهام؟ لهذه الأسباب لم تعد تستخدم العربات خلال عصر الممالك المتحاربة، واستعيض عنها بالعمليات المنسقة لسلاح الفرسان والمشاة والقوات الخاصة والقوة الاستطلاعية وسلاح الأسهم. في عملية استبدال العربات بفرسان، تعتبر حملة "ارتداء لباس قومية هو [1] والتدريب على رمي السهام على ظهر الخيل" التي أطلقها الأمير وولينغ من إمبراطورية تشاو تغييرًا اجتماعيًا في غاية الأهمية، فقد قام بترقية الحرب مباشرةً من الإصدار 1.0 إلى الإصدار 2.0.

سيؤدي تعدد الوسائل التكتيكية حتمًا إلى تعقّد وضع المعركة، ويدعو الأخير إلى إضفاء طابع التخصص إلى التدريب العسكري وقيادة المعركة، كما أنها تتفاعل مع بعضها البعض وترفع المفهوم العسكري والمستوى التكتيكي إلى مستوى أعلى. استحوذت إمبراطورية تشين على الممالك الست أخيرًا بفضل تكتيكاتها المتقدمة الأصلية - طريقة الهجوم الخاصة بالتنسيق المتماسك بين سلاح الأسهم وسلاح الفرسان الخفيف. قاتل جيش إمبراطورية تشين ضد العدو ابتداء بسلاح الأسهم، تُرتّب في تشكيل معيّن، وتطلق بشكل مكثّف كنزول المطر ضد قوات العدو أو المدينة، وهذا شابه "ضربة المدافع" في الحرب العالمية الثانية. بعد سلسلة من الأسهم المكثّفة، سرعان ما شن سلاح الفرسان من إمبراطورية تشين هجومًا بمناسبة الفوضى في الجانب الآخر، حيث دخل بشكل مباشر النقاط المركزية لـ "الاختراق من المركز" أو هجم من "الجناحين" لحصار العدو. هذه الطريقة المتقدمة للحرب، إلى جانب مهارة الجنود، مكّنت جيش إمبراطورية تشين من الفوز مرارًا في الحرب، وانتشرت سمعة تشين وهيبتها بين الممالك والأمراء. في أواخر عصر الممالك المتحاربة، كان جيش إمبراطورية تشاو القوة الوحيدة التي كان بإمكانها القتال ضد جيش تشين استنادًا إلى تكتيكات انقضاض الفرسان. بعد إصلاح الأمير وولينغ في إمبراطورية تشاو "ارتداء لباس قومية هو والتدريب على رمي السهام على ظهر الأفراس"، تطوّر حجم سلاح الفرسان في إمبراطورية تشاو وقدرته القتالية بسرعة. عندما يحارب جيش تشاو مع جيش الممالك

الأخرى، فإنه غالبًا ما يوظف ميزة سلاح الفرسان، حيث احتل المرتفعات في ساحة المعركة، ثم انقض على العدو للتغلب عليه. في عام 269 قبل الميلاد، تقاتل جيش تشين وجيش تشاو في منطقة يوبيوي. أمر الجنرال الشهير تشاو شه من إمبراطورية تشاو الجيش ليسير بطيئًا متعمّدًا في الفترة المبكرة من الحرب، تظاهر بأن جيشه كان خائفا لتثبيط همم كفاح المقاتلين من إمبراطورية تشين. في وقت لاحق، قاد الجيش إلى المعركة، واحتلت المرتفعات مع سلاح الفرسان، وسرعان ما شنّ هجومًا على جيش تشين وهزمه بضربة واحدة.

اندلعت الحرب متكررة في ذلك الوقت، واجه الخصوم بعضهم البعض، وتعلموا من بعضهم البعض، مما طوّر الوسائل التكتيكية في عصر الممالك المتحاربة بسرعة. على سبيل المثال، حارب جيش تشين ضد جيش هان خلال عهد حكم الأمير شياو قونغ في إمبراطورية تشين، ووجد أن الأسهم التي استعملها جيش هان كانت مميتة وقوية، فبعد مصادرة الأسهم درسوها بعناية ثم طوّروها إلى سلاح أقوى؛ بعد فشل جيش تشين على يد جيش تشاو، تعلّم أبناء تشين أيضًا تكتيكات سلاح الفرسان بمبادرة ونشاط، ثم اخترعوا تكتيك استخدام سلاح الفرسان الخفيف لحصار العدو وفقًا لخصائص أنفسهم. في عام 260 ق.م، استفاد الجنرال الشهير بايتشي من إمبراطورية تشين من هذا التكتيك لفصل وحصار جيش تشاو الذي يرأسه الجنرال المشهور تشاو كوه بنجاح في معركة تشانغ بينغ.

إلى جانب الوسائل التكتيكية، تطوّر فن القيادة العسكرية أيضًا إلى مستوى جديد خلال عصر الممالك المتحاربة. في أوائل هذا العصر، لم يكن هناك فصل بين القيادة العسكرية والسياسية، وقام رئيس الوزراء بتوجيه الجيش غالبًا. لكن في وقت لاحق، بدأ الجنرالات المتخصصون بقيادة الجيش من أجل النصر، بإيجاد العديد من التكتيكات الجديدة وقادوا العديد من المعارك الكلاسيكية. لم تُثرِ قضايا الحرب هذه فن القيادة فحسب، بل شجعت أيضًا على تطوير الأفكار العسكرية. على سبيل المثال، هزم الجنرال سون بين من إمبراطورية تشي الجنرال بانغ جيوان من إمبراطورية وي في معركة ما لينغ عن طريق الكمين؛ وتمكّن الجنرال ليان بوه من إمبراطورية تشاو من المواجهة مع جيش تشين لمدة ثلاث سنوات في معركة تشانغ بينغ عن طريق الدفاع في القلعة؛ انتصر الجنرال باي تشي من إمبراطورية تشين على الجنرال تشاو كوه من إمبراطورية تشاو في تشانغ بينغ عن طريق هجوم واسع النطاق؛ في عملية "تقسيم العائلات الثلاث إمبراطورية جين"، استعان الجنرال تشي بوه بالمياه لغمر مدينة جين يانغ أولًا، ثم تعرّض لنفس الهجوم

من قبل ممالك تشاو وهان ووي؛ هاجم الجنرال تيان دان من إمبراطورية تشي مخيم إمبراطورية يان بالنار... هذه الأساليب المختلفة للقتال والأفكار القيادية أضافت ألوانًا متنوعة إلى الحرب في عصر الممالك المتحاربة. والأهم من ذلك أنه مع تطور ممارسات الحرب، نضجت أيضًا الفنون العسكرية والنظام النظري للفن العسكري خلال هذا العصر تدريجيًا، ظلت دراسة *"فن الحرب لسون بين"* و*"فن الحرب لوو تشي"* و*"فن الحرب لقوي قوتسي"* من أهم الدراسات العسكرية حتى اليوم.

القراءة الموسعة: ما هي حركة "ارتداء لباس قومية هو والتدريب على رمي السهام على ظهر الخيول"

وقعت إمبراطورية تشاو بين مقاطعات شنشي وشانشي وخنان وشاندونغ في عصر الممالك المتحاربة، أحيطت بولايتي تشين وهان غربًا، وقبائل لينهو ولوفان وغيرها من القوميات الأقلية شمال غربيًا، وإمبراطورية تشونغ شان شمالًا، وإمبراطورية يان وقبيلة دونغهو شمال شرقيًا، وولايتي تشي ووي جنوب شرقيًا، ويمكن القول إن موقعها الجغرافي سيئ جدًا وعانت من عدوان الممالك المجاورة دائمًا.

عندما حكم الأمير وو لينغ إمبراطورية تشاو، شعر بشدة بالقوة العظمى لسلاح الفرسان في الحرب، وأطلق حركة "ارتداء لباس قومية هو والتدريب على رمي السهام على ظهر الخيول" بغضّ النظر عن المعارضة. التدابير المحددة هي كما يلي: أولًا، التخلي عن الجلباب الفضفاض لقومية هان وارتداء لباس قومية هو، وتغيير الأحذية إلى الجزمة من أجل ركوب الخيل، وتغيير الدروع الثقيلة المصنوعة من النحاس إلى الدروع الخفيفة المصنوعة من الجلد لتقليل الوزن وتسهيل الحركة في ساحة المعركة. ثانيًا، توظيف الفرسان، وتوظيف الأشخاص الذين أتقنوا ركوب الخيول ورماية الأسهم كفرسان مع مقابلة سخية. ثالثًا، دمج الجنود من قومية هو، فضمّ أبناء قومية هو الذين عاشوا في إمبراطورية تشاو إلى سلاح الفرسان، للاستفادة من ميزتهم في ركوب الخيول والرماية، كما السماح لهم بقيادة الجيش لتعزيز الفعالية القتالية لسلاح الفرسان. رابعًا، إنشاء قاعدة تدريب الفرسان وشراء الخيول من هضبة منغوليا الداخلية الشمالية، لأن الخيول في هذه المنطقة أفضل من الخيول في السهول الوسطى من حيث الركض والقدرة على التحمّل، وأكثر ملاءمة للخوض في المعركة. خامسا، تجهيز سلاح الفرسان بالرماح ورماح السيف الأكثر ملاءمة للقتال على ظهر الخيول، وتحديث الأسلحة. من التدابير المذكورة أعلاه، يمكننا أن نقول إن هذه الحركة هي في

الأساس ثورة عسكرية شاملة تهدف إلى التحديث في جميع حلقات الحرب: من الملابس إلى الأسلحة، من الدروع إلى الخيول، من الجنود إلى التكتيكات.

بعد مرور عام، برزت فعالية هذا الإصلاح. في السنة العشرين من حكم الأمير وو لينغ لإمبراطورية تشاو (306 ق.م)، هاجمت إمبراطورية تشاو إمبراطورية تشونغ شان واستمرت المعركة حتى مواجهة الطرفين في مدينة نينغجيا (الآن شمال غرب مدينة شيجياتشوانغ بمقاطعة خبي). وفي الوقت نفسه، قام فريق ثاني من جيش تشاو بمهاجمة قبيلة لينهو غربًا حتى إلى مدينة يوجونغ (حول لواء ييجينهوالوه في منغوليا الداخلية اليوم)، مما أجبر زعيم لينهو على "إهداء الخيول مقابل السلام". بعد عام واحد (305 ق.م)، هاجمت إمبراطورية تشاو إمبراطورية تشونغ شان مرة أخرى، واستحوذت على الأراضي والمدن على طريق الهجوم، كان حصادها/غنائهما وفيرًا جدًا، وتمت استعادة الأراضي التي تعود ملكيتها إلى إمبراطورية تشاو أصلًا. بعد ذلك بعامين، هاجمت إمبراطورية تشاو إمبراطورية تشونغ شان مرة ثالثة، وفأهدت إمبراطورية تشونغ شان مضطرة أربع مدن لإحلال السلام. في السنة السادسة والعشرين من حكم الأمير وو لينغ لإمبراطورية تشاو (300 قبل الميلاد)، واصلت إمبراطورية تشاو مهاجمة إمبراطورية تشونغ شان، وبعد خمس سنوات من الهجوم المتواصل، استحوذت عليها برمتها، مما وسّع أراضي إمبراطورية تشاو بشكل كبير.

أثناء مهاجمة إمبراطورية تشونغ شان، واصلت إمبراطورية تشاو توسيع أراضيها إلى الشمال والغرب، وضمت مساحات واسعة من الأراضي في الجزء الشمالي من مقاطعة شانشي اليوم والأوسط من منغوليا الداخلية اليوم إليها. إن توسيع مساحة الأراضي أفاد إمبراطورية تشاو من حيث زيادة عدد السكان والأراضي الزراعية علاوة على كسب منطقة إنتاج الخيول القيّمة - هضبة منغوليا الداخلية، لا داعي لها أن تقلق على تزويد الخيول في كتيبة سلاح الفرسان منذ ذلك التاريخ، كما أن مستوى تدريب سلاح الفرسان في ارتفاع أيضًا خطوة بخطوة. دخل إصلاح الأمير وو لينغ المتمثل في ارتداء لباس قومية هو والرماية على ظهر الخيول في دائرة إيجابية: الإصلاح عزّز القوة العسكرية لإمبراطورية تشاو ومكّنها من الفتوحات، وبالمقابل منحها توسعًا في أراضي منطقة منتجة الخيول، وعزز ازدياد تزويد الخيول قوة تشاو العسكرية.

لم يفد إصلاح الأمير وو لينغ لإمبراطورية تشاو العسكري نفسه فقط، ولكن أيضًا الأجيال اللاحقة. في أواخر عصر الممالك المتحاربة، أصبحت القوة الوحيدة التي يمكنها المنافسة مع قوة تشين العظمى. في عام 269 قبل

الميلاد، هاجم جيش تشين السهول الوسطى، وحاصر مدينة يوبيوي التي كانت مدينة عسكرية استراتيجية هامة لإمبراطورية تشاو (مدينة خهشون بمقاطعة شانشي الآن)، قاد الجنرال الكبير تشاو شه الجيش لإمبراطورية تشاو وأنقذ هذه المدينة، واعتمد على تكتيك انقضاض الفرسان في المعركة لكسر حصار المدينة وتخليصها من الأزمة. إن القدرة القتالية القوية لسلاح الفرسان لإمبراطورية تشاو هي بالطبع جزء لا يتجزأ من إصلاح الأمير وو لينغ.

ملخّص وجهة النظر: الإصلاحات في عصر الممالك المتحاربة وإعادة تشكيل النظام الاجتماعي

من أجل التكيّف مع احتياجات حرب الاستحواذ الشرسة، نفّذ العديد من الممالك الكبرى في عصر الممالك المتحاربة تعديلات في السياسة من أعلى الهرم إلى أسفل، أي حركة "إصلاح النظام". على سبيل المثال، مارس لي كوي الإصلاح في إمبراطورية وي، ونفّذ وو تشي الإصلاح في إمبراطورية تُشو، ونفّذ زو جي الإصلاح في إمبراطورية تشي، وقام شانغ شيانغ بالإصلاح في إمبراطورية تشين. طبعا إن هذه الإصلاحات تختلف عن بعضها البعض على صعيد التدابير التفصيلية، ولكنها تشترك في النواحي التالية:

الأول: تبديل نظام التوريث بنظام التعيين حسب الكفاءة. خلال عهد أسرة تَشو الغربية، لدى الطبقات الأرستقراطية مثل الأمراء وتشينغ ودافو، قطيعة قابلة للتوريث، ويمكن لأحفاد النبلاء تولي المناصب الراقية والتمتّع بامتيازات بفضل نسبهم. هذا هو نظام التوريث. لكن طبقة "الوجهاء" التي ليس لها علاقة دم مع العائلة الأرستقراطية بدأت تتصدّر الساحة التاريخية مع تدهور نظام المشيخة العشائرية ونشاط الحياة الاجتماعية. التجأوا إلى عائلات تشينغ ودافو اعتمادا على كفاءاتهم الشخصية ليشتغلوا تحت حكم هؤلاء المسؤولين، وحصلوا منهم على الحقول أو الدخن كالأجرة. هذا في الواقع عبارة عن نوع جديد من النظام البيروقراطي. في عصر الممالك المتحاربة، تم تثبيت هذا النظام البيروقراطي الجديد وتعميمه مع النمو المستمر لطبقة الوجهاء. تكيّفًا مع هذا الاتجاه، رفع حكام القوى الكبرى شعار "تعيين المسؤولين بموجب الكفاءة" ومعارضة نظام التوريث القديم لتوفير مساحة أكبر للوجهاء الصاعدين حديثًا.

الثاني: تبديل نظام الإقطاع بنظام المحافظات والممالك. هذا أمر ضروري لتعزيز سلطة الإمبراطور، كما أنه وسيلة حتمية للإمبراطور للتعامل مع حرب الاستحواذ وتوظيف الموارد الوطنية إلى أقصى حد. كان نظام

الإقطاع هو نتاج النظام الأبوي في عهد أسرة تَشو الغربية، حيث حكم الإمبراطور لأسرة تَشو البلاد كلها، تقيدت سلطة الأمراء بالملوك فوقا وعائلات تشينغ ودافو تحتا، فصعب عليهم توظيف موارد البلاد بأسره لشن الحرب. لكن بعد تفكك النظام الإقطاعي الأبوي، قاتلت وغزت الممالك التابعة بعضها بعضًا، وفي ظل ذلك، يتعيّن على الأمراء تركيز السلطة في أيديهم لتوظيف الموارد الوطنية إلى أقصى حد في سبيل "إغناء الوطن وتقوية الجيش" التي لا يمكن ضمان قدرة البلاد على شن الحرب أو التعامل مع الحرب باستثنائها. وبناء على ذلك، نفّذت الإصلاحات في مختلف الممالك نظام المحافظات والممالك. بموجب هذا النظام، تم تعيين وإقالة حراس المحافظات وقضاة الممالك من قبل الإمبراطور وفقًا لكفاءاتهم وولائهم، ولا يمكن توريث مناصبهم. نتيجة لذلك، تعزّزت سيطرة الإمبراطور على البلاد بشكل كبير. الجدير بالذكر أن هذا النظام وُضِع أساسًا لإنشاء الإمبراطور تشين شي هوانغ النظام الإمبراطوري فيما بعد.

الثالث: وهو إصلاح نظام الزراعة، وذلك يعبّر عن تطوّر الإنتاجية الكبير الناتج عن تعميم الأدوات الزراعية المصنوعة من الحديد وتقنيات حرث الأرض بالثيران التي نشأت في عصر الربيع والخريف في الصين، ونضجت وتعممت على نطاق واسع إلى عصر الممالك المتحاربة، كذلك تقنية صهر الحديد. تكامل بعضهما مع بعض، إذ "لا يستطيع جر المحراث الحديدي إلا الثيران، ولا يمكن تحمّل قوة الثيران سوى المحراث الحديدي". إن الانتشار الواسع لهاتين التقنيتين لم يساهم في تحقيق الاستصلاح والزراعة على نطاق واسع فقط، ولكن أيضًا في رفع فعالية استخدام الأراضي بشكل كبير. مما أدّى إلى زيادة كبيرة في إنتاج الغذاء والتطور السريع للاقتصاد الزراعي. في ظل تحفيز التطور الكبير للإنتاج، لا بد من استبدال نظام المربعات التسعة (كانت الحقول بشكل مربعات تسعة في عصر الربيع والخريف) التي اعتزلت أصلًا عن بعضها البعض بحقول واسعة مترابطة. اغتنم الحاكم فرصة التخلي عن نظام المربعات التسعة لاستعادة ملكية الأراضي إلى السلطة المركزية، ثم "منح" المزارعين الحقول، وقام المزارعون بزراعة أراضي الدولة، ومن الطبيعي أيضًا دفع الضرائب للدولة. استكمل التحوّل في نظام الأراضي حتى هذا العصر واستخدم النظام الزراعي الجديد لأكثر من ألفي عام في تاريخ الصين.

تماشيًا مع تنفيذ النظام الزراعي الجديد، قامت بعض الممالك أيضًا ببناء مشاريع مائية كبيرة. على سبيل المثال، بنت إمبراطورية وي قناة

يهتشيوي، وبنت إمبراطورية تشين سد دوجيانغيان وقناة تشينغقوتشيوي. إن هذه المشاريع المائية الكبيرة لا يمكنها الوقاية من الفيضانات فحسب، بل سد حاجة الري أيضًا، وأحيانًا خلقت العجائب لـ "حقول خصبة ممتدة لألف كيلومتر مربع" و"أرض الجنة". يوضح ذلك أن الزراعة والمشاريع المائية الصينية قد تطورت إلى مستوى عالي خلال عصر الممالك المتحاربة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يظهر أيضًا أن السلطة المركزية لها تدخّل قوي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. امتلكت السلطة المركزية موارد الأراضي، ومن أجل زيادة كفاءة الأراضي، استثمرت السلطة المركزية بقدر هائل في بناء مشاريع مائية كبيرة لضمان الحصاد الزراعي للفلاحين. وإذا كان حصاد المزارعين وافرا، فيمكن مساعدة الدولة في تحقيق هدف "إغناء الوطن وتقوية الجيش" من خلال جمع الضرائب. بعد تخصيب الخزانة، يمكن استخدام المزيد من الثروة لتجنيد جنود أكثر، مما يربط "إغناء الوطن" بـ "تقوية الجيش". الهدف النهائي لإصلاح كل إمبراطورية هو "إغناء الوطن وتقوية الجيش".

باختصار، إن عصر الممالك المتحاربة بأكمله هو عملية تاريخية لتحفيز وإعادة تنظيم نظام الدولة من خلال أكثر الأساليب عنفًا - الحرب. في هذه العملية، تم تدمير النظام الإقطاعي الأبوي الذي أنشئ خلال عهد أسرة تَشو الغربية، وتخليص الناس من هيكل سلطة القيود الأبوية القاسية في التمييز بين الطبقات المختلفة وليصبحوا أفرادًا. لكن بعد ذلك أعيد ضمهم إلى المنظمة الوطنية كأفراد ليكونوا أعضاء بالوطن يخضعون لأوامر الدولة في دفع الضرائب في الوقت المحدد أو تجنيدهم كجنود. في هذا الصدد، يمكننا أن نقول إن عصر الممالك المتحاربة هو في الواقع مقدمة لأسرتي تشين وهان الملكية.

المدارس الفكرية المختلفة:

الصحوة الثقافية من الآلهة إلى الإنسان

في فترة التحول السريع، ينكسر السلام الداخلي للإنسان. أمام التغيرات العظيمة في العصر، دائمًا ما يُصاب جسد وعقل الناس باهتزاز كبير. لقد تدهورت السلطة العلمانية والروحية القديمة، وتفكّك النظام القديم، ولم يعد يلتزم الناس بالقواعد القديمة إلا قليلًا. يجب التخلي عن الأشياء القديمة، ولكن لم يتم بناء سلطة ونظام وأخلاقيات جديدة. في ظل هذه الظروف، سوف يشعر معظم الناس بالضياع والإرهاق البدني والعقلي، وفي الوقت نفسه سيقوم عدد قليل جدًا منهم بتحمّل المهمة الثقافية بوعي، ودراسة التاريخ والواقع بهدوء، والبحث بعناية عن المبادئ والقيم لتوجيه تطوّر العصر الجديد، وهم مفكرون وفلاسفة.

تُعدُّ الفترة من عصر الربيع والخريف إلى عصر الممالك المتحاربة التي دامت لأكثر من 500 عام فترة التحول الاجتماعي الهائل، وكان أصحاب المدارس الفكرية المختلفة التي نشأت خلالها من أعظم المفكرين والفلاسفة في التاريخ الصيني، ويمكن القول إن أفكارهم جزء أساسي للنظام الإيديولوجي الصيني.

الكونفوشيوسية

كان كونفوشيوس (551 قبل الميلاد - 479 قبل الميلاد) مؤسس الكونفوشيوسية، وهو مربٍّ ومفكر كبير في الصين.

ولد كونفوشيوس في إمبراطورية لو في نهاية عصر الربيع والخريف، وانتسب جده إلى إمبراطورية سونغ، وكان والده شو ليانغخه محاربًا في إمبراطورية لو. كان كونفوشيوس حريصًا على التعلم من الطفولة وكان يُعرف بأنه "عارف الأدب"، لأنه ما فهم فقط كل أشكال الأدب الشائعة في الطبقة الأرستقراطية في ذلك الوقت، ولكن أيضًا تبحّر في دراسة تطورها ودلالاتها الثقافية. يعتبر كونفوشيوس سيد الرحمة في التاريخ، أهم سبب هو أنه استخلص فكرة "الرحمة" من "تشو لي"(الأدب في أسرة تَشو) وارتقى بمجموعة من المعايير السلوكية الأرستقراطية الدقيقة في الغاية إلى فكرة ثقافية إيديولوجية.

يشير ما قاله كونفوشيوس من كلمة "الرحمة" إلى نوع من العلاقات الجميلة بين الناس وحبهم لبعضهم البعض، بعبارة أخرى، "الرحيم يحب الآخرين". يمكن تقسيم "الرحمة" إلى بعدين: "التسامح" و"الولاء". يدعو "التسامح" إلى عدم فرض ما لا يحبه النفس على الغير؛ "الولاء" بينما روح المشاركة القيّمة، أي عندما ينجح أحد يشعر بالسعادة والفرح، يفضّل أن يكون الآخرون ناجحين وسعداء مثله.

يأمل كونفوشيوس أن يصبح الكل "رحيمًا" (على الأقل "رجلًا نبيلًا")، وأن تنفذ الحكومة "الحكم الرحيم"، لا تظلم وتقمع الشعب. أمام وضع الفوضى في عصر الربيع والخريف، يأمل كونفوشيوس أن يتمكن كل فرد في المجتمع من أداء واجباته، إلى المسؤولين وكذلك الأب والأولاد.

من أجل ترويج فكرة "الحكم الرحيم"، استقال كونفوشيوس من منصب داسيكوه، وتنقّل بين الممالك المختلفة لمدة 14 عامًا، محاولًا إقناع أمراء الممالك التابعة بقبول فكرة "الحكم الرحيم" وبناء نظام دولي مستقر ومتناغم. فشلت محاولاته، لكنه نشر فكرته خلال عملية السفر في جميع أنحاء البلاد ووسّع نفوذ الكونفوشيوسية.

لا ينسى كونفوشيوس أبدًا استعادة "تَشو لي"، يبدو محافظًا، لكن في الواقع إنه مبدع كبير فكريًا. حيث إنه كان أشهر معلّم أدب في ذلك الوقت، وأحسن في استضافة طقوس القرابين والجنازات وغيرها، لكنه حوّل انتباه الاهتمام الثقافي من الأرواح والآلهة إلى الناس - من ثقافة الطقوس المتمثلة في إرضاء الأروح والآلهة إلى تنفيذ الحكم الرحيم لبناء علاقات متناغمة بين البشر. لقد اتخذ نوعًا من التجاهل تجاه "الأرواح والآلهة" ودعى إلى "احترام الأرواح والآلهة مع الابتعاد عنهم"، والهدف من ذلك هو الاهتمام بتنمية الإمكانات البشرية، وإيلاء أهمية للعقلانية، وتخليص الناس تدريجيًا من عبودية الآلهة والأرواح.

أعاد كونفوشيوس أيضًا تفسير مفهوم "القدر". لم يعد "القدر" الذي ورد في *"كتاب الحوار"* عبارة عن قدر سياسي لأسرة ما، ولكن قدر شخصي، أي أنه يمكن للمرء أن يمكّن نفسه بخياراته العقلانية والإجراءات الإيجابية من خلال تطوير إمكاناته بالكامل من إنجاز المهمة الأخلاقية والثقافية والمعرفة الحقيقة بالحياة. هذه الفكرة قد خرجت بوضوح من نظرية قبضة الآلهة على قدر الإنسان، مما فتح ستار التحول الكبير من "التمركز حول الآلهة" إلى "التمركز حول الإنسان".

كما مارس كونفوشيوس السياسة لفترة قصيرة، لكنه قضى معظم وقته في التعليم. كانت المدرسة الخاصة التي أسسها أشهر مدرسة خاصة في أواخر عصر الربيع والخريف، وهناك "ثلاثة آلاف تلميذ واثنان وسبعون رجلًا حكيمًا" درسوا على يديه، يمكن اعتبار حجم التعليم وإنجازاته رائعة جدًا. التزم كونفوشيوس بمبدأ "لا تمييز في التعليم"، مما يقلّل الحد الأدنى لقبول التلاميذ بدرجة كبيرة، الأمر الذي أتاح الفرصة للناس العاديين للحصول على التعليم عن الثقافة والمهارات المحدّدة بالنبلاء من قبل. قال المؤرخ تشيان مو: "كان كونفوشيوس أول من بدأ في نشر الثقافة الأرستقراطية بين عامة الشعب. وكان كونفوشيوس أول من بدأ في تحويل المعرفة المحتكرة في معبد الأجداد الأرستقراطي قديمًا إلى علوم يتقاسمها المجتمع البشري بأكمله". هذا التقييم معقول للغاية.

أبرز كونفوشيوس فنًا رائعًا في التدريس، حيث قام بتدريس التلاميذ "وفقًا لقدرتهم وخصائصهم" أحيانًا، وأحيانًا أخرى "درّسهم بشكل تدريجي"، فالمعلمون والطلاب تعلّم واستفاد بعضهم من البعض أكاديميًا وأخلاقيًا. على هذا الصعيد، يجدر بكونفوشيوس حمل لقب "أعظم معلّم"، حقًا إنه مربٍّ عظيم. تمّت كتابة الأسئلة والأجوبة المتبادلة بين كونفوشيوس وتلاميذه من قبل التلاميذ في *"كتاب الحوار"* في وقت لاحق، الذي أصبح من أشهر الكلاسيكيات الكونفوشيوسية.

منشوس هو مفكر كبير آخر بعد كونفوشيوس، والمعروف باسم "الولي الثانوي". ولد في مدينة تَسو بإمبراطورية لو (الآن مدينة تَسو في مقاطعة شاندونغ) في عصر الممالك المتحاربة، وكانت تجربته مشابهة كثيرًا لتجربة كونفوشيوس، كما فقد والده في سنواته الأولى ونما تحت تربية والدته، وكان معروفًا بأخلاقه الحسنة ومعرفته المتبحرة. ورث منشوس فكر كونفوشيوس "الحكم الرحيم"، وسافر إلى الممالك المختلفة، في محاولة

لإقناع الأمراء بتنفيذه "الحكم الرحيم"، وانتهت محاولاته بالفشل. في سنواته اللاحقة، شارك تلاميذه في تأليف كتاب *"منشوس"*، شرح فيه أفكاره بشكل منهجي.

طوّر منشوس مفهوم "الحكم الرحيم" المطروح من قبل كونفوشيوس وطرح نظرية "الطبيعة البشرية الطيبة" الشهيرة، مشيرًا إلى أن "الطبيعة البشرية طيبة" ولكل شخص "أربعة أحاسيس"، ألا وهي" الشفقة وهو شعور يشارك فيه كل فرد، وكذلك الحياء، وكذلك الاحترام، وكذلك الإحساس بالصواب والخطأ. الشفقة تعني الرحمة، الحياء يعني الاستقامة، الاحترام يعني الاحتشام واللياقة، الإحساس بالصواب والخطأ يعني الحكمة. الرحمة، الاستقامة، الاحتشام، والحكمة لا يمنحها لي الآخرون، إنها في ماهيتي، والأمر فقط أنني لم أبحث عنها قط في نفسي". رأى منشوس أنه طالما طبيعة البشرية كانت من طينة طيبة، فمن الطبيعي أن تمارس البشرية الخير وينفّذ الحكام "الحكم الرحيم"، أما أولئك الأشرار المزعومين ففقدوا طبيعتهم فقط.

مقابل نظرية "طبيعة البشرية طيبة" التي طرحها منشوس، هناك نظرية "طبيعة البشرية شر" المطروحة للفيلسوف شون تسي. ولد شون تسي في إمبراطورية تشاو في أواخر عصر الممالك المتحاربة، وتولى "جيجيون" أعلى رتبة في معهد جيشيا في إمبراطورية تشي لثلاث مرات، ثم سافر إلى إمبراطورية تُشو وتولى ولاية مدينة لانلينغ (مدينة لانلينغ بمقاطعة شاندونغ اليوم). يعتقد شون تسي أن "طبيعة البشرية شر"، والخير منهم نتيجة التصحيح الاصطناعي". لذلك يدعو إلى تصحيح الطبيعة البشرية من خلال وسائل "الأخلاقية" و"القانون" بالتوازي ولكي يتمّ التخلي عن الشر وتعزيز الخير في طبيعته.

قال شون تسي: "إن الإنسان ولد بالطبيعة الشريرة، إذا خضعنا لها فسيقع المجتمع في الاضطرابات ويتدهور النظام الأخلاقي. إذا تركنا الإنسان يتطور حسب طبيعته وشهوته، فستحدث الفوضى والصراعات". هذا يعني أنه بسبب العوامل الشريرة في الطبيعة البشرية، وإذا كنا نطيع هذا الشر ونتركه يتطور، فسيكون النظام الاجتماعي فوضويًا. من أجل وقف "الصراعات" التي تسبب الاضطرابات الاجتماعية، من الضروري "تنوير البشر عبر تعليمهم الأخلاقي وصيانة القانون، ووضع عقوبات شديدة لمنع حدوث الصراعات، حتى ينتشر في البلاد الخير"، أي استخدام الأخلاق والقانون والعقاب لحكم الناس ومنعهم من اتباع الشر.

كان الجدال بين "طبيعة البشرية طيّبة" لمنشوس و"طبيعة البشرية سيّئة" لشون تسي ليس جدالًا نظريًا بحتًا، بل يشبه أكثر وصفتين مختلفتين في حقبة مختلفة. عاش منشوس في منتصف عصر الممالك المتحاربة، حيث استهدفت نظريته "طبيعة الإنسان طيبة" الملوك، وكانت تشدِّد على التوجيه الإيجابي في سبيل إقناعهم بتنفيذ "الحكم الرحيم"؛ بينما عاش شون تسي في عصر الممالك المتحاربة المتأخرة، كانت الحرب في ذلك الوقت أشد، وكان المجتمع أكثر فوضى، فهدفت نظريته إلى كيفية حكم الشعب وسعى إلى مساعدة الحكام في إيجاد فكرة حاكمة صالحة لتصويب أوجه القصور في الواقع. بغض النظر عن اختلاف حقبتهما، تُظهر النظريتان المختلفتان تمامًا من النواحي الإيجابية والسلبية على حدٍّ سواء أهمية التعلّم المكتسب لنموّ الشخص، كما أنه يوضح ضرورة اتباع جميع أشكال الحوكمة الاجتماعية الطريق الأساسي المتمثل في وضع الإنسان في المقام الأول ومعاقبة الشر وتشجيع الخير، وذلك قد زاد من تحويل الاهتمام الثقافي من علم اللاهوت (ثقافة التضحية) إلى علم الإنسانية (بناء نظام الدنيا).

التاوية

في الصين، تأتي مكانة التاوية في المرتبة الثانية بعد الكونفوشيوسية. إذا كانت الكونفوشيوسية هي فلسفة الطبقة المثقفين، فإن التاوية هي فلسفة النسّاك.

في أكثر من 500 عام من التحوّل الاجتماعي خلال عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة، شهد بعض الناس حروبًا لا نهاية لها واضطرابات وموتًا، وشعروا بخيبة أمل تجاه المجتمع الذي يسوده تدهور نظام الأدب والثقافة، فاختاروا التخلي عن المنافسة على السلطة والوضع والثروة في مقابل سلامة الحياة وراحة النفس. هذا هو الأساس الاجتماعي لنشأة التاوية.

كان رمز التاوية خلال عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة لاو تسي وتشوانغ تسي.

مثل كونفوشيوس، شهد لاو تسي أيضًا القمع الوحشي للحكام على الشعب من الطبقة الدنيا، واتخذ موقفًا قويًا ضد هذا. يرى لاو تسي أن سبب صعوبة حكم الشعب هو بالتحديد إفراط الحكام في وضع القوانين وفرض الضرائب. ويعارض الأمر "الحكم المفرط" ويدافع عن "عدم التدخل في مسار الأشياء" و"دولة صغيرة وقليلة السكان".

يعتقد لاو تسي أن "الطاو" هو أصل كل الأشياء الذي تنمو وتتطور به. "الإنسان يقتدي بالأرض، الأرض تقتدي بالسماء، السماء تقتدي بالطاو، الطاو يقتدي بالطبيعة". من أجل التوافق مع "الطاو"، يجب على الحاكم "تشديد انضباط النفس والتحكم بشهوته"، ليقلل التدخل في حياة الشعب بأقل قدر ممكن، وترك المجتمع يدور بشكل طبيعي، وهذا يشبه ما ندعو إليه اليوم "لتكون الحكومة صغيرة، وليكون المجتمع كبيرًا" (يعني إضعاف وظائف الحكومة وترك المجتمع يسير على طبيعته).

يجيد لاو تسي استخدام التفكير العكسي وطرح الديالكتيك الصينية القديمة، حيث يعتقد أن هناك تناقضات بين الأشياء، وأن جانبي التناقض يمكنهما تحويل بعضهما البعض في ظل ظروف معينة. فقال: "في قلب الكارثة يقبع حسن الطالع، تحت حسن الطالع تجثم الكارثة"، هذا يعني أنه يمكن التحوّل بين الكارثة وحسن الطالع؛ قال: "فورة القوة يعقبها الوهن، وهذا ليس من الطاو، من يَسِرْ عكس تيار الطاو ينته سريعا"، هذا يعني أنه عندما تتطور الأمور إلى ذروتها، فإنها تبدأ في الانخفاض؛ قال: "الوجود والعدم ينجم بعضهما عن بعض، الصعب والسهل يكمل بعضهما بعضا، الطويل والقصير يظهر بعضهما بعضًا، المرتفع والمنخفض يحوي بعضهما بعضا، عزف الآلة وصوت الإنسان يناغم بعضهما بعضًا، الإقبال والبعد يتبع بعضهما بعضًا"، هذا ملّخص كلاسيكي لترابط طرفيّ التناقض؛ قال: "إذا أردت ضغط شيء، عليه أولًا أن يكون ممطوطًا؛ إذا أردت إضعاف شيء، عليه أولًا أن يكون قويًا؛ إذا أردت إبطال شيء، عليه أولًا أن يكون مثبّتًا؛ إذا أردت أن تأخذ من شيء، عليه أولًا أن يكون مليئًا"، هذا هو تطبيق الديالكتيك في النضالات السياسية والصراعات العسكرية.

إذا كانت فكرة كونفوشيوس تركّز على "الرحمة" و"حكم الرحيم" وتهتم ببناء نظام متناغم بين البشر، فإن فكرة لاو تسي تتركّز على "الطاو" وتسعى إلى تشكيل رؤية أكثر تجريدًا للكون.

في عصر الممالك المتحاربة، ورث تشوانغ تسي فكرة لاو تسي، وعارض إفراط الحكام في فرض الضرائب، وفي الوقت نفسه، عارض ما دعت إليه الكونفوشيوسية من أخلاق الرحمة والاستقامة وثقافة الأدب والفن. اختار تلقائيًا التراجع ورفض المشاركة في الشؤون السياسية. إنه يعتقد أن المجتمع الواقع الفوضوي غير قابل للشفاء ولا يستحق المشاركة في حكمه، فما يجب على كل أحد فعله هو الابتعاد عن الاعتماد على أي نظام جماعي، وبدلًا من ذلك يجب عليه التراجع في سبيل الحسن الفردي، وتحقيق حريته الروحية المطلقة.

في التاريخ الصيني، تكاملت التاوية مع الكونفوشيوسية جيدًا. عندما قيّدت السلطة المركزية والأخلاقيات الكونفوشيوسية عقول الناس وأنفسهم بقدر كبير، سمحت فلسفة التاوية للناس مجالًا ليجدوا منها حرية معنوية، وبالتالي التعبير عن مشاعرهم وإحساسهم. عندما يشعر بعض المسؤولين بالإحباط في العمل، ستكون التاوية ملاذهم المعنوي. لذلك، كان الأدباء الصينيون القدامى في كثير من الأحيان نبلاء يعلّقون أهمية بالغة على الشؤون الوطنية إذا نجحوا، وإذا فشلوا، يتحوّلون بشكل طبيعي إلى المؤمنين الطاويين الذين كانوا ينظرون بشؤم إلى الشهرة والثروة وكانوا يعلّقون مشاعرهم في المناظر الطبيعية. الكونفوشيوسية تدعو إلى حياة أخلاقية، والتاوية تدعو إلى حياة فنية، ويمكن أن يكمل كلّ منهما الآخر.

الموهية

مؤسس الموهية هو مو تسي. تأثر مو تسي أصلًا بكونفوشيوس ودرس الكونفوشيوسية. بيد أنه بعد ذلك شعر أن "الأدب" الذي دعت إليه الكونفوشيوسية مرهق للغاية، وطريقة الجنازة التي دعت إليها الكونفوشيوسية كانت مضيعة جدًا للمال، واهتمام الكونفوشيوسية باللبس والأكل وغيرهما من مجالات الحياة كان مفرطا، ورأى أن ذلك سيلحق ضررًا بحياة الناس العاديين. نتيجة لذلك، تخلّى مو تسي عن ثقافة أسرة تَشو التي روّجت لها الكونفوشيوسية، وبدلًا من ذلك دافع عن ثقافة أسرة شيا في وقت سابق من عهد أسرة تَشو. قال المؤرخ تشيان مو: "إن مدرسة الموهية انتمت أصلا إلى روح الطبقة الأرستقراطية التي انتقدها كونفوشيوس، حتى دعا إلى ما يزيد عنها... فكرته الراديكالية يمكن اعتبارها مذهبًا يساريًا في المدارس الفلسفية الموجودة فيما قبل أسرة تشين الملكية، أما الكونفوشيوسية فهي يمينية".

السبب الذي يجعل فكرة مو تسي أكثر تطرّفًا من الكونفوشيوسية، أعتقد أنه قد يكون مرتبطًا بأصله من الطبقة الدنيا. وُلد مو تسي من طبقة المجتمع الدنيا، وكانت بشرته داكنة، وملابسه خشنة، ووجباته بسيطة، "رضي بنصيبه من السوء في حياته"، تنقّل بين الممالك من أجل الأخلاق سنة بعد سنة، ليلًا ونهارًا، وحتى صلع رأسه وتساقط الشعر على ساقيه احتكاكًا.

إذا كانت الكونفوشيوسية فلسفة المثقفين والتاوية فلسفة النسّاك، فإن الموهية هي فلسفة الطبقة الدنيا تمامًا. لأنها تمثل صوت الشعب من الطبقة السفلى، فكانت نظريات الموهية أكثر راديكالية من الكونفوشيوسية، وحتى تميل إلى "الشعبوية" و"المعادية للفكر". دعت الكونفوشيوسية إلى

"المحبة الرحيمة" التي تشير إلى محبة الناس حسب طبقاتهم، فدعت الموهية "محبة الجميع" التي تقصد محبة الناس سوية؛ دعت الكونفوشيوسية إلى أنه "يجب على شخص أن يتعلم المهارات أولًا ثم يتولى منصبا رسميًا)، بينما دافعت الموهية عن أنه "يجب على الإمبراطور التنازل عن العرش للحكماء"؛ دعت الكونفوشيوسية إلى "حكم الدولة بالأدب والفن"، في حين عارض أصحاب الموهية جميع الآداب والفنون. وهم اعتقدوا أن الهدف الأساسي لحكم الدولة هو سد الحد الأدنى لحاجات الشعب في الطبقة الدنيا فيما يتعلق بالغذاء واللبس والسكن والنقل، ويجب حظر أي نشاط لا يرتبط بهذا الهدف. علاوة على ذلك، اعتقدوا أنه يكفي أن يحافظ الناس على الحد الأدنى من مستوى المعيشة، وأن لا يتمتع الحكام والجمهور كلاهما بحياة مادية وثقافية غنية. ها هو المفهوم الجوهري للموهية المتمثّل في "معارضة الفن"، "الاقتصاد في المعيشة" و"الاقتصاد في الجنازة"، الذي استهدف أصلًا الرفاهية والفساد للطبقة الحاكمة وهو كان مفهومًا متقدّمًا. لكن يتقدم المجتمع دائمًا إلى الأمام، وتزداد الثروة المادية والمعنوية باستمرار. في ظل هذا التوجّه الكبير، أراد منشوس تقييد أو حتى حظر التمتع المادي المعنوي للناس، وسمح فقط للناس بالحفاظ على مستوى الحياة الأساسية، ذلك يتعارض بوضوح مع الاتجاه التاريخي.

عارض منشوس الحرب بعزم ودعا إلى "عدم الهجوم". من أجل الحفاظ على السلام، أنشأ منشوس وتلاميذه قوة حفظ سلام مدنية منتظمة - منظمة جيوتسي. في عصر الممالك المتحاربة الشديدة القسوة، اعتُمدت ادعاءات منشوس من قبل الطبقة السفلى، وانضم العديد من الأشخاص من المستوى الأدنى إلى منظمة جيوتسي وعاشوا حياة فقيرة وشديدة الانضباط. لكن بمجرد أن دخل المجتمع مسار التنمية الطبيعي، فقدت ادعاءات منشوس الأيديولوجية أرضية البقاء. كما قال المؤرخ تشيان مو: "إن أصحاب الموهية يدعون إلى محبة الجميع سوية وإلغاء الأدب والفن والاقتصاد في الجنازة، والتخلي التام عن حياة الطبقة الأرستقراطية المزعومة، حتى عاش الناس كأنهم سجناء أو عمالة السخرة، هذا ضد طبيعة البشرية". ولأن فكر الموهية متطرف للغاية، فإن تأثيرها التاريخي ليس كبيرًا مثل الكونفوشيوسية والتاوية.

المدرسة الشرائعية

من رموز المدرسة الشرائعية شانغ يانغ وهان فيتسي ولي سي وغيرهم، وكلهم دافعوا عن تركيز السلطة عند الإمبراطور واستخدام "العقوبة الشديدة والقانون الصارم" لحكم الشعب، وقد صمموا مجموعة من التدابير لمساعدة الملوك على تطبيق رقابة صارمة على المسؤولين والجماهير.

يمكن تلخيص أفكار المدرسة الشرائعية في "جانبين وثلاث سكاكين". ما يسمى بـ "الجانبين" هو "المكافأة والمعاقبة"، أي تشجيع الشعب على الزراعة والقتال من أجل البلاد عبر "مكافآت سخية"، وفي الوقت نفسه، استخدام "العقوبة الشديدة" لجعل الناس لا يجرؤون على انتهاك القانون. ما يسمى بـ "السكاكين الثلاثة" هو "القانون والسلطة والقوة"، و"القانون" هو القوانين والشرائع التي أصدرها الإمبراطور، و"السلطة" هي سلطة الإمبراطور في السيطرة على المسؤولين والجماهير، و"القوة" هي قوة ووضعية الإمبراطور. اعتقد أصحاب المدرسة الشرائعية أنه إذا كان بإمكان الإمبراطور استخدام "السكاكين الثلاثة" جيدًا، فيمكنه توظيف قوة السلطة تمامًا، وتوزيع الموارد إلى حد أقصى، واستغلال جميع الموارد البشرية والمادية والمالية في البلاد من أجل الإنتاج الزراعي والإعداد العسكري. مما يمكنه من تحقيق هدف "إغناء البلاد وتقوية الجنود" و"تحقيق الهيمنة" حتى "توحيد العالم".

كان مفهوم الحكم الذي طرحته المدرسة الشرائعية يحظى بشعبية كبيرة في عصر الممالك المتحاربة، حيث بدأت إمبراطورية تشين تزدهر وتتقوى من خلال إصلاح شانغ يانغ، ووحّدت الممالك الست أخيرًا. ومع ذلك، فإن طريقة حكم البلاد عبر المعاقبة الشديدة والقانون الصارم قد أثارت استياء الشعب القوي ومقاومته المستمرة، حتى لم تدم إمبراطورية تشين إلا مجرد جيلَين. منذ ذلك الحين، ارتبطت المدرسة الشرائعية بالسمعة السيئة لـ "الطغيان" وانتقدت بشدة من قبل الأجيال اللاحقة. خلاصة القول، إن المدرسة الشرائعية ليست فلسفة بقدر ما هي نوع من طرق الحكم الملكي.

مدرسة ييِن - يانغ

زو يان هو الشخصية الرئيسية لمدرسة ييِن - يانغ، وُلِد في إمبراطورية تشي في منتصف عصر الممالك المتحاربة وكان معاصرًا لمنشوس. كان على دراية، وله أبحاث في علم الفلك والتاريخ والجغرافيا وما إلى ذلك، كما حاضر أيضًا في معهد جيشيا (مدرسة مشهورة في إمبراطورية تشي).

إن نظرية ييِن - يانغ مستمدة من علم الكونيات الطبيعي البسيط، التي رأت أن كل شيء يتكون من اثنين من الأضداد - ييِن ويانغ، يتكون الكون من السماء والأرض، والسماء هي يانغ والأرض هي ييِن، كما هو الحال بين البشر رجال ونساء. الذكر هو يانغ، والإناث هي ييِن. ثم اندمجت ازدواجية ييِن ويانغ مع العناصر الخمسة "الذهب والخشب والماء والنار والتربة"، لتشكّل المحتوى الرئيسي لنظرية ييِن - يانغ والعناصر الخمسة. تقول هذه النظرية أن دور

الكون له نظام طبيعي، أي أن يين ويانغ يكملان بعضهما البعض، "الآلاف المؤلفة تدير ظهرها للـ "يين" وتعانق الـ "يانغ" بالذراعين" بينما أنجب وكبح بعض العناصر الخمسة بعضًا: الخشب أنجب النار، النار أنجبت التربة، التربة أنجبت الذهب، الذهب أنجب الماء، الماء أنجب الخشب؛ الذهب كبح الخشب، الخشب كبح التربة، التربة كبحت الماء، الماء كبح النار، النار كبحت الذهب. ارتبطت هذه النظرية بالأرصاد الجوية الفلكية، وصعود وسقوط الأسر الحاكمة، وتعيين وإقالة المسؤولين، وتناسخ المواسم الأربعة، فهي ربطت النظام الطبيعي بالنظام الإنساني مما شكّل رؤية كونية لـ "تناغم السماء والإنسان" الغامضة.

يبدو أن نظرية يين - يانغ والعناصر الخمسة غير معقولة إلى حدٍّ ما اليوم، إلا أنها جزء مهم من منظومات الأيديولوجيات الصينية في العصور القديمة. إذا كانت الكونفوشيوسية تهدف إلى بناء نظام أخلاقي في الدنيا مستعينة بالمبادئ الخمسة "الرحمة، الاستقامة، الاحتشام، الحكمة والثقة"، فإن مدرسة يين - يانغ تهدف إلى بناء نظام طبيعي بناء على نظرية التكامل والتكابح بين العناصر الخمسة. تطوّر النظامان بالتوازي، وتلاقيا أحيانًا.

الخاتمة

بالإضافة إلى المدارس الخمس المذكورة أعلاه، هناك العديد من المدارس الفلسفية مثل مدارس العسكرية والمنطقيين والدعاة السياسيين، والزراعية، والموسوعية. مقارنة بالأفكار الخمسة المذكورة أعلاه، تركّز هذه الأفكار بشكل أكبر على التشغيل الفني الفعلي، ولا يتم تقديمها هنا. باختصار، ولدت وعاشت المدارس الفكرية المختلفة في عصري الربيع والخريف والممالك المتحاربة في بلاد تتسم بالحروب الطويلة والمريرة وتدهور نظام الأدب والفن والاضطرابات، لكن تأثيراتها تجاوزت عصرها إلى حدٍّ كبير. تمثّل أفكارها أول صحوة ثقافية للأمة الصينية - الارتفاع العقلاني الذي يمكن تحقيقه بعد التخلّص من ثقافة التضحية. يمكن القول إنه بفضل العصر الذهبي الذي نشأت فيه المدارس الفكرية المختلفة بالتحديد، انتقلت الثقافة الصينية تمامًا من المرحلة اللاهوتية (السحر والتضحية) المبكرة إلى المرحلة الفلسفية. إن فلاسفة المدارس الفكرية هذه هم عمالقة ثقافيون، "إن عصفهم الفكري" يضيء سماء أفكار الأمة وحتى البشر بأسرها؛ لقد مرت أفكارهم عبر العصور، لكن ما زالت تستحق الدراسة بعناية من قبل الأجيال اللاحقة. لقد أصبحوا نصبًا تذكاريًا في تاريخ الثقافة الصينية.

الفصل الثاني

العدد الأول للإمبراطوية

أسرة تشين الملكية وأسرة هان الملكية

أسرة تشين الملكية:

أول أسرة ملكية في تاريخ الصين

في عام 221 قبل الميلاد، وحّد الإمبراطور تشين شي هوانغ الممالك الست. أعلن بهذا الأمر نهاية عصر الممالك المتحاربة من ناحية، من ناحية أخرى فتح العصر الإمبراطوري في التاريخ الصيني.

توحيد الإمبراطور تشين شي هوانغ الممالك الست لا يعتمد بالكامل على مواهبه الشخصية. فمنذ إصلاح شانغ يانغ، أصبحت تشين من القوى العظمى في ذلك الوقت، في أكثر من 130 عام تالي تعاقب فيها ستة أباطرة من الأمير تشين شياو قونغ إلى الأمير تشوانغ شيانغوانغ، قام كل أمير بتنفيذ "سياسة التوسع الخارجي"، حيث شنّوا الحرب وضمّوا الممالك الست باستمرار. استكمل الإمبراطور تشين شي هوانغ أخيرًا عملية التوحيد بناء على جهود "الأجيال الستة من الأمراء قبله" ثم حقق القفزة الأخيرة في "تسريع حرب الاستحواذ".

فيما يتعلق بالشؤون الداخلية، فقد التزمت إمبراطورية تشين دائمًا بفكرة المدرسة الشرائعية كأيديولوجية، واتبعت الفكرة الحاكمة التي حددها المصلح شانغ يانغ. على الرغم من أن المدرسة الشرائعية تستند إلى نظرية "الطبيعة البشرية سيئة"، وتبدو اليوم قاسية للغاية وتسعى وراء نجاحات سريعة ومنافع عاجلة، لكنها في عصر الممالك المتحاربة كانت فكرة متقدمة تتوافق مع خصائص العصر. خرجت الفكرة الشرائعية من قيود العادات التقليدية والامتيازات السياسية وعلاقات الدم والقيم الأخلاقية، بل أولت اهتمامًا بالغًا بالمصالح والمكافآت والمعاقبة، واتسمت بالكفاءة والفعالية، فاعتُبرت الوسيلة الأكثر مناسبة لتركيز السلطة بدرجة عالية والأكثر تكيّفًا مع

حرب "التوسع الخارجي" الطويلة الأجل. يمكن للإمبراطورية توزيع الموارد إلى أقصى حدّ لدعم الحروب الواسعة النطاق عبر تطبيق سياسة تشجيع الزراعة وزيادة الإنتاجية. بالطبع ستضغط دولة مركزية إلى حدٍّ كبير على فضاء المعيشة الشخصية للجماهير، لكن المسؤولين في إمبراطورية تشين كانوا "يطبّقون القانون بصرامة" دون تمييز، مما يجعل الناس في ذلك الوقت يشعرون بالمساواة بين "الأمراء والشعب أمام القانون". تجمّع هذه العوامل جعل إمبراطورية تشين أقوى في صدد القوة الوطنية الشاملة والقوة القتالية للجيش، ويمكن اعتبارها "القوة العظمى" في عصر الممالك المتحاربة.

تميّزت إمبراطورية تشين في الجغرافيا أيضًا، وكان مأزق هانقوقوان هو حاجزها الطبيعي. عندما تحالفت الممالك الأخرى لمهاجمة تشين توقفت أمام مأزق هانقوقوان. اعتمادا على هذه القلعة العسكرية التي يسهل الدفاع عنها ويصعب الهجوم عليها، يمكن لإمبراطورية تشين ضمان أمن الوطن بشكل أساسي. جرت أغلبية المعارك بين تشين والعدو، فكان إذا انتصرت قوة تشين يمكنها الاستيلاء على أراضي العدو، وإذا هزمت يمكنها الانسحاب إلى مأزق هانقوقوان. لذلك كانت إمبراطورية تشين تنتصر أكثر في حرب الاستحواذ التي شنّتها تشين ذاتها من فشلها، وأصبحت الحرب أكبر "مصادر الربح" لها. منذ عهد حكم الأمير تشين شياو قونغ، شنت إمبراطورية تشين المزدهرة والقوية الحروب باستمرار ضد الممالك الأخرى، وفي المقابل استفادت من هذه الحروب وصارت أكثر قوة، وعبر هذا النوع من دوار التطور، كبر حجم إمبراطورية تشين في عهد الإمبراطور تشين شي هوانغ إلى درجة قادرة على ابتلاع الممالك الست.

طبعا، إذا استطاعت الممالك الست أن "تتحد كشخص واحد"، فإن تشين لا تستطيع كسرها. لكن في عصر لا يهتم بالأخلاقيات ويسعى وراء المصلحة فقط، من الصعب للغاية توحيد المجموعات السياسية والعسكرية الست التي تشعر بالقلق إزاء بعضها البعض. إضافة إلى ذلك، اعتمدت إمبراطورية تشين أيضًا الإستراتيجية الدبلوماسية لتتحالف مع ممالك أخرى لتقسيم وتفكيك "تحالف" الممالك الست المعادية لتشين. لذلك، في عهد حكم تشين شي وانغ، من المستحيل على الممالك الست تحقيق الوحدة، فمن المحتّم أن تبتلعها إمبراطورية تشين واحدة تلو الأخرى.

بعد توحيد الممالك الست، اعتبر تشين شي هوانغ أن "أخلاقيته فوق ثلاثة هوانغ (ملوك: فوشي، نيوي وا، شن نونغ) وإنجازاته أكبر من إنجازات خمسة دي (الأباطرة الخمسة: الأباطرة هوانغ دي، تشوان شيوي، دي كو، ياو، شون)"، فأسمى نفسه "هوانغ دي". هذا يدل تمامًا على فخره وغطرسته.

نظرًا للأراضي الشاسعة غير المسبوقة، تبنّى تشين شي هوانغ اقتراح رئيس الوزراء لي سي لتقسيم البلاد إلى 36 مقاطعة (أضيفت لاحقًا إلى 42 مقاطعة)، وأشرف على كل مقاطعة ثلاثة مسؤولين: جيونشو، جيونوي، جيانجيون الذين يعتبروا وكلاء الإمبراطور في المقاطعات، ويتم تعيينهم من قبل الحكومة المركزية ومن قبل الروابط الثابتة الصادرة عن الحكومة المركزية. والأهم من ذلك أن مناصبهم لا يمكن أن تكون وراثية، ويمكن للإمبراطور إقالتهم في أي وقت. في ضوء تعيين وإقالة المسؤولين المحليين من قبل الحكومة المركزية، فمن الطبيعي تطبيق نظام قانوني وضريبي موحّد في جميع أنحاء البلاد. نتيجة لذلك، توسعت قوة الإمبراطور بشكل غير مسبوق، وهي ليست بأي حال من الأحوال المماثلة للملوك في أسرة تَشو.

من أجل توطيد السلطة، جمع الإمبراطور تشين شي هوانغ أسلحة من مختلف الممالك وصهرها وأعاد تشكيلها إلى 12 شخصًا ذهبيًا، ثم وضعهم أمام القصر لإظهار نهاية عصر الحروب. كما نقل تشين شي هوانغ نبلاء مختلف الممالك إلى العاصمة مدينة شيان يانغ لتسهيل مراقبتهم. إلى جانب ذلك، بنى شبكة الطرق المتمحورة حول العاصمة، ووحّد مقاييس الأوزان والعملات واللغة والمسافة بين عجلتي العربات. هذه التدابير قد دمجت الموارد الاجتماعية للإمبراطورية الشاسعة بفعالية ولعبت دورًا حيويًا في تعزيز تشكيل مجتمع متحضِّر موحّد للأمة الصينية.

في عام 213 قبل الميلاد، قام تشين شي هوانغ بإحراق الكلاسيكيات التاريخية والثقافية بناء على اقتراح رئيس الوزراء لي سي، ودفن أصحاب الكونفوشيوسية والعلماء أحياء. لقد لقيت سياسته المتمثلة في تدمير الفكر والثقافة انتقادات شديدة، حقًا إن أسرة تشي الملكية كانت منعطفًا لتطوّر تاريخ الصين وثقافتها. إذ إن وضع تطوّر الثقافة الصينية لما قبل تشين وبعدها مختلف تمامًا. كلما تحدّث أحد عن الثقافة والفكر قبل أسرة تشين، يتذكّر فورًا "ازدهار المدارس الفكرية المختلفة" خلال عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة، يثني على العصرين ويقول إنهما يمثلان العصر الذهبي في تاريخ الفكر الصيني. لكن كيف الحال بعد أسرة تشين؟ لقد تم بالفعل تعزيز قوة الإمبراطور، وتوسيع أراضي البلاد، إلا أن الجوانب الفكرية والثقافية لم تظهر حالة مزدهرة بقدر" ازدهار المدارس الفكرية المختلفة" أبدًا.

كان تشين شي هوانغ سريع الغضب وقاسي الشخصية وشغوفًا بالشرف الزائف وكثير الشكوك. لقد أساء استغلال الموارد البشرية لبناء قصر أه فانغ ومقبرة على جبل ليشان، وأرسل جنرال منغ تيان لمقاومة غزو قبائل شيونغنو وبناء سور الصين عظيم شمالًا وإلى الجنوب، أرسل قواتًا للهجوم

على إمبراطورية يوه الجنوبية، حيث تم إنشاء ثلاث مقاطعات هناك: مقاطعة قويلين، ومقاطعة شيانغ، ومقاطعة بحر الصين الجنوبي، كما بنى قناة لينغ تشيوي. إن هذه الخطوات التاريخية وسّعت أراضي الصين إلى منطقة قوانغشي ذاتية الحكم لقومية تشوانغ ومقاطعة قوانغدونغ وجزيرة هاينان. لكن ذلك كلّف الكثير من الموارد المالية والبشرية لتوسيع الأراضي وتشييد العديد من المباني. قال المؤرخ تشيان مو في كتابه "التاريخ الاقتصادي الصيني": "الانتهاء السريع لأسرة تشين الملكية ليس بسبب تغيير نظام الإقطاع إلى نظام المقاطعة، ولكن استغلال حاكمها المفرط للغاية للموارد البشرية بعد توحيد البلاد. على سبيل المثال، يصل عدد العمال لبناء قصر أه فانغ ومقبرة على جبل ليشان إلى أكثر من 700 ألف، ويبلغ عدد الحراس للسلاسل الجبلية الخمس 500 ألف، وهناك 300 ألف شخص يحرسون سور الصين العظيم، إذا أضيف العمال المرسلون إلى تدمير أسرار المدن وسدود الأنهار وتسوية العوائق وتشييد القنوات، قد يزيد عدد العمال الدائمين عن مليونَين. إنه لرقم هائل مدهش، فكيف لا تنضب الموارد البشرية؟... هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ازدادت كمية الأغذية والمواد وفقًا لازدياد القوة العاملة، وقد ترتفع نسبة ضريبة الحقول من عُشر إلى خمسة أعشار وحتى أكثر من ذلك".

لم تأتِ إمبراطورية تشين الموحّدة بمنافع حقيقية على الشعب، لكنها أصبحت آلة سحق الشعب. تصاعد شعور الاستياء الشعبي بسبب طغيان أسرة تشين، فأراد تشين شي هوانغ إظهار ترف الإمبراطور وسلطته المطلقة أمام الشعب من خلال "الجولات التفقدية" المريرة، كما أراد أن يجد أدوية التخليد حتى يتمكن من أن يعيش ويكون الإمبراطور إلى الأبد. لكن لم تتحقّق أي من أمنياته، حيث لم يجد ادوية التخليد، بل مات أيضًا على طريق الجولة التفقدية.

بعد وفاة الإمبراطور تشين شي هوانغ، أطلق المخصي تشاو قاو ورئيس الوزراء لي سي انقلابًا سياسيًا، وقاما بتزييف أمر الإمبراطور ليرثه هو هاي بدلًا من ولي العهد الأصلي الذي حدده تشي شي هوانغ بعينه فو سو. أصبح هو هاي الإمبراطور الثاني لأسرة تشين. لكنه كان أكثر طغيانًا وظلمًا، حتى الشعب لم يعد يتحمّل طغيان أسرة تشين وثاروا بالتوالي. بعد ثلاث سنوات، انتهت أسرة تشين الملكية.

القراءة الموسّعة: الثورة في بلدة داتسهشيانغ

الذنب الأكبر لأسرة تشين هو طغيانها، انتقدت بسبب ذلك من قبل الأجيال اللاحقة كثيرًا، كما أن زوالها الأخير نتج عن الطغيان الذي أنجب ثورة

الفلاحين، ألا وهي الثورة في بلدة داتسهشيانغ الشهيرة.

في يوليو من السنة الأولى لحكم الإمبراطور الثاني في أسرة تشين (209 ق.م)، حشدت السلطة تسعمائة شخص عادي من مدينة يانغتشنغ لحراسة مدينة يويانغ (جنوب غرب جي مييون في بكين الآن)، كان تشن شنغ "رئيسًا" لهذا الفريق. عندما وصلوا بلدة داتسهشيانغ (جنوب غرب مدينة سوتشون بمقاطعة آنهوي اليوم)، كان الطريق غير قابل للعبور بسبب الأمطار الغزيرة. بعد توقّف المطر، وجدوا أنهم لن يتمكنوا من الوصول إلى مدينة يويانغ في الوقت المحدد. وفقًا لأحكام قانون أسرة تشين، طالما أن شخصًا لا يمكنه الوصول إلى المكان المرسل إليه في الوقت المحدد، سيتم قطع رأسه.

في المرحلة الحرجة من الحياة والموت، قرر تشن شنغ الثورة. وناقش مع رئيس الفريق الآخر وو قوانغ: "إذا هربنا اليوم، سنموت، إذا ثرنا فسنموت أيضًا. كل خيار يواجهه الموت، فما رأيك أن نثور في سبيل الوطن؟" سنموت على أي حال، من الأفضل أن نحارب بقوة ونثور بدلًا من انتظار الموت.

اتفق وو قوانغ مع رأي تشن شنغ، وبدأا التخطيط للثورة. انقسمت خطتهما إلى ثلاث خطوات. الخطوة الأولى هي صنع إله وإنشاء صورة إلهية لتشن شنغ. لقد استخدما الزنجفر لكتابة عبارة "سيملك تشن شنغ" على قطعة من الحرير وحشاها في بطن السمك الذي اصطاده الصيادون. عندما اشترى الحراس الآخرون هذه السمكة وجدوا قطعة الحرير هذه في بطن السمكة، أُصيبوا بالدهشة. في الوقت نفسه، طلب تشن شنغ من وو قوانغ بالكمن في معبد باهٍ قرب المخيم، وإشعال النار في منتصف الليل، وهتف مقلدًا صوت الثعلب "ستنهض إمبراطورية تُشو وسيملك تشن شنغ!" وقد استيقظ الآخرون فزعين. في اليوم التالي، همس الحراس مع الإشارة إلى تشن شنغ، فكلما رأوه، شعروا بأنه ليس عاديًا.

والخطوة الثانية هي خلق احتكاك وإيجاد فتيل للثورة. اغتنم وو قوانغ فرصة سكر الضابطَين المراقِبَين وهدّدهما عمدًا بالفرار وأغضبهما. وقع الاثنان في الفخ، وجلدا وو قوانغ بالسياط، "نهض وقتل أحدًا منهما"، ثم هبّ تشن شنغ على الفور لمساعدته على قتل الضابط الثاني. بعد ذلك، تصاعد النزاع واشتعل فتيل الثورة.

الخطوة الثالثة هي التعبئة قبل الحرب. بعد مقتل ضابطين مراقِبين، حشد تشن شنغ الجيش لإلقاء خطاب. قال إن صادفنا أمطارًا غزيرة هنا، ولن نتمكن من الوصول إلى مدينة يويانغ في الوقت المحدد، سنموت جميعا إذا فاتنا الموعد النهائي. حتى إذا نجينا، ستموت الأغلبية منا خلال حراسة المناطق

الحدودية. إذا لم يمت البطل، فسيتعين عليه أن يكتسب سمعة عظيمة ليموت! "هل هؤلاء الأمراء كلهم محظوظون فطريًا ليفوقوا علينا؟".

كان اجتماع التعبئة هذا ناجحًا جدًا، وكان الحراس غير راضين عن طغيان أسرة تشين منذ وقت طويل، وقد قالوا جميعًا في هذا الوقت: "حاضرون!" تحت قيادة تشن شنغ ووو قوانغ، عرّى الجميع الذراع اليمنى كرمز وبنوا مذبحًا للقَسم ثم تمّ إطلاق الثورة. ادعى تشن شنغ نفسه جنرالا ووو قوانغ وتولى منصب دووي، ثم هاجم بلدة داتسهشيانغ واحتلها، واستولى بسرعة على مدينة جيشيان (مدينة سوتشو بمقاطعة آنهوي الآن). الأمر الذي فتح ستار ثورة الفلاحين واسعة النطاق الأولى في التاريخ الصيني.

أثارت ثورة تشن شنغ ووو قوانغ سلسلة من ردود الفعل، حيث قام السكان المحليون في أماكن مختلفة بقتل البيروقراطيين من أسرة تشين واستجابوا للثورة. سرعان ما رفعت كل من تشاو وتشي ويان ووي وغيرها من الممالك راية استعادة الممالك الست وانضموا إلى صفوف مكافحة أسرة تشين ما دفعها إلى حافة الانهيار.

ملخّص وجهة النظر: إمبراطور تشين شي هوانغ الذي

"انتعل حذاءً جديدًا ليسير على طريق قديم"

قام تشين شي هوانغ بتوحيد الممالك الست وأنشأ النظام الإمبراطوري الذي يقوم رئيسيًا على تركيز السلطة في يد الإمبراطور ونظام المقاطعات، لا شك أن هذا الأمر له أهمية تاريخية في التاريخ الصيني.

انطلاقًا من الوضع خلال عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة، فإن التوحيد توافق مع الاتجاه العام. كان لدى الأمراء المهيمنين السبعة في عصر الممالك المتحاربة أصلًا طموح ضم ممالك أخرى وتوحيد البلاد. أظهر الجدال بين المدارس الفكرية المختلفة أن النخب الثقافية في ذلك الوقت اندمجت في قوة ثقافية موحدة. تبدو أفكارهم وصفات مختلفة لعلاج مشاكل العصر على السطح، وهي في الواقع التصميم الثقافي العالي المستوى لبناء الإمبراطورية من منظور المدى الطويل. فيما يتعلق بالشعب، يمكننا أن نقول أيضًا أنه بعد أكثر من 500 عام من الاتصالات المتكررة بين الممالك الإقطاعية أثناء عصري الربيع والخريف والممالك المتحاربة، تمّ تشكيل توافق ثقافي أساسي بينها. أصبح إنهاء الحرب وتحقيق التوحيد اتجاه العصر في منتصف وأواخر عصر الممالك المتحاربة. ما تتنافس من أجله ليس

أكثر من أي بلد لإنجاز هذه المهمة. في هذا الصدد، إن توحيد إمبراطورية تشين الممالك الست تماشى مع الاتجاه التاريخي العام.

كانت أعظم إنجازات تشين شي هوانغ التاريخية إنشاء نظام إمبراطوري، وتوسيع الحدود الجغرافية والثقافية للدولة الموحدة القوميات، وإنشاء التنظيم الاجتماعي لـ "اللغة والمسافة بين عجلتي العربات والتقاليد الموحدة في الإمبراطورية الصينية". المأساة الأكبر هي أنه أنشأ إمبراطورية على المستوى المؤسسي، إلا أنه لا يزال "ينتعل حذاءً جديدًا ويسير على طريق قديم" على مستوى الإدارة، وواصل إدارة إمبراطورية تشين الكبيرة بفكرة حكم إمبراطورية تشين. وبعبارة أخرى، حقّق تشين شي هوانغ إنجازات كبيرة في بناء نظام الإمبراطورية العظيمة، لكنه تأخّر في تحول وتطوير وسائل الحكم في البلاد.

كانت فكرة الإمبراطور تشين شي هوانغ لحكم إمبراطورية تشين مجرد امتداد لفكرة حكم إمبراطورية تشين في عصر الممالك المتحاربة. منذ إصلاح شانغ يانغ، اتبعت تشين دائمًا "نظام زمن الحرب"، وجميع الإجراءات كانت تهدف إلى الفتح العسكري. بعد توحيد تشين شي هوانغ الممالك الست، انتهت الحرب، وتحولت معه المهمة الرئيسية التي تواجه إمبراطورية تشين من "المحاربة العسكرية" إلى "الحكم السياسي"، أي كيفية إدارة هذه الإمبراطورية الكبيرة غير المسبوق بفعالية.

ومع ذلك، لا يزال تشين شي هوانغ يستخدم سلسلة من الأساليب الظالمة تحت "نظام زمان الحرب" لحكم الإمبراطورية العظيمة. حارب قبائل شيونغنو في الشمال وهاجم قبائل باييوه في الجنوب، حيث قاتل في الجبهتين بالتوازي، توسعت أراضي الإمبراطورية بسرعة بسبب حرب الفتوحات، لكن الثمن المدفوع كان باهظًا أيضًا. على الجبهة الشمالية، هناك 300 ألف جندي للهجوم على قبائل شيونغنو على رأسه الجنرال منغ تيان، وعلى الجبهة الجنوبية هناك 500 ألف جندي على الأقل للهجوم على قبائل باييوه. إن إطلاق هاتين الحربين الواسعتين يدلّ بوضوح على أن تشين شي هوانغ واصل تطبيق نظام زمان الحرب بعد توحيد الممالك الست. في الشمال، طلب تشي شي هوانغ من الجنرال منغ تيان أن يرأس بناء سور الصين العظيم وبنى "تشين تشي داو" (يعني الطريق المستقيم في إمبراطورية تشين). "تشين تشي داو" هو شريان مروري من الشمال إلى الجنوب لإمبراطورية تشين، بدأ من قصر يونيانغ، مصيف تشي شي هوانغ، ثم دخل إلى صحراء أردوس شمالًا، ثم عبر الركن الشمالي من النهر الأصفر، وصل أخيرًا إلى منطقة جيويوان (منطقة وويوان غرب مدينة باوتو بمنغوليا الداخلية اليوم). بلغ طوله الإجمالي حوالي

800 كيلومتر (يعادل 1800 تشين لي). ليس من السهل بناء مثل هذا المشروع الكبير حسب مستوى الإنتاجية في ذلك الوقت، لذلك لم يتم الانتهاء من بناء "تشين تشي داو" عندما توفي تشين شي هوانغ. أما في الجنوب، فبنى تشين شي هوانغ قناة لينغتشيوي.

فيما يتعلق بالعلاقة بين حرب الفتوحات التي قام بها الإمبراطور تشين شي هوانغ وتشييد مشاريع كبرى كثيرة، قال المؤرخ الياباني كازويوكي كاساما في كتاب "تراث الإمبراطور تشين شي هوانغ: إمبراطوريتا تشين وهان": "إن المشاريع مثل سور الصين العظيم، وتشين تشي داو، وقصر أه فانغ، والمقبرة على جبل ليشان، وقصر يونيانغ، وقناة لينغتشيوي، كلها تعتبر المشاريع المعمارية اللازمة لتنفيذ نظام زمان الحرب في وضع الدولة الجديد. لذلك، لا يمكن القول إن "تشين بنت سور الصين العظيم في سبيل التوحيد"، ولكن ينبغي القول إنه "بعد توحيد تشين البلاد، بنى سور الصين العظيم خلال حرب الفتوحات". أعتقد أن رأيه هذا يستحق الاهتمام به. إن المشاريع المعمارية الكبرى التي أنشأها تشين شي هوانغ هي في الواقع جزء من نظام زمان الحرب، يخدم الحرب مباشرة، أو لإخافة الشعب، من أجل الحفاظ على استقرار الإمبراطورية.

ولدت الإمبراطورية تشين من إمبراطورية تشين خلال عصر الممالك المتحاربة، ووحّدت الممالك الستة اعتمادًا على القوة العسكرية القوية لإمبراطورية تشين. ومع ذلك، "يمكنه كسب البلاد على ظهر الخيول، ولا يمكنه حكمها على ظهرها". لم يعد بالإمكان حكم البلاد التي فاز بها بالقوة. لحكم الإمبراطورية العظيمة، يجب تغيير الفكرة حسب تغيّر الوضع، والتخلي عن "استخدام القوة"، واتّباع "الحكم السياسي"، واستبدال "نظام زمان الحرب" بـ "نظام زمان السلام". لقد ارتكب تشين شي هوانغ خطأً كبيرًا في هذه القضية، وفي وقت لاحق، أخذ الإمبراطور قاو زو في أسرة هان الملكية ليو بانغ دروسا من سقوط أسرة تشين، وبعد فوزه بالبلاد، اتبع "فكرة التاوية" لحكم البلاد، حتى يتمكن الشعب من الانتعاش. نتيجة لذلك ظهر "حكم الإمبراطورين ون وجينغ" في عهد أسرة هان الغربية. لقد أثبتت الحقائق أن الانتقال من نظام زمان الحرب إلى نظام زمان السلام بموجب تغيّر الوضع مسألة هامة بالنسبة لكل أسرة.

كيف ترث أسرة هان الغربية

"تراث الإمبراطور تشين شي هوانغ"

لم تدم إمبراطورية تشين العظيمة سوى جيلَين"، لتحل محلها أسرة هان الغربية التي أسسها الإمبراطور قاو زو الذي يدعى ليو بانغ. منذ عهد أسرة هان الغربية، دخلت الإمبراطورية الصينية فترة مزدهرة على مدى طويل. كما أن حكم أسرة هان قد جعل القوميتين الصينية والهان متساويتين تقريبًا، وتم استخدام "أهل الهان" و"لغة الهان" حتى الآن. يمكن ملاحظة التأثير البعيد المدى لأسرة هان الإمبراطورة على التاريخ الصيني من هنا.

كان ليو بانغ أصغر من تشين شي هوانغ بثلاث سنوات فقط، وكلاهما ولد في أواخر عصر الممالك المتحاربة. عندما حكم تشين شي هوانغ البلاد، كان ليو بانغ مجرد مسؤول صغير في مدينة بيشيان بمقاطعة جيانغسو، وكان ينتمي إلى طبقة المجتمع السفلى. ثار بمناسبة الفوضى في أواخر عهد أسرة تشين وانضم إلى فريق مكافحة تشين.

تعهّد رئيس التحالف لفرق مكافحة تشين، الأمير هواي لإمبراطورية تُشو مع الجنرالات: "من يدخل مدينة شيان يانغ أولًا، يملك". وهذا يعني من الذي احتل أولًا عاصمة أسرة تشين، مدينة شيان يانغ، هو من سيكون الإمبراطور الجديد. في ذلك الوقت، كان المناهضون ضد أسرة تشين يعزمون على إعادة تطبيق نظام الإقطاع بعد الإطاحة بالأسرة، وإعادة إنشاء الممالك الست، ومكافأة أراضي أسرة تشين وسكانها على الجنرالات الذين استولوا على مدينة شيان يانغ.

قاد ليو بانغ الجيش لمهاجمة تشين متوجّهًا للغرب، وقاد الجنرال شيانغ يو الجيش لإنقاذ إمبراطورية تشاو متوجّهًا للشمال، حيث هاجم الجيشان جيش تشين من اتجاهات مختلفة. في الأخير، دخل ليو بانغ مدينة شيان يانغ أولًا في عام 206 قبل الميلاد، واستسلم الإمبراطور تسي ييِنغ آخر الأباطرة في أسرة تشين، الأمر الذي أعلن انتهاء أسرة تشين. وفقًا للمعاهدة، يجب أن يكون ليو بانغ إمبراطورًا جديدًا لأسرة تشين. لكن شيانغ يو خرق المعاهدة التي تمّ اعتمادها مع الأمير هواي لإمبراطورية تُشو بقوته العسكرية، وأعاد إقطاع الأمراء، وأقطع أراضي شو إلى ليو بانغ وسماه "الأمير هان"، وسمّى نفسه "الأمير المهيمن في إمبراطورية تُشو الغربية".

سرعان ما هاجم ليو بانغ قوات شيانغ يو، وبدأت "الحروب بين تُشو وهان" التي استمرت لمدة أربع سنوات. في الأيام الأولى من الحرب، لم يحرز ليو بانغ ميزة في القوة العسكرية، لكنه أحسن في استغلال الأكفاء والموهوبين، مثل شياو خه وتشانغ ليانغ وهان شين وتشن بينغ إلخ. تحت دعم هؤلاء الأشخاص، بدا من الواضح أن الميزان يميل لمصلحة ليو بانغ تدريجيًا. في نهاية المطاف، شن الجيشان معركة حاسمة في منطقة هايشيا على ضفة نهر هوايخه (الآن في مدينة لينغبي بمقاطعة آنهوي)، وهزم شيانغ يو ثم هرب إلى ضفة نهر وجيانغ وانتحر، وانتهت "الحروب بين تشو وهان" بفوز ليو بانغ.

في عام 202 قبل الميلاد، اعتلى ليو بانغ العرش وأعلن نفسه إمبراطورًا، وسمّى أسرته "الهان"، واتخذ مدينة تشانغان كالعاصمة تلبية لاقتراح تشانغ ليانغ، ولدت أسرة هان الغربية.

كان ليو بانغ من الطبقة الدنيا، وكذلك معظم الناس الذين تبعوه، لذلك كانت أسرة هان الغربية في أول إنشائها نظامًا مدنيًا تامًا. لم يكن الحاكم والوزراء الذين ولدوا في الطبقة الاجتماعية الدنيا قادرين على إعادة بناء نظام سياسي في ذلك الوقت، فورث "نظام أسرة تشين" بشكل عام. لكن أسرة هان أخذت دروسا من زوال تشين، "يمكن لشخص ما كسب البلاد على ظهر الخيول، لكن لا يمكنه حكم البلاد على ظهرها"، علمًا أن إمبراطورية كبيرة لا يمكن أن تتبنّى دائمًا نظام زمان الحرب، ولا ينبغي أن تستخدم القانون الصارم والعواقب الشديدة التي تدعو إليها المدرسة الشرائعية في حكم البلاد. لذلك، في أوائل عهد أسرة هان الغربية، تم استخدام التاوية كمفهوم لحكم البلاد، حيث تدعو إلى "عدم التدخل في مسار الأشياء". وقد استخدم هذا المفهوم في فترة الإمبراطورين ون وجينغ، مما خلق وضعًا مزدهرًا من "حكم ون جينغ".

فيما يتعلق بتوزيع السلطة، في المرحلة الأولى من عهد أسرة هان، كان ليو بانغ إمبراطورًا وأصبح الأبطال أمراء، حيث تم إقطاعهم إلى سبعة أمراء من عائلات مختلفة عنه (كان هان شين أمير تُشو، وبنغ يوي أمير ليانغ، وهان وانغ شين هو أمير هان، ووو روي كان أمير تشانغشا، ييننغ بو هو أمير هواينان، وتسانغ تو هو أمير يان، وتشانغ أه هو أمير تشاو.) عندما أطيح بأسرة تشين، ادعى الجنرال شيانغ يو نفسه الأمير المهيمن لإمبراطورية تُشو، حاول تغيير النظام الإمبراطوري لعهد أسرة تشين إلى النظام الإقطاعي في عصر الممالك المتحاربة، وأقطع ثمانية عشر أميرًا بما فيهم ليو بانغ. وعندما توّج ليو بانغ نفسه إمبراطورًا، ولا يزال يقطع أمراء، ويمكن ملاحظة أنه تبنى نظامًا مختلطًا يجمع بين النموذج الإمبراطوري الذي أنشأه الإمبراطور تشين شي هوانغ وبعض ممارسات شيانغ يو.

لكن هذا النوع من النظام المختلط لم يدم طويلا. انفصل ليو بانغ وأبطاله بسرعة عن بعضهم البعض واشتكوا من بعضهم البعض. بعد ذلك، قام بقتل الأمراء الذي انتموا إلى عائلات مختلفة عن عائلة ليو بانغ بتهمة التمرد والاغتيال والخيانة (باستثناء أمير تشانغشا وو روي). ثم عيّن ليو بانغ الأشخاص من عائلة ليو أمراء والأبطال من نفس عائلته نبلاء، وأمر بأنه "لا يجوز أن يتولى الإمارة إلا الذين من عائلة ليو، ولا يجوز أن يكون نبيلا إلا صاحب الخدمات الجليلة".

يمكن اعتبار تبديل ليو بانغ الأمراء من عائلات مختلفة عنه بالأمراء من نفس عائلته رد فعل غريزي في توزيع السلطة في عهد أسرة هان، وتأثيرها غير كبير. إذا لا يمكن أن يثق بالأمراء من عائلات مختلفة عنه، هل يمكنه الاعتماد على الأمراء من نفس عائلته؟ الجواب لا أيضًا. أمام إغراء القوة العظمى، يصعب تقارب الأقرباء، ومن المحتوم أن يحاربوا بعضهم البعض. منذ عهد حكم الإمبراطور ون لأسرة هان الغربية، طبّقت الحكومة المركزية خطة "إضعاف الأمراء" تدريجيًا.

يتم تنفيذ إجراءات إضعاف الأمراء بشكل عام من خلال الخطوات التالية: تقسيم أراضي الأمراء المقطّعة إلى عدد من القطيعات الصغيرة ليسيطر عليها الأشخاص الأقرباء من عائلة ليو كأمير القطيعة الصغيرة؛ وإذا تمرّد الأمير الكبير، فإن الحكومة المركزية تتولى أراضيه بعد قمعه، ثم تحويلها إلى مقاطعة تابعة للإمبراطورية؛ وإذا ليس عند أمير ما أولاد لوراثة منصبه بعد وفاته، تُلغى هذه الإمبراطورية التابعة عندئذ، وتُعاد الأراضي إلى الحكومة المركزية.

خلال حكم الإمبراطور ون، استولت الحكومة المركزية على جزء من أراضي إمبراطورية ليانغ وحوّلتها إلى مقاطعة دونغجيون، وتم تقسيم والاستيلاء على بعض مقاطعات ممالك تشاو وتشي وداي، وإضافة أربع ممالك: خهجيان وتشينغيانغ وجيبى وتايوان. تم تقسيم إمبراطورية هواييانغ مباشرة إلى مقاطعات هواييانغ ويينغتشوان ورونان الثلاث، ووقعت أراضيها مباشرة في جيب الحكومة المركزية.

أثناء حكم الإمبراطور جينغ، واصل تبنِّي الخطوات لتضييق أراضي الممالك التابعة، وأكبر خطوة منها هي حملة قمع "تمرّد الممالك السبع" بقوة. في عام 154 قبل الميلاد، تمرّد أمير إمبراطورية وو الذي يدعى ليو بي بالتحالف مع إمبراطورتي تُشو وتشاو. وسرعان ما قمع التمرد الجنرال المعروف تَشو يافو في أسرة هان الغربية، وهُزم ليو بي وقُتل. اغتناما لهذه الفرصة، قام الإمبراطور جينغ بإلغاء الممالك السبع بالكامل، وكانت جميع أراضيها المقطّعة تحت سلطة الحكومة المركزية.

إن قمع فتنة الممالك السبع يعني أن الحكومة المركزية التي يمثّلها الإمبراطور قد حققت النصر في الصراع بين السلطة المركزية وسلطة الأمراء الإقطاعيين، وقد تم إضعاف قوة الأمراء مرة أخرى. ومع ذلك، أنتجت هذه الفتنة صدمة كبيرة على الإمبراطورية أيضًا، ما دفع الحاكم الأعلى للإمبراطورية إلى إيجاد حل أكثر شمولًا وفعالية. في فترة حكم الإمبراطور وو لأسرة هان، تم تنفيذ سياسة "تقسيم مجد الأمراء إلى أولادهم وأحفادهم"، وأمر الأمراء بتقسيم مقاطعاتهم لجميع أبنائهم، والسماح لجميع أولاد الامراء وراثة مقاطعات آبائهم. ونتيجة لذلك، تم تعيين أولاد الأمراء نبلاء، وتم تقسيم الممالك إلى عدة بلدات. بعد مرور عدة أجيال، لم يكن هناك سوى عدد قليل من البلدات تحت سيطرة الأمراء، فلم يعودوا قادرين على المنافسة مع الحكومة المركزية. اعتبارًا من هنا، تم تحقيق التوازن بين سلطة هان المركزية وسلطة الأمراء الإقطاعيين، وتمت ترجمة تركيز السلطة بيد الإمبراطور إلى أرض الواقع.

من أسرة تشين إلى أسرة هان، كانت مرحلة إنشاء النظام الإمبراطوري في تاريخ الصين. أنشأ الإمبراطور تشين شي هوانغ إمبراطورية عظمى موحّدة، ورثت أسرة هان "إرث تشين شي هوانغ" على المستوى المؤسسي، لكن عدة أجيال من الأباطرة والوزراء من أسرة هان ساهموا في تحسين أيديولوجية وفكرة الحكم وهيكل توزيع السلطة للنظام الإمبراطوري تدريجيًا من خلال الإصلاحات المتكررة. يمكن القول إنه بفضل هذه الإصلاحات بالتحديد، تركت أسرة هان "برمجة إمبراطورية" لسلطة الإمبراطور المركزية

إلى الصين. قبل عهد أسرة هان، لم يكن للنظام الإمبراطوري سمعة جيدة، وبعد عهد أسرة هان، تم قبول النظام الإمبراطوري كنموذج للحكم الوطني التقليدي، والذي استمر في الصين حتى نهاية عهد أسرة تشينغ الملكية.

القراءة الموسّعة: حكم الإمبراطورين ون وجينغ

تُعدُّ فترة حكم الإمبراطورين ون وجينغ من الأوقات المزدهرة الشهيرة في التاريخ الصيني، وجاء في "رسائل بينغهوايشو من السجلات التاريخية" ملخّص كلاسيكي عنها: استمرت أسرة هان في بناء الدولة لأكثر من 70 عامًا، واستقرت البلاد بشكل عام، طالما لا تحدث كوارث الفيضان والجفاف، يمكن للشعب أن يعيش حياة رغيدة، وتراكمت العملات المعدنية في خزانة البلاد، ومن الصعب حسابها حتى تتآكل الحبال التي تربطها، والحبوب الموضوعة في المستودع الوطني تشبه فرقة عسكرية، أحيانًا بعضها مكشوف في الخارج، وحتى تفسد وتصبح غير قابلة للأكل. الناس في الشوارع العادية لديهم أيضًا خيول في الحقول، وحتى الأشخاص الذين يركبون الخيول سيكونون عرضة للسخرة، ومحرجين لحضور الحفلة. يمكن للأشخاص العاديين الذين يسكنون في الأزقة أن يأكلوا أيضًا لحمًا سمينًا، واشتغل الموظفون الحكوميون في مناصبهم دون تغيير حتى الموت، واتخذ المسؤولون أسماء مناصبهم كاللقب. في مثل هذا البلاد المزدهرة، يعرف الجميع حب الذات ويدافع عن الأخلاقية، ولا يرتكب الجرائم إلا قليلًا.

الوضع المزدهر لحكم الإمبراطورين ون وجينغ ظهوره بالطبع لا ينفصل عن حكمهما الرشيد. اشتهر الإمبراطور ون لأسرة هان ليو هنغ هو بالتزامه بمعيشة بسيطة. كانت حياته بسيطة للغاية، حيث نادرًا ما يظهر بالملابس الجديدة، وكان يطلب من محظيته المدلعة التي تدعى شن فورن أن "لا يطول فستانها كثيرًا، ولا تضع المطرزات على الستائر". لقد أراد بناء شرفة، لكن بمجرد معرفته بأنها تكلّف ثروة عشر أسر من الطبقة المتوسطة، ألغى خطة البناء. بنى مقبرة با لينغ لنفسه، وأمر "ممنوع تزيينها بالذهب والفضة والنحاس والقصدير"، وبدلا من ذلك بُنيت كلها بالفخار على الجبل، حتى لا يقلّل الموارد البشرية.

اهتمّ الإمبراطور ون من أسرة هان الملكية بالزراعة وأمر مرارًا وتكرارًا بتشجيع الزراعة، حيث تم "تخفيض نصف ضريبة إيجار الأراضي مرتين من 1 في 15، إلى 1 في 30 من إجمالي المحصول". في السنة الثالثة عشرة لحكم الإمبراطور ون من أسرة هان، أمر بإلغاء ضريبة إيجار الأراضي. إن هذه

السياسات المتمثلة في تقليل عمالة السخرة والضرائب أفادت بشكل كبير انتعاش وتطوّر البلاد وراحة الشعب بلا ريب.

خلال عهد الإمبراطور ون من أسرة هان، قام ببعض الأمور الرائعة. أولًا، كان الإمبراطور ون مثاليًا في الالتزام بالقانون، ولم يخرق القانون بالإرادة الشخصية. في يوم من الأيام، سافر ومر على جسر، خرج رجل من تحته، وأصيب الحصان الذي يجرّ عربة الإمبراطور بصدمة وركض، وأصيب الإمبراطور ون ذاته بصدمة أيضًا. غضب جدًا وطلب من الوزير تشانغ شيتشي إعدام هذا الرجل. لكن تشانغ شيتشي حكم على هذا الرجل بغرامة من أربعة ليانغ من الفضة فقط. وأوضح للإمبراطور ون أن هذه العقوبة ينص عليها القانون، فقد تمّت صياغة القانون بشكل مشترك بين الإمبراطور وشعوب البلاد، وإذا غيّرنا القانون بسهولة، فسيفقد الشعب ثقتهم بالقانون. لذلك، لا يمكن إعدام هذا الرجل، وبل حُكم عليه بدفع الغرامة وفقًا للقانون. بعد الاستماع إلى كلامه، قال الإمبراطور ون: "صدقت"، ووافق على حكم الوزير.

ثانيًا، أعاد الإمبراطور وي صيانة القانون وألغى "العقوبة الجماعية"، أي أن جريمة الشخص لم تعد مرتبطة بعائلته، وبالإضافة إلى ذلك، أمر بإلغاء أربعة أنواع من العقوبات الشديدة التي ستشوّه أعضاء جسم الإنسان، ألا وهي عقوبة تشينغ (الوشم على الجبهة)، عقوبة يي (قطع الأنف)، عقوبة يوي أو بين (قطع القدم)، عقوبة قونغ (تشويه الأعضاء التناسلية).

ثالثًا، ألغى الإمبراطور ون أيضًا جريمة الوشاية عام 178 قبل الميلاد لتشجيع النصيحة. وقال إن الحكماء القدامى رحّبوا بالنصيحة حين حكم البلاد، لكن القانون الحالي لا يزال يشتمل على جريمة الوشاية، الأمر الذي سيجعل الوزراء لا يجرؤون على التعبير عن آرائهم، مما لا يمكن للإمبراطور إدراك ذنبه. إذا ظللنا نحافظ على هذا القانون، كيف يمكن جذب الحكماء من بعيد؟ بعض الناس لعن الإمبراطور، وكانوا أنفسهم يشتمون بعضهم البعض، فاعتقد البيروقراطيون أنهم أشرار مخالفون القانون بشكل خطير. في الحقيقة إنه مجرّد جهل المدنيين، إذا تم إعدامهم بسبب تافه، أعتقد ذلك غير صحيح. من الآن فصاعدًا، لا نعاقب هؤلاء الأشخاص. إن سياسته هذه عكست حقًا حكمته باعتباره إمبراطورًا رشيدًا.

بالإضافة إلى ذلك، ألغى إمبراطور ون أيضًا "جريمة صنع النقود السري"، وهذا يعني أن الناس الذين صنعوا النقود سرًّا لن يعاقبوا؛ وفتح الغابات الجبلية والأنهار التي كانت مملوكة للدولة على الشعب، وسمح للشعب بقطع الأشجار أو التعدين فيها إذا أرادوا. باختصار، يمكن للحكومة أن

تتجاهل كل ما يتطلبه الأمر، وأن تنفّذ بالكامل "عدم التدخّل في مسار الاشياء"، وتطبيق "الإدارة المبسّطة واللامركزية".

لم تكن تغييرات الإمبراطور جينغ سامي الأخلاقية بقدر الإمبراطور ون، ولكن خلال فترة حكمه، استمر في متابعة فكرة الحكم "عدم التدخّل في مسار الأشياء" و"إضعاف قوة الأمراء" بقوة. بعد تسوية "تمرّد الممالك السبع"، تراجع عدد المقاطعات التي تسيطر عليها الممالك المقطّعة من 42 مقاطعة في عهد الإمبراطور قاو زو إلى 26 مقاطعة، بينما زادت المقاطعات التابعة للحكومة المركزية من 15 مقاطعة في عهد الإمبراطور قاو زو إلى 44 مقاطعة. عدد المقاطعات تحت سيطرة الحكومة المركزية يتجاوز بكثير عدد المقاطعات تحت سيطرة الممالك المقطّعة، وهو أمر له أهمية كبيرة لتوطيد سلطة الإمبراطور. كما استعاد الإمبراطور جينغ حقوق تعيين المسؤولين وجمع الضرائب للمعادن مثل الملح والحديد والنحاس من الأمراء الإقطاعيين. نتيجة لذلك، ضعفت قوة الممالك الإقطاعية وتعززت قوة الحكومة المركزية لأسرة هان إلى حد كبير.

تعتبر فترة حكم الإمبراطورين ون وجينغ أول فترة السلام والازدهار في تاريخ الإمبراطورية الصينية، فكرة "عدم التدخل في مسار الأشياء" في أوائل عهد أسرة هان لا تعني عدم فعل أي شيء، ولكن يفعل كل شيء حسب طاقته وباتجاه تطور الوضع، حتى لا يتصرف بطريقة عشوائية ترهق الشعب. إنها فكرة "حكومة صغيرة ومجتمع كبير" نادرة في عصر الإمبراطورية.

ملخّص وجهة النظر: بناء شرعية النظام في اسرة هان الملكية

في أسر شيا وشانغ وتشو، استندت مسألة شرعية النظام إلى نظرية "أصل سلطة الإمبراطور هو من السماء"، بالتحديد من خلال العرافة، وأشهر قصة هي أن "الإمبراطور تشنغ من أسرة تَشو كهن في العاصمة الشرقية، وعرف أن السماء حددت مدة أسرته لتدوم 30 جيلًا لمدة 700 سنة". تعلّمنا هذه القصة أن الإمبراطور تشنغ عرف أنه قد لا يملك نسله مثله، ولن تستمر أسرتهم الخاصة إلى الأبد، فاستخدم طريقة عرافة لإعطاء نظامه فترة: 30 جيلًا لمدة 700 عام.

وبعد توحيد تشين شي هوانغ الممالك الست، شعر بأن إنجازاته تجاوزت "الملوك الثلاثة والأباطرة الخمسة" في التاريخ وادعى أنه "الإمبراطور الأول". ما أكثر من ذلك، إنه غير راضٍ أيضًا عن الحكم ذات المدة الزمنية المحدودة، ولكن عليه أن يحكم إلى أجلٍ لا حدود له. وفقًا لتصوّره، طالما يمكنه توحيد البلاد بالقوة، يقدر على الحفاظ على نظامه الخاص بالقوة

أيضًا حتى "يستمر إلى الأزل". تتوافق طريقة التفكير البسيطة والخشنة مع فلسفة المدرسة الشرائعية التي اتبعتها أسرة تشين دائمًا. بالإضافة إلى ذلك، جعلته الشخصية القاسية والمتغطرسة لتشين شي هوانغ يتخذ القوة كأساس لشرعية النظام.

شهد ليو بانغ العملية الكاملة لأسرة تشين من الوحدة إلى الانهيار، وشارك في الحركة المناهضة لها، وكان لديه فهم عميق للعيوب المختلفة لحكمها. بعد أن أسس ليو بانغ أسرة هان من الدروس المستفادة من زوال أسرة تشين، بما في ذلك بناء شرعية النظام. من خلال جانبين، أحدهما صنع الأكاذيب والآخر هو تنفيذ "الحكم السياسي".

أولًا، لنعرف كيف نسج ليو بانغ شبكة الأكاذيب. جاء في "سير الإمبراطور قاو زو من السجلات التاريخية": "وُلد ليو بانغ في بلدة تشونغ يانغلي من مدينة بيشيان بمقاطعة جيانغسو. أبوه ليو تايقونغ (الجد ليو) وأمه ليو آو (الجدة ليو). حلمت ليو آو بإله عندما نامت في البرية بأن السماء أبرقت ورعد السحاب في ذلك الوقت. عندما ذهب ليو تايقونغ إليها، رأى تنينًا على جسدها، ثم حملت ليو آو وأنجبت ليو بانغ". إن النصف الأول من هذا التسجيل واقعي: يمكن ملاحظة أن ليو بانغ من طبقة منخفضة - ليس عند أبيه وأمه أي اسم رسمي جاد. فكيف يمكن لطفل من طبقة دنيا أن يصبح إمبراطورًا؟ يقدّم النصف الثاني سببًا، وهذا البيان يعادل إخبارنا دون لبس بأن ليو بانغ ليس بشريًا، بل هو ابن التنين. نظرًا لأنه من فصائل التنين، فليس من الغريب أن يكون إمبراطورًا فيما بعد. إذا سُئل أين هي شرعية نظام أسرة هان؟ هذه واحدة من أجوبتها: ليو بانغ هو ابن التنين، ومن القضاء أن يكون إمبراطورًا، لا أحد قادر على مقاومة قضاء السماء، ولذلك فإن نظام أسرة هان لا يتزعزع.

من أجل إثبات أن ليو بانغ هو ابن التنين، سجّلت الكتب التاريخية بعض الأمور العجيبة التي حدثت له. على سبيل المثال، قيل إن ليو بانغ "له أنف عال، ووجه التنين، ولحية جميلة، وهناك اثنتان وسبعون شامة على ساقه اليسرى"، من السهل فهم هذه الكذبة، نظرًا لأنه من فصائل التنين، يجب أن يشبه مظهره التنين؛ وقيل إنه "اشترى النبيذ من وانغ آو ووو فو دينا دائمًا، عندما سكر واستلقى، رأت وانغ آو تنينًا يظهر على جسده، فاستغربت"، هذا يعني أنه عندما يكون في حالة سكر، يظهر التنين شكله الأصلي. قيل إنه صادف ثعبانًا أبيضَ يعرقل طريقه، فسحب السيف وقتله. في الآخر، قالت عجوز إن الثعبان الذي قتله ليو بانغ هو ابن الإمبراطور الأبيض، "قُتل اليوم بالإمبراطور الأحمر". هذا يعادل إخبار الناس بشكل لا لبس فيه أن ليو بانغ هو الإمبراطور الأحمر، وتنين حقيقي ينزل من السماء إلى الدنيا. ثار ليو بانغ بعد

قتل الثعبان، هربًا من مطاردة حكومة أسرة تشين، "اختبأ بين الصخور والمستنقعات في جبل مانغدانغشان"، ولم تستطع الحكومة العثور عليه، لكن زوجته ليوي تشي تمكنت من العثور عليه. السبب هو أن "هناك سحابة فوق مسكن ليو بانغ دائمًا، فأذهب حسب موضع السحابة لأجده".

لا تقلّل من شأن أساطير ليو بانغ مثل ابن التنين، ومظهر التنين، واثنتين وسبعين شامة، وسحابة وغيرها، نظرًا لأنها مسجلة كسجل رسمي، فهذا يكفي لإظهار أن ليو بانغ يعتزم نشر هذه الأكاذيب من خلال السلطة. تكرّرت هذه الأكاذيب مرارًا وتكرارًا، وأصبحت في النهاية "السرد السائد" و"النظرة التاريخية السائدة". كما يقول المثل: "الكذبة تتكرّر ألف مرة وتصبح الحقيقة". رأينا في ليو بانغ أن الكذبة ظلت كذبة على الرغم من أنها تكررت ألف مرة، لكنها ساعدته على إكمال بناء شرعية النظام. بمعنى آخر، الكذبة غير حقيقية، لكن دورها في التاريخ حقيقي.

بالإضافة إلى نسج الأكاذيب، يجب أن تكون هناك نظرية "الحكم السياسي" لإيجاد أساس لشرعية النظام. من قدّم نظرية "الحكم السياسي" لنظام أسرة هان الغربية هو لو جيا. تبع لو جيا في الماضي ليو بانغ لتوحيد البلاد، ولديه بلاغة ممتازة وأقنع بنجاح أمير إمبراطورية يوي الجنوبية بالخضوع لأسرة هان. كان لو جيا طالبًا كونفوشيوسيًا، وغالبًا ما كان يستشهد بالأشعار أمام ليو بانغ الذي استخفّ بطلاب الكونفوشيوسية دائمًا، فقال: "أفوز بالبلاد على ظهر الخيول، وليس على حفظ الكتب أو الأشعار!".

أجاب لو جيا: "يمكنك الفوز بالبلاد على ظهر الخيول. هل يمكنك حكم البلاد على ظهر الخيول أيضًا؟".

بعد الاستجواب، حذر لو جيا ليو بانج مع الاستناد على الأمثلة الإيجابية والسلبية في التاريخ، وقال له إن القوة العسكرية لأسرة تشين كانت قوية للغاية، لكنها دعت إلى استخدام القوة على نحو أعم واعتمدت في القانون الصارم على العقاب الشديد لحكم البلاد، فسقطت بسرعة. إذا كانت أسرة تشين تحكم بالرحمة بعد التوحيد، فهل ما زال بإمكان ليو بانغ الحصول على البلاد؟

اقتنع ليو بانغ بكلام لو جيا، وطلب منه أن يألف كتابًا مخصصًا لـ "أسباب خسارة تشين البلاد وفوز هان بها". كتب لو جيا اثنتي عشرة مقالة متتالية، و"كلما قدمها إلى الإمبراطور قاو زو، أثنى عليها". تم دمج المقالات التي كتبها لو جيا في كتاب، وسمّاه بـ *"شين يوي"*.

يمكن اعتبار *"شين يوي"* عملًا نظريًا مهمًا لفكرة "الحكم السياسي"، ويمكن أيضًا أن يقال إنه البرنامج الحاكم لأسرة هان المبكرة. وفقًا لما كتبه لو جيا، فإن السبب في هلاك أسرة تشين يعود إلى غطرسة حكامها المترَفين، علاوة على قسوة أساليب الحكم. شدّد كتاب "شين يوي" على أن الإمبراطورية يجب أن تطبّق الحكم الرحيم، وأنه يجب على الإمبراطور بذل قصارى جهده لمحاكاة الأباطرة الحكماء القدامى، والاستعداد للاستماع إلى انتقادات الوزراء والعناية برفاهية الأشخاص. يجب ألا تعتمد الحكومة الإمبراطورية على القانون الصارم والعقاب الشديد بشكل مفرط، ولكن يجب أن تولي الاهتمام لقيمه الأخلاقية، وأن تعتبر "الحكم السياسي" أهم وسيلة للحفاظ على سلام البلاد ورفاهية الشعب.

لم تكن قضية شرعية النظام مشكلة حرفية مبنية على الاستنتاج المنطقي، ولكنها مسألة كيف يمكن للنظام أن يحقق الحكم الرشيد للحفاظ على سلام البلاد ورفاهية الشعب. لا تعتمد شرعية النظام على طريق الحصول على السلطة السياسية وفي العديد من الحالات، بل على نتائج الحكم أكثر، حيث إنه يمكن للناس الذين أقاموا في البلاد أن يعيشوا حياة رغيدة وآمنة، فهم سيوافقون على هذا النظام الذي سيحصل على الشرعية، على العكس إن لم يستطع النظام كسب موافقة الشعب، فسيفقد شرعيته. هذا هو المنطق العملي لشرعية النظام على صعيد الحكم، إنه منطق بسيط ولكنه أهم شيء.

لقد ورثت أسرة هان النظام الإمبراطوري من أسرة تشين، لكن من الواضح أنها تفوّقت عليها في بناء شرعية النظام، حيث حكمت أسرة تشين البلاد بالقوة، لكن تحوّلت أسرة هان بسرعة إلى الحكم السياسي بعد تأسيس البلاد بقوة. نتيجة لذلك، نجحت أسرة هان في تجنب مأساة أسرة تشين واستقرت وقامت بتوطيد وتحسين النظام الإمبراطوري خطوة بخطوة.

عهد الإمبراطور وو لأسرة هان

بعد حكم الإمبراطورين ون وجينغ، دخلت أسرة هان الغربية عهد الإمبراطور وو الذي حكم أسرة هان الغربية لمدة 54 سنة (من 141 قبل الميلاد إلى 87 قبل الميلاد).

في عام 127 ق.م، أصدر الإمبراطور وو من أسرة هان سياسة "تقسيم مجد الأمراء إلى أولادهم وأحفادهم"، التي أجبرت الأمراء على تقسيم قطيعاتهم إلى أولادهم؛ في عام 122 قبل الميلاد، تمرّد الأمير هواينان والأمير جيانغدو بسبب سياسة "إضعاف قوة الأمراء الإقطاعيين"، وتمّ قمع تمرّدهما مما عزّز السلطة المركزية؛ في عام 112 ق.م، أقال الإمبراطور وو 106 أمراء بحجة نقصان الذهب خلوصه وعدده (في ذلك الوقت يجب على الأمراء تقديم الذهب والنبيذ إلى العائلة الملكية أثناء إقامة طقوس التضحية). وتمّ إلغاء جميع الأمراء منذ عهد الإمبراطور قاو زو، ولم يعد بإمكان السلطة المحلية أن تكون مناهضة للسلطة المركزية.

مقارنة مع إنجازاته في الحكم السياسي، كانت أعظم إنجازات الإمبراطور وو إنجازاته العسكرية. بفضل القوة الوطنية القوية لأسرة هان، غيّر الإمبراطور وو الاستراتيجية الدفاعية السابقة عند تبنّي السياسة الخارجية وتحوّل إلى الاستراتيجية الهجومية. في المنطقة الجنوبية، قام أولًا بتسوية الاضطرابات في إمبراطورية منيوي، فسيطر على المناطق الساحلية الواقعة في مقاطعتي تشجيانغ وفوجيان اليوم، ثم استولى على مقاطعة قوانغدونغ ومنطقة قوانغشي الحالية والأجزاء الشمالية من فيتنام. بعد سحق الاضطرابات في المناطق الجنوبية، هاجم قبائل شيونغنو على التوالي من عام 129 قبل الميلاد إلى 119 قبل الميلاد، واستولى على منطقة خه تاو في منغوليا الداخلية اليوم، وسيطر على ممر خه شي، ما وسّع الحدود الشمالية لأسرة هان من سور الصين العظيم إلى منطقة موبي.

في المعركة ضد قبائل شيونغنو، لم يعتمد الإمبراطور وو على الهجوم الوحيد البحت، ولكنه سعى أيضًا إلى بعض الحلفاء للتعامل مع العدو المشترك. في عام 139 قبل الميلاد، بعث تشانغ تشيان إلى المناطق الغربية، وكان الغرض الأصلي هو التحالف مع قبائل يوه تشي العظمى لمهاجمة قبائل شيونغنو. لكن تشانغ تشيان أسر قبائل شيونغنو في طريق رحلته، وتخطى المصاعب العديدة للوصول إلى قبائل يوه تشي العظمى. لكن الأخيرة كانت قد انتقلت غربًا إلى منطقة أفغانستان اليوم وأنشأت إمبراطورية كوشان، ولا تريد أن تشارك في الحرب في آسيا الوسطى. عاد تشانغ تشيان إلى مدينة تشانغان عام 126 قبل الميلاد وأبلغ الإمبراطور وو عن عملية رحلته برمتها في المنطقة الغربية وعرّفه على العادات والجغرافيا هناك مما أثار اهتمامًا كبيرًا لدى الإمبراطور وو. ثم قام بدمجها في حدود عهد أسرة هان من خلال الحملات العسكرية، وفي عام 121 ق.م، أنشأ مقاطعتين في ممر خه شي، ألا وهما ووي وجيوتشيوان، في عام 111 ق.م، أضيفت مقاطعتا تشانغيي ودن هوانغ لتوسيع سور الصين العظيم إلى مأزق يويمنقوان. نتيجة لذلك، امتدت حدود أسرة هان إلى حوض تاريم.

كانت بعض الحروب التي شنها الإمبراطور وو ضرورية، وبعضها لا ضرورة لها. حتى إذا كانت هناك بعض الحروب الضرورية، مثل الحملة العسكرية ضد قبائل شيونغنو، فليست هناك حاجة لاستغلال قوة البلاد بأكملها ودفع مثل هذا الثمن الباهظ. على سبيل المثال، في عام 119 قبل الميلاد، هاجمت قوة أسرة هان قبائل شيونغنو وحققت نصرًا كبيرًا، حيث أقام الجنرال هوه تشيوبينغ طقوس التضحية على جبل لانغ جيويشيويشان (حول جبل خينتي الحالي في منغوليا) لإعلان انضمام هذا الجبل إلى أسرة هان. ومع ذلك، كان عدد الأحصنة لقوة أسرة هان قبل دخولها إلى منطقة شيونغنو يصل إلى 140 ألف، وبعد دخولها إلى منطقة شيونغنو، بقي عندهم أقل من 30 ألف حصان فقط، وكانت الخسارة ثقيلة للغاية. منذ ذلك الحين، لم يتمكّن جيش الهان من شن هجوم واسع النطاق على شيونغنو. وفي الواقع يعادل عدد سكان قبائل شيونغنو وقوتها حوالى مقاطعة واحدة في أسرة هان فقط، علاوة على أن "أراضيها غير صالحة للزراعة وشعبها غير قابل للترويض والتسخير"، فلا تستحق الهجوم بتكاليف هائلة. بالنسبة إلى الحرب الافتتاحية للإمبراطور وو من أسرة هان، كتب لي هوا من أسرة تانغ مقالًا بعنوان "تعزية المعارك القديمة"، وقال فيه بصراحة: "شنّت أسرة هان الهجوم ضد قبائل شيونغنو، على الرغم من أنها فازت بجبل يينشان، لكن الجبل مغطى بالجثث، والفضائل لا تعوّض عن الخسائر". أجمع العديد من المؤرخين على صحة على قوله هذا.

تسخير الإمبراطور وو المفرط للقوى العسكرية لشن الحروب كان سيفًا ذا حدين، ولم يدفع القوة الوطنية لأسرة هان إلى ذروتها فقط، بل استنزف الخزينة الوطنية مما تسبّب في أزمة مالية. من أجل مواجهة الأزمة المالية، حاول الإمبراطور وو بذل قصارى جهده لتبنّي جميع السياسات التي يمكن أن تزيد من الموارد المالية للحكومة، بما في ذلك بيع المناصب الرسمية بشكل معلن. تتمثّل إحدى السياسات المهمة في تنفيذ النظام الوطني لاحتكار حقوق معاملة الحديد والملح في يد الحكومة، والتحكم في العديد من أنشطة الإنتاج والمبيعات عالية الربح، مثل رفع سعر الملح وصهر الحديد وتصنيع العملات. وأدرجت معاملة النبيذ في قائمة الاحتكار الوطني فيما بعد.

كما عيّن الإمبراطور وو سانغ هونغيانغ ودونغ قوه شيانيانغ وكونغ جين لجمع الثروات للبلاد. هؤلاء الأشخاص قادرون حقًا وماهرون في "سرقة الثروة من جيب الشعب". خاصةً سانغ هونغيانغ الذي تولى لاحقًا وزير الزراعة الكبير، وسيطر على القوة المالية لأكثر من 20 عامًا، واستخدم كل الوسائل لجمع الثروات، حيث "سيطر على جميع السلع في البلاد، يبيعها عندما يرتفع سعرها، ويشتريها عندما ينخفض سعرها". الأمر الذي حوّل الحكومة إلى أكبر تاجر في البلاد، وقلّت فرص التجار الآخرين إلى حد كبير وظهرت نسخة من عهد أسرة هان من "تقدّم البلاد وتراجع الشعب" في المجال الاقتصادي.

خلال عهد إمبراطور وو من أسرة هان، تمّ أيضًا تطبيق سياسة "سوان مين وقاو مين" لفرض الضرائب، مما نهب الأموال الموجودة في أيدي رجال الأعمال للخزانة الوطنية. إن "سوان مين" نوع من ضريبة الأملاك التي تفرضها الدولة على التجار، و"قاو مين" هو عقاب الدولة على رجال الأعمال بسبب إخفاء الأصول والتهرب من الضرائب. صدرت هذه السياسة منذ عام 119 قبل الميلاد، حيث كان على التجار أخذ زمام المبادرة لإعلان الملكية ودفع ضرائب الممتلكات، وهذا ما يسمى "سوان مين". من يتجرأ على الإخفاء أو الإبلاغ بشكل خاطئ، سيتم الحكم عليه بحراسة المناطق الحدودية لمدة عام بعد التحقيق، ومصادرة الممتلكات الخاصة به. في الوقت نفسه، ستتم مكافأة من يكشف عن الانتهاكات بنصف الممتلكات المصادرة، وهذا ما يسمى "قاو مين". كان "قاو مين" غير متوافق تمامًا مع مفهوم "الكونفوشيوسية" المتمثّل في "الحكم الرحيم" بسبب التأثير الفعلي لمكافأة المكشف، لذلك توقّف بعد ثلاث سنوات فقط من التنفيذ. ومع ذلك، في غضون ثلاث سنوات فقط، أفلس رجال الأعمال على مستوى فوق المتوسط بسبب سياسة "قاو مين"، وكان حجم الأراضي التي صادرتها الحكومة يبلغ آلاف الهكتارات في المدن الكبيرة، وأكثر من 100 هكتار في المدن الصغيرة، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من المنازل والعبيد وغيرهما من الملكيات الشخصية نقلت إلى الخزانة الوطنية.

في النهاية، قضى الإمبراطور وو على الأزمة المالية، لكن التكلفة الاجتماعية المدفوعة كانت ثقيلة للغاية. يمكن القول إن هناك علاقة سببية وثيقة بين العقلية العسكرية العدوانية للإمبراطور وو ونهبه الثروات من أيدي الشعب، الأول زائد الأخير قلبا معا اتجاه "الحكم الرحيم" خلال فترة حكم الإمبراطورين ون وجينغ المتمثل في "انتعاش البلاد والشعب"، وتراجعا إلى طريق الحكم في أسرة تشين اعتمادا على القانون الصارم والعقاب الشديد.

اعتلى الإمبراطور وو العرش في السادسة عشر من عمره، وتوفي في السبعين من العمر وحكم الإمبراطورية لمدة 54 عامًا. على مدار أكثر من نصف قرن، ضم كوريا الشمالية شرقًا وقبائل باييوي جنوبًا وهاجم دايوان غربًا وشيونغنو شمالًا، حقق إنجازات جليلة في توسيع حدود البلاد ونشر هيبة أسرة هان. سياسيًا، أصدر سياسة "تقسيم مجد الأمراء إلى أولادهم وأحفادهم" لحل مشكلة توازن السلطة بين الأمراء والحكومة المركزية، وعزّز النظام الإمبريالي المركزي. ثقافيًا، تبنّى اقتراح الوزير دونغ تشونغشو لـ "منع نشر المدارس الفكرية باستثناء الكونفوشيوسية"، واعتبر الكونفوشيوسية كأيديولوجية سائدة، وتلك السياسة اتبعتها أسر مختلفة لاحقة ولها تأثير بعيد المدى. اقتصاديًا، نفّذ نظام احتكار حقوق معاملة الملح والحديد، وتم جمع حقوق رفع سعر الملح وصهر الحديد وتصنيع العملات المعدنية في يد الحكومة المركزية، تخلى عن مفهوم "عدم التدخل في مسار الأشياء" الذي اتبع في أول عهد أسرة هان الغربية، وغيّر فكرة "الحكومة الصغيرة، المجتمع الكبير" إلى "الحكومة الكبيرة، المجتمع الصغير". لقد اختار الأكفاء بطريقة غير تقليدية، فعيّن طلاب الكونفوشيوسية مثل دونغ تشونغشو وقبل شخصيات ظريفة مثل دونغ فانغشوه، فهناك وزراء مستقيمون مثل جيآن ومسؤولون شديدون مثل نينغ تشنغ وتشو يانغيو ووانغ ونشو. لقد روّج للكونفوشيوسية إلى جانب الأيديولوجية الوطنية، لكنه غالبًا ما شارك في أنشطة لاهوتية، حتى أنه كان يخدع مرارًا وتكرارًا ويترك العديد من الضحكات؛ كان الإمبراطور وو يحب كتابة الشعر الطافح بالعواطف، وكان أشبه بأديب، ولكنه كان أيضًا مدمنًا على استغلال القوة العسكرية، وسرعان ما استهلك الخزينة الوطنية التي جمعتها أجيال عدة من الأسلاف؛ فقد زار شخصيًا منطقة هوتسي على طول النهر الأصفر لتوجيه أعمال منع الفيضان والإنقاذ، "أمر الوزراء والمسؤولين الملحقين الذين تقلّ مناصبهم تحت الجنرال بحمل الخشب لسد النهر"، كما كتب شعرًا بعنوان "هوتسي قه" وملأ فيه حزنه وعطفه على الشعب المتضرر، لكنه متعطش للمجد والشهرة في الوقت ذاته، ولا يتردد في إنفاق الكثير من الموارد المادية والبشرية في إقامة حفلات كبيرة مثل حفل تنصيب.

أمضى الإمبراطور وو من أسرة هان فترة طويلة في حكمه، تاركًا العديد من القصص والإنجازات العظيمة ومظهِرًا العديد من أوجه القصور. وفيما يتعلق بتقييمه فلدى مختلف الأشخاص آراء مختلفة. يعتقد القوميون أنه رجل عظيم وإمبراطور حكيم يمتلك الطموحات والرؤية الثاقبة؛ ويعتقد الليبراليون أنه إمبراطور استبدادي متعجرف ومغرم بالمجد، وكان شديدًا قليل الرحمة. حتى علماء التاريخ المعترف بهم، من الصعب توحيد تقييماتهم حول الإمبراطور وو من أسرة هان، فقال بان قو في كتابه *"هان شو"* إنه "رجل عبقري نادر المثال"، "بارز في كتابة المقالات والشعر"، "يمكنه أن يماثل ثلاثة أجيال من الأباطرة"، "إذا لم يغيّر الأسلوب البسيط في الحياة مثل ما فعله الإمبراطوران ون وجينغ، فالمدح الوارد في *"الشعر"* و*"شو"* لن يكفي للإثناء عليه"، فقدّر بان قو الإمبراطور وو تقديرًا عاليًا للغاية. لكن سيما قوان انتقد الإمبراطور وو بشدة في كتاب *"زي تشي تونغ جيان"*، وقال: "الإمبراطور وو مسرف ومترف للغاية، فرض ضرائب شديدة على الشعب ووضع عقوبات قاسية، عاش بترف داخل قصره وشنّ حروبًا عديدة حول البلاد، وهو على الإيمان بالآلهة والأرواح، ويكثر من الجولات التفقدية حتى أرهق الشعب الذي ثار، إنه نسخة أخرى من الإمبراطور تشين شي هوانغ". اعتقد أن تصرفاته تشبه التصرفات الطاغية للإمبراطور تشين شي هوانغ.

يمكن القول إن إمبراطور وو من أسرة هان، مثّل جميع المزايا والعيوب للنظام الإمبراطوري تقريبًا. يمكن للناس رؤية السلطة البطولية لزعيم بلد كبير، والإحساس بالقسوة وقلة الرحمة لإمبراطور استبدادي؛ يمكن للناس رؤية حكمة الإمبراطور، والإحساس بجشعه وطموحاته. من منظور معيّن، يمكن اعتبار الإمبراطور وو عيّنة ممتازة تكمن فيها رموز وراثية خفية ومعمّقة للبشرية.

القراءة الموسّعة: شغف الإمبراطور وو بالمغامرة

سُمِّي الإمبراطور وو من أسرة هان ليو تشي في البداية، وكان قويًا في الذاكرة في صغره، إذا يمكنه حفظ سير الحكماء والأباطرة القدامى بعد قراءة مرة واحدة فقط، "عندما بلغ السابعة من عمره، تفوق على نظيره داهية ولبّا"، فأطلق عليه الإمبراطور جينغ اسم "ليو تشه" ("تشه" في اللغة الصينية تعني أن الشخص لبيب جدًا). في 153 قبل الميلاد، تم تكليفه أميرًا على جياودونغ. في نفس العام، كُلِّف الابن الأكبر للإمبراطور جينغ ليو رونغ الذي كان أخ ليو تشه الكبير من نفس الأب ومختلف الأم وليًّا للعهد. في 151

قبل الميلاد، ألغي منصب الإمبراطورة بوه التي فقدت محبة زوجها ولم تنجب ابنًا. في عام 150 قبل الميلاد، تم إلغاء منصب ولاية العهد من ليو رونغ وكان منحه لأمير لينجيانغ. في وقت لاحق، صارت السيدة وانغ أم ليو تشه إمبراطورة، ووأصبح ليو تشه ولي العهد. في 141 قبل الميلاد، توفي الإمبراطور جينغ واعتلى ولي العهد ليو تشه العرش ليصبح الإمبراطور وو.

اعتلى ليو تشه عرشه، في سن السادسة عشر من العمر فقط، أحب المغامرة، وغالبًا ما غيّر اسمه إلى مركيز بينغيانغ وخرج من القصر في الليل للمطاردة والصيد. في فجر اليوم التالي، قاد الحاشية لمطاردة الفرائس مثل الغزلان والعقارب والثعالب والأرانب في حقول الفلاحين، مما تسبب في شتم وغضب الفلاحين. أراد المسؤولون المحليون إلقاء القبض عليهم، لكنهم أخرجوا الأشياء الفريدة للإمبراطور ونجوا من الاعتقال. في مرة ما، نزل الإمبراطور وو في فندق في مدينة بايقو (الآن جنوب غرب مدينة لينغباو بمقاطعة خنان) في الليل، لكن منزله كان فندقًا غير شرعي. صاحب الفندق "جمع الشباب لمهاجمة الإمبراطور وو" وأراد قتله من أجل المال. لكن زوجة صاحب الفندق لاحظت "أن مظهره غير عادي"، وقالت لزوجها: "هذا رجل ليس شخصًا عاديًا، وحاشيته على حذر، من الأفضل ألّا تهاجمهم".

لم يقتنع صاحب الفندق. فأسقته زوجته الخمر حتى ثمل. غادر الشباب المتعاونون الذين حشدهم زوجها، وقامت "بذبح الدجاجة من أجل إكرام الضيوف". في اليوم التالي، عاد الإمبراطور وو إلى القصر واستدعى صاحبة الفندق، "أهدى لها آلاف لينانغ (مقياس في الصين القديمة) من الذهب، وعيّن زوجها يوي لينلانغ"، للتعبير عن امتنانه.

يقال إن الإمبراطور الذي يتربّع في "أعلى منصب" يجب أن يهتم بالسلامة ويشارك في أنشطة أقل خطورة، لكن وو الإمبراطور كان مغامرًا يقوم بأنشطة المغامرة غالبًا. إنه لا يحب الصيد فحسب، بل يحب صيد الحيوانات الكبيرة مثل الدببة والخنازير البرية، ولانت عريكته بعد اقتناعه بنصيحة الوزير سيما شيانغرو.

الإمبراطور وو من أسرة هان كان مفعمًا بالحيوية والخيال وخرجت تصرفاته عن الحدود التقليدية. اعتزم مهاجمة القبائل البربرية في المنطقة الجنوبية الغربية، لكن الأمر يتطلب قوة مائية رائعة، ولا توجد بحيرة بالقرب من مدينة تشانغان. فأمر ببناء "بحيرة كون مينغتشي" لتدريب القوة المائية. أنجبت والدته أختًا له من رجل من عائلة جين بطريقة سرية. غير أن الإمبراطور وو لم يهتم بهذا، بل زار شخصيًا هذه الأخت. "ركب العربة إلى شارع بيت أخته مباشرة وتوقف أمام بابه". كما أنه "أمر حاشيته العسكرية

بحصار بيت أخته" خوفًا من هربها. دهشت عائلة جين من مثل هذه الحملة، وخاف أفرادها. ما إن رأى الإمبراطور وو أخته، نزل من العربة وقال باكيًا: "أيا أختي، لماذا تختفي إلى هذه الدرجة؟". أخذها إلى القصر، وصاحبها إلى زيارة الأم، وأعطاها المنزل والأراضي والعبيد. لم تكن أخت الفنان الموسيقي لي ياننيان عالية النسب بل كانت مغنية وعاهرة في الأصل، ولكن الإمبراطور وو أحبّها بسبب جمالها وتزوّج بها واشتاق إليها دائمًا بعد وفاتها وكتب شعرًا تعزية لها: "استثقل جو الخريف ليحزنني ويُبكي، سقطت أوراق شجرة رند ثم اختفت من الدنيا"، "هل أنتِ أمامي أم لا؟ لماذا تأخرت في العودة؟". يمكن أن نرى من هذه الأمور أن الإمبراطور وو شخص ثري العواطف، ولا يتقيّد بالقواعد.

ملخّص وجهة النظر: مفهوم "التجاوب بين السماء والإنسان"

من دونغ تشونغشو

اعتلى الإمبراطور وو العرش، بعد جدته الإمبراطورة الأم دَو تايهو، في عام 135 قبل الميلاد. بعد ذلك، غيّر الإمبراطور وو أيديولوجية البلاد واعتمد الكونفوشيوسية كمفهوم لحكم البلاد. لكن الكونفوشيوسية في هذا الوقت لم تكن كونفوشيوسية عصر كونفوشيوس ومنشوس، ولكنها كونفوشيوسية جديدة بعد تعديل دونغ تشونغشو لها بصفته طالبًا للكونفوشيوسية.

بناء على فكرة كونفوشيوس ومنشوس، استنادا إلى نظرية "التكامل والتكابح بين العناصر الخمسة"، طرح دونغ تشونغشو نظامًا أيديولوجيًا كونفوشيوسيًا جديدًا يركّز على "التجاوب بين السماء والإنسان". ربط هذا النظام بفعالية شرعية النظام بنظام كوني أوسع. يعتقد دونغ تشونغشو أن "التاو تأصلت من السماء"، والطبيعة والشؤون البشرية تخضع لقضاء السماء، لذلك اعتمدت شرعية نظام الأسرة على ما إذا كان حاكمها قادرًا على فهم القدر بشكل صحيح ويتوافق مع القدر. قال: "لن يتوافق مع قضاء السماء سوى الحكماء، لن تستقيم طبيعة البشر إلا بعد التعليم، لن تصوّب شهوة البشر إلا بعد تقييد القانون. لذلك يجب على الحاكم الالتزام بقضاء السماء لاستجابة القدر، وتعليم الشعب لتستقيم طبيعتهم، وصيانة القوانين لتصويب النظام بين الشعب وتقييد شهواتهم. إذا تمكّن من تحقيق هذه الأمور الثلاثة فسيترسخ أساس حكمه". من وجهة نظر دونغ تشونغشو، إذا أراد الإمبراطور التوافق مع القدر، فعليه حذو الحكماء، وتنفيذ "السياسة الرحيمة" لـ "تعود على الشعب بالفوائد الحقيقية"؛ وإلا، فإن السماء سوف تنزل الكوارث المتنوعة لتحذير الإمبراطور. إذا كان الإمبراطور مهووسًا بالخطأ ورفض

التوبة، فسوف تستعيد السماء قدرها، وستجد وكيلًا جديدًا لها في الدنيا ليحل محل الإمبراطور القديم.

حسب تفسير دونغ تشونغشو، جاءت قوة الإمبراطور من السماء، يجب أن تتوافق أعماله ونظامه مع قدر السماء. إذا انتهكت إرادة السماء، فقد تؤدي إلى تغيير القدر مما يؤدي إلى تغيير مصير الأسرة، سيتم استبدال الأسرة القديمة بأسرة جديدة. يمكن أن نلاحظ من نظرية "التجاوب بين السماء والإنسان" التي وضعها دونغ تشونغشو أن الإمبراطور ونظامه ليس لهما أي ملكية للبلاد على الإطلاق، فقط لهما حقوق الإدارة، وهذا الحق الإداري مؤقت وليس دائم. إن تتوافق إدارته مع القدر، فستستمر حقوقه الإدارية؛ إن تخالف إدارته القدر، فستستعيد السماء حقوقه وتمنحها للآخرين. إن السماء هي رئيسة الدنيا، والإمبراطور ونظامه مجرّد مدير تعيّنه السماء بشكل مؤقت. وبهذه الطريقة، قام دونغ تشونغشو بتقييد قوة الإمبراطور من خلال نظرية "التجاوب بين السماء والإنسان" من ناحية، من ناحية أخرى، قدّم نوعًا آخر من التفسير لشرعية النظام الإمبراطوري. في هذا الصدد، قال المؤرخ الأمريكي John King Fairbank: "من الأصح أن نقول إن العلماء في أسرة هان قد غيّروا الكونفوشيوسية من أن نقول إن الكونفوشيوسية تغلّبت على العلماء في أسرة هان".

تركت نظرية دونغ تشونغشو حول "التجاوب بين السماء والإنسان" تأثيرًا كبيرًا على التاريخ الصيني، حيث استخدمت الأجيال اللاحقة من الأسر هذه النظرية لتفسير شرعية النظام عامة.

إن ما يسمى بشرعية النظام هي في الواقع توافق اجتماعي على مصدر السلطة والقواعد التي تحكم استخدام السلطة، وهي ليست بالضرورة دقيقة وعلمية مائة في المائة. تختلف تصورات الناس للشرعية في العصور المختلفة. طالما أن الناس في ذلك الوقت يمكن أن يقبلوا نظرية ما بشكل عام، فإن هذه النظرية تتمتّع بشرعية. في عصر الإمبريالية مثلًا، وقبل ظهور الانتخابات الديمقراطية، يمكن لنظرية "التجاوب بين السماء والإنسان" المطروحة من دونغ تشونغشو إيجاد توازن دقيق بين الحكم الأخلاقي والحكم القانوني، وبين قدر السماء والقوة الإمبريالية، وبين الإمبراطور والرعايا، وبين الأخلاق والمصالح، وأن تستطيع تقييد القوة الإمبريالية وتجد توافقًا من الإمبراطور والعامة جميعًا، لذلك أصبح أفضل نظام تفسير لشرعية النظام في العصر الإمبريالي.

عهد الإمبراطور وو المتأخر من سلالة هان الحاكمة

بعد وفاة الرجل السياسي القوي، لا يختفي تأثيره على المجتمع فوًرا، سوف يترك مبلغ الإرث السياسي الكبير. في بعض الأحيان يكون تأثيره فوضى، في بعض الأحيان يكون ثروة، ولكن في كثير من الأحيان يكون الوضع مختلطًا خطرًا وهو يجمع بين الخير والسوء والقلق والسعادة.

العملية التاريخية لأسرة هان الغربية أيضًا واجهتْها مثل هذه الحالة، وهذا هو عهد تشاو وشيوان تشونغ شينغ، أي عهدا الإمبراطور تشاو والإمبراطور شيوان (87 قبل الميلاد إلى 49 قبل الميلاد). والإمبراطور وو هو ذلك الرجل السياسي القوي الذي ترك وضعا مختلطًا خطرا، أما الإمبراطور تشاو والإمبراطور شيوان، فهما شخصان عالجا الفوضى بدلًا منه.

قام الإمبراطور وو بفتح الأراضي الجديدة والحملة الانتقامية خارجيًا، واستمتع بالفخامة المتطرفة بدون أي قيد واستغلّ الأقوام داخليًا، لدرجة "تقليل نصف عدد السكان"، وظهرت الأزمة المالية، وحتى السلالة كلها ذهبت إلى حافة الانهيار. إلى فترة الإمبراطور تشاو، اضطر حاكم السطلة (هوه قوانغ) لضبط السياسة، وأعاد "تخفيف ضغوط الأقوام وتطوير الاقتصاد"، في نفس الحين استعاد علاقة المصاهرة السياسية مع الهون. بعد الحكم، "يتم إثراء الناس، وتخدم البلدان الأجنبية الأربعة هذه الإمبراطورية".

توفي الإمبراطور تشاو في سن ال 21، وبعد ذلك دخلت سلالة هان الغربية فترة الإمبراطور شيوان.

بعد أن وصلت السلطة إلى يد الإمبراطور شيوان (ليو شيون)، التزم بالحكم الرشيد وحكم القوة من أجل حكم البلاد. وهو تابع تنفيذ سياسة وطنية" تخفيف ضغوط الأقوام وتطوير الاقتصاد" لزيادة خير الشعب وتخفيض السخرة والضرائب، ونفّذ سياسة البرّ الكونفوشيوسية تجاه الشعب. إزال مشكلة استهلاك القوى العاملة والنفايات المفرطة خلال النقل النهري، خفّض بشكل حاسم عدد جنود النقل النهري بنصف مما وفّر عددًا كبيرًا لخادميه. بالنسبة للمناطق المتضررة من الكوارث الطبيعية، خفّف الإمبراطور شيوان أو أعفى مبلغ الاستئجار، وأيضًا كانت كثافة المساعدة للاجئين قوية غير مسبوقة: وزّعت الحكومة الحقول لأولئك اللاجئين الذين يعودون إلى منازلهم الأصلية وأعطت بذور الحبوب لهم لزرعها بحرية، وأيضًا أعفت ضريبة الإيجار في غضون السنوات الزمنية. بعد السنوات من مكافأة ومراقبة الرزاعة وتخفيف الضريبة والسخرة، وكسب مستوى معيشة الشعب ضمانا محددا، استقرّ النظام الاجتماعي. هذا هو جانب" حكم البرّ" الذي طبّقه الإمبراطور شيوان.

أما "حكم القوة" للإمبراطور شيوان، فهو يتمثل في تنظيم الإدارة الرسمية. في عهد الإمبراطور وو من أسرة هان، استغلّ قوات الجيش بعدد كبير للقيام بالحرب في السنوات المتتالية، مما أدّى إلى مشكلة من الإرهاق المالي. من أجل جمع الأموال، اتخذّ الإمبراطور وو طريقة بيع المناصب وإخراج الأموال للتكفير عن الجريمة من أجل زيادة الإيرادات المالية. ونتيجة لذلك، كان "إعطاء الأموال لكسب المناصب أو التكفير عن الجريمة، انتهاز الانتخابات العادلة، ظهور اللئام على التوالي"، أوساط الموظفين أصبحت غارقة في الفساد، والإدارة الرسمية في حالة من الفوضى للغاية. بعد تولي الإمبراطور شيوان زمام السلطة، قام بتنظيف الإدارة الرسمية بقوة. عند تعيين رئيس الولاية والمحافظ وغيرهما من القادة الكبار المحليين، دائمًا ما يستدعيهم الإمبراطور شيوان بنفسه لكي يعرف طابعهم وقدرتهم من خلال تفحّص كلماتهم وتعابير وجوههم، وبعد ذلك يوزّع المهمة على الموظفين الحكوميين. بعد أن يتولى الموظفون الرسميين مناصبهم، يطلب الإمبراطور شيوان من الإدارات المعنية تسجيل حالة إدارة إقليم الموظفين الحكوميين كأساس ترقية أو تخفيض منصب. وبفضل ذلك، شكّل حكم عهد الإمبراطور شيوان جوَّ "التعامل مع الناس بتسامح، مراقبة الموظفين الحكوميين بصرامة"، هكذا تشكّل نموذج الحكم الرشيد وحكم القوة.

بعد الحكم المستمر للإمبراطور تشاو والإمبراطور شيوان، أصحبت أسرة هان الغربية مزدهرة مرة ثانية، وعُرِفت هذه المرحلة باسم "تشاو شيوان تشونغ شينغ" في التاريخ.

شهد نمط الحكم للإمبراطورية العظمى مدرسةَ الشرائعيين في أسرة تشين ومدرسةَ الطاوية في أوائل أسرة هان، والكونفوشيوسية داخليًا والشرائعيين خارجيًا في عهد الإمبراطور وأخيرًا الحكم الرشيد وحكم القوة في عهد الإمبراطور شيوان، إن التحوّل بين الأنماط المختلفة مرارًا وتكرارًا لا يرجع إلى التفضيل الشخصي للأباطرة المختلفين تمامًا، ولكن تطوّر وضع الإمبراطورية أجبر على ذلك. مع تطور الإمبراطورية والتوسع المستمر في أراضيها، أصبحت مهام الحوكمة معقّدة بشكل متزايد. في ظل هذه الظروف، فإن نموذج الحوكمة في ظل ثقافة إيديولوجية واحدة لا يكفي للقيام بالمهمة المعقدة المتمثلة في حكم مثل هذه الإمبراطورية الكبيرة. تحتاج ممارسات حكم الإمبراطورية إلى الموارد الفكرية المتنوعة كالدعم الثقافي، بينما قدّمت فكرة مختلف المدارس الفكرية في أوائل أسرة تشن موارد ثقافية متنوعة عميقة كافية للأمة الصينية. يتعاون الاثنان مع بعضهما البعض، فنظام الإمبراطورية العظيمة يمكن أن ينضج ويصبح قادرًا على الوجود لفترة طويلة.

نستطيع أن نعتبر "عهد تشاو شيوان تشونغ شينغ" كأنه نطاق واسع من "التصحيح" لجميع أنواع الأدواء السياسية، وأيضًا يمكن أن نعتبره توهّج السراج قبيل انطفائه في فترة انتهار أسرة هان الغربية من ازدهارها في مجال الزمان والمكان الأوسع، لأن أسرة هان الغربية شرعت في طريق الهبوط منذ ذلك الحين. تتضمن فترة الإنهيار لأسرة هان الغربية أربعة عهود، بما فيها الإمبراطور يوان، الإمبراطور تشنغ، الإمبراطور آى، والإمبراطور بينغ من 49 قبل الميلاد حتى تلاشي أسرة هان الغربية.

كان رئيس الوزراء في أسرة هان في الأصل شديد القوة، وسياسة البلد انتقلت من خلاله. لكن منذ تولي إدارة هوه قوانغ، عيّن أصدقاءه وأشخاصه القدامى والعاجزين كرئيس الوزراء. منذ ذلك الحين، انخفضت قوة رئيس الوزراء، وجاءت معظم الأوامر السياسية من القصر. سيطر الإمبراطور على السلطة القوية للقصر، وإذا كان الإمبراطور رشيدًا، فالمشكلة ليست كبيرة، وإذا كان الإمبراطور غارقًا في المجون والفجور، فمن السهل لسلطة الإمبراطور أن تُسرق من قبل أقرباء الإمبراطور من جهة الأم أو الزوجة أو الخصيان وغيرهم من الأشخاص القريبين منه. إن انهيار سلالة هان الغربية وزوالها النهائي يرجعان إلى احتكار السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور من جهة الأم أو الزوجة.

في عام 49 قبل الميلاد، توفي الإمبراطور شيوان، خلف ولي العهد (ليو شي) العرش، هو الإمبراطور يوان. إنّ الإمبراطور يوان فضّل "الرحمة والعطف والكونفوشيوسية" وهو غير حاسم، لذلك كانت شؤون الدولة تخضع

للخصيان مثل (هونغ قونغ) و(شي شيان)، قام الدافو (لقب فئة من الموظفين الكبار في الصين القديمة) مثل (شياو وانغ تشي) و(ليو شيانغ) بالمكافحة مع قوات الخصيان، لكنهم فشلوا نهائيًا. كان الإمبراطور تشنغ غارقًا في المجون والفجور ويعشق جمال النساء، وأحبّ الأختين (تشاو في يان) و(تشاو خه ده)، تخلّى عن شؤون القصر مما جعل السلطة القوية تصل إلى يد أسرة وانغ قريبته، وهذا التخلي شكّل وضعًا خطيرًا "أسرة الزوجة احتكرت السلطة". على رغم من أن الإمبراطور آي حاول استعادة السلطة من أقارب الإمبراطور من جهة الزوجة أو الأم، لم يكلّف الموظف الصحيح، كان يعيّن حبيبه (دونغ شيان) كرئيس الوزراء، مما تسبّب في المزيد من الفوضى لشؤون الدولة. بعد وفاة الإمبراطور آي، رجع (وانغ مانغ) من أسرة زوجة الإمبراطور مغتنمًا هذه الفرصة، ودعم الإمبراطور الجديد بينغ، ثم قتل الإمبراطور بينغ بل دعم الطفل زي ينغ كالإمبراطور. كان (وانغ مانغ) ينصّب نفسه وصيًا على العرش أولًا باسم "آن هان قونغ"، ثم اغتصب العرش، وغيّر لقب الدولة إلى" شين"، هكذا تلاشت أسرة هان الغربية.

المعلومات الإضافية: اغتصاب السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور من جهة الزوجة أو الأم في نهاية أسرة هان الغربية

في نهاية أسرة هان الغربية، هناك قول مأثور في التاريخ "تراجع في يوان تشينغ وخسر في آي بينغ"، وهذا يعني أن عهدي الإمبراطورين يوان وتشينغ كانا فترة التراجع، وعهدي الإمبراطورين آي وبينغ فترة الهبوط.

بدأت أسرة هان الغربية في الانهيار منذ عهد الإمبراطور يوان، أما عهد الإمبراطور تشينغ، فاتجاه انهياره لا يمكن وقفه. قال المؤرخ (ليوى سي ميان): "بدأ انهيار أسرة هان الحالمة من الإمبراطور يوان، وانهياره الأشد بدأ من الإمبراطور تشينغ. رفاهية الإمبراطور هي نفسها مع الإمبراطور وو، وتردده أقوى من الإمبراطور يوان. أصبحت سياسة الشؤون السياسية فوضى منذ ذلك التاريخ، وتمّ تشكيل نفوذ أقرباء الإمبراطور من جهة الأم أو الزوجة منذ ذلك، لا خروج لسياسة سلالة هان". إن المعنى واضح جدًا، يجب للإمبراطور تشنغ (ليو آو) أن يتحمل مسؤولية كبيرة عن تلاشي سلالة أسرة هان الغربية.

قد تبدأ الأمور من والدة ليو آو. اسم أم ليو آو (وانغ تشنغ جيون)، كانت تكون زوجة الإمبراطور يوان (ليو شي)، بعد أن خلف الابن ليو آو العرش، أصبحت إمبراطورة أرملة تلقائيًا، أما عمّ الإمبراطور تشنغ (وانغ فينغ)، فصار "الجنرال العام الذي يشغل منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وشغل

منصب شانغشو جزئيا" (شانغشو: من كبار الموظفين في الصين القديمة "العدد الكبير من الناس تحت حكمه،" هكذا أصبح نفوذ أقرباء الإمبراطور من أسرة وانغ قويًا بسرعة.

عيّن الإمبراطور تشنغ خمسة أعمام له كمركيز في عام 27 قبل الميلاد في مرة واحدة: وانغ تان هو مركيز بينغآ، وانغ شانغ هو مركيز تشنغدو، وانغ لي هو مركيز هونغ يانغ، وانغ قن هو مركيز تشيوى يانغ، وانغ فنغ شي هو مركيز قاو بينغ. عيّن خمسة أشخاص من أسرة وانغ كمركيز طوال العام، هذا أمر نادر في العالم، لذلك سمى الناس خمسة أشخاص بـ "خمس مراكيز". ما يرافق مع تعيين خمس مراكيز هو تعيين أقرباء من أسرة وانغ كتشينغ أو دافو أو شيتشونغ أو شيتساو (وزير أو موظف كبير في القديم)، وكلهم دخلوا أوساط الموظفين، وتبوّأوا منصبًا عاليًا، انتشر نفوذهم في البلاط (المحكمة) مما شكّل سلطة سياسية قوية.

عندما طوّر وانغ فنغ تأثير أسرته، أيضًا ضغط على المعارضين في الرأي وأقصى الوزير المخلص، كان مغرورًا للغاية. سأضرب مثلًا لتوضيح إلى أي مدى كان غرور وانغ فنغ. في عام 24 قبل الميلاد، ودّ الإمبراطور تشينغ أن يعيّن ليو شين كتشونغ تشانغ شي (منصب بسيط)، حان الوقت لتوزيع كتاب التعيين تقريبًا، قال الخدَم والحشَم للإمبراطور: "لم تخبر بهذا الأمر الجنرال العام". وقال الإمبراطور: "هذا أمر بسيط، لا داعي لإبلاغ الجنرال العام"، ولكن النتيجة هي سجود الخدَم والحشَم تجاه الإمبراطور إصرارًا على رأيهم، من الأفضل أن تخبر الجنرال العام.

بعد أن فكّر الإمبراطور في هذا الأمر، قرر إبلاغ الجنرال العام. ونتيجة لذلك، "وانغ فنغ لا يوافق على ذلك، فأوقف الأمر". اعتقد وانغ أن هذا الشيء لا يعمل، فألغى قرار الإمبراطور.

نفوذ وانغ فنغ انتشر في كامل البلاط، "عندما رآه الموظفون مثل قوانغتشينغ، قدّموا له الطاعة، جاء الموظفون الكبار من أسرته". نفوذ أسرة وانغ أصبح قويًا إلى هذه الدرجة، فكيف لا يكون مغرورًا؟ سُجِّل في الكتاب التاريخي "إن خمس مراكيز وإخوانهم تنافسوا في الترف وجمع الكنوز النادرة من كل مكان. لكل منهم أكثر من عشر محظيات وآلاف من العبيد، انغمسوا في الموسيقى والرقص، تبنّوا الراقصة والمغنية (درجتهن الاجتماعية منخفضة في الصين القديمة) وبادروا في تربية الكلب والحصان من أجل الترفيه، أصلحوا منازلهم بأموال كثيرة، صنعوا التل الترابي وأسسوا المنصة والقوس والممر الواسع مما أظهر الأشياء الفاخرة أمام عينيك". لا يوجد أسلوب من الترف والرفاهية لم يجرّبوه.

شغل وانغ فنغ منصب الجنرال العام لمدة 11 عامًا، وأوصى وانغ ين استبدال نفسه قبل وفاته. توفي وانغ ين في السنة الثامنة كجنرال عام، وحل محله المركيز تشنغدو وانغ شانغ. بعد 4 سنوات من تولي هذا المنصب، توفي وانغ شانغ، ثم حلّ مركيزُ تشيوى يانغ (وانغ قن) محله. توفي وانغ قن بعد تولي المنصب لمدة 5 سنوات، وهو كان اقترح على وانغ مانغ استبدال منصبه. كان يعتقد الإمبراطور تشينغ أيضًا أن وانغ مانغ مخلص ونبيل، وارتقى وانغ مانغ في منصبه فأصبح الجنرال العام (سيما).

بعد عام واحد، توفي الإمبراطور تشنغ، وتبوّأ الإمبراطور آي العرش. في 1 قبل الميلاد، توفي الإمبراطور آي (شغل منصبه لمدة 6 سنوات). ليس للإمبراطور آي أطفال، فعيّنت جدة الإمبراطور (وانغ تشنغ جيون) ابن شقيق الإمبراطور وانغ مانغ كالجنرال العام (سيما). لتسهيل احتكار السلطة، كان وانغ مانغ يجعل (ليو دانغ) كالإمبراطور أي الإمبراطور بينغ وكان عمره 9 سنوات فقط فلم يستطع تولّي زمام السلطة، فوانغ مانغ تحكّم في الشؤون السياسية بالحجة الصحيحة المقبولة. في السنة السادسة من الميلاد، توفي الإمبراطور بينغ. في هذا الوقت، جعل وانغ مانغ الذي ملك السلطة القوية أصغرَ حفيد وهو حفيد الإمبراطور شيوان من حيث العمر خلف العرش (اسمه ليو ينغ)، كان عمره سنتين فقط، يسميه التاريخ "الرضيع ينغ". لا يستطيع الرضيع البالغ سنتين تولي زمام السلطة، فأصبح وانغ مانغ الأميرَ الوصي على العرش. بعد ثلاث سنوات من الوصاية على العرش، ألغى وانغ مانغ ببساطة الرضيع ينغ وأسس سلالة جديدة. حتى تلك النقطة، اغتصب أقرباء الإمبراطور من جهة الأم أو الزوجة سلالة هان الغربية تمامًا.

ملخّص وجهات النظر: المفهوم السياسي للشعب أسرة هان وتغيير النظام من قبل وانغ مانغ

نفّذ الإمبراطور وو سياسة "احترام الكونفوشيوسية وحدها" في عهد أسرة هان الغربية، بعد ذلك، علماء الكونفوشيوسية حصلوا على النفوذ تدريجيًا في السياسة، والأفكار السياسية التي يحوزونها تصبح تدريجيًا الأيديولوجية السائدة من الصينيين. النقاط الرئيسية لهذا المفهوم هي كما يلي: 1. تلقّي مشيئة القديس. إن الإمبراطور المؤسس لكل سلالة هو ولد من الإمبراطور والعنصر من السماء، مثل الإمبراطور الأخضر عنصر الخشب، الإمبراطور الأحمر عنصر النار، الإمبراطور الأصفر عنصر التربة، الإمبراطور الأبيض عنصر الذهب، الإمبراطور الأسود عنصر الماء، "خمسة عناصر "تنشئ وتميت بعضها البعض. 2. يجب أن يكون دليلًا على التفويض عندما يستلم الإمبراطور العرش، لو جاء الإمبراطور من عنصر التربة، هناك يجب أن يظهر

التنين الأصفر. 3. فنغ تشان. القديس تلقّى مشيئة الله، يجب القيام بمراسم فنغ تشان لإعلان السماوات. 4. إن عنصر السلالة الحاكمة آخذ في الانخفاض، فتنزل الكوارث. يظل مصير السماوات وخمسة عناصر تدور دون توقّف، عندما ينحطّ عنصر ما، فالله سوف ينزل الكوارث أو المشاهد الغريبة لتنبيه العالم. 5. تنازل عن العرش إلى النبيل الآخر. بعد ظهور الكوارث المتكررة، يعرف الحكام أن مصيرهم قد تغيّر، يجب عليه تحديد النبيل في أقرب وقت ممكن ويتنازل عن العرش في الوقت المناسب من أجل الامتثال مع القدر. 6. سلالة جديدة تُغيّر لون الثوب والنظام لتلقّي القدر الجديد.

بالطبع إن نظرية "تفاعل الله والإنسان" لها جانب صواب بالإضافة إلى السحر، أي هو "ثقافة الطقوس والموسيقى" التي تظل المدرسة الكونفوشيوسية تشجّع عليها. إنهم يعتقدون أن المسؤولية الكبرى للسياسة تكمن في تثقيف الناس من خلال "الطقوس والموسيقى" وجعلهم يعيشون حياة منظمة وجميلة. ولتحقيق ذلك، يجب على الحكام الالتزام بالأخلاق والسيطرة على الرغبة، وفي نفس الوقت أيضًا يجب عليه حكم البلاد بوسيلة فعالة لضمان أن الناس يعيشون حياة مستقرة ولا يقلقون على الأكل والملبس.

أخيرًا اغتصب وانغ مانغ سلطة عهد أسرة هان الغربية وقام بتغيير النظام، فقد اعتمد على نفوذ أقرباء الإمبراطور من الأم أو الزوجة في الاتجاه السياسي، وتتبّع بأفكار سياسة الكونفوشيوسية مذكورة أعلاه في المجال الثقافي. منذ الإمبراطور يوان، كان عمر إمبراطور عهد أسرة هان قصيرًا، فقد توفي وعمره 41 سنة، عندما توفي الإمبراطور تشنغ، كان عمره 44 عامًا، توفي الإمبراطور آي في الـ 25 من عمره، وتوفي الإمبراطور بينغ في الـ 14 من عمره، هذا يعتبر رمزًا إلى انخفاض مصير البلاط. قيل إن وانغ مانغ اغتصب العرش، ممكن أن نقوله "النموذج الأخلاقي"، كان يكرم والدته وزوجة أخيه ويتعامل مع الأعمام بأدب للغاية. عندما كان عمّه وانغ فنغ يعاني من المرض الخطير، خدمه ليلًا ونهارًا، ولم يجد وقتًا لخلع ملابسه عند النوم. إنّ أولاد أسرة وانغ استمتعوا بالفخامة والترفيه، وعاشوا بين النساء والموسيقى، فقط وانغ مانغ عاش حياة بسيطة، وأيضًا درس على يد عليم الكونفوشيية (تشن تشان)، "كان جديًا في الدراسة وعرف كثيرًا، لباسه ولحافه مثل الآخرين". بين أولاد أسرة وانغ، يمكن وصف أداء وانغ مانغ بأنه "ينمو في الحمأة ولكنه خال من التلوث". لذلك، قبل موت الجنرال العام (سيما) وانغ فنغ، حاول أن يوصي وانغ مانغ لأم الإمبراطورة وانغ والإمبراطور تشنغ بقدر إمكانه.

دائمًا ما يمجّد أهل الكونفوشيوسية في أسرة هان التنازل عن العرش إلى النبيل، بمناسبة انهيار مصير أسرة هان، إن أداء وانغ مانغ في الميادين السياسية والأخلاقية والأكاديمية وتطلعاته يتوافق مع معيار توصية "التنازل عن العرش إلى النبيل"، لذلك أخيرًا تلقّى تنازل الرضيع ينغ عن عرشه، وأصبح الإمبراطور للسلامة الجديدة، هذا أمر طبيعي.

تغيير النظام من قبل وانغ مانغ

وازدهار أسرة هان الشرقية وانهيارها

في عام 8 ميلادي، قبل وانغ مانغ تنازل "الرضيع ينغ" عن العرش، وأصبح إمبراطورًا، وغيّر اسم الدولة إلى "شين".

بعد أنه أصبح إمبراطور السلالة الجديدة، قام وانغ مانغ بسلسلة من الإصلاحات، بما في ذلك إصلاح الأراضي وإصلاح العملة والإصلاح التجاري وإصلاح أسماء المنصب الرسمي والمكان، والمحتوى معقّد للغاية. ومع ذلك، فإن الفكرة العامة للإصلاح لديها اتجاه الرجعية والمثالية. على سبيل المثال، حوّل الأراضي إلى ملكية الدولة وسمّاها "أراضي الدولة"، ولم يسمح بالشراء أو البيع بشكل خاص. كان غرضُ هذا الإجراء في الأصل مكافحة ظاهرة ضم الأراضي في أواخر عهد أسرة هان الغربية، ولكن طبّق هذا الإجراء دون النظر إلى الأحوال الخاصة، أيضًا تسبب في الكثير من المضايقات لمعيشة الشعب. لو احتاج شخص ما إلى المال بشدة، كان يمكنه بيع الأراضي لحل الطوارئ، ولكن بعدما غيّر وانغ مانغ النظام، أصبح لا يسمح ببيع الأرض، بالعكس لا يمكن البحث عن أي حل. في الجانب الآخر، بعض الناس كانوا يعملون بجد ويكسبون المال من أجل شراء الأرض لتأسيس المنزل، لكن وانغ مانغ أمّم كل الأراضي، فتحطّمت أحلامهم. على سبيل المثال الآخر، أمر وانغ مانغ بعدم شراء أو بيع أي عبد، وكان قصده الأصلي هو احترام حقوق الإنسان وإغاثتهم، ولكن النتيجة هي إيجاد طريقة وحيدة أخيرة للبقاء على قيد الحياة للفقراء. كما طبّق وانغ مانغ إصلاح نظام العملة، أيضًا تجري الرياح بما لا تشتهى السفن، الأمر الذي شل الاقتصاد. وباختصار، فشل إصلاح وانغ هاو بسبب مثاليته المفرطة وعجزه عن هضم المعارف القديمة التي تكدّست في رأسه.

فشل إصلاح وانغ مانغ، واندلعت انتفاضات الفلاحين في الأماكن المختلفة، وكان هناك جيش الغابات الخضراء في جنوب البلاد، وجيش الحواجب الحمراء في شماله. في السنة الثالثة والعشرين ميلاديًا، هاجم جيش الغابات الخضراء مدينة تشانغان، قُتل وانغ مانغ في الفوضى، وتلاشت السلالة الجديدة.

في أواخر أيام سلالة وانغ مانغ الجديدة، كان العالم في حالة من الفوضى. بين الانتفاضات، كانت هناك انتفاضات فلاحية وانتفاضات قادتها ذرية أسرة الهان، وقوات انفصالية مسلحة محلية. بعد التطاحن، فاز (ليو شيوه) من ذرية سلالة هان بالنصر النهائي، جلس على العرش في عام 25 م، واتخذ مدينة لويانغ عاصمةً وأسّس أسرة هان الشرقية.

مرّت أسرة هان الشرقية منذ أن الإمبراطور قوانغوو تولّى العرش إلى تخلي الإمبراطور شيان عن السلطة في عام 220 بعد الميلاد بـ 192 عامًا إجماليًا. ويعتقد عمومًا أن قوة الدولة لأسرة هان الشرقية ليست متدفقة بالمقارنة مع أسرة هان الغربية، فقد اتخذت أسرة هان الشرقية مدينة لويانغ عاصةً، ومدى سيطرتها على شمال غرب البلاد ليس أعلى من عهد سلالة هان الغربية. ومع ذلك، خلقت أسرة هان الشرقية عالمًا مستقرًا، وله خصائص مختلفة عن أسرة هان الغربية.

مقارنة مع مؤسس أسرة هان الغربية (ليو بانغ)، كان مؤسس سلالة هان الشرقية ليو شيوى أكثر ثقافة، وكان طالبًا في القصر عند إدارة وانغ مانغ، وتعلّم" شانغ شو (كتاب الوثائق)" في العاصمة تشانغان للتقريب من الكونفوشيوسية. معظم الآباء المؤسسين لأسرة هان الشرقية هم علماء الكونفوشيوسية، مثل (دينغ يو) وهو زميل الإمبراطور قوانغوو (ليو شيوه)، كو شون، فنغ يى، ما يوان، جيا فو، جي تشون، قنغ يان أيضًا وكانوا حريصين على التعلم، وعرفوا كثيرًا عن المدرسة الكونفوشيوسية. لذلك، يمكن القول إن نظام حكم أسرة سلالة الهان الشرقية هو قبلي لطيف ومؤدب منذ إنشائه.

بعد إنشاء أسرة هان الشرقية، تراجع الإمبراطور قوانغوو "بطلًا، كلّف الموظفين الثقافيين"، "راقب الإدراة الرسمية وتعامل مع الشعب بلطف"، أثناء حكمه، كان المجال السياسي صافيًا. في عام 57 م، توفي الإمبراطور قوانغوو، وخلف ولي العهد ليو تشونغ العرش، وهو الإمبراطور مينغ من هان. تأثّر الإمبراطور مينغ بالكونفوشيوسية بشدة وحكم البلاد رشيدًا، وفتحت أسرة هان الشرقية أراضيها خلال فترة حكمه. زار (بان تشاو) المناطق الغربية في عام 73 م، وسيطر على طريق الحرير عبر الوسائل الدبلوماسية الرائعة. في الشمال، أرسل الإمبراطور مينغ (دوقو) و(قن تشنغ) قيادة الجيش للذهاب إلى

عمق الأراضي العشبية لمهاجمة الهون والاستيلاء على واحة توربان. توفي الإمبراطور مينغ في عام 75 ميلاديًا، وتولّى ابنه الإمبراطور تشانغ العرش. أيضًا فضّل الإمبراطور تشانغ الكونفوشيوسية، وكان يلتزم ببرّ السياسة، ولكن بسبب تساهل أسرة الزوجة والأم، زُرعت بذور احتكار السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور من جهة الأم أو الزوجة في فترة الإمبراطو خه. توفي الإمبراطور تشانغ في عام 88 م، وكان ابنه ليو يي يتولّى العرش وهو الإمبراطور خه من هان. بعد أن تولّى الإمبراطور خه زمام السلطة، قام بإبادة أسرة دو (أقرباء الإمبراطور من جهة الأم والزوجة) وهزم الهون بالكامل وأعاد إقامة منصب حاكم المناطق الغربية العسكري. في هذا الوقت، وصلت القوة الوطنية لأسرة هان الشرقية إلى الأقوى، وكان يسمّى التاريخ "يونغ يوان تشي لونغ".

أصبح كل شيء سيئًا لو وصل إلى ذروته، بعد الإمبراطور خه، سرعان ما سقطت أسرة هان الشرقية.

هناك أسباب كثيرة لانهيار أسرة هان الشرقية، ولكن أهم الأسباب هو احتكار السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور من أمه أوزوجه والخصيان. بدأت كارثة أسرة هان الشرقية المتمثلة في احتكار السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور من أمه أو زوجة من الإمبراطور تشانغ. إمبراطورة الإمبراطور تشانغ (دو) لم يكن لديها الابن، وأنجبت سيدة محظيات الإمبراطور (سونغ) الابنَ الذي سُمِّي بليو تشينغ، وهو ولي العهد. تبنّت إمبراطورة الإمبراطور تشانغ (دو) ابن سيدة المحظيات ليو تشاو، وافترت الإمبراطورة (دو) على سيدة المحظيات (سونغ) وقتلتها، أسقطت ولي العهد ليو تشينغ وجعلته الأمير تشينغ خه، وجعلت ليو تشاو وليًا للعهد. بعد وفاة الإمبراطور تشانغ، خلفه ليو تشاو (10 سنوات) على العرش وهو الإمبراطور خه. كان الإمبراطور خه صغيرًا، لم يستطع أن يتولى زمام السلطة، فعالجت أم الإمبراطور خه (دو) الشؤون السياسية. وهي اعتمدت على أقربائها وكلّفت أخاها دو شيان منصبًا مهمًا، وتمّ تشكيل وضع احتكار السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور من جهة أمه.

بعد أن تولّى الإمبراطور خه زمام السلطة، من أجل استعادة السلطة من أقرباء أسرة أم الإمبراطور، فقام مع الخصيان بقتل (دو شيان) وأتباعه.

كان عمر الإمبراطور خه قصيرًا، توفي فقط في الـ 27 من عمره، وخلفه ابنه ليو لونغ الذي كان عمره 100 يوم فقط العرش كالإمبراطور شيانغ. أثناء فترة الإمبراطور شيانغ، عالجت أم الإمبراطور (دنغ) الشؤون السياسية، أخوها (دنغ تشي) استغلّ هذا الوضع وأصبح أقوى في السلطة، سيطر نفوذ أقرباء الإمبراطور من جهة أمه على شؤون الدولة مرة أخرى. توفي

الإمبراطور شيانغ بعد عام واحد من خلفه على العرش، واستقبلت أم الإمبراطورة دنغ ابنَ الأمير تشينغخه (ليو يو) كالإمبراطور، وهو الإمبراطور ان.

خلال عهد الإمبراطور ان، كانت أسرة هان الشرقية تواجهها مشكلة داخلية وخارجية، وفي أوائل فترة حكمه، احتكرت أم الإمبراطور دنغ السلطة لمدة 15 عامًا. بعد وفاتها أعاد الإمبراطور (ان) تكليف أكبر شقيق للإمبراطورة يان (يان شيان)، وألقى الاهتمام الكبير بالخصيان، فوضع البلاط في الفوضى. لا يوجد ابن للإمبراطورة يان، فجعلت سيدة محظيات الإمبراطور (لي) ابنها ليو باو كولي العهد، لكنها قُتلت من قبل الإمبراطورة يان، وألغى ليو باو منصب ولي العهد أيضًا.

كان عمر الإمبراطور (ان) قصيرًا أيضًا، كان عمره 32 سنة فقط عندما مات. دعمت الإمبراطورة يان حفيدَ الإمبراطور تشانغ (ليو يي) كإمبراطور، لكنه توفي من المرض بعد جلوسه على العرش بمدة أكثر من 200 يوم. في هذا الوقت، بدأت قوات الخصيان تظهر، فقضوا على نفوذ أقرباء الإمبراطور (يان)، ودعم (ليو باو)، هو الإمبراطور شون. إن عرش الإمبراطور شون كُسب من دعم الخصيان، فبعد أن اعتلى العرش، اهتمّ بالخصيان، وأعطى منصب المركيز لـ 19 مخصي كانوا يدعمونه.

بالإضافة إلى ذلك، كلّف الإمبراطور شون منصبًا مهمًا لأب الإمبراطورة (ليانغ شانغ)، مما أدى إلى احتكار السلطة من قبل أسرة (ليانغ) لأكثر من 20 عامًا. بعد وفاة ليانغ شانغ، استمر ابنه ليانغ جي في السيطرة على السلطة السياسية، في هذا الوقت، وصلت قوة أقرباء الإمبراطور إلى ذروتها. هناك "سبعة مراكيز، ثلاث إمبراطورات، ست سيدات هنّ محظيات الإمبراطور، جنرالان، ثلاث أميرات، وسبعة وخمسون موظفًا كبيرًا" من أسرة ليانغ جي. بعد أن تولى ليانغ جي السلطة لمدة أكثر من 20 عامًا، أصبح مغرورًا للغاية، تحكّم في الإمبراطور تشونغ والإمبراطور تشى، وقتل الإمبراطور تشي بالسمّ وذلك بسبب كلماته.

في عام 159 ميلاديًا، قام الإمبراطور هوان بقتل أسرة ليانغ بالتعاون مع الخصيان. بعد قتل أسرة ليانغ، وتحوّل سلطة شؤون الدولة إلى أيدي الخصيان، تم تعيين خمسة خصيان ساعدوا الإمبراطور هوان في قتل أسرة يانغ منصب المركيز، وهم عرفوا باسم "وو هوى" (خمسة مراكيز). وقد توسّعت قوات الخصيان بشكل كبير منذ ذلك الحين، وكان فسادهم أسوأ من أسرة أقرباء الإمبراطور من أمه أو زوجه. كان الموظفون والطلاب في المحكمة يعارضون احتكار سلطة الخصيان، فكانت النتيجة أن قُتلوا من قبل الخصيان، هذا الأمر معروف باسم "كارثة دانغ قو" الشهيرة في تاريخ أسرة

هان الشرقية. بعد مرور "كارثة دانغ قو" لمرتين، تم إقصاء جميع الأدباء والحكّام المخلصين عن بلاط أسرة هان الشرقية، وبدأت أسرة هان الشرقية تنهار وكادت أن تتلاشى.

في 184 م، اندلعت انتفاضة الجيش مع العمامة الصفراء. في هذا الوقت، لم يتمكّن بلاط هان الشرقية الفاسدة من تسوية التمرد، وأمرت الولايات والمقاطعات بالتجنيد بأنفسهم للحفاظ على البلاد. على الرغم من إتمام قمع انتفاضة الجيش مع العمامة الصفراء في الوقت اللاحق، لكن بأثنائه، بدأ رؤساء الولايات والمقاطعات تنظيم جيوشهم، وتمّ تشكيل حالة انفصالية من أمراء الحرب.

في عام 189 بعد الميلاد، توفي الإمبراطور لينغ، وخلف الإمبراطور شاو (ليو ليان) العرش، وصلت مرتبة منصب (خه جين) الذي جاء من أسرة أقرباء الإمبراطور من جهة أمه أو زوجه إلى الجنرال العام، وسيطر على البلاط. كان مصممًا على القضاء على قوات الخصيان، لكن واجهته معارضة أم الإمبراطور خه. اقترح زعيم الأدباء والحكام (يوان شاو) السماح للجيش الشمالى الغربي (دونغ تشوه) بدخول بكين، مما اضطر أم الإمبراطور خه إلى الموافقة على ذلك. وافق (خه جين) على اقتراح يوان شاو. لكن هذه الخطة لم تُكتم جيدًا، وقتل الخصيان خه جين. بعد أن سمع يوان شاو هذا الخبر وكان في جيش الغرب، قاد الجيش فورًا وهاجم القصر الإمبراطوري وقتل الخصيان، ما أسفر عن فوضى في العاصمة. قاد أمير الحرب الشمالي الغربي دونغ تشوه قواته لدخول بكين مستغلًّا الفوضى، وسيطر على الحكومة المركزية بأكملها. في نفس الوقت دونغ تشوه طهّر الخصيان وأقرباء الإمبراطور من أمه أو زوجه، وأيضًا تنازل الإمبراطور شاو (ليو بيان) عن عرشه، وجعل الأمير (ليو شيه) كالإمبراطور، أي الإمبراطور شيان.

قام دونغ تشوه بالحرق والقتل والاغتصاب في العاصمة، مما أدى إلى أن يرسل الأمراء من مختلف المقاطعات في شاندونغ قوات تأديبية مشتركة ضده، فشكّلوا جيشًا متحالفًا عسكريًا، لكنهم كانوا منفصلين قلبيًا، فحدث الاقتتال الداخلي بينهم في أسرع وقت. أكره دونغ تشوه الإمبراطورَ شيان على نقل العاصمة إلى مدينة شيوى تشانغ، قبل المغادرة، أحرق مدينة لويانغ، عاصمة سلالة هان الشرقية.

هاجم أمراء الحرب في كل مكان بعضهم البعض من أجل تعزيز نفوذهم، وقد اختفت هيبة السلالة المركزية تمامًا. كانت القوى الانفصالية المحلية الرئيسية قوات (يوان تشاو) في ولاية جي، قوات (تساو تساو) في ولاية تشوان، قوات (قونغسون تسان) في ولاية يو، قوات يوان شو في ولاية

يانغ، قوات (ليو بياو) في ولاية جينغ، قوات (ليو يان) في ولاية يي، قوات (تشانغ لو) في هان تشونغ، قوات (ما تنغ) وهان سوي في ولاية ليانغ.

في عام 192 ميلاديًا، طبّق الوزير (سيتو وانغيون) سلسلة من الخطط وحرّض (ليوي بو) على قتل دونغ تشوه. ولكن سرعان ما انتقم تابعي دونغ تشوه (لي جيويه) و(قوه سي) من أجله، حيث قتلا (وانغيون)، وفرّ (ليوي بو)، وفقد بلاط سلالة هان الشرقية السيطرة مرة ثانية. في عام 195 بعد الميلاد، حدث الصراع الداخلي بين (لي جيويه) و(قوه سي)، وعاد الإمبراطور شيان (ليو شيه) ومجموعة الوزراء إلى مدينة لويانغ التى كانت مدمرة تمامًا.

وبعد مرور عام، استقبل (تساو تساو) الإمبراطور شيان في مدينة شيوي تشانغ، ومنذ ذلك الحين، "أرغم (تساو تساو) الإمبراطور على السيطرة على الأمراء والحكام"، وإمبراطور القوة الإمبراطورية تدريجيًا. كان تساو تساو عبقريًا نادر المثال، نشأ نفوذه أثناء تطاحن الأمراء والحكام، حيث هزم (يوان تشاوه)، (يوان شو)، (ليوي بو) وغيرهم، وأتمّ توحيد الشمال.

في هذا الوقت هبّ نفوذ (سون تسه) وأخيه (سون تشيوان) في مناطق المجرى الأدنى من نهر اليانغتسى (في شرقي الصين)، ووضعا حجر الأساس الخاص بهما، أيضًا اغتصب (ليو بي) ولاية يي (في غربي الصين)، تم تشكيل "وضع مجابهة الممالك الثلاث" منذ ذلك. في عام 220 بعد الميلاد، تنازل الإمبراطور شيان من أسرة هان عن عرشه إلى ابن تساو تساو (تساو بي)، وغيّر (تساو بي) اسم الإمبراطورية إلى "وي"، ماتت أسرة هان الشرقية. في وقت لاحق، في 221 م، أصبح (ليو بي) أيضًا الإمبراطور في إمبراطوريته (شو). في عام 229 ميلاديًا، أصبح (سون تشيوان) الإمبراطور في إمبراطوريته (وو). عند هذه النقطة، تم تكوين وضع المجابهة الثلاثية وي، شو، وو، ودخل التاريخ إلى عصر الممالك الثلاث.

المعلومات الإضافية: الحسب والنسب في سلالة هان الشرقية

اهتمّت سلالة هان الشرقية بالكونفوشيوسية أكثر مقارنة مع سلالة هان الغربية، حيث شجّع كل من الإمبراطور قوانغوو والإمبراطور مينغ والإمبراطور تشانغ على الكونفوشيوسية. في سنة 59 م، شرح الإمبراطور مينغ (ليو تشوانغ) شخصيًا "كتاب الوثائق" في مينغتانغ مدينة لويانغ، وهذا الأمر جلب آلاف الناس للمشاركة فيه. مع ازدهار الكونفوشيوسية، نما التأثير السياسي لطبقة الأدباء والحكام شيئًا فشيئًا. لم يكن من السهل الحصول على فرصة الدراسة في المجتمع القديم. لا نقول شيئًا آخر، فقط الكتب وحدها ثمينة للغاية. لم يكن فن الطباعة في ذلك الحين موجودًا فكان من اللازم

الاعتماد على الكتب المصنَّعة من الخيزران والحرير على النقل والاستنساخ، فالموارد البشرية والموارد المادية المطلوبة كبيرة للغاية، لا يمكن أن يتحملها الناس العاديون. في هذه الظروف، غالبًا ما اقتصر تعليم الثقافة الأكاديمية على أسر الأدباء والحكام، مما تسبب في ما يسمى بـ "دراسة الكلاسيكيات جيلا بعد جيل". في ذلك الوقت كانت "الكلاسيكية" هي شرط ضروري للموظف الحكومي، لذلك، وضع "دراسة الكلاسيكيات جيلا بعد جيل "أدى إلى "الأدباء والحكَّام جيلا بعد جيل"، أي أن الأسرة التي تهتم بالقراءة جيلا بعد جيل تصبح أسرة يكون فيها موظفون حكوميون جيلًا بعد جيل بسهولة.

وبالإضافة إلى ذلك، اتخذت سلالة هان نظام تشا جيوى (تحقيق وترشيح) لاختيار الأكفاء، لو أصبح شخص ما موظفًا حكوميًا، ليس لديه الراتب الرسمي العالي فحسب، بل لديه الحق في ترشيح الشخص البار للوالدين والشخص العفيف إلى البلاط. وهكذا، إذا وصل منصب شخص ما إلى حاكم المقاطعة، فكل الموظفين الباريين بالوالدين والأشخاص الأعفاء في كامل المقاطعة سيشهدون تحقيقه وترشيحه، كمن شعور الشكر تجاه الحاكم في قلب المشرحين، فأصبحوا أتباع الحاكم، هذا أمر طبيعي. إذا ملكوا القوة في المجال السياسي، سيترشّحون خلف صاحب الفضل الخاص بهم في المستقبل. فبالنسبة إلى الشخص الذي رشّح الآخرين، فأحفاده سيلقون الترشيح بسهولة. هكذا، فإن مرشّحي الموظفين الحكوميين جاؤوا من عدة أسر كبيرة دائمًا شهيرة ومحلية. في أسرة هان الشرقية، كان هناك العديد من العائلات الشهيرة في كل مقاطعة مثل ذلك، مما تسبّب في إيجاد ظاهرة ومفهوم الحسب والنسب.

إن تشكيل الحسب والنسب في أسرة هان الشرقية هو مزيج من المعرفة والقوة أساسًا. سيطر العديد من العائلات الشهيرة على الموارد العلمية والثقافية وموارد القوة لمدة طويلة، في كثير من الأحيان أصبحوا من "الكلاسيكيات جيلًا بعد جيل" وإلى "الأدباء والحكام جيلًا بعد جيل"، على الرغم من أن هذا لم يكن ظاهرة ورثت السلطة علنًا، لكنه خلق طبقة الأرستقراطية. هذا النوع من النفوذ من الحسب والنسب استطاع مساعدة الإمبراطور في تحقيق استقرار المقاطعات في مناسبة السياسة النزيهة، ولكن في مناسبة انهيار السلالة أو تفككها، هذا أيضًا يمكن تحويله بسهولة إلى السلطة الانفصالية المحلية. إن عائلة (يوان تشاوه) في أواخر عهد أسرة هان الشرقية هي مثال نموذجي.

ملخّص وجهات النظر: النظر في دورة السلالة من صعود وسقوط سلالتي هان

بمعنى من المعاني، يمكن أن نعتبر سلالة هان الشرقية نتاج استعادة لأسرة هان الغربية. للسلالتين الكثير من الاتساق في مستوى النظام: كلاهما حافظ على نفس النظام الإمبراطوري اعتمادًا على الاقتصاد الزراعي، وتركّزت السلطة على يد الإمبراطور، ما أدار الشؤون المحلية بديلا من الإمبراطور هو نظام بيروقراطي له مستويات صارمة، ودخل الناس العاديون إلى الوسط السياسي من خلال نظام تشا جيوى (تحقيق وترشيح). كما أن كلاهما يملك الاتساق إلى حدٍّ كبير من حيث الأيديولوجية الوطنية، حيث احترم كلاهما الكونفوشيوسية وآمن بنظرية القدر المتسقة بشكل عام. حتى عمر السلالتين قريب جدًا، حوالى 200 سنة (عمر أسرة هان الغربية أطول من عمر أسرة هان الشرقية). ومن بين أسباب انهيار السلالتين عوامل شائعة مثل الفساد السياسي واحتكار السلطة من قبل أقرباء الإمبراطور والضم الشديد للأرض والانتفاضات الفلاحية. ظهرت هذه الظاهرة في أواخر السلالات اللاحقة مرارًا وتكرارًا، وبدا أنها "المرض الشائع" في نهاية كل سلالة. في الواقع، يمكن للناس أن تلخّص معدل الدورة للسلالة الملكية الصينية بشكل عام من خلال صعود وهبوط سلالة هان. وفي هذا الصدد، قال الباحث الأمريكي الشهير السيد جون كينج فيربانك: "إن الحكم الديكتاتوري هو أكبر عدو لنفسه بالضبط. أنعم الإمبراطور الكثير من الأراضي والمزارعين بشكل دائم على أقربائه والوزراء المفضّلين والموظفين الكبار، لكن غالبًا ما كانوا جشعين مما أدّى إلى المزيد من تدهور الحكم".

يمكننا فحص قانون صعود وسقوط الإمبراطورية من آلية اكتشاف المواهب. بشكل عام، بمناسبة تأسيس سلالة، هناك الإمبراطور الرشيد والتوابع الرشيدين، يبدو أن كل الدولة مليئة بالأكفاء في كل مكان، ولكن حتى نهاية سلالة، من الصعب العثور على الأكفاء المتميزين في كامل مجالات البلاط. هل يُنجب الأكفاء حسب التوزيعات المختلفة في الأوقات المختلفة؟ من الواضح لا. السبب الجذري هو أن الطبقة الحاكمة في الأسر الملكية في الصين هي نظام قوى مغلق. في بداية السلالة مرّ الإمبراطور بعملية الفرز الوحشية خلال عملية كسب الدولة، لا يقدر الأبله الفوز بالعرش، فالذي يحصل على العرش لا بد له أن يملك القدرة المتفوقة التي لا يملكها الآخرون. بالنسبة للأبطال، يكبرون في الأوقات العصيبة دائمًا، ويأتون من جميع الجوانب، ولديهم مكوّنات معقّدة، ويمرون أيضًا من خلال اختبار الحرب وتجربتها. ويمكن اعتبار هذا النوع من التعاون بين الإمبراطور الرشيد والوزراء الرشيدين كفريق ريادة الأعمال القوي، من اللازم أن روح المكافحة والقدرة على التكيّف مع الظروف لديهم قوية للغاية.

ومع ذلك، بعد أن كسب الإمبراطور المؤسس الدولة، دائمًا ما اعتقد أن هذه الأسرة الملكية تابعة للأسرة نفسها، وشكّلت المجموعة الملكية دائرة ضيقة ومغلقة. سيأتي أمبراطور السلالة المستقبلي من هذه دائرة الأكفاء الضيقة بلا شك، ونتيجة لذلك، من المحتم أن يظهر الحاكم الغبي الغارق في الفسق بعد عدة أجيال. استمتع أبناء الأبطال بثروة وامتيازات الأسلاف، هذا ازداد احتمال أن يصبح الأولاد ماجنين بشكل كبير. وهكذا، بعد الجيل الثاني والثالث، الأكثر الرابع أو الخامس، من المحتّم أن الطبقة الحاكمة للسلالة الملكية قد فسدت وتدهورت، وفي هذه المناسبة، اغتنم أقرباء الإمبراطور من جهة زوجته أو أمه والخصيان الذين تجمعوا حول سلطة الإمبراطورية اغتنموا هذه الفرصة لتوسيع سلطاتهم. عند هذه النقطة، لا يمكن إيقاف اضطراب نظام السلالة وانتشار الفساد، وفقدت الأسرة دعم الشعب. إذا ضاع دعم الشعب، لا يبقى لدى الأسرة الحاكمة قوة متماسكة، من المحتم أن تنهار وتتفكك.

الممالك الثلاث وسلالتا جين والأسرتان الشمالية والجنوبية: عصر الحرب واندماج القوميات

بعد زوال سلالة هان الشرقية، دخلت الصين حقبة حرب طويلة المدى. ينقسم هذا العالم الطويل والمضطرب إلى ثلاث مراحل: الممالك الثلاث، وسلالتا جين، والأسرتان الشمالية والجنوبية. إن قصص النضال بين الممالك الثلاث وي شو وو معروفة على نطاق واسع صاغ الراوي (لوه قوان تشونغ) رواية "رومانسية الممالك الثلاث" وفقًا لهذه الفترة من التاريخ. من أجل جذب انتباه القرّاء، لا بد أن يضيف الكثير من التخطيط والوصف المبالغ فيه، لكن المخطط العام ليس منحرفًا. إنه بالفعل عالم مضطرب، ولكنه أيضًا حقبة من الأبطال. إن الجيل الأول من مؤسسي الممالك الثلاث وي شو وو وتوابعهم كلهم أبطال، ومروا بكل الصعاب وأنشأوا حجر الأساس الذي من المؤسف لا يتلقى الوراثة الجيدة، والسبب بسيط جدًا، بعد أن توفي الجيل الأول من الأبطال الذين أسسوا السلالة، كان جيلهم الثاني أبناءً مبذّرين. كما يقول المثل: "آ دوه الذي لا يستطيع المساعدة"، هذا يقصد ابن ليون بي (ليو تشان) لم يستطع الحفاظ على حجر الأساس الذي أنشأه والده. في 263 م، تم تدمير نظام شوهان من قبل ولاية وي خلال عهد ليو تشان.

ومع ذلك، في هذا الوقت، انخفضت عائلة تساو من إمبراطورية وي أيضًا. وكما سيطر تساو تساو على الإمبراطور شان، تلاعب سيما يي فيما بعد بنظام تساو وي. ثم سيطر ابنه (سيما تشاو) على نظام الإمبراطورية وي

بأكمله. بعد عامين من ضم النظام شو هان، أي عام 265 بعد الميلاد، اغتصب ابن سيما تشاو (سيما يان) نظام إمبراطورية وي تمامًا، وأنشأ أسرة جين الغربية، وهو الإمبراطور وو من أسرة جين.

خرّبت أسرة جين الغربية إمبراطورية وو في عام 280 بعد الميلاد وأكملت قضية التوحيد العظيم. ومع ذلك، سرعان ما تدهورت أسرة جين الغربية. بعد أقل من عامين من وفاة الإمبراطور وو لأسرة جين، حدث الاقتتال الداخلي الخطير أي "فوضى الملوك الثمانية" في أسرة جين الملكية.

بمناسبة تدهور أسرة جين الغربية، بدأ الهون بغزو السهول الوسطى. في عام 311 ميلاديًا، قاد (ليو تسونغ) جيش الهون للاستيلاء على عاصمة أسرة جين الغربية مدينة لويانغ، وأسر الإمبراطور هواي من أسرة جين. اضطرت أسرة جين الغربية إلى دعم الإمبراطور مين في مدينة تشانغان والعمل بصعوبة للحفاظ على نظام أسرة جين الغربية. لكن هذا الوضع لم يستمر إلا لمدة خمس سنوات. في عام 316 م، قاد (ليو ياو) جيش الهون لمهاجمة تشانغان، استسلم الإمبراطور مين وأعطى المدينة إلى الهون وانتهت أسرة جين الغربية.

بعد أن تركت العائلة الملكية جين الشمال، فرت إلى الجنوب، وقامت أسرة جين الشرقية في مدينة نانجينغ عام 317 م. منذ ذلك الحين، تم تقسيم الصين إلى القسمين الجنوبي والشمالي. استمر نظام أسرة جين الشرقية 104 سنوات، تلاه نظام الممالك الأربعة الأقل عمرًا سونغ تشي ليانغ تشن، وشهدت نحو 170 عامًا، هو الأسرة الجنوبية. وكانت الصين الشمالية سيطرت من قبل نظام "الخمس أقليات" بتغيير، أي أن أقليات (الهون، شيانبي، دي، تشيانغ، وجيه) أنشأت ستة عشر نظامًا، أي يعرف عادة باسم "الخمس أقليات والممالك الستة عشر". هذه الأقليات أقامت النظام في الصين الشمالية، من ناحية تواجهت مع قوة قومية هان الصينية، ومن ناحية أخرى تعاونت مع الشعب من قومية هان، سواء التعارض أو التعاون بينهما، هذا ساهم إلى حد كبير في اندماج القوميات. لذلك، أصبحت ظاهرة "تعلّم الأقليات من قومية هان" و"تعلّم قومية الهان من الأقليات" أهم موضوع عصر في هذه المرحلة.

المثال الأكثر نموذجية لـ "تعلّم الأقليات من قومية هان" هو الإصلاح الذي قام به الإمبراطور شياو ون من سلالة وي الشمالية حين بادر في حل القبائل قومية (شيان بي) وغيّر الجماعات العشيرية إلى أفراد القرية، وجعل قومية (شيان بي) تستخدم الحروف الصينية واسم الأسرة للقومية الهانية. سياسة التصيين (يقصد تعلّم قومية هان) هذه الشاملة ساهمت دون شك في عملية تصيين قومية شيان بي.

من ناحية أخرى، تعلّم شعب هان في السهول الوسطى أيضًا ثقافة شعب هو (كل القوميات غير قومية الهان في الشمال والغرب من الصين القديمة) في عملية التعامل مع شعب هو، وقبلوا عادات شعب هو في الخفية. على سبيل المثال، بدأ أهالي هان الذين كانوا يجلسون على الأرض دائمًا استخدامَ "سرير هو" في هذه الفترة - وهو المقعد المرتفع الذي اخترعه شعب هو. مع شعبية الأثاث العالي الأقدام، تخلى شعب هان عن عادة الجلوس على الأرض مباشرة. وبالإضافة إلى ذلك، قُبلت الأزياء والموسيقى والرقص وغيرها من الثقافة لشعب هو من قبل قومية هان أيضًا، انتشرت الآلات الموسيقية لشعب هو مثل المزمار، فلوت تشيانغ، والعود وغيرها من شمالي صحراء الصين والمناطق الغربية إلى السهول الوسطى، مما ساهم في تنويع موسيقى الصين، أيضًا انتشر فن تربية الماشية الذي مهره شعب هو إلى السهول الوسطى، وأعجب شعبُ هان باللباد والجبن والزبدة والفطيرة التي صنعها شعب هو، فكان التعامل مع قومية هان قد أتى ثمارًا وفيرة. بعد أن مرّ نظام الإمبراطورية العظيمة الذي أنشئ منذ عهدي تشين وهان بهذا النوع من الدمج وإعادة التنظيم، تمّ إضافة العديد من الجينات الأجنبية. أصبحت المنظمات الإنسانية في الصين، بما في ذلك البيئة الوطنية والمجتمعات الجغرافية والمكونات الثقافية، أكثر تعقيدًا وتنويعًا. يمكن القول إن اندماج القوميات والثقافات في شرق آسيا قد تم تشكيله بعد هذه المرحلة من "تعلّم الأقليات من قومية هان" و"تعلّم قومية الهان من الأقليات" في الواقع.

هناك نقطة أخرى يجدر ذكرها. تطورت البوذية بسرعة خلال إمبراطورتي وي وجين والأسر الجنوبية والشمالية. خلال هذه الفترة، مهما كان نظام شعب هو في الشمال أو نظام شعب هان في الجنوب، تمتع بتأييد خاص للبوذية القادم من البلد الأجنبي، ذلك لأن الناس ازدادت حاجتهم إلى العزاء الروحي من الدين كلما أصبح وضع الاضطراب أخطر. دخلت البوذية إلى الصين في عهد يونغ مينغ لأسرة هان الشرقية، وبعد فترة من انتشارها، أصبحت البوذية جزءا لا يتجزأ من الثقافة الصينية وأصبحت واحدة من الأفكار المركزية الثلاثة المتمثلة في الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية.

لو نظرنا من جهة الفوضى، نرى أن فترة الممالك الثلاث والسلالتين جين والأسر الشمالية والجنوبية هي أيام فوضى مرت بأربعمائة سنة بلا شك، وكانت الشعوب تعاني من آلام الحرب في هذه الأيام العصبية. ومع ذلك، لو نظرنا من جهة إعادة تنظيم الشكل الوطني، هذه الفترة هي مرحلة لا مفر منها من اندماج القوميات والارتقاء الثقافي.

المعلومات الإضافية: إصلاح الإمبراطور شياو ون من أسرة وي الشمالية

كانت سلالة وي الشمالية سلالة أنشأتها قومية (شيان بي) وكان مؤسسها (توه با).

عندما وحّدت أسرة تشين السابق شمالَ الصين، حُكم شعب قومية (شيان بي) أيضًا من قبل أسرة تشين السابق. في عام 383 ميلاديًا، أرسل الإمبراطور (فو جيان) لأسرة تشين السابق قوات تأديبية لمهاجمة سلالة جين الشرقية، التي هزمتها في (في شوي). بعد هزيمته في معركة في شوي، انهار حكم أسرة تشين السابق في الشمال، اغتنم (توه با) هذه الفرصة لإستعادة إقامة الدولة، وغيّر لقب الدولة إلى (وي)، وأصبح هو الإمبراطور، يسمّى التاريخ هذه الفترة بأسرة وي الشمالية. بعد عدة أجيال من الجهود المتواصلة، وحّدت أسرة وي الشمالية شمالَ الصين في 439 م.

إن الملوك في أسرة وي الشمالية علّقوا أهمية كبيرة على تعلّم الثقافة الهانية، وحتى ذلك الوقت من عهد الإمبراطور شياو ون (توهبا هونغ)، نفّذ إصلاح التصيين الشامل، ويسمّى التاريخ باسم إصلاح الإمبراطور شياو ون.

في الأصل لم يكن لدى شعب شيان بي كلمات، ولم يتمكنوا من القراءة أو الكتابة. كما أن مسؤوليهم كانوا غير مدفوعي الأجر، فإذا أرادوا شيئًا ما، طلبوا أو خطفوا الناس تحت حكمهم. إنّ شعب هذه الأمة مثل هذه ببساطة كانوا همجًا غير مثقفين وغير مؤدبين. النتيجة لذلك، كانت التناقضات العرقية لسلالة وي الشمالية حادة دومًا، وعارض شعب هان القمع الوحشي لشعب شيان بي.

لم يقنع الإمبراطور (شياو ون) بالشكل السياسي والحياة الثقافية لقوميته شيان بي للغاية، واعتقد أن قومية شيان بي يجب أن تتعلّم النظام السياسي والعادات الثقافية الهانية المتقدمة. أمر الإمبراطور شياو ون للأسرة وي الشمالية من أجل تسهيل مهمة شعب شيان بي في تعلّم ثقافة شعب هان ومحاكاة طريقة حياته، أن ينقل العاصمة من مدينة بينغ (الآن داتونغ في شانشي) إلى مدينة لويانغ، ذلك لإن شعب هان عاش في مدينة لويانغ، والثقافة الهانية متقدمة هنا، وذلك سهّل ناس شيان بي للمحاكاة.

لكن معظم النبلاء من قومية شيان بي كانوا لا يريدون نقل العاصمة، ولا يوافقون على إصلاح التصيين الشامل للإمبراطور شياو ون، فقاموا بمعارضته. من أجل تنفيذ إجراءات الإصلاح بشكل جيد، فكّر الإمبراطور شياو ون في حيلة، أمر الجيش كله بالذهاب إلى الجنوب. تجرّأ النبلاء من قومية شيان بي على معارضة نقل العاصمة، ولكن على كل حال، لا يجرؤون على معارضة إرسال قوات القمع إلى الجنوب، أليس كذلك؟ لذلك، غادر جيش

شيان بي مدينة بينغ وقدم إلى الجنوب، عندما مرّ بمدينة لويانغ، بدأت تمطر كثيرًا، وأصبح الطريق موحلًا. في هذا الوقت، طلب النبلاء من قومية شيان بي وقف إرسال قوات القمع إلى الجنوب. اغتنم الإمبراطور شياو ون الفرصة للمساومة مع النبلاء من قومية شيان بي: إذا كنتم لا ترغبون في مواصلة إرسال قوات القمع إلى الجنوب، فوافقوا على نقل العاصمة إلى مدينة لويانغ. كان النبلاء من قومية شيان بي لا يريدون حقًا مواصلة إرسال قوات القمع إلى الجنوب، اضطروا إلى الموافقة على نقل العاصمة إلى مدينة لويانغ.

من أجل تخفيف شعور النبلاء من قومية شيان بي الذي يكمن في عدم الرغبة في مغادرة مسقط رأسهم، سمح الإمبراطور شياو ون لهم بالعيش في الجنوب شتاءً، والعيش في الشمال صيفا"، يعني سمح لهم للعيش في مدينة لويانغ في الشتاء والعودة إلى مدينة بينغ في الصيف. واعتبر ذلك طريقة انتقالية في ذلك الوقت، ولم يتغير هدفُ إصلاح الإمبراطور شياو ون لتحقيق تصيين قومية شيان بي من خلال الانتقال إلى الجنوب. وفي وقت لاحق اشترط أن يُدفن شعب شيان بي الذي انتقل إلى مدينة لويانغ في لويانغ بعد وفاتهم وليس في شمال السور العظيم.

بعد نقل العاصمة إلى لويانغ، بدأ الإمبراطور شياو ون يشترط وجوب أن يرتدي شعب شيان بي الملابس الهانية، ويتكلم اللغة الصينية، وغيّر اسم الأسرة الهانية، هو غيّر اسم الأسرة لنفسه (شيان بي) إلى (يوان). وأما الباقي، فغيّر "دوقو" إلى "ليو"، "تشيو مو لينغ" إلى "مو"، "بو ليو قو" إلى "لو"، "خه لاي" إلى "خه"، "خه لو" إلى "لو". كان الإمبراطور شياو ون أيضًا يشجّع شعب شيان بي على التزاوج من شعب هان، أخذ الإمبراطور شياو ون نفسه زمام المبادرة، تزوج من بنات الأدباء والحكام الهانيين من عائلة تسوي، لو، وانغ، تشنغ، لي، واضطر ستة أشقاء أيضًا على التزاوج من بنات الأدباء والحكام الهانيين كالزوجة الأقدم. بعد تزاوج شعب شيان بي الذي دخل السهول الوسطى مع شعب هان، سرعان ما اندمجا بعضهما مع بعض.

وبالإضافة إلى ذلك، أعاد الإمبراطور شياو ون أيضًا مكانة الكونفوشيوسي "سو وانغ" (الشخص الذي يتمتع بأخلاق الإمبراطور بل لم يخلف عرش الإمبراطور)، هو كسب عددًا كبيرًا من الأدباء والحكام هان من خلال رفع مواصفات احترام الكونفوشيوس وعبادته. كما علّم الإمبراطور شياو ون ثقافة شعب هان في مجال النظام السياسي، اتخذ نظام راتب الموظفين الحكوميين، كما أصدر نظام معادلة الأراضي ونفّذ نظام تعديل المستأجر.

إن إجراءات إصلاح التصيين الشامل للإمبراطور شياو ون ذوّبت نظام شعب هو في جميع الجوانب بما فيها السياسة والثقافة والعادات، وحلت

التناقضات العرقية الموجودة الأصلية. سرعان ما اختفى الفرق بين شعب شيان بي وهان، وما بدّله هو الفرق بين الأدباء والحكام مع عامة الناس. وهذا يدل على أن إصلاح الإمبراطور شياو ون يهدف إلى اختراق عقبات القوميات والأجناس وإقامة بلد أكثر عمومية.

ملخّص وجهات النظر: سياسة الأسرة الغنية المتنفّذة في أسرة جين الشرقية والسلالة الجنوبية

ذكرنا ظاهرة الحسب والنسب في فصل سلالة هان الشرقية. حيث تطوّر مفهومها في فترة وي وجين، أصبح سياسة الأسرة الغنية المتنفذة حتى السلالة الجنوبية.

عند تلاشي أسرة جين الغربية، عبرت العائلة الحاكمة جين إلى الجنوب، وأنشأت أسرة جين الشرقية في جنوب حوض نهر اليانغتسي، القوة التي اعتمدت عليها كانت من الأدباء والحكام من الأسر الغنية المنتفذة. على سبيل المثال، أشهر أسرة نبيلة في أسرة جين الشرقية كانت (لانغ يا وانغ شي)، تم تأسيس أسرة جين الشرقية بأكملها على أساس دعم نفوذ الأسرة النبيلة وانغ والأسرة النبيلة شيه. كان وانغ داو ووانغ دون ووانغ كونغ وغيرهم من بين الأوائل الذين أوصوا بأن يكون (سيما روي) الإمبراطورَ. بعد إنشاء أسرة جين الشرقية، اعتمد البلاط على (وانغ داو) وأخيه (وانغ دون) بكثير، وانغ داو مسؤول عن الشؤون الداخلية، ووانغ دون قاد القوات خارجيًا، إن نفوذ أسرة وانغ منتشر طول البلاد. لوانغ كونغ ابن اسمه (وانغ شى تشى)، هو خطاط شهير، أما وانغ داو ووانغ دون، فهما عمّا وانغ شي تشي. يمكن القول إنّ جيل والد الخطاط العظيم وانغ شى تشي كان الأب المؤسس لأسرة جين الشرقية. كانت مكانة أسرة وانغ بارزة غير مسبوقة، في ذلك الوقت، هناك القول "أسرتا وانغ وما تحكما في العالم"، وهذا يعني أن أسرة جين الشرقية تحت حكم العائلة المالكة (سيما) والعائلة وانغ معا. بالإضافة إلى أسرة وانغ، أيضًا هناك أسرة قن في ولادة ينغتشوان وأسرة شيه في ولادة تشن وأسرة هوان في ولادة تشياو، ولديها وزن كبير في هيكل السلطة لأسرة جين الشرقية.

إن سياسة الأسرة الغنية المتنفذة هي السياسة الأرستقراطية التي تسترعي الانتباه إلى الحسب والنسب. هناك معنيان للحسب والنسب، النسب يعني أسرة غنية متنفذة، لا يمكن لأحد شغل الوظائف الحكومية إلا إن جاء من الأرستقراطية. وأيضًا يعني "مستوى"، حتى جاء من الأرستقراطية، من

الضروري أيضًا النظر إلى مستوى نسبه، فالشخص الذي يتمتع بأعلى مستوى من النسب يتمتع بالطبع بامتيازات أكثر من الشخص ذي المستوى الأدنى.

تشكّلت ظاهرة الحسب والنسب في عهد أسرة هان الشرقية من "دراسة الكلاسيكيات جيلا بعد جيل" إلى "الأدباء والحكّام جيلا بعد جيل"، في ذلك الوقت، كان العلم والتهذيب الذاتي يسبقان تشغيل الموظفين الكبار. لكن في أسرة جين الشرقية والسلالة الجنوبية، طالما ولدتَ في عائلة مشهورة، من المؤكد أن تقدر على شغل المنصب الرفيع، ليست هناك حاجة إلى "دراسة الكلاسيكيات" لإبرازه. لذلك، يمكن القول إنّ سياسة الأسرة الغنية المتنفذة في أسرة جين الشرقية والسلالة الجنوبية هي سياسية أرستقراطية في جوهرها، ولكن هذه الأرستقراطية ليست أرستقراطية عشائرية في الأزمنة القديمة، وأيضًا ليست أرستقراطية ملكية في العصور الوسطى الأوروبية، وإنما هي نوع من الارستقراطية التي جاءت من الأسرة الشهيرة المحلية. هذا النوع من السياسة الأرستقراطية في نفوذ الأسرة التي تمّ تحويله المتكرر من خلال البيروقراطيين الهانيين، أي عيّنت أسرة ما موظفًا حكوميًا في مكان ما جيلًا بعد جيل، فأصبحت عائلة نبيلة شهيرة في تلك المنطقة. الامتيازات السياسية والاقتصادية لأفراد هذه العائلة لم تأتِ من مكافأة الإمبراطور أو تعيينه، بل تأتي من عائلته النبيلة كليًا. وفي هذه الظروف، ما حافظ الوزراء والموظفون الكبار في أسرة جين الشرقية والسلالة الجنوبية عليه بقوة هو مصالح أسرهم بصفة طبيعية وليس مصالح الأسرة الحاكمة التي كان يعمل لديها.

لسياسة الأسرة الغنية المتنفذة علل كبيرة، ويتمثل أداؤها في أن أبناء النسب النبيل استطاعوا شغل المنصب المهم فقط بحكم نسبه البارز بلا شك، دون الحاجة إلى الاعتماد على الموهبة الحقيقية. لأنه لا داعي للاعتماد على القدرة الحقيقية لشغل الوظائف العالية، وبالتالي فإن الأطفال من الطبقة النبيلة تنقصهم روح المبادرة، فهم قد انغمسوا في الملذات والحياة الماجنة يوميًا، ولا تهمّهم السياسة، وأيضًا رفضوا العمل المعقّد والصعب. هذا الوضع طوّر طابع النبلاء الكبار الذي تمثّل في عدم التقدّم والحفاظ على ذاته في نضال تغيّر السلالة، على الرغم من هؤلاء النبلاء وزراء كبار للسلالة الحاكمة، ولكن في الواقع ليس لديهم وعي تحمّل المسؤولية من أجل تخفيف قلق دولتهم.

كانت هناك تغييرات متكررة في النظام خلال السلالة الجنوبية، لكن لا يوجد وزير كبير ضحّى من أجل دولته. في ذلك الوقت اعتقد كل نبيل أن نسبه وأسرته أكثر أهمية، مهما تتغيّر العهود، ليس لديها علاقة مع الإمبراطور

والمنصب الحكومي، لذلك لا يتفكّرون، ولن يتم النظر في الضحية من أجل الإمبراطور والسلالة في أي وقت. كان هذا النوع من سياسة الأسرة الغنية المتنفذة التي وضعت العائلة فوق الدولة هو العامل الرئيسي الذي أدى إلى تدهور أسرة جين الشرقية.

كان أبناء العائلة النبيلة ينغمسون في الملذات وجمال النساء ولا يعرفون أي شيء عن العالم الخارجي. وصف الجيل اللاحق حياتهم: "عاشوا في البلاط، لا يعرفون أحوال الحرب. كسبوا راتبًا عاليًا، لا يعرفون عناء الزراعة. سيطروا على التوابع، لا يعرفون شدة السُّخرة". هم يجلسون على المحفة عند خروج المنزل، يتمتّعون بخدم الآخرين داخل المنزل لا يستطيعون أن ينفصلوا عن خدمة الآخرين حتى لحظة. بعض الناس انغمس في الملذات وفقد طموحه، لم يتقن حتى المعرفة الثقافية التي يجب على الطبقة الأدبية إتقانها، فأصبح أميًّا مع المنصب العالي.

من أجل الحفاظ على امتيازات عائلته، ظل النسب النبيل يهيمن على الدوائر الرسمية ولا يسمح للنسب الفقير أن يتدخل، بل وضع قيودًا صارمة في الزواج. لا يتزوج النسب العالي إلا من النسب النبيل، وإذا تزوج من النسب خارج هذا الوسط، فيعتبر "خروجًا من النسب في الزواج"، ما يسمّى بـ "هو غير كفوء لها (أو هي غير كفوءة له) اجتماعيًا واقتصاديًا" لذلك، يعلّق النسب النبيل الشهير أهمية كبيرة لعلم الأنساب والانتباه إلى شهرة العائلة، وبالتالي أصبح علم الانساب علما سائدا ناشئا في ذلك الوقت. سيتم جمع نسب العائلة الشهيرة من قبل الحكومة وتكون بمثابة أساس مهم لتعيين المسؤولين الحكوميين. وهكذا يبدو جليًا أن سياسة الأسرة الغنية المتنفذة تفسد إلى أي مدى في ذلك الحين.

استمرت روح الحسب والنسب في السلالتين جين لمدة 200 سنة، على الرغم من أنها لا يمكن أن تساعد على الحكم السياسي، ولكن تستطيع الحفاظ على التربية العائلية وجو الحسب إلى حد ما، ومصدر التربية العائلية وجو الحسب هو طقوس الكونفوشيوسية في عهد أسرة هان الشرقية. ولكن بحلول السلالة الجنوبية، نما الملوك والوزراء كلهم في الأسرة النبيلة الشهيرة، وهي لا تتأثر إلا قليلًا لروح الأدباء والحكام المشاهير، لم يتعلّموا التربية العائلية وجو الحسب للأدباء والحكام المشاهير، لذلك لا يوجد حتى أسلوب ووجين، تم استبدال السلوك الأرستقراطي الأصلي بالتساهل. تطوّرت سياسة الأسرة الغنية المتنفذة إلى هذه الدرجة، وليس الطريق الباقي لها سوى انحدار.

ظهر اتجاه انهيار سياسة الحسب والنسب أولًا في المجال العسكري. انغمس أبناء الأسرة النبيلة في الملذات، وما استطاعوا شغل المنصب العسكري، فاضطر الإمبراطور لتعيين عامة الناس لهذا المنصب العسكري لإعداد الجنود، اعتمد عامة الناس على الوظائف العسكرية والجدارة العسكرية للإرتقاء باستمرار، ودخلوا إلى طبقة السلطة الأعلى، حتى اغتصب بعضهم نظامًا وأصبح إمبراطورًا. جاء كل من الأباطرة الأربعة الأوائل للسلالة الجنوبية (الإمبراطور سون وو - ليو يو، الإمبراطور تشي قه - شياو دون تشنغ، الإمبراطور ليانغ وو - شيان يان، الإمبراطور تشن وو - تشن با) من عامة الناس، وقادوا الجيش واستولوا على السلطة. وبالتأكيد إن هؤلاء الأباطرة الذين جاءوا من عامة الناس لا يوافقون على أسلوب الاستمتاع لأبناء الأسرة النبيلة. على الرغم من أنهم لا يستطيعون التخلي عن سياسة الحسب والنسب من حيث السياسة، إلا أنهم يستطيعون مساعدة أنفسهم من خلال ارتقاء عامة الناس الموهوبين. ونتيجة لذلك، على الرغم من أن أبناء العائلة النبيلة ما زالوا يتمتعون بوظائف كبار المسؤولين والراتب العالي، فإن الأهمية السياسية تنخفض تدريجيًا.

جاءت ضربة قاتلة للسلالة من فوضى هوى جينغ. قام زعيم قومية جيه (هوى جينغ) بتمرّد في السنوات الأخيرة من عهد الإمبراطور ليانغ وو، قاد القوات ونجح في اغتصاب عاصمة أسرة ليانغ (جيان كانغ) (الآن نانجينغ)، بعد الحرق والقتل والاغتصاب من قبل الجيش هوى جينغ، تدمرت مدينة جيان كانغ في لحظة. لقد اعتاد النبلاء من الأسرة الشهيرة على المعيشة الفاخرة في مدينة جيان كانغ، "البشرة لهم ناعمة وعظامهم هشّة، لا يتحمّلون عناء المشي، جسمهم نحيل وتنفسهم ضعيف، لا يتحملون البرد والحرارة، مات كثير منهم". مات معظمهم في الفوضى العسكرية، وأما الذين هربوا فكانوا محظوظين، فلم يعد بإمكانهم العيش الأرستقراطي السابق. بعد صدمة الحرب الشديدة، كان أبناء وأحفاد الإمبراطور ليان يلجأون إلى أسرة وي الغربية وأسرة تشي الشمالية، وطلبوا المساعدة من الأمة الغريبة، مما يؤدّي إلى مأساة التقاتل بين الأشقاء.

بعد زوال عهد أسرة ليانغ، أسس (تشن با) أسرة تشن مستغلًّا الفوضى، كانت أيضًا نظامًا أخيرًا خلال السلالة الجنوبية. اقتصر الموقع الذي يمكن أن تتحكم فيه أسرة تشن على المنطقة الضيقة الواقعة في شرق جيانغليانغ وجنوب نهر اليانغتسي، كانت أسرة تشن تعيش في الفقر. بحلول عام 589 بعد الميلاد، تم تدمير أسرة تشن من قبل أسرة سوي وتم توحيد البلاد أخيرًا.

الفصل الثالث

العدد الثاني للإمبراطوية

أسرة سوي الملكية وأسرة تانغ الملكية

سلالة سوي:

تأسيس الإمبراطورية الموحدة من جديد

"إن الاتجاه العالمي يتوحد بعد فترة طويلة من الانفصال وينفصل بعد فترة طويلة من التوحد". يمكن القول إن هذه الجملة تعنون حقيقة تاريخ الصين. شهد التاريخ الصيني فترة الانفصال خلال عصر الربيع والخريف والدُّوَيْلات المتحاربة لأربعمائة وخمسمائة عام بعد السلالات الموحدة الثلاثة شيا وشانغ وتشو، ثم وحّدت الدويلة تشين الدولة. شهد تاريخ الصين المرحلة الأولى من "التوحيد بعد فترة طويلة من الانفصال والانفصال بعد فترة طويلة من التوحيد". قد دخل التاريخ الصيني مدى الانفصال الطويل من الممالك الثلاث وجين الغربية وجين الشرقية والأسر الحاكمة الشمالية والجنوبية بعد الأسر الموحدة الثلاث تشين وهان الغربية وهان الشرقية. من الضروري توحيد الانفصال على المدى الطويل في نهاية المطاف، وكانت سلالة سوي تكمل مهمة التوحيد هذه. استولى يانغ جيان على نظام تشو الشمالي وأسس سلالة سوي في 581 م.

يانغ جيان من الأرستقراطية العسكرية لتشو الشمالية ووالده يانغ تشونغ كان وزيرًا مهمًا. كان يانغ جيان من أصل هان وأصل شيانبي (القومية القديمة الصينية) يتمتّع بمزيج هو (القوميات غير قومية هان في الشمال والغرب من الصين القديمة) وهان فتختلف سلالة سوي التي أسسها عن الإمبراطورية هان السابقة تمامًا بسبب الأسرة والهوية. وقد اندمج العديد من البدو في نظام الحضارة الصينية سياسيًا وقلّ الكثير من الصراعات العرقية بعد انصهار الأمم وإعادة تنظيم متعددة الثقافات، ولم يعد "الخلاف بين الأمة هان وغيرها" موضوع العصر في ذلك الوقت. تم استبدال الروح الأرستقراطية

التي سادت المجتمع بالتدريج بروح جديدة من السعي إلى تحقيق المساواة والبراغماتية مع تراجع سياسة الطبقات الغنية المتنفّذة، وقد اتفق الإمبراطور ون لسوي يانغ جيان مع اتجاه العصر هذا. وكانت سلالة سوي التي أسسها على بناء انصهار الأمم أيضًا تحافظ عليه أكثر. كانت سلالة سوي تتأسس على أطلال سياسة الطبقات الغنية المتنفّذة فتتمتع أكثر بوعي مدنية وروح العدالة. لذلك يمكننا القول إن سلالة سوي تمتّعت أكثر بدعاية وشمولية من السلالات الشمالية والجنوبية السابقة.

إن سلالة سوي التي أسسها يانغ جيان تشبه سلالة تشين التي أسسها إمبراطور تشين الأول إلى حدٍّ بعيد بمعنى من المعاني. فأنهت السلالتان حالة الانفصال على مدى طويل وتواجدتا لأجل قصير نسبيًا وتلاشتا بعد جيلين، ولكن ترك العديد من الأنظمة التي تمّ إنشاؤها آثارًا عميقة على اللاحق. أثّر نظام السلالة تشين على هان الغربية وهان الشرقية عميقًا وأثّر النظام السياسي للسلالة سوي عميقًا على السلالات تانغ وسونغ ويوان ومينغ وتشينغ في وقت لاحق.

كان العمل الريادي السياسي للسلالة سوي هو نظام الجهات الثلاث والوزارات الست الشهير. أنشأت الحكومة المركزية للسلالة سوي الجهات الثلاث من جهة تشونغشو وجهة منشيا وجهة شانغشو. كانت مسؤولة عن صنع القرار وجهة مسؤولة عن التداول وجهة مسؤولة عن الإدارة. تتم دراسة جميع السياسات الرئيسية للبلاد واتخاذ القرار من قبل جهة تشونغشو، ثم تداولها من قبل جهة منشيا وتطبيقها بجهة شانغشو بعد التداول. إذا كان القرار الذي اتخذته جهة تشونغشو خاطئًا فإن جهة منشيا لها الحق في رفضه. كانت جهة شانغشو موزعة إلى ست وزارات والتي هي وزارة شؤون الذاتية المدنية، وزارة الخراج، وزارة المراسم، وزارة الحربية ووزارة العقوبات ووزارة الأشغال. تقوم وزارة شؤون الذاتية المدنية بالانتخابات المدنية، ووزارة الخراج بالمال والغذاء والسكن، ووزارة المراسم بالطقوس والتعليم، ووزارة الحربية بالدفاع العسكري الدولي، ووزارة العقوبات بالقضاء ووزارة الأشغال بإقامة المشاريع. يتم تقسيم الأعمال في الوزارات الست بشكل واضح حيث تدير جميع جوانب السياسة والاقتصاد والثقافة والشؤون العسكرية. وظلت السلالات القادمة تستخدم نظام الجهات الثلاث والوزارات الست بعد تحسينه من قبل سلالة تانغ. حقًا إنه بالفعل خلق مذهل.

خلقت أسرة سوي نظام اختبار أكثر عدلًا - نظام الاختبارات الإمبراطورية من أجل اتخاذ إجراءات صارمة ضد سياسة الطبقات الغنية المتنفّذة وإلغاء العادات السيئة التي انتخب فيها الحاكمُ المحلي العلماءَ

المحليين كالمسؤولين. حدّدت أسرة سوي بوضوح في السنوات الأولى من عهدها أن يقيَّم جميع المسؤولين المحليين أعلى من المرتبة التاسعة بوزارة شؤون الذاتية المدنية بأكمله ويتولى المنصب فقط بعد اجتياز التقييم. وتم النص في وقت لاحق أن تتم إعادة انتخاب مسؤولي الولاية والمقاطعة كل ثلاث سنوات. كانت سلطة اختيار المسؤول وتعيينه تتركّز في الحكومة المركزية بهذه الطريقة مما يغيّر الوضع الذي تسيطر الأسر الغنية المتنفّذة فيه على الحكومة المحلية طويلة الأجل.

كان التقدّم الأكبر لنظام الاختبارات الإمبراطورية هو أنه يختار المواهب مع درجات الاختبار العادلة بدلًا من جودة الطبقة ونوعية الهوية. كان نظام الاختبارات الإمبراطورية أول نظام اختبار للخدمة المدنية في العالم يتأسس في عام 605 م ويُستخدم حتى عهد أسرة تشينغ وألغي في عام 1905، فكان موجودًا لـ 1300 عام في التاريخ الصيني. يهم نظامُ اختبار المواهب العادل نسبيًا - نظامُ الاختبارات الإمبراطورية استقرارَ معظم السلالات بعد السلالة سوى على المدى الطويل. يمكن للطفل المدني أيضًا أن يتولّى المنصب ويشارك في السياسة وينضمّ إلى صفوف إدارة البلاد من خلال المشاركة في الاختبارات الإمبراطورية مما لا يسهّل فقط انتقاء المواهب على نطاق أوسع، بل يوسّع أيضًا حكم السلالة الإمبراطورية.

أتعب الإمبراطور ون يانغ جيان الدويلة فشنّ حملة عسكرية لتوحيد الصين بعد مئات السنين من الانفصال، وهزم توجو (قومية في الصين القديمة) في وقت لاحق وفاز باللقب المشرف "خان قديس" في عهده. توسّعت مساحة أراضي السلالة سوي بشكل لا مثيل له في التاريخ مع النصر العسكري، وكان سكانها أكثر من 46 مليون تسمى دولة غنية وقوية. ومن المؤسف أن دُمرت هذه البداية العظيمة على أيدي خليفته الإمبراطور يانغ أخيرًا.

يُعتبر الإمبراطور يانغ يانغ قوانغ شخصا طموحا وتوّاقًا للنجاح السريع حيث أمر ببناء الكثير من القصور الفخمة في مختلف المدن وتجميع جواهر وحِسان لا تحصى للمتعة. كما أمر ببناء القناة العظيمة وأخذ الموظفين والمحظيات على قارب التنّين إلى الجنوب للزيارة بعد بنائها. كانت هناك آلاف السفن المرافقة للقارب وعشرات القصور الفخمة على طول ضفاف القناة لكي يستريح الإمبراطور ويستمتع بالفرح. كان الإمبراطور يحب يانغ العظمة الكبيرة ويتمتع بالمرح مثل العديد من الملوك المغرمين بالطموحات وكسب الأمجاد. استغل الملايين من الناس عدم تفكير قوة الشعب لبناء المشاريع

الكبيرة من أجل تلبية حياته الثرية ونهب تعسفية اللحم والدم وفرض الضرائب الباهظة والرسوم المرهقة التي لا نهاية لها.

أيضًا أحبَّ الإمبراطور يانغ أن يتباهى بالقوة فأمر بالهجوم على كوريا القديمة ففشلت ثلاث حركات عسكرية، وكان يشنُّ حربًا ضد توجو وفشلت أيضًا. وقد استهلك البناء على نطاق واسع والهجوم ضد الدول الأخرى غير المحدود الموارِدَ المالية للبلاد وجعل الناس يشتكون. انتفض وانغ بو وقاد الشعب الذي لم يَعُدْ يستطيع الاحتمال في تشانغكيو من مقاطعة شاندونغ في عام 611 م فانطلقت الانتفاضة في نهاية السلالة سوي. قاد ليو باداو وسون تسوآن وتشانغ جينتشنغ ودو جياندە الانتفاضات آجذي الفلاحين في وقت لاحق. نشرت الانتفاضة الفلاحية إلى البلاد بأكملها بعد عامين وضربت حكام أسرة سوي بشدّة. هزم جيش الانتفاضة الفلاحية بقيادة لي مي وكدو جياندە ودو فووي ولين شيهونغ وآخرين جيشَ السلالة سوي بشكل متكرِّر. حاول الإمبراطور يانغ قوانغ أن يكبح الانتفاضة الفلاحية بسرعة لكنه لم ينجح.

ترك الإمبراطور يانغ العاصمة الشرقية لوهيانغ في عام 616 وذهب إلى جيانغ دو (يانغتشو الآن) بسبب عقلية "لا قلق بعدم رؤيته" لاغتنام الفرصة الأخيرة للمتعة. سقطت أسرة سوي في حالة التفكك والفوضى في ذلك الوقت.

لكن كان الإمبراطور يدعر أكثر فأكثر في جيانغ دو ويأمر وانغ شيتشونغ باختيار الحسان والكحول في منطقة نهر اليانغتسي ونهر هوايخه كل يوم للمتعة. وتوقّع الإمبراطور أيضًا أن نهاية اليوم قادمة وقد قال للإمبراطورة شياو ناظرًا إلى المرآة: من سيقطع رأسي؟ حصل سؤال الإمبراطور يانغ على إجابة. أطلق الحراس بعدها بوقت قليل الانقلاب العسكري تحت قيادة يويون هواجي وقتلوا الإمبراطور بجبل في عام 618 م ففُنيت أسرة سوي.

تأسّست السلالة سوي في عام 581 م وفنيت في عام 618 م. ولم يتجاوز عمرها 38 عامًا فكانت سلالة قصيرة العمر تمامًا. ومع ذلك وحّدت هذه السلالة المناطق التي شهدت انقسامات طويلة الأمد ثقافيًا مشتركًا وقضت السلالة على النظام القديم وخلقت بنية إمبراطورية مركزية. قدّمت هذه الإنجازات الرائعة الأساس المؤسسي والضمان الثقافي لرفاهية السلالة تانغ. يمكننا القول بأن يمثّل معنى السلالة سوي للسلالة تانغ معنى السلالة تشين للسلالة هان، كانت السلالة القادمة ترث الموروثة السياسية من السابقة وتتعلّم الدروس التي تواجدت في السلالة السابقة قصيرة العمر بشكل كامل، فظهر عصران مزدهران في السلالتين هان وتانغ في التاريخ الصيني. عندما نتحدث عن الإنجازات العظيمة للسلالة تانغ في جميع الجوانب لن ننسى

المساهمات التي قدمتها السلالة سوي في الجوانب الإيجابية والسلبية، كما من الضروري أن نرى مساهمات السلالة تشين عندما نقوم بدراسة نجاح السلالة هان.

القراءة الموسعة: القناة العظيمة لسلالة سوي

كان بناء القناة العظيمة في السلالة سوي له سبب تاريخي. قام الإمبراطور ون يانغ جيان بإعادة بناء مدينة داشينغ آخذًا عاصمة أسرة هان تشانغان كعاصمة لها. ومع ذلك لا تحتمل السيطرة على الإمبراطورية الموحدة الجديدة بمدينة داشينغ بسبب الأراضي الشاسعة للسلالة. في 584 م، أمر يانغ جيان يويون كاي قائدَ الناس بحفر قناة لنقل الماء في نهر وى من شمال غربي مدينة داشينغ حتى مضيق تونغ ثم إلى النهر الأصفر شرقًا طوالَ القناة القديمة لسلالة هان. وكانت القناة تطول لأكثر من 150 كم تُسمَّى بقناة قوانغتونغ في البداية ثم تغيّر الاسم إلى قناة يونغتونغ لاحقًا.

قام الإمبراطور يانغ فورًا ببناء العاصمة الشرقية لوهيانغ وأمر بحفر القناة العظيمة بعد صعود العرش. ليس العمل من أجل التمتّع الشخصي فقط بل يحتوى طموح التكيف مع التوحّد فحسب. عندما مرَّ التاريخ الصيني إلى سلالة سوي امتزجت السياسة والاقتصاد والثقافة للشمال والجنوب على نحو متزايد وتكررت التبادلات الاقتصادية والإنسانية بين الشمال والجنوب أكثر وأكثر. في هذا الوقت، أصبح بناء القناة العظيمة التي تنقل الممرات المائية الشمالية والجنوبية حاجة للتبادلات الاجتماعية والاقتصادية. وقال الإمبراطور يانغ في مرسومه لبناء القناة العظيمة: "كانت المنطقة الشرقية والجنوبية بعيدة فعلينا بناء المشاريع وفقًا لاحتياجات التواصل الآن"، ليس المقال كل كِذْبة. لذلك أمر الإمبراطور يانغ ببناء قناة تونغجي على أساس قناة يانغ وقناة بيان القديمتين في 604 م وطهّر قناة هان القديمة من قِبل تشن دنغ في هان الشرقية في نفس العام؛ استغل ملايين العمال المهاجرين من مقاطعة خبي لتطهير قناة يونغجي بتنظيف القناة القديمة من أدنى النهر الأصفر في سلالة هان والقناة البيضاء التي أمر تساو تساو بحفرها 608 م؛ قام ببناء نهر جيانغنان بتطهير قناة وو في عصر الربيع والخريف وقناة دانتو في سلالة تشين والقناة العظيمة في الأسر الحاكمة الجنوبية 610 م. وكانت القناة العظيمة بأكملها تنقسم إلى نهر جيانغنان وقناة هان وقناة تونغجى وقناة يونغجي بثلاث نقاط كوايجي ولوهيانغ وتشوهجيون بهذه الطريقة، وتربط القناة نهرَ تشيانتانغ ونهرَ اليانغتسى ونهرَ هوايخه والنهرَ الأصفر ونهرَ هايخه من تشوهجيون في الشمال إلى يوهانغ في الجنوب تمتد أكثر من خمسة آلاف ميل. تُعتبر شريان حركة

المرور بين الشمال والجنوب في الصين القديمة ومعجزة في تاريخ النقل البحري.

شجّعت القناة العظيمة على تطوير المدن على جانبيها وسرعان ما ازدهرت مدن مثل جيانغدو ويوهانغ وتشوهجيون. كانت القناة العظيمة تربط سور الصين العظيم في الشمال بحوض نهر اليانغتسى وحوض النهر الأصفر مما جعل إمبراطورية سوي تقدر على توفير الغذاء والإمدادات الأخرى في الجنوب للوسط السياسي لوهيانغ وتقديم الدعم اللوجستي الاستراتيجي للحدود الشمالية. سيساعد ذلك بلا شك الحكومة المركزية على دمج الموارد الوطنية لبناء مجتمع أعمق وأكثر حيوية من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

صقل الرأي: ليس الإمبراطور يانغ مجرّد "الحاكم الجاهل"

كان ينظر إلى إمبراطور يانغ على الدوام كشخصية تمثيلية تدمّر دولتها في الكتب التأريخية التقليدية الصينية. قدّم الغرق في المجون والفجور والقيام بالبناء مرارًا والرغبة في عَظَمَة أيضًا بعض الأسس لتحديد مواقعه "الجاهل". ومع ذلك فإن الإمبراطور يانغ ليس عاجزا بأي حال من الأحوال ويبدو أنه لا يستطيع القول إنه "حاكم جاهل" ببساطة. وقال (تاريخ سلالة سوي وتانغ للصين من كامبريدج) في هذا الصدد: "كانت صورة الإمبراطور يانغ تشوّه إلى حدٍّ كبير في الفولكلور والدراما والقصص بسبب الخيال الاختياري للمؤلف والجمهور - إذ يعيش الناس في عالم يمكن استخدام القوة حربًا وإمبراطور القصور الفاخرة والتمتّع بالمتعة الحسية لا حصر لها، يمكن أن يجد الصدى في العاطفة فقط. ليس الإمبراطور يانغ أسوأ بأي حال من أباطرة الصين وليس أكثر ظلمًا من أباطرة آخرين وفقًا لخلفيته. كان يناسب تمامًا لتعزيز المَأْثَرة العظيمة التي خلقها والده، وحقًا إنه إمبراطور الطموح في بداية الحكم".

كان الإمبراطور يانغ يانغ غوانغ يجتهد ويمهر في الأدب ويتّزن في التصرفات في صغره فأحبه الوالدان. كان يانغ غوانغ قائد قوة الاستطلاع عندما قامت إمبراطورية سوي بغزو أسرة تشن في الجنوب في عام 589 م. قدّم الإسهامات العسكرية العظيمة خلال غزو الجنوب ونفّذ الإدارة الفعالة لسكانها القدماء بعد قهر الأسرة. كان يانغ قوانغ يشغل مرات منصب قائد القوات المسيَّرة ضد الترك في عام 600 ميلادية، مما يدلّ على اعتراف والده يانغ جيان بقدرته العسكرية.

عندما انفجر التمرد في بعض الأماكن القديمة لأسرة تشن أعيد تعيين يانغ قوانغ كمدير منطقة الجنوب الشرقي كي يتمركز للحماية في جيانغدو

لتسع سنوات. اتخذ يانغ قوانغ سلسلة من سياسات إزالة الحواجز السياسية والثقافية من أجل تخفيف الاستياء والشك للجنوبيين ضد إمبراطورية سوي. وعلى سبيل المثال، قام بإعفاء الضرائب ورعاية المشاريع الثقافية المحلية. وقد استقدم أكثر من مائة عالِم لتأليف أكثر من 7000 كتاب عندما يكون في جيانغدو. كان يانغ قوانغ نفسه يملك موهبة أدبية للغاية ويستطيع تكلُّم اللغة وو، علاوة عن ذلك كانت زوجته أيضًا جنوبية مما ساعده على حكم الجنوب بشكل جيد.

ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك تبادلات متعمقة بين يانغ قوانغ ومؤسس طائفة تيانتاي للبوذية الماستر تشيتشه. أعلن القبول بالترهّب البوذي، تابع الماستر فأصبح بوذيًا متدينًا. يمكن أن يعرف الناس معرفته البوذية الغنية وحدسه السياسي القوي من خلال تواصله مع الماستر. كما أحبَّ يانغ قوانغ مصادقة الأدباء وهَوِيَ القراءة والكتابة. فيشير ذلك إلى أن الإمبراطور يانغ ممتاز في الجانب السياسي والعسكري والثقافي وليس جاهلًا بأي حال من الأحوال.

عانى الإمبراطور يانغ أيضًا من ضعف قاتل بطبيعة الحال وهو العمل على هواه وعدم الحرص على الناس. قام بالمشاريع الضخمة والفتوحات العديدة دون تفكير بقدرة الشعب على تحمّلها من أجل إقامة مآثرة الخاصة؛ وأحب المتعة وأُغرِم بالطموحات وكسب الأمجاد، فلم يتردّد في جرِّ البلاد إلى كارثة من أجل تحقيق مثله العليا السياسية الخيالية.

قال المؤرخ السيد تشيانمو إن طموح الإمبراطور يانغ ورغبته في الطموحات وكسب الأمجاد أمور لا تعكس قوة الوطن القوية فقط، بل يدل على أنه قد تأثّر بجو الثقافة الأدبية في الجنوب بشدة فحسب. كان الشمال يهتم بالقوة والإدارة الرسمية ويفضّل الجنوب الأدب في سلالة سوي آنذاك، "علم الإمبراطور ون فقط الإدارة الرسمية وليس له المثل الأعلى لبناء البلاد وحجمه. أمّا الإمبراطور يانغ فتأثر بجو الثقافة الأدبية في الجنوب واحتقر وضاعة أسلافه". كانت في قلب الإمبراطور يانغ مشاعر برية ولكنه انفعل برخاء الحكومة الموحدة، فلم يتمكّن من السيطرة عليها، لذا عرض ذكاءه العالي ومشاعره البريئة كاملًا فوقع في أخطاء إمبراطور تشن الأول. وكان الإمبراطور يانغ يملك المثل العليا الحقيقية ويريد مزج أدب الجنوب وقوة الشمال بشكل جيد من أجل إنشاء أجلّ وأقوى إمبراطورية موحدة وفقًا لهذا التفسير. إن هذا المثل الأعلى في حد ذاته جميل جدًا ولكن للأسف كان الإمبراطور يانغ توّاقًا للنجاح السريع. لا يفهم أنه كلما كانت الأمنية أجمل، علينا أن نصبر على تحقيقها. "إن كان الامتلاء أكثر مثالية، فإن الواقع أكثر نحافة"،

إذا يتأثر بنبالة الأمنية فقط ولا يفكر في الواقع، فتكون العقلية عصبية والوسائل متطرفة لتؤدي إلى نتيجة تعكس الأمنية.

وقال أيضًا المتحدث منغمان لـ "منبر المحاضرة لمائة مدرسة فكرية" من القناة التلفزيونية المركزية الصينية: "إن الإمبراطور يانغ طاغية كبيرة، وليس حاكمًا جاهلًا. كانت للإمبراطور يانغ مآثره على الرغم من عدم الأخلاق. ولم تتوحّد مآثره مع رفاهية الشعب، لذا لدينا مقال (تثير العظمة والجلالة استياء الشعب، وتعتمد الأبهة على الدم). وبعبارة أخرى، فشل في التعامل مع العلاقة بين الجدارة في العصر الحالي والمنفعة في المستقبل، بل يؤدي إلى الذنب في الجيل الحالي والمصلحة في اللاحق. وقد يُعتبر هذا أكبرَ مشكلة انتقدها القادمون". يجب أن يقال إن هذا التقييم مناسب جدًا.

من تأسيس تانغ العظمى إلى مجتمع الاستقرار الازدهار في فترة تشنقوان

كانت الانتفاضة الفلاحية تنفجر واحدة تلو أخرى في نهاية سلالة سوي. ولكن من احتل سلالة سوي وأسس السلطة السياسية الجديدة ليس الانتفاضة الفلاحية، بل هو القائد الشهير من سلالة سوي لي يوان.

ولد لي يوان في عائلة نبيلة من تجربة الحياة البارزة، وكان جده لي من القادة الرئيسيين للأسرة تشو الشمالية ويسمّى بالدوق تانغ. في وقت لاحق من العام يرث اللقب لي يوان عن طريق النظام الوراثي. كان الإمبراطور ون يانغ جيان يثق في لي يوان بعد تأسيس سلالة سوي فكان يعمل حارسًا وشوكة وحارسًا للمقاطعة. تمت ترقية لي يوان إلى الجنرال المقيم في تايوان من قبل إمبراطور يانغ في عام 615 م فأصبح أقوى قائد عسكري وسياسي في الشمال الغربي.

عندما أثار فرضُ الإمبراطور يانغ للضرائب الفادحة العديدَ من الانتفاضات الفلاحية، اعتقد لي يوان والمستشار العسكري أن حكم سلالة سوي على المحك فقرّرا القيام بالانتفاضة اغتنام هذه الفرصة لخلق سلالة جديدة. في عام 617 م، أرسل لي يوان رسميًا قواته في جينيانغ (تايوان الآن) مما أعطى ضربة قاتلة للسلالة المحتضَرة.

أرسل لي يوان ليو ونجينغ إلى الترك للحصول على دعم خان التركي شيبي في طريق الخضوع له من أجل ضمان السلامة المؤخَّرة. بعد ذلك، أسمى لي يوان نفسه جنرالًا كبيرًا وأسمى الابن الأكبر لي جيانشينغ والابن الثاني لي شيمين بالقائد اليسار والقائد اليمين، وأرسل جيشه للهجوم على

عاصمة إمبراطورية سوي داشينغ. عبر جيش لي يوان النهر الأصفر من لونغمن وانقضّ على قوانتشونغ، وقد استغرق الاستيلاء على مدينة داشينغ أقل من نصف عام. عيّن لي يوان الأمير داي يانغ يو بالإمبراطور وأسمى الإمبراطور يانغ بالإمبراطور الأب، كما عيّن نفسه رئيسًا للوزراء والأمير تانغ.

قُتل الإمبراطور يانغ بيويون هواجي في جيانغدو في شهر مارس من العام القمري 618م، خلع لي يوان يانغ يو من العرش مايو ونصّب نفسه إمبراطورًا وغيّر اسم الدولة الرسمي إلى تانغ.

ركّز لي يوان وأبناؤه على قمع الجماعات العسكرية في جميع أنحاء البلاد بعد تأسيس أسرة تانغ. استمرت هذه العملية بضع عشرة سنة وتم القضاء تدريجيًا على القوات العسكرية لسوي جو، وانغ شيتشونغ، لي مي، يويون هواجي، ليو ووتشو، دو جياندە، ليو هيتا وغيرها.

اندلع صراع سياسي عنيف داخل إمبراطورية تانغ بعد تسوية الفوضى العسكرية في نهاية سلالة سوي. قدّم الابن الثاني للي يوان لي شيمين المساهمات الهائلة في قمع جماعات دو جياندە ووانغ شيتشونغ فزادت شهرته وكان موقفه أعلى من الأمراء الآخرين مما شكّل وضع المنافسة بينه وولي العهد لي جيانشينغ. وشكّل الأمير لي جيانتشنغ وشقيقه الرابع لي يوانجي تحالفًا سياسيًا يواصل اتخاذ إجراءات صارمة ضد لي شيمين. ظلّت القوتان السياسيتان تتقاتلان باستمرار وتزداد التناقضات أعمق فأعمق حتى لا يقبل المصالحة. حاول لي يوان تخفيف التوتر بين الفصيلين ولكنه لم ينجح.

غزا التركي حدود سلالة تانغ في عام 626 م، فقاد لي يوانجي الجيش للدفاع فأخذ أفضل الجنرالات والجنود للي شيمين وهو يحاول إضعاف وتفكيك قوات لي شيمين. حتى أراد لي جيانتشنغ تسميم لي شيمين. أدّى الصراع العنيف بين القوى السياسية للفصيلين إلى انقلاب شيوانوو من في نهاية المطاف.

قدّم لي شيمين مذكّرة إلى والده لي يوان يقول فيها إن لي جيانتشنغ ولي يوانجي يفجران في الحريم ويطلب من والده معاقبتهما بعد التخطيط السري. أراد لي يوان استقصاء المسألة في اليوم التالي. وأبلغت إحدى محظيات لي يوان اتهام لي شيمين للي جيانتشنغ ولي يوانجي في صباح اليوم التالي. قرر لي جيانتشنغ ولي يوانجي الذهاب إلى القصر بسرعة يستعطفا والدهما، وعندما مرَّ الاثنان عبر شيوانوو من تعرّضا لهجوم لي شيمين وتابعه الأمين. قتل لي شمين شقيقه الأكبر لي جيانتشنغ بسهم وقتل تابعُ لي شيمين

يوتشي جينغده لي يوانجى. انتهى انقلاب بعدما اقتتلوا فيما بينهم بنصر لي شيمين الكامل.

أرسل لي شيمين يوتشي جينغده ليبلغ النتائج إلى الوالد بعد انقلاب شيوانوو من. كان لي يوان يجدف في البحيرة آنذاك. وقال يوتشي جينغده مرتدي الدِرْع والخوذة وحامل السلاح له إن لي جيانتشنغ ولي يوانجي قد أُعدما. يمكننا القول إن حركة لي شيمين كانت على السطح إبلاغ الوالد النتائج ولكن في الواقع هو التسلط عليه والسيطرة على الوضع السياسي بأكمله. بالتأكيد، أعلن لي يوان التنازل عن العرش وأعطاه للي شيمين بعد ثلاثة أيام من انقلاب شيوانوو من. أصبح لي شيمين الإمبراطور الثاني لأسرة تانغ وتم تكريم لي يوان بالإمبراطور الأب.

كسب لي شيمين العرش بإطلاق انقلاب شيوانوو من عن طريق قتل الأشقاء والتسلُّط على والده. فليست الطريقة للاستيلاء على السلطة قانونية، ولكن هناك التصرفات الحسنة العديدة من حيث حكم الدولة بعد صعود العرش. تسمى هذه الحال بـ "كسب العرش غير الشرعي وحكم الدولة رشيدًا".

كان لي شيمين شخصية ذات طابع بطولي. وقد قدّم مرارًا وتكرارًا المساهمات في الحروب الداخلية والقتال ضد الأتراك في السنوات المبكرة موضحًا موهبته العسكرية البارزة. كان واعيًا جدًا أن يكون إمبراطورًا يخلّد التاريخُ ذكرَه بعد صعود العرش. لقد تعلّم بعمق دروس زوال سلالة سوي، يتقبّل النصائح بسلاسة الماء الجاري ويهوى الشعب كالابن. التزم بتعاليم الكونفوشيوسية واستشار آراء الوزراء بتواضع كي يحسّن الشؤون الحكومية من خلال انتقادات الوزراء بحسن نية، وترك الأدباء والحكّام يشاركون في الشؤون الوطنية ليملكوا الحق بل يضطلعون بالمسؤولية بوضوح من مساهمات وعيوب. ومجّد التقشف وقلَّل المشاريع الكبيرة على نطاق واسع لتخفيف عبء السُخرة والضرائب للشعب. كان لي شيمين يتمتّع بالكثير من شمائل ممتازة مثل توزيع المهمات حسب الكفاءات وفهم الشؤون الحكومية بوضوح والعطف والاجتهاد في الإدارة، فجاءت هذه الأخلاق الحسنة بالمناخ السياسي العظيم الصافي بإمبراطورية تانغ.

ظهر عدد كبير من المسؤولين الموهوبين والمشاهير من إمبراطورية تانغ خلال فترة تشنقوان، ولا يمكن فصل ذلك عن المثل السياسية العليا والصدر الواسع للإمبراطور تاي لي شيمين. إن لي شيمين جيد في اختيار المواهب وتعيينها ولم يعتمد على أصوله والضغائن السابقة. كان وي تشنغ الوزير القديم لولي العهد لي جيانتشنغ وحصل على المنصب الهام؛ وكان

يوتشي جينغده الحداد والجنرال المستسلم أيضًا قد حظي بالمنصب العالي، خاصة وأنّه كان جيّدًا في تقبُّل المقترحات، نصحه الوزيرُ النصوح الشهير وي تشنغ مائتي نصيحة تحكي عيوب الإمبراطور بصراحة في كثير من الأحيان، كان لي شيمين يتقبّلها بسلاسة الماء الجاري. وما يهزّ الناس كثيرًا هو أن حزن الإمبراطور كان شديدًا بعد وفاة وي تشنغ وقال: "إذا اتخذ الناس النحاسَ مرآةً يمكن ترتيب اللباس؛ إذا اتخذ التاريخ مرآةً يمكن معرفة مبادئ الازدهار والإزالة للسلالات؛ إذا اتخذ الناس مرآة يمكن تعلّم المكاسب والخسائر. فقدت مرآة بعد وفاة وي تشنغ". كانت العلاقة المثالية بين الإمبراطور الرشيد والوزير النصوح لا يجود بمثلها الزمنُ. كان لي شيمين جيدًا في تقبُّل المقترحات فتجرّأ وزراؤه أيضًا على نصحه مما شكّل الجو السياسي الجيد للديكتاتورية الملكية خلال فترة تشنقوان. كانت إمبراطورية تانغ خلال فترة تشنقوان غنية بالكفاءات ينتشر الوزراء المشهورين مثل فانغ شيوانلينغ ودو روهوي اللذين يتسمّيان بـ "تخطيط فانغ وتحديد دو"؛ بالإضافة إلى ذلك، كان وي تشنغ، وانغ غوي، تشانغسون ووجي، يانغ شيداو، تشو سويليانغ كل منهم مخلص نزيه؛ والبعض الآخر مثل لي جينغ، يوتشي جينغده، تشين تشيونغ وإلخ كلهم جنرالًا مشهورًا. كانت دعائم الدولة تتّحد تحت شعار الإمبراطور الرشيد لي شيمين وتتعاون بإخلاص لخلق مجتمع سلمي مزدهر مع الوضوح الإداري والاستقرار الاجتماعي والازدهار الثقافي.

أولى لي شيمين اهتمامًا بالحكم الشرعي جدًا وطلب من المسؤولين عدالة في إنفاذ القانون، حقًا إنه "حُكم أمير خرق القانون بجريمة مثل العامة". وفي الوقت نفسه، أمر لي شيمن أيضًا الوزراء بتخفيض العقوبات وفقًا لمبدأ التبسيط فنقّح "قانون تشنقوان" في النهاية ليعكس مفهوم "الخير" الكونفوشيوسي. واستقر المجتمع خلال فترة تشنقوان وقلّ عدد الجرائم بشكل كبير وفقًا للسجلات التاريخية، وكان السجناء المحكوم عليهم بالإعدام على الصعيد الوطني 29 شخصًا فقط في إحدى السنوات. قد أفرج الإمبراطور لي شيمين عن ما يقرب من 400 من السجناء المحكوم عليهم بالإعدام لقضاء السنة الجديدة في البيت السنة السادسة من فترة تشنقوان (632م) ووافق الجانبان على العودة في خريف السنة الثانية لقبول الإعدام. فعاد جميع المجرمين في خريف العام التالي ولم يفر أحد منهم. تأثّر لي شيمين بسلوكهم لوفاء الوعد فعفا عنهم خاصة أخيرًا.

بذل لي شيمين ووزراؤه جهودًا كبيرة لتعزيز إدارة المنطقة الغربية وأماكن أخرى من ناحية الدبلوماسية والشؤون العسكرية. استولى على القبائل المجاورة من ناحية، ومن ناحية أخرى، قام بالتبادلات الودية مع الدول

الآسيوية كما يعامل الأقليات العرقية مثل قومية هان. حظي لي شيمين بلقب "خان أكرم" بالإنجازات البارزة في الدبلوماسية والشؤون العسكرية.

كان اسم الدولة لفترة حكم لي شيمين فيها إمبراطورية تانغ من 627 م حتى 649 م هو "تشنقوان"، لذلك سمِّيت الأجيال اللاحقة هذه الفترة "عهد الاستقرار والازدهار في تشنقوان".

القراءة الموسّعة: ينجح "خان أكرم" بهذه الطريقة

ركّزت أسرة تانغ المبنية حديثًا معظمَ وقتها في الشؤون الداخلية خلال عهد الإمبراطور لي يوان. ولم يكن أكبر تهديد لسلالة تانغ من الأعداء المحليين بل من الأتراك الشرقيين في ذلك الوقت. عامل لي يوان بلاد الترك الشرقية بالرشوة عن طريق تقديم خان للأتراك الكثير من الهدايا باستمرار عندما لم تكن إمبراطورية تانغ قوية مما جعلها لا تغزو أراضي الترك الشرقيين. ومع ذلك لم تنجح سياسة الرشوة هذه، فكانت شهوة الأتراك الشرقيين تزداد ولم يتخلّوا عن التعدِّي العسكري بعد أخذ هبات أسرة تانغ. قاد خان جي لي جيشًا يبلغ عدده 150 ألف جندي لمهاجمة مدينة تايوان لأسرة تانغ في عام 622 م، ولحسن الحظ قاد ولي العهد لي جيانتشنغ والأمير لي شيمين الجيش للصد.

بدأت أسرة تانغ ببذل جهود كبيرة لمجابهة الأتراك الشرقيين بالوسائل العسكرية في عهد لي شيمين. ها هو ما حدث: قاد زعيم بلاد الترك الشرقية خان جي لي 100 ألف جندي لمهاجمة أسرة تانغ في سبتمبر 626م. تصل القوات إلى جسر مؤقت خارج البوابة الشمالية من تشانغان. وقد نصح الوزير لي شيمين بإخلاء تشانغان في ذلك الوقت، ولكنّ ذلك لم يخف لي شيمين وقاد فريقًا من الفرسان للتفاوض مع العدو خارج المدينة. استخدم حيلة فصلت خان جي لي عن قوته الرئيسية وأحاطه بفريق الفرسان بمناسبة مجابهة الجيشين كأنه أراد قتل الزعيم. انهزمت بلاد الترك الشرقية في النهاية وقتل الجانبان الحصان الأبيض على الجسر وهما يعدان بالحفاظ على السلام.

انفجر الاضطراب داخل بلاد الترك الشرقية بعد ذلك بوقت قصير، وثارت القبائل شيوه يانتوه وبايهقو وأويغور ضد الحكم فضعفت هيمنة خان جي لي من ذلك. أيضًا واجهت عاصفة ثلجية كبيرة بلاد الترك الشرقية في وقت لاحق فتجمّدت وماتت معظم الحيوانات مما أدّى إلى المجاعة. انتهز لي شيمين الفرصة لإرسال 100 ألف جندي لمهاجمة خان جي لي في 630 م. تحت قيادة الجنرالين المشهورين لي جي ولي جينغ مرة واحدة واستولوا على مناطق خان جي لي.

كانت بلاد الترك الشرقية أقوى قبيلة من الأقليات في الشمال الغربي في ذلك الوقت. ذهب قادة القبائل في المنطقة الشمالية الغربية إلى تشانغان لمقابلة الإمبراطور بعد هزيمة بلاد الترك الشرقية وطلبوا من لي شيمين قبول لقب "خان أكرم". وهذا يعني أن يملك لي شيمين سيادة قبائل الشمال الغربي، وسُلِّمت النزاعات بين القبائل إلى أسرة تانغ للحكم.

كان الهدف التالي للي شيمين هو مجابهة الأتراك الغربيين بعد هزيمة بلاد الترك الشرقية. استخدم لي شيمين سياسة "السيطرة على البلاد بالمحلي" بمهارة. لقد دعم خان شابوهلوه من التحالف الغربي لمهاجمة خان دوه لو من التحالف الشرقي متبادلًا. أرسل خان دوه لو الناس لاغتيال خان شابوهلوه فوحّد الترك الغربية. كان خان دوه لو غير راضٍ عن أسرة تانغ فاعتقل رسل سلالة تانغ وثم قام بغزو قانسو.

في عام 642 م، لم ترض بعض القبائل في الترك الغربية عن حكم خان دوه لو فأرسلت رسلًا إلى تشانغان لطلب المساعدة. اغتنم لي شيمين الفرصة وكرس خان جديد ييبي شهكوي. نتيجة لذلك، وقعت حرب أهلية في بلاد الترك الغربية. خسر خان دوه لو بسرعة دعم معظم قبائله وأُجبر على الفرار إلى بلاد توهوهلوه. فسيطر ييبي شهكوي على الوضع السياسي للترك الغربية طبعا وأرسل مبعوثين إلى أسرة تانغ من أجل الزواج السياسي. وافق لي شيمين على طلبه كما اعترفت الترك الغربية بمركز الدولة السيادية لإمبراطورية تانغ. وبالإضافة إلى ذلك، استولى لي شيمين على قاو تشانغ ويان تشي بالقوات العسكرية في المناطق الغربية، وتغلّب على دولة تويوهون في الشمال الغربي، أما في التبت فجعل توفان يعترف بسلطان سلالة تانغ عن طريق الزواج السياسي الذي تمّ بتزويج الأميرة ون تشنغ من إمبراطور توفان سونغتسان قانبو.

سيطرت أسرة تانغ في ظل حكم لي شيمين على المناطق الواسعة في الشمال الغربي والمناطق الغربية وحوض نهر براهمابوترا من الجنوب الغربي بالفتح العسكري القوي وسياسة التقريب والتسامح بالزواج السياسي. أنشأت أيضًا أسرة تانغ في المناطق الغربية ولايةً عسكرية بآنشى تدير المناطق من دونهوانغ بمقاطعة قانسو حتى يانتشي. وهكذا كانت أرض سلالة تانغ تمتد من البحر شرقًا إلى البامير القديم غربًا، وتمتد من صحراء شمال الصين وشمال غوبي شمالًا إلى بحر الصين الجنوبي جنوبًا. وكانت المساحة شاسعة لم يسبق لها مثيل فتستحق دولة سيادية في شرق آسيا بالتأكيد.

صقل الرأي: الابتكار المؤسسي دائمًا على الطريق

هناك دائمًا قول مأثور "هان القوية وتانغ المزدهرة" للتاريخ الصيني. ولا يتجزّأ ازدهار أسرة تانغ من البناء النظامي بالطبع. باختصار، يتضمّن بناء المؤسسات لسلالة تانغ الممتاز أربعة جوانب: تنفيذ نظام الجهات الثلاث والوزارات الست من حيث السياسة، تنفيذ نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة من حيث الاقتصاد، وتنفيذ نظام الاختبارات الإمبراطورية من حيث الثقافة، وتنفيذ نظام الجيش البيتي من حيث الشؤون العسكرية. كان التعاون المتبادل بين الأنظمة الأربعة يجمع الموارد الاجتماعية بشكل أفضل ويحفز الحيوية الاجتماعية فيساهم في وضع الرخاء لأكثر من مائة سنة في أوائل عهد أسرة تانغ (من مجتمع الاستقرار الازدهار في فترة تشنقوان إلى المجتمع المزدهر في عهد كاييوان). قد حدّثنا نظام الجهات الثلاث والوزارات الست ونظام الامتحانات الإمبراطورية عندما حكينا تاريخ سلالة سوي، فنقدّم هنا نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة ونظام الجيش البيتي فقط.

يجب قراءة نظام الأرض المتساوية أولًا لتوضيح نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة، لأن نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة يعتمد على نظام الأرض المتساوية، وهو نظام توزيع الأراضي الذي أنشأته أسرة وي الشمالية. في ذلك الوقت، كانت الحرب في شمال الصين طويلة الأجل والناس تتشرّد والحقول تُهمل فتأثّرت الإيرادات الضريبية الوطنية بشكل خطير. أصدر الإمبراطور شياو وو لأسرة وي الشمالية في 485 سنة أمر النظام الذي وزع فيه الأرض المخصصة فيه للفلاحين للزراعة وفقًا لعدد السكان، واحتاج الفلاح فقط لدفعَ ضرائب الاستئجار للحكومة وتحمّلَ بعض السخرة والخدمة العسكرية لضمان مصادر الضريبة الوطنية. يعتبر نظام الأرض المتساوية سياسة تمنع المستبدّ من ضم الأراضي، لا داعي للفلاح من دفع الضرائب والتعرض لاستغلال خطير من خلال قبول الأرض الموزعة للدولة. فكان النظام يؤدي دورًا إيجابيًا لتعزيز الحكم الإقطاعي واستعادة وتطوير الإنتاج الزراعي.

ورثت أسرة تانغ نظام أرض المتساوية لأسرة وي الشمالية وأنشأت نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة على أساسه. كانت محتويات نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة هي: من الضروري لكل إنسان كل عام دفع اثنين دان (يساوي دان واحد عشرة دو أو مائة كيلو) من الدُّخن للدولة وتسمّى بـ "تسو"؛ دفع اثنين تشانغ (يساوي تشانغ عشرة أذرع صينية) من نسيج الحرير الرقيق وثلاثة ليانغ من القطن أو اثنين تشانغ وخمسة أذرع صينية من القماش وثلاثة جن (يساوي جن ½ كغ) من الكتان وتسمّى بـ "دياو"؛ عمل السخرة لعشرين يوم وإضافة يومين في سنة كبيسة، إذا لم يكن يريد عمل السخرة يمكنه دفع مبلغ معيّن من نسيج الحرير الرقيق أو القماش من أجل استئجار

الناس لعمل السخرة له، ويسمّى وسيلة "دفع نسيج الحرير الرقيق بدلًا من السخرة" بـ "يونغ". في المقابل، إذا كان شخص ما على استعداد للعمل الزائد، أي عمل الخدمة لخمسة وعشرين يومًا بالإضافة إلى الخدمة العادية لعشرين يومًا يمكن إعفاء "دياو"، إذا أضيف العمل ثلاثين يومًا فيتم إعفاء "تسو ودياو" كاملًا. وعلاوة عن ذلك، كما تنص أسرة تانغ على أنه إذا حدثت الفيضانات والجفاف وغيرها من الكوارث الطبيعية الشديدة، تعفي الدولة "تسو" لشخص يعاني أكثر من أربعة أعشار من خسائر في المحاصيل، وتعفي الدولة "دياو" لشخص يعاني أكثر من ستة أعشار من خسائر، وتعفي الضريبة والسخرة بشكل كامل لشخص يعاني سبعة أعشار من خسائر.

يعتبر نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة لأسرة تانغ سياسة الضرائب "اتخاذ الناس قاعدة"، ولا يقدّم التسهيلات المختلفة لفلاح دفع الضرائب فقط، بل ينفّذ مفهوم "تخفيف السخرة وتقليل الضريبة" بدقة فحسب. يمكن توضيح هذه المشكلة بأعداد، فترة الدول المتحاربة، اعتبر منسيوس "الضريبة العُشرة" (فرضت الدولة العُشر من الدخل القومي للفلاح) حكم الرحمة. وقلَّ مبلغ الضريبة إلى "دفع الضريبة واحدًا من خمسة عشر" (فرضت الدولة واحدًا من خمسة عشر لدخل الفلاح)، وغالبًا ما تفرض نصف فقط فكانت واحدًا من ثلاثين حتى عهد أسرة هان. انخفضت ضريبة الفلاح الفعلية إلى واحدة من أربعين (دفع واحد من أربعين للدخل إلى الدولة) حتى تنفيذ نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة في عهد أسرة تانغ. فمن المرجح أن يعيش الفلاح بطمأنينة ويعمل بارتياح في أسرة تانغ بموجب النظام الضريبي. تصبح حياة الفلاح غنية في بلد "قائم على المزرعة" فازدهرت الدولة طبيعيًا. كتب دو فو القصيدة قائلة: "تذكرت المجتمع المزدهر في عهد كاييوان وكانت أسرة صغيرة تخزّن العديد من الأرز. كذلك تمتّع الأرز والدخن بجودة عالية وملأ الغذاء المخازن العامة والخاصة". وإنها تصف الوضع الثري في عهد كاييوان لأسرة تانغ. ولا يمكن فصل الوفرة الاقتصادية عن تنفيذ نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة بنجاح في أسرة تانغ.

كان نظام الجيش البيتي لأسرة تانغ يجمع بين مزايا النظام العسكري لوى الشمالية وتشو الشمالية واعتُبر بالنظام العسكري الأكثر تقدُّمًا، ولأنه نظام "جميع الجنود الشعب" الذي خفّض الإنفاق العسكري للدولة وضمن جودة التدريب للجيش أيضًا. تم تعيين نظام الجيش البيتي لسلالة تانغ في عهد تشنقوان وكان المحتوى هو: قسمت الحكومةُ الدولةَ إلى عشرة أجزاء وأعدت ستمائة وأربعة وثلاثين جهة تشه تشوان (جهة عسكرية قاعدية)، وقُسمت الجهات إلى ثلاث درجات فيها كانت الجهة العليا تسع ألف ومائتين جندي

والجهة المتوسطة تسع ألف جندي والجهة الدنيا تسع ثمانمائة جندي. وعُيِّن قائد تشه تشوان واحد ونائباه. كل 300 جندي يسمى بمجموعة لها نقيب.

نصّت الدولة على إضافة الموقع الخالي كل ثلاث سنوات بعد إنشاء نظام الجيش البيتي (تمّ تغيير الأمر لاحقًا إلى كل ست سنوات)، وكانت الحكومة تعفي ضريبة الجندي وسخرته خلال فترة الخدمة إذا احتاج الجندي إعداد الملابس والأسلحة الخفيفة (الأقواس والسهام، والسكاكين) والحاجات العسكرية الأساسية بنفسه. كان الجندي يبقى في مواقع ويملك حقول عسكرية ثابتة، ولا يمكن للجندي الهجرة بدون أي سبب.

عادة ما يعمل الجنود في الزراعة ويمارسون فنون القتال في أوقات فراغهم. عندما تشن حرب يخرجون للقتال. كما يتناوبون على الذهاب إلى العاصمة للعمل كحراس. الجنود الذين لا يعملون في القوات الحامية يشاركون في استصلاح الجيش والتدريب في وقت السلم. عند نشوب حرب، تأمر الدولة الجنرالات بقيادة القوات التي يحتاجونها. وهذا يسمى بـ "توزيع الجنود في الجهة" ما يمنع الجنرالات من تعزيز قواتهم في الجيش وتشكيل قوة انفصالية بشكل فعّال.

تمّ تنفيذ نظام الجيش البيتي لسلالة تانغ بشكل جيد في فترة الإمبراطور تاي تسونغ والفترة المبكرة من عهد الإمبراطور قاو تسونغ وحقّق نتائج جيدة أيضًا. لكن النظام دُمِّر تدريجيًا في فترة لاحقة من عهد الإمبراطور قاو تسونغ وألغي تمامًا حتى حكم الإمبراطور شيوان تسونغ. وكان السبب الرئيسي لتدمير نظام الجيش البيتي تكرار الحروب وثقل الخدمة العسكرية أكثر فأكثر.

كانت الخدمة العسكرية ثقيلة وتراجعت مكانة الجندي البيتي بشكل كبير، فلم يعد يحمي الحدود لفترة طويلة فقط، بل فقد المكافأة الحسنة المتنوعة فحسب. ولا يحصل على ترقية بمساهمات في المعركة في كثير من الأحيان، كذلك غالبًا ما يصعب الحصول على معاش الدولة وتعويضه اللائق حتى لو قتل في حرب. يُعيّن "شخص قوي من غرف ثرية" يتمتع بلياقة بدنية جيدة كقائد تشه تشوان ونائباه في الغالب، ويمكن الترقية بسهولة بمساهمات المعركة. إذا قُتل في المعركة قدّمت الدولة التعازي به ومنحته المنصب الرسمي. لكن كثرت الخدمات العسكرية في وقت لاحق ولم تنفّذ هذه المكافآت على الإطلاق فانخفض الوضع الاجتماعي للجنود. وصف دو فو الوضع في قصيدته بصورة حيّة في هذا الصدد: "حمى شخص عمره خمسة عشر عامًا شمالَ النهر الأصفر، وذهب شخص عمره أربعون عامًا إلى الحدود الغربية يزرع الحقل. لفّ لي تشنغ (رئيس قاعدة في الصين القديمة) رأس

الجندي بشال، لكن احتاج إلى حماية الحدود فكان أشيبَ الشعر بعد العودة". استمتعت أسرة تانغ بأكثر من 100 عام من السلام من مجتمع الاستقرار الازدهار تشنقوان إلى المجتمع المزدهر كاييوان (لم تكن هناك حرب عنيفة حتى لو انفجرت خلال هذه الفترة). ولم تعد الدولة تهتم بالشؤون العسكرية مثل الفترة المبكرة بعد تأسيس الإمبراطورية في ظل المدى الطويل من السلام الاجتماعي وازدهار الاقتصاد والثقافة المتزايد. لقد خففتها الدولة على المستوى الروحي أولًا، ثم شوّهت صورة نظام الجيش البيتي في عملية التنفيذ الفعلي حتى دمّرت النظام بالكامل.

وبالإضافة إلى ذلك، تناوب الجندي البيتي على حماية العاصمة في عهد الإمبراطور قاو وتاي مما يدل على اهتمام الدولة بنظام الجيش البيتي. لكن نقلت الإمبراطورة وو تسه تيان المهمةَ حمايةَ العاصمة إلى الأبناء من الأسر الأرستقراطية والبيروقراطية من أجل تعزيز القوات العسكرية الخاصة بها في عهد حكمها، لذلك فقد الجندي البيتي المنصب الهام، فكان سببًا للانخفاض السريع لنظام الجيش البيتي.

وقد أدّى الجمع بين الأسباب المختلفة المذكورة أعلاه إلى تحوّل هائل في تكوين الجنود ونوعيتهم الشاملة: كانوا في البداية من الأبناء الأقوياء الأغنياء وتحوّلوا إلى الفقراء والضعفاء. فتحوّل تسلّح سلالة تانغ من الازدهار إلى التراخي مع تراجع نظام الجيش البيتي وإلغائه.

قد علّق السيد تشيان مو بالنسبة للأنظمة المختلفة من سلالة تانغ: "ضَمَن نظام الضريبة وتبديل السخرة بالضريبة من سلالة تانغ حياة الفلاح للدولة، وأنشأ نظام الجيش البيتي النظام العسكري السليم، وعزّز نظام المجاز (نظام الاختبارات الإمبراطورية) التنمية الثقافية للمجتمع كله برفع الحظر عن الإدارة وإزالة الطبقات. كذلك كانت منظمة سياسية من سلالة تانغ تجمع الدولة الكبيرة التي لا يجود بمثلها الزمنُ تحت نظام عظيم كامل. تتحدّث الحقائق بصوت أعلى من الكلمات، قد تبيّن جلال أسرة تانغ القوية بالواقع". أيضًا علّق على العلاقة بين الجانب المشرق والجانب المظلم في التاريخ من هذه النظم قائلًا: "من الواضح أن تتواجد فكرة أو مثالية معقولة وراء تقدّم الجوانب السياسية والاجتماعية كدليل. وإن الفكرة أو المثالية المعقولة هي ضوء تاريخ الأمة، أي قوة دافعة لتعزيز الثقافة الوطنية. وليس من الضروري أن تظهر على القضية الشخصية بل تتواجد في الكفاح الطويل المدى للأمة بأكملها بتأكيد ومجد. كانت الأنوار تنشأ تدريجيًا في جو مظلم وتصل ذروتها في بيئة سلمية من وى الشمالية إلى تشو الشمالية حتى سلالة سوي وتانغ. أما الاضطرابات الاجتماعية من وقت لآخر فكانت عثرة تركتها القوى المظلمة

والعمياء للتقدم التاريخي". كانت آراء السيد تشيان مو هذه تفيدنا شديدًا في فهم إبداعات النظم المختلفة بعمق خلال سلالة تانغ.

لن يتم إنشاء جميع الأنظمة الاجتماعية الجيدة من فراغ، بل تكون تاريخية وواقعية للغاية. في نفس الوقت، على الرغم من جودة النظام العليا فلن تضمن حجّتها إلى الأبد. كان أفضل نظام يشوَّه صورته وتشهد آثاره الإيجابية فترة التدهور أثناء التنفيذ على المدى الطويل. لذلك، يجب أن يبقى بناء النظام مفتوحًا في جميع الأوقات ويتفاعل إيجابيًا مع الواقع في الوقت المناسب. بعبارة أخرى، لن يكتمل الابتكار المؤسسي بالفعل بل يصير دائمًا إلى انهيار.

عصر الإمبراطورة وو تشاو تيان

كانت أسرة تانغ سلالة مجيدة نسبيًا في التاريخ الصيني، وقد حقّقت هذه السلالة إنجازات ملحوظة في جوانب السياسة والاقتصاد والثقافة والأخرى. ومع ذلك، استمرت مأساة الصراع على السلطة في قصر أسرة تانغ تكون دموية ووحشية للغاية.

بدأت مأساة الصراع على السلطة منذ تأسيس أسرة تانغ. كان أبناء إمبراطور تانغ الأول لي يوان يناضلون حتى الموت، وجلس لي شيمين على العرشَ من خلال قتل إخوته. أصبحت صراعات القوى أكثر شراسة بعد وفاة لي شيمين، ومن بينها الصراعُ الذي اغتصب فيه وو تسه تيان عرشَ سلالة تانغ الذي اعتُبر الأكثر إثارة.

وُلدت وو تسه تيان المعروفة سابقًا باسم وو تشاو في أسرة مشهورة في تايوان، وعمل والدها وو شي يوه موظفًا صغيرًا في أسرة سوي وعمل أيضًا تاجرًا للأخشاب. اختار وو شي يوه المحاربة وتخلّى عن التجارة وانضم إلى فريق لي يوان عندما بدأ بتأليف جيشه. بعد تأسيس أسرة تانغ مُنح وو شي يوه وسام بطل الدرجة الثانية حصل على لقب مسؤول جدير بالتقدير. يمكن القول إنه أقرب اتصال بين أسرة وو وسلالة تانغ من أسرة لي.

تمّ إرسال وو تشاو البالغة من العمر 14 عامًا إلى القصر الإمبراطوري في عام 637 ميلادي وأصبحت "تساي رن" (إحدى ألقاب محظيات الإمبراطور) للإمبراطور تاي لي شيمين أي محظية منخفضة المستوى. ومع ذلك، أظهرت حماسة مختلفة عن الناس العاديين عندما كانت "تساي رن". حصل لي شيمين على حصان شموس مرة ولم يستطع ترويضه بنفسه، فسأل أتباعه: "من يستطيع ترويض هذا الحصان؟".

قالت وو تشاو على الفور إنها تستطيع تطبيع الحصان الشموس، لكنه لم يصدّق فسألها: "كيف تطبّعين هذا الحصان وأنت فتاة صغيرة؟".

وقالت وو تشاو: "أعطوني ثلاثة أشياء - السوط والمِطرَقة والخنجر، يمكن ترويض الحصان. إذا لم يطع أجلده بالسوط، وإذا لا يزال لا يطع أضرب على رأسه بمطرقة، وإذا استمر في عدم طاعة أقطع حنجرته بالخنجر". قالت وو تشاو هذه الكلمة الشرسة لها من العمر 14 عامًا فقط، فظهرت شخصيتها القاسية تمامًا.

ويقال إنه كان زنا بين وو تشاو وابن لي شيمين لي تشي خلال فترة عمل "لي شيمين. قد توفيت والدة لي تشي الإمبراطورة وندە عندما كان عمره 8 سنوات. قد يؤدّي ألم فقد الأم في الصغر إلى حب لي تشي في وو تسه تيان نفسيًا - قد نقصه حب الأم في صغره، فطلب التعويض من حب الأخ الصغير والأخت الكبيرة عندما كبر. كانت وو تشاو أكبر بأربع سنوات من لي تشي بل هي "تساي رن" للي شيمين، فكان الحب بلا أخلاق فى الأصل، ولكنها صعدت قمة السلطة خطوة خطوة معتمدة على العلاقة الجنسية. لا يسعنا إلا أن نقول إنه معجزة.

تمّ إرسال وو تشاو إلى معبد بوذي كي تترهّب وتعيش حياة منعزلة مثل السيدات الأخرى للي شيمين بعد وفاته. ومع ذلك، التقى لي تشي الذي قد أصبح بالفعل الإمبراطور الحبيبة السابقة خلال تقديم البخور في المعبد فاستدعاها وو تشاو إلى القصر مرة ثانية ومنحها لقب "تشاو يي".

هزمت وو تشاو الإمبراطورة وانغ والمحظية شو بلقب تشاو يي بعد عودتها إلى القصر عن طريق سلسلة من الصراعات المعقّدة في القصر، وسحرت لب الإمبراطور قاو لي تشي بل وسيطرت عليه تمامًا. خلع لي تشي الإمبراطورة وانغ وتغير وو تشاو إلى الإمبراطورة في النهاية. أظهرت وو تشاو مظاهرها الشخصية التي لا تتورع عن استخدام أية وسيلة كليًا لتحقيق الغرض في صراع الحريم هذا. وفقًا للسجلات التاريخية، قتلت وو تشاو ابنتها شخصيًا ثم ألقت التبعة على كاهل الإمبراطورة وانغ من أجل قيام لي تشي بخلع الإمبراطورة وانغ.

بدأت وو تشاو في زراعة سلطتها الخاصة في البلاط بعدما أصبحت الإمبراطورة. تمتّع لي تشي بصحة سيئة نسبيًا فترك العديد من الشؤون الحكومية إلى وو تشاو للتعامل معها. تحكّمت وو تشاو في قوة الدولة خطوة بخطوة باسم الإمبراطور قاو. بنت نظامًا من التحقيقات السرية لمحاربة المعارضين وزرع المقرّبين في البلاط. وكان الموظف القديم من فترة

تشنقوان تشانغسون ووجي وتشو سوي ليانغ والآخرون يتعرضون لضربة قاسية جدًا من وو تشاو، بل تمّت ترقية المقربين منها كشيوي جينغزونغ ولي ييفو وغيرها.

توفي الإمبراطور قاو لي تشي في عام 683 م فصعد الإمبراطور تشونغ لي شيان العرش، ولكن لا تزال السلطة السياسية في أيدي وو تشاو. كانت تتصرّف بشرٍّ وغرور وتكبّر متجاهلة الأخلاق تمامًا. عندها رغبة قوية في السلطة وموهبة سياسية متفوقة تتناسب معها. كان نصفها ملاك ونصفها الآخر شيطان؛ عاقدة العزم وحاسمة قاسية، كذلك كانت تخفي نوايا شريرة وتتمتّع بقدرة متفوقة على الإيذاء.

واصلت الصراعات في بلاط أسرة تانغ واحدة تلو أخرى ولكن ظلت الآلية الإدارية لإمبراطورية تانغ الكاملة تعمل طبيعيًا. لا يزال الجنرال المتمرس في القتال يحرس أراضي تانغ، ويزرع الفلاح الكادح الأرض سلالة تانغ، وتستمر أسرة تانغ أيضًا في كتابة ازدهارها ومجدها.

خلعت وو تشاو ابنها لي شيان عن العرش وغيّرت لي دان إلى الإمبراطور الذي كان يطلق عليه الإمبراطور روي من أسرة تانغ في عام 684 م. إن تحرّكها لصعود العرش الخاص يستعدّ فعليًا. شنّت مجموعة من المعارضين برئاسة شو جينغيي عملية عسكرية تهدف إلى تقويض حكم وو تشاو في هذا الوقت. كان شو جينغيي حفيد الجنرال المهم شو شي (مُنح باللقب لي فيما بعد) في بداية أسرة تانغ، عُين بنائب مدير جهة تايبو وحاكم إقليمي بمي تشو خلال عهد قاو تسونغ، ثم خُفِّضت رتبته إلى حاكم عسكري في ليوتشو عام 684. ثار في يانغتشو ضد وو تسه تيان مع مدير المراقبة شيوه تشونغتشانغ والآخرين تحت علم دعم ولي العهد المخلوع واستعادة أسرة تانغ. قد كتب الشاعر الشهير لأسرة تانغ لوه بينوانغ تنديدًا رسميًا شهيرًا بالعدوّ "تنديد رسمي بوو تشاو لشو جينغيي" لتوبيخ وو تسه تيان قائلًا إنها "تزني مع ولي العهد عند شيخوخة الإمبراطور لي شيمين" و"تحسد المحظيات الحسناء في القصر وتتظاهر بأنها فتاة صغيرة لاستهواء الإمبراطور".

لا تتردّد وو تشاو في التعامل مع المعارضة، ونظّمت 320000 جندي بسرعة لمحاربة جيش شو جينغيي الذي انتحر بعد هزيمته. ألغت وو تشاو الإمبراطور روي ببساطة في عام 690 م وصعدت عرش الإمبراطور بنفسها بعد الحادث. غيّرت اسم الدولة "تانغ" إلى "تشو" وغيرت لقب أبنائها إلى "وو" فغيرت "أسرة تانغ بلقب لي" إلى "أسرة تشو بلقب وو". سمّت نفسها وو تسه تيان مما يعني أن تكون امرأة كبيرة مثل السماء. وارتدت ملابسها بالكامل كإمبراطور من الذكور بدلًا من ارتداء زي المرأة وأخذت تتعامل مع

الأحداث الوطنية بمواجهة الوزراء مباشرة. لا تتواجد امرأة إلا وو تسه تيان وحدها صعدت عرش الإمبراطور بصفتها امرأة مباشرة في التاريخ الصيني.

كان لدى الإمبراطور الذكور الكثير من المحظيات فلم تتأخر وو تسه تيان أيضًا وجمعت الكثير من المدللين الذكور في الحريم. كما هو معروف أن يرفض العديد من الأشخاص قبول إمرأة كإمبراطورة فاستخدمت أنواعًا مختلفة من التعذيب لمعاقبة المعارضين. كان هناك شكل من التعذيب يسمى "أجنحة فينكس" وهو شد يد السجين وقدمه بالخشب القصير وفتل الحبل على الخشب لتعذيبه؛ وهناك شكل من التعذيب يسمى "تقديم الجنية الفاكهة" وهو ركوع السجين على حجارة مكسرة عاريًا يحمل منشة خشبية بكلتا يديه، ويتم استمرار إضافة طوبات عليها ورفع السجين المنشة أعلى من رأسه. قد مُنح الموظفون العنيفون مثل سوه يوانلي ولاي جيونتشن وتشو شينغ وهو سيتشي المناصب الهامة خلال عهد وو تسه تيان.

تطوّرت قوات أسرة وو بسرعة بعد صعود وو تسه تيان عرش الإمبراطور وتلقى أعضاء عائلتها مكافأة ضخمة، حتى أراد ابن شقيقها وو تشنغسي أن يكون ولي العهد لوراثة العرش في المستقبل. فقد أجرى البلاط نقاشًا شرسًا حول ما إذا كان منح وو تشنغسي ولي العهد أم لا. تردّدت وو تسه تيان في هذه المسألة، وأخيرًا ذكّرها الوزير الشهير دي رنجيه أن ابن أخيها ليس قريبًا من ابنها. لذلك استدعت وو تسه تيان لي شيان في عام 698 م ومنحته لقب ولي العهد. كانت هذه الخطوة تعني أن وو تسه تيان قرّرت تسليم الإمبراطورية إلى أيدي عائلة لي. أدّى هذا القرار إلى خيبة مجموعة اهتمامات وو للغاية وسرعان ما توفي وو تشنغسي بانزعاج.

كانت حياة وو تسه تيان الخاصة دائمًا تخرج عن الحدود خاصة في سنواتها الأخيرة. أصبح الأخوان غير الشقيقين تشانغ يي تشي وتشانغ تشانغ تسونغ المدللين الذكرين لديها يملكان حقوق هائلة. وتستجيب لكل مطلب مسامحة لهما للغاية. أدى الإسراف والفساد من الأخوين تشانغ إلى استياء شديد من وزير البلاط الإمبراطوري فانخفضت هيبة وو تسه تيان. فخططت مجموعة من الوزراء برئاسة رئيس الوزراء تشانغ جيان تشي لانقلاب في البلاط في ظل هذا الظرف. جمع تشانغ جيان تشي مجموعة من الوزراء وتوّج لي شيان ليلَ الشهر الأول على التقويم القمري 705م، وهاجموا شيوانوو بخمسمائة حارس قتلوا الأخوين تشانغ وحاصروا قصر الإمبراطورة وو. فاضطرت الإمبراطورة وو تسه تيان إلى إعلان تنازلها عن العرش تحت الضغط. توفيت وو تسه تيان البالغة من العمر 82 عامًا بندم بعد بضعة أشهر.

كاد الإمبراطور تشونغ لي شيان أن يصبح الحاكم الأعلى لإمبراطورية تانغ اسميًا بعد إعادة العرش ولكنه كان ضعيفًا كما كان من قبل. كانت زوجة الإمبراطور تشونغ الإمبراطورة وي هي أيضًا امرأة ماجنة تزني مع ابن شقيق وو تسه تيان وو سانسي. حصل وو سانسي على السلطة فانتهز الفرصة وعادت أسرة وو إلى الازدهار مرة أخرى. زوجت الإمبراطورة وي ابنتها أميرة أنله إلى ابن وو سانسي وو تشونغ شيون، فتواطأت الإمبراطورة وي مع أسرة وو واستولت على السلطة وتدخّلت في الشؤون الوطنية. ودلل الإمبراطور تشونغ أيضًا امرأة تسمى شانغقوان وانإر بشكل كبير، وكانت تتدخل في الشؤون الداخلية في ذلك الوقت، تقنع الإمبراطورة وي بتقليد وو تسه تيان. وكان وو سانسي والإمبراطورة وي يتشاركان أنشطة التآمر وأرادا جعل الأميرة آنله ولية العهد في يوم من الأيام. كان حكم سلالة تانغ في هذا الوقت أكثر فوضوية من فترة وو تسه تيان. سممت الإمبراطورة وي الإمبراطور تشونغ لي شيان من أجل الاستيلاء على السلطة وحاولت استبداله في 710 م.

كان لدى الإمبراطورة وي طموح مثل وو تسه تيان ولكن لم يحالفها الحظ. ما إن تكشّفت تصرفاتها لاغتصاب السلطة حتى أثارت مقاومة شرسة من العائلة المالكة. بدأ ابن لي دان لي لونغ جي انقلابًا فهاجم القصر مع الجيش وقتل الإمبراطورة وي والأميرة آنله، ثم أصبح لي دان الإمبراطور الجديد الذي يسمى الإمبراطور روي. أما لي لونغ جي بالذات فأصبح ولي العهد. في عهد الإمبراطور روي، كانت أخته الصغيرة الأميرة تايبينغ لا تزال تتدخل في الشؤون الحكومية وكافحت مع ولي العهد لي لونغ جي.

توّج الإمبراطور روي ابنه لي لونغ جي في عام 712 ميلادي وأصبح نفسُه الإمبراطور الأب.

تدخلت الأميرة تايبينغ في شؤون الدولة وكانت تعتمد على قوات الإمبراطور الأب عام 713 وبدأت صراعًا حادًّا مع لي لونغ جي. وكان خمسة من سبعة رؤساء الوزراء في البلاط يتبعون لها، أيضًا اعتمد أكثر من نصف الوزراء والجنرالات عليها. تآمرت الأميرة تايبينغ وأتباعها لإلغاء لي لونغ جى. بالإضافة إلى ذلك، خطّطت الأميرة تايبينغ أيضًا مع سيدة القصر لتسميم لي لونغ جي.

كانت النتيجة النهائية لقتالهما هي أن أطلق لي لونغ جي انقلابًا وأخذ زمام المبادرة مما أسفر عن قتل أتباع الأميرة تايبينغ وأمر الأميرة تايبينغ بالانتحار. عند هذه النقطة، انتهت مسرحية النضال القصري لأسرة تانغ على نغمة لي لونغ جي النهائية. كان لي لونغ جي الإمبراطور شيوان الشهير في

التاريخ، وسوف تصل سلالة تانغ أثناء حكمه إلى ذروتها - حيث مجتمع الاستقرار الازدهار في فترة كاييوان.

من وفاة لي شيمين في عام 649 م إلى وفاة الأميرة تايبينغ في عام 713 م، يمكن القول إن التاريخ الذي يمتد إلى 64 عامًا حول وو تسه تيان يتطوّر. وقد اختلطت حياة وو تسه تيان بالسلطة ولا يمكن فصلهما. كانت الإمبراطورة لـ 28 عامًا والإمبراطورة الأم لسبع سنوات والإمبراطورة بنفسها لـ 15 سنة، فسيطرت على شؤون الدولة لـ 50 عامًا بالضبط. ويمكن تقسيم الـ 50 عام إلى ثلاث مراحل، كانت المرحلة في قبل الإمبراطورة مرحلة حصلت فيها وو تسه تيان على السلطة خطوة بخطوة؛، كانت المرحلة منذ الإمبراطورة حتى التنحِّي من عرش الإمبراطورة هي مرحلة استخدام السلطة؛ وكانت المرحلة منذ تنحِّي وو تسه تيان من العرش إلى انتحار الأميرة تايبينغ "فترة النساء" تحت تأثير وو تسه تيان، وهي مرحلة حاولت الإمبراطورة وي وشانغقوان وانإر والأميرة آنله والأميرة تايبينغ اقتداء وو نسه تيان فيها للجلوس على عرش الإمبراطورة. انتهت "فترة النساء" مع الفشل التدريجي لهؤلاء النساء اللواتي توسّعت طموحاتهنّ.

هناك تقييمات مختلفة بالنسبة إلى المزايا والعيوب التاريخية التي قدمتها وو تسه تيان منذ أسرة تانغ. كان كل الأباطرة أحفادها فأصبح التقييم لوو تسه تيان إيجابيًا نسبيًا في وقت مبكر لسلالة تانغ قائلًا إنها تتمتع بالمهارات السياسية وتقدم مآثر عظيمة والخ. ومع ذلك نقد سيما قوانغ وو تسه تيان حادًّا في (زي تشي تونغ جيان) في سلالة سونغ. وكان علم تشنغ تشو يهيمن في الأيديولوجية الصينية في عهد أسرة سونغ الجنوبية، فاعتبر جميع تصرفات الإمبراطورة وو فاحشة. وانزعج المفكر الشهير وانغ فوتشى وو تسه تيان للغاية في فترة نهاية سلالة مينغ وبداية سلالة تشينغ فقال: "لن تسامحها الآلهة والأشباح وسيحقد عليها الموظف والشعب".

قامت دائرة التاريخ بإجراء تقييم موضوعي نسبيًا لـوو تسه تيان. وتشمل تقييماتها السلبية استخدام الدهاء، وعدم الرحمة، وتعيين الموظف العنيف، ودعم الوشاية، والغرق في المجون والفجور. وقد قوّض عيوبها القاتلة الجو السياسي فلم يعد هناك من يتضامن مع الإمبراطور والوزراء الذين يتحلون بالنزاهة، مما أدى إلى اضطرابات بلاط سلالة تانغ. إن التقييم الإيجابي لوو تسه تيان يقول إنها كانت تتمتع بالمهارات السياسية، وتجيد الحكم الرشيد، وتهتم بالمواهب، تمنح الوزير الشهير دي رن جيه وتشانغ جيانتشي وهوان يان فان وجينغ هوى وياو تشونغ وغيرهم المنصب الهام. استقرت السياسة في عهد سلالة تانغ وازدهرت الثقافة واغتنى الشعب في عهد وو

تسه تيان التي كانت تتمتع بجو "عهد تشنقوان القديم"، أيضًا تبني قاعدة حسنة للمجتمع المزدهر في عهد كاييوان على حكم الإمبراطور شيوان.

القراءة الموسّعة: الموظف العنيف خلال عهد وو تسه تيان

منحت وو تسه تيان الموظف العنيف المنصب الهام في عهدها، وكانوا أربعة مشهورين وهم سوه يوانلي ولاي جيونتشن وتشو شينغ وهو سيتشي. إنهم "أربعة قتلة" رعتهم وو تسه تيان خصيصًا كي يساعدونها في القضاء على المعارضين.

كان سوه يوانلي قاسيًا وعنيفًا يجيد اتهام شخص زورًا فمُنح منصبًا هامًا من قبل الإمبراطورة وو، كما أصبح والدًا بالتبنّي لشيوه هواي يي المدلّل وو تسه تيان الذكر. كانت أكبر ميزة لسوه يوانلي هي اختراع عدد من أنواع التعذيب، و"أجنحة فينكس" و"تقديم الجنية الفاكهة" أنواع اخترعها سوه يوانلي. بالإضافة إلى ذلك، اخترع "تعليق 15 ألف كيلوغرام من الشيء على شعر واحد" وهو علق السجين رأسًا على عارضة منقلبًا ثم شدّ صخرة على شعره؛ واخترع أيضًا "زلزالًا مدمرًا" غطّى قفصًا حديديًا على رأس السجين حيث يحيط بالعنق إسفين خشبي أشد فأشد حتى يتم إطلاق دماغ السجين.

جاء لاي جيونتشن من واننيان بيونغتشو (الآن شيآن بشانشي). كان بلطجيًا وخبيثًا كسل ولم يعمل في السنوات الأولى، وأيضًا قد سُجِن بسبب جريمة الزنا والسرقة. وحصل على تعيين هام من لوو تسه تيان فيما بعد بسبب الوشاية مرارًا، عُيِّن كموظف مراقبة ونائب مدير المراقبة وغيرها من المناصب الرسمية. كان يجيد إجبار السجين على الاعتراف ويقتل للمتعة، فليس هناك إنسانية على الإطلاق. إذا سقط السجين بين يديه كمن ذهب إلى الجحيم. وكان مسؤولو البلاط في ذلك الوقت يشعرون بعدم الأمان خوفا من وشاية لاي جيونتشن وتشويههم باتهام زورًا وفقًا للسجلات التاريخية، كان الموظفون يقلقون عندما يذهبون لمقابلة الإمبراطورة في الصباح خوفا من تعرّضهم لمؤامرة من لاي جيونتشن.

درس تشو شينغ القانون في شبابه، قد عمل كمساعد الوزير ومُنح منصبًا هامًا من قبل وو تسه تيان بسبب الوشاية في وقت لاحق. ارتقى خطوة خطوة وحقّق كل مرة من الترقية اعتمادًا على اتهامات الآخرين زورًا. في النهاية، ظهر مشهد مثير للاهتمام في هذا الوقت. وقد أقام لاي جيونتشن وليمة فاخرة فى المنزل ودعا تشو شينغ إليها. سأل لاي جيونتشن تشو شينغ خلال العشاء: "واجهتني مشكلة فنية، وأنا أطلب مساعدتك على حلّها. تسلّمت

القضية قبل قليل وأمرتني الإمبراطورة بحكمها بوضوح، ولكن لا يعترف الشخص بالجريمة. ماذا عليّ أن أفعل؟".

أجاب تشو شينغ بفخر: "هذا يسهل التعامل معه. أولًا تعدّ وعاءً كبيرًا يحيط به الفحم بحيث يصبح الوعاء بوتقة، ثم تضع السجين فيه، سوف يعترف رغمًا عنه".

"فكرة جيدة، فكرة جيدة!" أثنى لاي جيونتشن عليه مرارًا ثم أمر بحمل وعاء كبير. ونار الفحم حوله وقال لتشو شينغ: "وشاك شخص ما بالتمرد وأمرتني الإمبراطورة بحكم القضية بدقة. أنا آسف والآن تفضل بدخول الوعاء بنفسك". هذا هو مصدر تعبير "أدخل النار التي أضرمتها".

شحب تشو شينغ من الخوف على الفور بعد الاستماع إلى هذا البيان وسرعان ما "اعترف بالجريمة". حكم لاي جيونتشن على تشو شينغ بالإعدام، عندما رفع الحكم إلى الإمبراطورة غيرته وو تسه تيان إلى "نفيه إلى جنوب لينغ نان". ولكن قام تشو شينغ بالشر الكثير فقُتِل في منتصف طريق النفي.

كان هو سيتشي من ليتشيوان بيونغتشو يعمل بائع فطائر كبيرة في الأصل ثم تبع جنرال العصابات قاو يوانلي كخادم. كما حصل على منصب هام اعتمادًا على الوشاية. كانت وو تسه تيان تشجع على الوشاية في ذلك الوقت، غالبًا ما يحصل المخبر على منصب موظف الرقابة الرسمية من المرتبة الخامسة. طلب هو سيتشي أيضًا الحصول على منصب في الرقابة. سألت وو تسه تيان: "كيف يمكنك أن تكون رقيبًا وأنت لا تستطيع القراءة؟".

أجاب هو سيتشي: "لم يقرأ شيه (نوع من آحادي القرن حيوانات خرافية في أسطورة يهجم الشرّ بقرنه) ولكنه يستطيع قتل الشر بالقرن؟".

كانت وو تسه تيان سعيدة جدًا للاستماع إليه فعيّنته كموظف المراقبة. قد أرادت وو تسه تيان مكافأة هو سيتشي للمنزل الذي صادرته من الموظف المتمرد، ولكن هو سيتشي قال: "أكره الموظف المتمرِّد وكيف أقيم في منزلهم السابق!" كان المقال يسر وو تسه تيان فاهتمت به نحو متزايد.

أمرت وو تسه تيان بعدم السماح لأي شخص غير أبناء العائلة المالكة باستخدام البروكار عام 693 م. ولكن هو سيتشي تجرّأ وخزّن البروكار سرًّا. كان رئيس الوزراء لي تشاوده مسؤولًا عن التحقيق في الحادث بعد اكتشافه وقتل هو سيتشي بالهراوات مباشرة في قاعة البلاط.

كان الموظف العنيف هو مجرد أداة وو تسه تيان بعد كل شيء. نظرًا لأنه أداة، لذلك كان موقف وو تجاهه هو: استخدمته إذا أفادها، ونبذته إذا كان باطلًا أو ضارًّا، فإن استخدام الموظف العنيف أو هجره هو مجرد وسيلة من وسائل الحكم المختلفة بالنسبة إلى وو تسه تيان.

عرفت وو تسه تيان عدم اقتناع وزراء العشيرة بها فقرّرت قتلهم لإنشاء المكانة وترقية الموظف العنيف واستخدامه من أجل المحافظة على حكمها قبل قليل من صعود العرش وفي فترة مبكرة بعد صعود عرش الإمبراطور. أمرت بمكافأة الواشي، فقدّم له الموظف الوسيلة الأكثر كفاءة وهي النقل - الخيول والطعام على بناء مقياس المرتبة الخامسة، أخيرًا قابلته الإمبراطورة وو شخصيًا. إذا كانت كلمات المخبر تتماشى مع نوايا وو تسه تيان، يُمنح منصبًا هامًا على الفور. إذا كانت الكلمات خيالية، فلا تستقصى. إنه بلا شك أكبر تشجيع للمخبرين، فبنى "الموظفون الأربعة" كلهم أنفسهم بالذات بوشاية في عهد وو تسه تيان.

قامت وو تسه تيان بالسياسة الإرهابية بالموظف العنيف وقمعت المعارضة وصعدت العرش. وبدأت وو تسه تيان تقتل مسؤولين عنيفين لكسب قلب الشعب بعد صعودها عرش الإمبراطور خاصة لتوطيد حكمها. لذلك، ما توفي بهدوء أي شخص من "الموظفون الأربعة" في عهد وو تسه تيان.

كان تشو شينغ أول موظف عنيف حاسبته على الجرائم، وقُتل سوه يوانلي في وقت لاحق، وقتل هو سيتشي بهراوات برئيس الوزراء لي تشاوده. كان لاي جيونتشن آخر مقتول من "أربعة أشرار"، كُشف بأمراء من عائلة وو والأميرة تايبينغ فحُكم عليه بالإعدام. يوم قتله "بادر أعداؤه إلى أكل لحمه حتى آخر قطعة وفقأ العين وخرق الوجه ودياس البطن مهروسًا". أمرت وو شخصيًا بعرض جرائم لاي جيونتشن بعد أن علمت بغض الشعب له إلى هذا الحد قائلة: "يجب قتل كل الأسرة لتخفيف بغض الشعب له ومصادرة ممتلكه". قتلت كل عائلة لاي جيونتشن لكسب قلوب الناس مرة أخرى.

كان الناس يصرخون بشكل غير طبيعي "كانت الإمبراطورة حكيمة" أثناء الاحتفال بعد رؤية قتل الموظف العنيف. وهذا هو بالضبط ما تسعد وو تسه تيان برؤيته فهو تأثير تريده. في أوقات الإمبريالية، "حكمة" الإمبراطور ليست بفضل التزامه بالعدالة باستمرار، بل لأنه يجيد فن الحكم الجيد والفوز بقلب الشعب. وقد تكررت هذه الحال لتصبح "روتينًا" كلاسيكيًا.

صقل الرأي: "عصر النساء" لأسرة تانغ

كانت وو تسه تيان تجاهد من تساي رن الحريم إلى الإمبراطورة والإمبراطورة خطوة فخطوة وأخيرًا صعدت عرش الإمبراطور بصفتها الأنثوية، فحفزت قصة حياتها الكثير من الناس ولا سيما النساء حولها. كانت النساء أيضًا ترغب في الاقتداء بها لصعود العرش. لذلك بدأت بعض السيدات الإمبراطوريات بالطموح للاستيلاء على السلطة بجنون. فتحت سلالة تانغ "عصر النساء" الخاص الذي تسيطر النساء فيه على السلطة.

كانت وو تسه تيان البادئة في "عصر النساء". وهناك أربع نساء بعدها دخلن في السباق على السلطة العليا، إن النساء الأربع هنّ: زوجة ابن الإمبراطورة وو الإمبراطورة وي، ابنة وو تسه تيان الأميرة تايبينغ، حفيدة وو تسه تيان الأميرة آنله، و"أمينة" وو تسه تيان شانغقوان وانإر. كدرت هؤلاء النساء الأربع بلاط سلالة تانغ بعد وفاة وو تسه تيان.

قام تشانغ جيانتشي هو الآخر بانقلاب مما أجبر الإمبراطورة وو على التخلي عن العرش وتوّج لي شيان الإمبراطور من جديد، كذلك أصبحت السيدة وي الإمبراطورة عام 705. لم ترضَ فقط بالتحكم في الشؤون الحكومية بل كانت تريد تبوّؤ عرش الإمبراطور مثل وو تسه تيان بعد أن أصبحت الإمبراطورة. بعد تشجيع تانغ وى وتشاو يي والإمبراطور تشونغ شانغقوان وانإر التي نصحتها بالاقتداء بوو تسه تيان والتفكير بصعود العرش. أوصت شانغقوان وانإر وو سانسي إلى الإمبراطورة وي من أجل إيجاد تحالف سياسي. زنت الإمبراطورة وي وو سانسي وزوجت ابنتها الأميرة آنله من ابن وو سانسي وو تشونغ شيون، بحيث شكّلوا قوة سياسية قوية.

كانت الأميرة آنله ابنة الإمبراطور تشونغ لي شيان والإمبراطورة وي، تعيش في حب والديها الغزير فتستبدّ جدًا ولا تحترم أي شخص. ازدرت ولي العهد لي تشونغ جيون ابن محظية الإمبراطور واتخذته خادمًا. أخيرًا لم يستطع لي تشونغ جيون تحمّل ذلك فأطلق تمردًا وقتل وو سانسي ووو تشونغ شيون عام 707 م. ولكن الأميرة آنله هربت بمجرّد عودتها إلى القصر.

خاف الإمبراطور تشونغ لي شيان والإمبراطورة وي والأميرة آنله بعد معرفة الاضطراب، ولكن لحسن الحظ هدأ الحال في شانغقوان وكانت انإر تطلب بإصرار من الإمبراطور تشونغ الإشراف على المعركة من برج المدينة، لذلك أُخمد الانقلاب وقُتل لي تشونغ جيون.

طلبت الأميرة آنله التي تتحدّى قانون الأرض والسماء من والدها منحها لقب "ولية العهد" في وقت لاحق. وقدّمت زوجها الجديد وو يانشيو (قد مات

وو تشونغ شيون) إلى والدتها الإمبراطورة وي لمرافقتها في كسب المتعة لتحقيق الغاية في الحصول على دعم والدتها لتكون "ولية العهد". ورضيت الإمبراطورة وي بزوج ابنتها وو يانشيو بشكل خاص على الرغم من تجميع المدلل الذكر فدعمت مطالب ابنتها غير المعقولة أمام والدها الإمبراطور تشونغ الذي منحها لقب "ولية العهد" لاحقًا.

كان الإمبراطور تشونغ لي شيان الجاهل يرفض المطالب غير المعقولة للإمبراطورة وي والأميرة آنله. فلم ترض الإمبراطورة وي والأميرة آنله به إلى حدٍّ كبير حتى سمّمتاه معًا أخيرًا لاغتصاب السلطة العليا.

تضامن أمير ليتسي لي لونغجي والأميرة تايبينغ في انقلاب تانغ لونغ عند اللحظة الحرجة، وقتلا الإمبراطورة وي والأميرة آنله وقضيا على أتباع الإمبراطورة وي.

تمّت مكافأة الأميرة تايبينغ على نجاحها في قتل الإمبراطورة وي مع لي لونغجي وكانت موثوقة من الإمبراطور روي لي دان للغاية. ناقش لي دان معها في كثير من الأحيان السياسات الرئيسية للبلاط وتحدثت معه لبعض الوقت في كل مرة قدّمت مذكرة إلى العرش؛ وأحيانًا لم تكن تذهب إلى مقابلة الإمبراطور الذي يرسل رئيس الوزراء إلى منزلها على التعليقات. عندما قدّم رئيس الوزراء مذكرة إلى العرش، كان لي دان يسأل دائمًا: "هل ناقشت هذا الحادث مع الأميرة تايبينغ؟" ثم يسأل أيضًا: "وهل ناقشته مع سانلانغ (أي لي العهد لي لونغجي)؟" ثم يوافق لي دان على آراء رئيس الوزراء بعد سماع الرد الإيجابي. ويمكن معرفة مدى قوة الأميرة تايبينغ في ذلك الوقت. يقال إنه يمكن أن تؤدي جملة الأميرة تايبينغ الواحدة إلى ترقية المسؤولين المدنيين والعسكريين تحت رؤساء الوزراء أو تنزيلهم.

مُنح أبناء الأميرة تايبينغ وو تشونغ شينغ، وو تشونغ، شيويه تشونغ جيان لقب أمراء في مناسبة وامتلكت السلطة العليا، وكانت مزارعها وحدائقها طوال ضواحي المدينة تشانغان، اشترت أسرتها أو صنعت مختلف القطع الأثرية الكنوز حتى في مناطق جنوب الشوامط الخمسة ومقاطعة سيتشوان ومدينة تشونغ تشينغ، كذلك كان العديد من الناس ينقل هذه المواد لها. قلّدت الأميرة تايبينغ أيضًا أبّهة البلاط في جميع جوانب الضروريات اليومية.

قد حاول لي دان إيجاد توازن سياسي بين لي لونغجي والأميرة تايبينغ لتجنب إيذاء أي شخص لكن لم ينجح. بعد جلوس لي لونغجي على العرش، كانت الأميرة تايبينغ لا تزال تتواطئ مع الأتباع وتخطط لمحاولة انقلاب خلع لي

لونغجي من العرش الذي تولّى زمام المبادرة بهزم قوة الأميرة تايبينغ في النهاية وأمرها بالانتحار. انتهى "عصر النساء" لأسرة تانغ.

كان "عصر النساء" لأسرة تانغ في الواقع "عصر ما بعد وو تسه تيان" واستمرت أربع نساء طموحات في تخطيط لانقلاب وتكدير الوضع السياسي بسبب اتباع وو. تمتّعت هذه النساء بالطموحات السياسية مثل الإمبراطورة وو وغرقن في المجون والفجور والاستبداد مثل وو تسه تيان ولكنهن لم يتمتّعن بالمواهب السياسية مثل وو تسه تيان، وخاصة عندما واجههن الخصم القوي الحكيم الإمبراطور شيوان لي لونغجي فكُسرت مؤامرات الواحدة تلو الأخرى. وخسرت النساء الأربع تمامًا أيضًا في المقامرة السياسية - لم تفقدن الثروة فحسب بل الحياة أيضًا. كنّ يحاولن الطيران إلى أعلى سلطة متقدمة موجة إثر موجة. كانت كل واحدة تتدخل في شؤون الدولة وتمارس الخداع السياسي، لذلك ذاقت حلاوة السلطة ولكن قُتلت بنار السلطة في نهاية المطاف.

المجتمع المزدهر في عهد كاييوان

أصبح لي لونغجي الإمبراطور شيوان من سلالة تانغ في عام 712 ميلادي، فأزال القوة السياسية للأميرة تايبينغ وبدأ بتقوية انضباط البلاط في السنة التالية.

مرّت ثماني سنوات فقط على وفاة الإمبراطورة وو في هذه المرحلة، ولكن شهد بلاط الأسرة تانغ خمسة انقلابات خلالها حيث يضطرب ويتعقّد الوضع السياسي. وحدّد لي لونغجي لقب السنة باسم "كاييوان" وكان يهدف لإنهاء الاضطرابات وتثبيت وضع جديد. فقام بالموقف العدواني بتبسيط المنظمة وتقليل الموظفين الزائدين واستخدام عدد كبير من المسؤولين الشهيرين، ورقى ياو تشونغ، سونغ جينغ، تشانغ جيا تشن، تشانغ يوه، لي يوان هونغ، دو شيان، هان شيوى، وتشانغ جيو لينغ وغيرهم من الموظفين. كان الأشخاص يتمتّعون بالمزايا الخاصة ويجيدون استراتيجية حكم البلاد. كما أعاد لي لونغجي التقاليد الجميلة في "مجتمع الاستقرار الازدهار في فترة تشنقوان" حيث تكثر وسائل النصح ويشجّع عليها، كانت هذه الممارسات تؤدي بسياسة سلالة تانغ إلى طريق النزاهة والسلامة وتغيّر الجو القذر الذي استخدم الموظف القريب فقط في "عصر النساء" الأمر الذي أضاف الاتجاهات السليمة والحيوية في السلطة الرسمية لأسرة تانغ.

أيام كايوان، قامت سلالة تانغ بالإصلاح المالي ووضع تدابير اقتصادية جديدة ومكافحة المستبد التشجيع على زراعة التوت وتطوير الزراعة بشكل كبير؛ كما أجرى الإمبراطور شيوان إصلاح النظام العسكري وتطوير زراعة الحقل الحكومي بقوة في المناطق الحدودية من أجل تحسين الفعالية القتالية وتوسيع الأراضي، ونفّذ أيضًا سياسة المصالحة الوطنية لتحسين العلاقات العرقية في نفس الوقت. وقد لعبت هذه التدابير دورًا إيجابيًا في تعزيز الاستقرار والازدهار الاجتماعي.

دخلت إمبراطورية تانغ مرحلةً أكثر ازدهارًا خلال عهد كايوان بعد الحكم الرشيد وشهدت سلالة تانغ الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والرخاء الوطني لم يسبق له مثيل في المرحلة ويعتبر باسم "العصر الذهبي لكايوان".

كانت مدينة تشانغان تعتبر عالمية في ذلك الوقت تتمتّع بالروح الحليمة والمنظر الواسع الجليل لسلالة تانغ المزدهرة، ويمكن القول إنها صورة مصغّرة جيدة لازدهار المجتمع خلال عهد كايوان.

تكونت عاصمة سلالة تانغ من منطقة قصرية ومنطقة إمبراطورية ومنطقة مدنية. وقعت منطقة قصرية في الشمال وهي القصر الإمبراطوري، وكانت المنطقة الإمبراطورية في جنوبها وهي مقر الحكومة، والمنطقة المدنية وقعت في الشرق والغرب والجنوب لمنطقة قصرية ومنطقة إمبراطورية تعتبر مقر الإقامة السكنية والأسواق الصناعية والتجارية. كان محيط سور مدينة تشانغان بالكامل يبلغ 36.7 كم وتبلغ مساحة داخل السور 84 كيلومتر مربع. كانت المنطقة المدنية لديها ثلاث عشرة بوابة، هناك شرّع تشوتشيوه في الوسط ربط باب تشوتشيوه للمنطقة الإمبراطورية بباب مينغده جنوبَ المنطقة المدنية ويصل عرضه إلى 150 متر. كانت المدينة الكبرى لا مثيل لها في العالم في ذلك الوقت.

ليست تشانغان فقط عاصمة أسرة تانغ والمركز السياسي والاقتصادي والثقافي للبلاد، بل هي حاضرة دولية شهيرة على مستوى العالم ومركز تقاطع الحضارات الشرقية والغربية. كان السفراء ورجال الأعمال لمختلف الدول يأتون إلى هنا باستمرار للأنشطة السياسية والتجارية، ويجيئون بالثقافة خارج تانغ وينشرون الثقافة الصينية إلى الخارج. كان أكثر من ثلاثمائة بلد تقيم العلاقة الديبلوماسية مع إمبراطورية تانغ وفقًا لسجلات "القوانين الستة لسلالة تانغ"، وأرسلت اليابان المبعوث إلى تشانغان 15 مرة وأرسلت الإمبراطورية الرومانية الشرقية المبعوث إلى تشانغان سبع مرات، كما أرسلت الإمبراطورية العربية المبعوث إلى تشانغان 36 مرة، وكان ما يقرب من 10000 أسرة للبلدان في المناطق الغربية تقيم في تشانغان.

هناك المجوهرات من بلاد فارس والخيل الجيد والموسيقى من المناطق الغربية والتوابل والأعشاب من الإمبراطورية العربية في تشانغان. وتجمّع الحرير والشاي والخزف وغيرهم من المواد من منطقة السهول الوُسطى في تشانغان بالتدفّق، ثم تم بيعها من هنا إلى الغرب على طول طريق الحرير.

كانت تشانغان في ذلك الوقت مركزًا للتبادل متعدد الثقافات في العالم بالإضافة إلى الثراء المادي والازدهار الاقتصادي. ترجم الراهب البوذي داده الكتب المقدسة البوذية وألقى المحاضرات في المعابد البوذية في تشانغان. ملكت الطاوية، النسطورية (فرع المسيحية)، المانيشية والزرادشتية المعابد أو الكنائس الخاصة بها في تشانغان. كانت سلالة تانغ تمتص الثقافة الأجنبية على نطاق واسع في بناء الثقافة الصينية وتشكّل ثقافة الإمبراطورية تانغ المزدهرة الخاصة في ذلك الوقت ذات مزية الانفتاح والتسامح والحيوية والإبداع. كان الصيني يرتدي زي الدخيل ويرتدي الدخيل القبعة الصينية، يأكل الصيني الكعكة الدخيلة ويتكلم الدخيل باللغة الصينية في تشانغان، فمن الصعب تمييز بعضهم بالبعض. وعلاوة عن ذلك، عُيِّن الأجنبي في حكومة أسرة تانغ، فخدم حكومة تانغ وعاش في تشانغان وتكلّم الصينية وكتب الحروف الصينية مولعًا بالثقافة الصينية.

ويمكن القول إن سلالة تانغ الأكثر ازدهارًا، لم تخلق المجتمع المزدهر بالانفتاح والتسامح والتعايش التعددي فقط، بل ونشرت النظام السياسي والطباعة الخشبية والشعر والعمارة وغيرها من الثقافات المتقدمة إلى اليابان وكوريا الديمقراطية وفيتنام والمناطق الأخرى بالتبادلات الاقتصادية والثقافية فحسب، مما أدّى إلى تسريع عملية توسيع الحضارة الصينية.

القراءة الموسّعة: أكملت البوذية التصيين في عهد أسرة تانغ

نشأت البوذية في الهند وكان مؤسسها ساكياموني. الاسم الشائع لساكياموني هو غوتاما سيدهارثا أميرَ بلد صغير في شبه الجزيرة الهندية. تخلّى عن لقب الأمير في شبابه ودخل مجال الرهبنة وفهم نظرية الحياة تحت شجرة الزيزفون. بعد ست سنوات بدأ الوعظ ونشر تعاليمه.

تعتقد البوذية بأن على كل إنسان أن يجتاز آلام الولادة والعمر والمرض والموت. تسبّب الألم جذريًا بخمسة أمور مؤذية "الطمع، الكراهية، الغباء، الغطرسة، الشك" في قلب الإنسان. جميع الكائنات الحيّة تتقمّص عند الولادة والموت بلا نهاية لأنه لا يمكن التغلب على مسببات الألم. فمن الضروري التغلب على الضعف والأذى في الطبيعة البشرية وإدراك طبيعة كل شيء في العالم من أجل تجاوز التقمّص والتخلص من الولادة والموت، وتركيز العقل بالتدريب وفتح الحكمة تمامًا في نهاية المطاف لتحقيق منزلة الفهم الكامل، وهي منزلة بوذا.

دخلت البوذية الصين في عهد يونغبينغ من الأسرة هان الشرقية وتطورت من خلال الأسر الحاكمة الشمالية والجنوبية وحققت الازدهار في

عهد أسرة تانغ وأكملت عملية التصيين. احتاج اكتمال البوذية في الصين إلى ترجمة الكتب المقدسة البوذية إلى اللغة الصينية من جهة، ومن ناحية أخرى ازداد التفاعل الإيجابي بين نظرية البوذية وممارستها والمجتمع الصيني. لذلك، يمكننا أن نقول إنه من الطبيعي أن يشهد شعار تصيين البوذية في ترجمة الكتب المقدسة البوذية بشكل كامل وإنشاء ثمانية طوائف بوذية صينية ونضجها.

كانت الكلاسيكيات البوذية تكثر للغاية ولا تكتمل ترجمة الكتب المقدسة البوذية في أسرة واحدة منذ دخلت البوذية الصين، على سبيل المثال، هناك الراهبان الشهيران كاياك مورتن وتشو فالان من أسرة هان الشرقية ترجما (اثنين وأربعين فصلًا) وهو أول الكتب المقدسة البوذية المترجَمة إلى اللغة الصينية. قد ترجم ماستر البوذية ومترجم الكتب المقدسة البارز كوماراجيفا "سوترا كينغ قانغ"، "سوترا أميتابها"، "سوترا لوتس" و"سوترا ويمارجيه" والعديد من الكتب المقدسة البوذية في الأسر الحاكمة الشمالية والجنوبية. وكان الشخص الذي قدّم مساهمات عظيمة لترجمة الكتب المقدسة البوذية هو سيد شيوان تسانغ في عصر أسرة تانغ.

كان الاسم الشائع للسيد شيوان تسانغ هو تشن يي، وُلد في يانشي بمقاطعة خنان. بدأ من تشانغان في السنة الأولى من عهد تشنقوان (627م) غربًا لطلب العقيدة البوذية. ووصل إلى الهند مسقط رأس البوذية بعد كل الصعوبات فتتلمذ على يد الراهب الشهير الهندي جيشيان في معبد نالاندا حيث درس لمدة خمس سنوات، وزار مختلف أنحاء البلاد بعد إكمال الدراسة وهو يقوم بالوعظ فأصبح الراهب الشهير في شبه الجزيرة الهندية.

عاد الماستر شيوان تسانغ مع 657 كتاب بوذي إلى تشانغان في السنة الـ 19 من عهد تشنقوان (645م) وقابله الإمبراطور تاي لي شيمين شخصيًا. فقدّم الماستر شيوان تسانغ ما رآه وسمعه للإمبراطور خلال سفره إلى الغرب لطلب العقيدة البوذية وخاصة العادات في المنطقة الغربية وتيانتشو (الاسم للهند وباكستان والغير من دول جنوب آسيا). كان الإمبراطور مهتمًا به جدًا فأمر الماستر شيوان تسانغ بتأليف كتاب وهو المشهور (مسجّل الأسرة تانغ والمنطقة الغربية). أعجِب الإمبراطور بروح الماستر شيوان تسانغ الذي ضحّى بارتياحه لطلب العقيدة، ثم أمر بتنظيم ميدان ترجمة الكتب البوذية على نطاق واسع لدعم قضية ترجمة الكتب المقدسة البوذية. لذلك ترجم بدقة الماستر شيوان تسانغ وتلاميذه 74 كتابًا بوذيًا يصل إلى أكثر من 13 مليون كلمة بـ 19 سنة. إنها مهنة عظيمة جدًا، وقد قال السيد جي شيان لين الضليع

في اللغة السنسكريتية إن الكتب المقدسة البوذية المترجمة من الماستر شيوان تسانغ تأتي في رأس القائمة حيث الجودة والكمية.

واصل ترجمة الكتب المقدسة البوذية الماسترُ يي جينغ وشيتشا نانتوه وبودي ليو تشي وجينقانغ تشي والآخر من الرهبان الشهراء في الأسرة تانغ بعد الماستر شيوان تسانغ، وقد تمّت ترجمة الكتب الشهيرة البوذية الهندية إلى الصينية من خلال جهود عدة أجيال.

من الصعب أن يفهم الشخص العادي البوذية بدقّة لأنها نظام عميق ولها عدد كبير من الكتب المقدسة والمذاهب. ونتيجة لذلك، كان رهبان الصين ينشئون أنظمة تعليمية مختلفة على أساس دراسة الكتب المقدسة البوذية بشكل كامل وهذه المنظومة التعليمية المختلفة هي الطوائف البوذية. كانت تعادل جامعة شاملة تنقسم إلى كليات وإدارات مختلفة. شكّلت البوذية ثمانية طوائف في أسرة تانغ بعد التطور لستمائة سنة منذ دخلت الصين وهي زن، الطائفة نقي الأرض، الطائفة ليوى، التانترا، طائفة حقيقة (المعروف أيضًا باسم الطائفة ثلاث نظريات)، طائفة الرحمة، الطائفة تيانتاى، الطائفة شيانشو.

فيما يبدو تُقدِّم عملية تطوير زن للناس كيفية تصيين البوذية. كانت عملية تطور الزن بشكل عام: ابتسم ساكياموني وهو يحمل الزهرة في مؤتمر جبل لينغجيو، "كان الجميع يصمت في ذلك الوقت إلى أن يبتسم الماستر ماهاكاسيابا". فقال ساكياموني: "لديّ عقيدة بوذية عميقة تشمل كل العالم وعقل تجاوز التقمص والتخلص من الولادة والموت، ويمكن التخلص من جميع الأشكال الزائفة والحصول على نتيجة حسنة بها فيصعب القول عن جمالها. أراقب حكمتكم من القلب فأنقلها إلى الماستر ماهاكاسيابا". وتعتبر العقيدة البوذية بعدم الكتابة والنقل خارج الطائفة زن، وكان الماستر ماهاكاسيابا هو مؤسس الجيل الأول من الطائفة زن. انتقلت زن من جيل إلى جيل في الهند منذ ذلك الحين وانتقلت إلى ماستر دارما في الجيل الـ 28.

جاء بودهايدهارما إلى الصين قادمًا من الهند، فدخلت طائفة تشان معه إلى الصين، وأصبح دارما مؤسس هذه الطائفة. بعد ذلك، تمّت وراثتها الأحادية عبر خمسة أجيال في الصين، وممثلوها في الخمسة أجيال هم: هوى كه، سنغ تسن، داو شين، هونغ رن، هوي ننغ.

إن السيد هوي ننغ عبقري، يقدر على تفسير ألباب البوذية بطريقة بسيطة، وفي الوقت نفسه، يجعل البوذية ترتبط بممارسة حياة الشعب الصيني ارتباطًا وثيقًا. على سبيل المثال، تدعو البوذية إلى "الحرام"،

و"الصبر"، و"التركيز" وإلخ، وتتضمن العديد من الحرم وطرق الممارسة، فمن الصعب على الناس العاديين فهم ألبابها. بعد شرح السيد هوي ننغ، تتضح ألباب البوذية على الفور: "لا يحتاج الإنسان إلى الالتزام بالحرم إذا كان قلبه هادئًا، ولا يفتقر إلى النسك إذا كان سلوكه مستقيمًا. على الإنسان أن يتعامل مع والديه يشكل بارّ وأن يعتني بأبنائهم. وإذا تواضع، فسوف تكون العلاقة بين الطبقات المختلفة منسجمة. ولو صبر، سكتت الأشرار. وإذا كان بإمكانه إشعال النار عن طريق حفر الخشب، فإن الطين يتمكّن من ولادة اللوتس الحمراء. إن الدواء الفعال مر، والنصيحة المخلصة قاسية على الأذن. لا بد من الحصول على الحكمة بعد تصحيح الأخطاء، والذي يخبِّئ نقائصه ليس فاضلًا. ويتعيّن القيام بالأعمال الخيرية، وتوزيع المال ليس طريقة الرقي في البوذية. لا يسمو إلا بالقلب، فلا داعي للعثور على طريقة السمو في الخارج. سمعت أنه إذا نسك الإنسان طبقًا للطرائق السابقة الذكر، فسيجد أن الجنة أمامه". تكمن معظم خلاصات البوذية في الجمل السابقة.

على سبيل المثال، تحتوي البوذية على "التدريبات الثلاثة": الحرام والهدوء والحكمة، وهناك الكثير من النظريات حول هذه التدريبات الثلاثة، فمن الصعب على الناس العاديين أن يدركوا جوهرها. يشرح السيد هوي ننغ ألباب التدريبات الثلاثة بصورة واضحة عبر الجمل التالية: "الذي لا يلتزم بالحرام يكون قلبه نقيًّا، والذي يتّصف بالحكمة يبتعد عن الغباوة، والذي يكون هادئًا لا يتأثّر بالأفكار المشوشة. من ينجح في التدريبات الثلاثة، يكون خالدًا وهادئًا. إن الجمل السابقة الذكر تحتوي على ألباب البوذية. تعتبر البوذية علمًا نفسيًا، وأهم شيء في تعلّم البوذية هو "تصفية القلب". طالما يستطيع الإنسان تصفية قلبه، لا يهم الأسلوب الذي يستخدمه.

ويقوم السيد هوي ننغ أيضًا بتحويل التحرر البعيد عن الدنيا إلى التحرر في الدنيا، الأمر الذي يجعل البوذية أكثر شعبية. بعد دخول البوذية الصين، كثيرًا ما ينعزل الراهب البوذي الذي نشر البوذية في الصين عن الدنيا ويسكن في الجبل والغابة، مما يؤدّي إلى سوء فهم الكثيرين، يرون أن الذي يؤمن بالبوذية لا بد منه أن يبتعد عن الدنيا. ردًا على سوء الفهم هذا، قال السيد هوي ننغ: "إن البوذية في الدنيا ولا تستغني عنها. إن يسع الإنسان إلى السمو وهو ينعزل عن الدنيا، فهذا مثل البحث عن قرن الأرنب". "لو يودّ الإنسان أن ينقّي قلبه، يمكنه أن يقوم بذلك في منزله. ستكون النتيجة واحدة، مهما كان في منزله أو في المعبد... إذا نجح الإنسان في تنظيف قلبه، أحس بأنه في الجنة مهما كان". بعد السيد هوي ننغ، تتطور طائفة تشان وحتى البوذية الصينية بأكملها تدريجيًا نحو طريق دخول الدنيا وخروجها أي "العمل في الدنيا مع القلب المتجه إلى خارجها"، "الجسم في الدنيا والقلب في الجنة" هكذا، يتم

ربط العالم الواقعي بالعالم الخيالي الراقي، مما يجعل البوذية أكثر شعبية وانتشارًا.

بعد أن روّج السيد هوي ننغ لطائفة تشان في الصين، ظهر العدد الكبير من الرهبان البارزين، حيث انتهت الوراثة الأحادية لطائفة تشان التي تستمر خمسة أجيال، وتفرّعت من طائفة تشان "العائلات الخمس والطوائف السبع"، ودخلت طائفة تشان مرحلة ازدهارها في الصين.

كما أن تشكيل الطوائف السبع يسلك نفس المسار لطائفة تشان، كلها نتاج اندماج النظريات البوذية في الظروف الوطنية الصينية. يمكن القول إلى حدٍّ ما إن عملية دمج البوذية في الظروف الوطنية الصينية عملية تندمج فيها البوذية والكونفوشيوسية والطاوية. ويشير تشكيل طوائف البوذية الثماني الكبرى إلى أن النظريات البوذية ونظام دراستها قد حقّقا اندماجًا في الظروف الوطنية الصينية، وأصبحت البوذية جزءًا لا يتجزأ في الثقافة الصينية، فقد دخلت بعمق فكر الشعب الصيني ومفهومه وحياته الاجتماعية، وأثّرت على الشعر والموسيقى والرسم والخط والعمارة في الصين تأثيرًا عميقًا.

صقل الرأي: جو سلالة تانغ المزدهرة - الثقة الثقافية بالنفس والتسامح

ليس الناس في سلالة تانغ مَن خلف القومية هان قبل أسرتي وي وجين ببساطة، ولا يدمج الدخيل في القومية هان أحاديًا، ولكن كان المجتمع الثقافي الوطني الذي أدّى إليه تفاعُل "تصيين الدخيل" و"تدخيل الصيني"، واستمر المجتمع في التفاعل مع الدخيل والأجنبي واستيعاب الأخرى والابتكار خلال ثلاثمائة عام من عهد أسرة تانغ. لذلك أظهرت سلالة تانغ الصدر الواسع والطقس المهيب في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية. يسمى هذا النوع من الصدر والروح "جو سلالة تانغ المزدهرة" من قبل الأجيال اللاحقة.

كان شعب الأسرة تانغ يتمتع بـ "جو سلالة تانغ المزدهرة" قائمًا على الثقة الثقافية الكاملة بالذات. وقال المؤرخ الأمريكي الشهير يي بى شيا في هذا الصدد: "كان الشعب الصيني خلال أوائل الأسرة تانغ وأوسطها يتمتع بالثقة الأقوى بنفسه وأكثر استعدادا لقبول أشياء جديدة مختلفة مقارنة مع أي وقت آخر في التاريخ الصيني قبل القرن الـ 20. ربما لأن الأديان العالمية الأجنبية تساعد الصين على إقامة اتصالات مع جميع دول آسيا شرقيَ فارس، ربما لأن الكثير من العائلات الأرستقراطية الغنية باعتبارهم من خلف الدخيل، ربما لأن الصين تملك قوة عسكرية قوية لحراسة طريق الحرير لضمان سفر الأعمال بدون عوائق... باختصار، كان الصيني في هذه الفترة يستعد للغاية لفتح النفس للعالم ويأمل في الحصول على أشياء جيدة من دول أخرى".

ارتشفت سلالة تانغ الثقافة الأجنبية الممتازة بتسامحها. فكانت الملابس والغناء والرقص الأبرز في هذا الصدد. دمج زو شياو سون الموسيقى الجنوبية والأغنية الشمالية ونسّق "الموسيقى وو تشو" و"الموسيقى تشو تشي" فخلق الموسيقى الأنيقة لسلالة تانغ في وقت مبكر من سلالة تانغ. وأدخل الإمبراطور تاي موسيقى منطقة قاوتشانغ بعد قمعها. وبالتالي تمّ تشكيل "الموسيقى العشر" لأسرة تانغ، بما فيها كانت فقط الموسيقى يان والموسيقى تشنغ بنوتة شانغ الموسيقى التقليدية القديمة، وأدخل وحُوّل الباقي من الموسيقى كوتشا، والموسيقى تيانتشو، الموسيقى شيليانغ، والموسيقى قاتشانغ، الموسيقى الدولة آن، الموسيقى شوله، موسيقى الدولة كانغ والموسيقى الكورية من الحدود والبلدان الأجنبية.

كان الجدير بالذكر أكثر أن الإمبراطور شيوان لي لونغجي إمبراطور يتمتّع بجودة الموسيقى العالية جدًا، إنه أنيق يجيد كتابة الأغنية وتعلّم الموسيقى الدخيلة من المناطق الغربية، وخلق الكثير من الموسيقى في حياته مما أدّى إلى تسارع اختراق وتكامل الموسيقى الصينية والدخيلة. كما قام الإمبراطور شيوان بإصلاح الموسيقى البوذية وحوّل الأغنية البوذية الهندية "الأغنية البراهمية" إلى "ريش النيون" الشهيرة. وكانت المحظية المفضلة له هي يانغ فهي مصمِّمة الرقصات في "ريش النيون". كان الإمبراطور يلحن الأغنية وتصمم المحظية الرقصات فيعتبر بعِقد من دُرَر ونقاط من يَشْم مما جعل "ريش النيون" تروّج لإمبراطورية تانغ. وقد أسّس الإمبراطور شيوان أيضًا حديقة المسرحية من أجل زراعة المزيد من المواهب الموسيقية، وقام شخصيًا بتعليم تلاميذ المسرح لعب الموسيقى في وقت فراغه. وهكذا فقد اعتبر الإمبراطور شيوان نفسه بـ "مؤسس حديقة المسرحية".

كانت رقصة "الدور الدخيل" من المنطقة الغربية تروج في تشانغان خلال عهد كاييوان. يشتهر هذا النوع من الرقص بدوره السريع ويحبه أصحاب المراتب العليا بعمق، وكانت المحظية يانغ وآن لوشان بارعة الرقص. لا نزال نرى صور رقص الشعب الصيني لرقصة "الدور الدخيل" في الرسوم الجدارية في كهوف موقاو بدونهوانغ. كان الراقص يرتدي غاسلًا عاريَ الجزء العلوي من الجسم ويلف الخصر ويدور بسرعة البرق. كما وجدنا في رسوم دونهوانغ الجدارية أن تصل أدوات ترافق الرقص والأغنية فى عهد أسرة تانغ إلى أكثر من أربعين نوعا بما فيها أنواع رئيسية كاملة من آلات نقرية ونفخية وعزفية ووترية. جاء جزء كبير من هذه الأدوات من المنطقة الغربية أو الدول الأجنبية يمكن معرفة ذلك من أسماء الأدوات (مثل البيبا وكونغهو وطبل جيه وطبل دالا).

انتقلت أزياء الدخيل أيضًا إلى الإمبراطورية تانغ بالإضافة إلى الموسيقى والرقص الدخيلين. كانت أكبر ميزة لملابس المرأة الدخيلة "ضيق اللباس والكم" وتختلف تمامًا عن أسلوب "وسع الملبس والكم" التي يحبّها شعب السهول الوسطى. قد أصبح "ضيق الحجاب والأحذية" التيار الشائعي في السنوات كايوان وتيانباو وأحب الشعب العادي والنبيل ارتداء القبعة واللباس الدخيل وفقًا للسجلات التاريخية. قام الشعب من الإمبراطورية تانغ أيضًا بالتنسيق مع خصائص "اللباس الصيني" و"اللباس الدخيل" واخترع أنماطًا جديدة من الملابس بالإضافة إلى ارتداء "اللباس الدخيل" بشكل مباشر. يقال إن المحظية يانغ اخترعت ثوبًا جديدًا يسمّى "جوارب البنطلون بديباج مع شكل بطتي الماندرين" على غرار جوارب طويلة اليوم. أيضًا يمكننا رؤية من لوحات أسرة تانغ امرأة تحب ارتداء لباس يسمّى "لباس لوهبي" وهو الجمع بين اللباس الصيني والدخيل، كان يظهر الكتف والرقبة يتخلى عن الأسلوب التقليدي للباس الصيني الذي كان حجب كل الجسم من جهة، كذلك كان ثوبا فضفاضا يختلف عن تصميم الشد من جهة أخرى. ويمكن القول إنه مظهر ملموس لتصيين الدخيل وتدخيل الصيني في الملابس.

تأثّرت الحياة المادية والروحية لشعب أسرة تانغ بالثقافات الأجنبية في جميع الجوانب. تم بيع الأشغال الفنية الغربية والكماليات في السوق الشرقي والغربي من تشانغان. قدّم الفنان الصيني والأجنبي أنماطًا مختلفة من المسرحيات الدرامية والهزلية وغيرها من البرامج الترفيهية في مختلف أماكن الترفيه. وقد أثّرت الموسيقى من الهند وفارس وآسيا الوسطى على الموسيقى الصينية بشكل كبير وتم دمج عناصرها الموسيقية بسرعة مع الموسيقى الصينية. وأصبحت لعبة البولو من بلاد فارس رياضة الموضة التي يحبها الرجال والنساء، الكبار والصغار من سلالة تانغ.

استندت قدرة شعب إمبراطورية تانغ على ارتشاف الثقافات الأجنبية إلى ثقة ثقافية قوية وعقول واسعة في التعلّم. وقال السيد لو شون في هذا الصدد: "وثق جدنا بالثقافة بقوة في ذلك الوقت ولم تهتزّ الثقة بسهولة؛ في نفس الوقت كان يتسامح في الثقافة الأجنبية ويختارها بدقة فلم يعبدها أو يأنفها بسهولة"، "كلما استخدمت أشياء أجنبية اتخذها كالأسير واستخدمها بحرية ولن تهتم أبدًا".

حقّقت الفنون والثقافة لدى سلالة تانغ مثل الشعر والموسيقى والرقص والخط والرسم وغيرها إنجازات ملحوظة في ظل الثقة الثقافية القوية بالنفس والجو الاجتماعي المفتوح والمتسامح للغاية. كانت قصيدة سلالة تانغ هي الذروة المعترف بها في تاريخ الشعر الكلاسيكي الصيني، وكان

للأسرة كثير من الشعر الشهير متنوع الأساليب، هناك قصائد الحدود، وقصائد الرعاة والمناظر الطبيعية، وقصائد العصور القديمة وآيات ورباعيات. كان الفكر والميل الجمالي لشاعر أسرة تانغ أيضًا ملونا. كان دو فو يملك مثل الكونفوشيوسية عميقًا فقصائده تمتلئ بالهم والقلق على الأمة الشعب ومعروفة باسم "تاريخ القصائد"، أما هو بالذات فيسمى "الشاعر الكبير"؛ كان لي باى يرغب في استخلاص إكسير الخلود ويميل أيديولوجيًا إلى الطاوية، فقصائده برّاقة وغنية بالخيال وكان يعرف باسم "ملاك القصائد"؛ وكان وانغ وي بوذيًا فقصيدته هادئة وأثيرية وتشمل الكثير من الزن، ويطلق عليه "بوذا القصائد". لا تتعايش الأيديولوجيات الثلاث المختلفة، الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية بسلام في ظل حكم أسرة تانغ فقط، بل تجد المتحدثين باسمها في مجال إبداع القصائد وتترك قصائد معروفة للخلف.

كان الخط هو نفسه، فابتكر شعب الإمبراطورية تانغ بجرأة أسلوبًا على أساس تعلّم أسلوب الخط لوانغ شي تشي ووانغ شيان تشي والآخرين، وظهر عدد كبير من الخطاطين لهم تأثيرات عميقة على الأجيال القادمة مثل أويانغ شيون، يو شينان، تشو سوي ليانغ، شيوه جي، يان تشنتشينغ، ليو قونغتشيوان، تشونغ شاوجينغ. قد تم انتهاء نظام الخط النسخي في أيدي شعب تانغ حتى المرحلة وهذه مساهمة أخرى رائعة قدمتها أسرة تانغ للثقافة الصينية.

الأزمة في العصر المزدهر

كما يقول المثل إن "التراجع بعد قمة الازدهار" والمصير الوطني لسلالة تانغ هو مثل هذا.

ظلت سلالة تانغ تتقدّم من مجتمع الاستقرار والازدهار في فترة تشنقوان على حكم الإمبراطور تاي إلى المجتمع المزدهر في فترة كاييوان خلال عهد الإمبراطور شيوان. كانت المرحلة المزدهرة في فترة كاييوان مرحلة الذروة من سلالة تانغ. ولكن سلالة تانغ بدأت الطريق من الرخاء إلى التراجع عندما كان الناس لا يزالون يعيشون في مناظر البهجة والسرور.

كان مفتاح نقطة التحول هو الإمبراطور شيوان لي لونغجي الذي كان متعدِّد المواهب لكن قدرته السياسية أقل بكثير من قدرة الإمبراطور تاي لي شيمين. نسخ طراز حكم الإمبراطور تاي لي شيمين في وقت مبكر من حكمه وفقًا لـ "حكم فترة تشنقوان" لتحقيق السلام والرخاء وخلق العصر الذهبي لكايوان. ولكن لي لونغجي اقتنع بالوضع الحاضر حتى نسي نفسه بعد تحقيق الإنجازات، كان مشغولا بتقديم القرابين إلى السماء والأرض والمتعة وبدأ يصبح تدريجيًا متعجرفًا وجاهلًا. وفي هذا الصدد، قال "تسي تشي تونغ جيان" إن الإمبراطور شيوان غارق في المجون والفجور تدريجيًا مع مرور الوقت أخذ يهمل الشؤون السياسية".

ارتكب الإمبراطور شيوان أخطاء جسيمة في توظيف الناس بعد "تواجده في السياسة". وتمّت إقالة رئيس الوزراء تشانغ جيولينغ وتعيين الخائن لي لينفو في المنصب. كان لي لينفو يملك حلاوة في لسانه وخنجرًا في جوانبه، خوّانًا وغدّارًا، يجيد التقرّب للتكسب ويوافق الإمبراطور بطاعة عمياء ويقاتل المعارضين. انهارت الروح السياسية لأسرة تانغ الحاكمة خطوة بخطوة

بعد توليه السلطة. لذلك، كان لي لينفو مسؤولًا عن "زراعة الفوضى في الدولة" لتراجع سلالة تانغ من ازدهارها.

لا بد أن نحكي قصة الحب بين الإمبراطور شيوان لي لونغجي والمحظية يانغ يويهوان والتي كانت السبب في عملية تراجع أسرة تانغ من الازدهار.

كانت يانغ يويهوان في الأصل محظية ابن الإمبراطور شيوان الأمير شو لي ماو تستولي على قلوب كثير من الناس بشبابها وجمالها، وللأسف كان حموها إمبراطور سلالة تانغ لي لونغجي واحدًا منهم. التقى لي لونغجي البالغ من العمر 56 ويانغ يوهوان البالغة من العمر 22 في موعد غرامي عند نبع حار بليشان في العام الثماني والعشرين من عهد كايويوان (740م) فوقعا في الحب وخرجا عن نطاق السيطرة. نظّم لي لونغجي أولًا أن تصبح يانغ يوهوان طاوية المذهب ثم تدخل القصر كطاوية أنثى من أجل إخفاء عينيه وأذنيه. وهكذا، فإن الطاوية باسمها الطاوي "تاي تشن" خلعت ثوب الرهبانية للعودة إلى القصر بعد الترهب لأقل من عام ومُنحت بمحظية - المحظية تاي تشن. تمّت تسمية يانغ يوهوان البالغة من العمر 27 عامًا بالمحظية الكبيرة في يوم عيد ميلاد لي لونغجي الـ 61.

كان الإمبراطور شيوان مغرمًا جدًا بالمحظية يانغ ويمكن وصفها بأنها "الدلال كله في شخص واحد". رغبت المحظية يانغ في أكل ليتشي (ثمرة صينية) فأصدر الإمبراطور مرسومًا لجلب الفاكهة من لانغ نان إلى تشانغان ونقلها للمحظية يانغ بواسطة الحنطور. قال الشاعر دو مو في قصيدته "المحظية تضحك عند ركوب الحنطور ولا أحد يعرف أنها ليتشي"، بهذه الطريقة وصفها.

قد أثّر فضلُ المحظية يانغ الشديد على الشؤون السياسية بشكل سيئ على الرغم من أنها لم تتدخل بشكل مباشر في الشؤون السياسية. أمر لي لونغجي المسؤولين المحليين بتقديم أنواع مختلفة من الأشياء الرائعة إلى القصر من أجل إرضاء المحظية يانغ. كانت حياتها باهظة ويقال إنّه أكثر من 700 شخص قام بتطريز الديباج لها ونحت لها مئات الأشخاص الأواني. كان الأكثر إثارة للخوف هو أنه لم يكن هناك ليس شخص يتمتّع بالفخامة باستثناء المحظية يانغ التي قامت باستدعاء أخواتها إلى القصر، ومُنحت الأخوات الثلاث سيدة كوريا وسيدة تشين وسيدة قوه مكافآت بمائة ألف قطعة من أحمر الشفاه والبودرة كل شهر، وعُيِّن يانغ تيان ابن عمها وابن عمها البعيد يانغ قوه تشونغ أيضًا في القصر، ويطلق عليهم اسم "الكبار الخمسة" من الأسرة يانغ. كلما تلقّى الإمبراطور شيوان الجِزْية في الداخل والخارج كافأ

"الكبار الخمسة"، على سبيل المثال، تمّت مكافأة سيدة قوه بمنحها الجوهرة المضيئة، ومكافأة سيدة تشين تاج الأوراق السبعة، ومكافأة يانغ قوه تشونغ خيمة سوهتسي، وهذه جواهر لا تُقدَّر بثمن الكنوز.

بُنيت منازل "الكبار الخمسة" الكبيرة والرائعة على مقربة من القصر الإمبراطوري، وكان بناء كل دار يكلف عشرات الملايين. كذلك قارنت يانغ الأسر الخمس مع بعضها البعض، بمجرد أن اكتشفت أن منزلًا منها كان فخمًا أكثر من منزلها دمّرته لإعادة بنائه من أجل تقدُّمها على الأسر الأخرى. لقد بذّرت الأسرة يانغ المال مثل ذرات التراب، من ثروة الإمبراطورية تانغ حتى قوّضت الجو الاجتماعي. كان جو التبذير يملأ كل الدولة في أواخر عهد كايوان وعهد تيانباو، ولم تعد فضائل التقشّف موجودة في أصحاب المراتب العليا. إن حياة الطبقة الحاكمة الفاخرة بطبيعة الحال تُبنى على استغلال السكان الأساسية، فكلما شجّع الكبار على استهلاك عالي كلما حُمِّل الشعب العادي عبئًا أكثر ثقلًا.

منح الإمبراطور شيوان أيضًا المنصب الهام لابن عم يانغ يوهوان البعيد يانغ قوه تشونغ بسبب عشقه ليوهوان. أمر الإمبراطور شيوان يانغ قوه تشونغ بالاستيلاء على موقع لي لينفو بعد وفاته. كانت درجة استبداد يانغ قوه تشونغ أكثر من درجة لي لينفو بعد أن أصبح رئيس الوزراء.

كان الإمبراطور شيوان يرغب في المتعة ويتكاسل في الشؤون السياسية فدفع بسلطته السياسية إلى يانغ قوه تشونغ، الذي كان يحب استخدام القوات بروح عدوانية، ويشن الحروب ضد الأقلية عند الحدود دائمًا الأمر الذي جعل الآلاف من الجنود الأبرياء يقتلون على الحدود، أتى أيضًا بكوارث فادحة للأقليات العرقية فعانى الشعب الشقاء.

شنَّ يانغ قوه تشونغ حربًا لغزو نانتشاو (الحكم المحلي) مرتين أثناء إدارته. رشح يانغ قوه تشونغ تابعه شيانيو تشونغتونغ لتولي مركز مفوض عسكري بجياننان عام 10 من فترة تيانباو (751م) بعد قليل من تولي محافظ العاصمة مهامه أمره بمهاجمة نانتشاو. هزمت العمليات العسكرية لغزو نانتشاو بمقتل 60 ألف جندي وانفصال نانتشاو من إمبراطورية تانغ مباشرة بدلًا من الاعتراف بتبعيته للإمبراطورية التبتية.

خطّط يانغ قوه تشونغ للهجوم الثاني على نانتشاو من أجل تغطية فشل الهجوم الأول. كانت تنقص القوات سلالة تانغ فأمر الإمبراطور شيوان بالتجنيد الإجباري في تشانغان ولويانغ وخنان وخبى على نطاق واسع لإضافة القوات. تولى يانغ قوه تشونغ الأمر فأرسل الشباب إلى الثكنات مباشرة. شنَّ

يانغ قوه تشونغ الحرب لغزو نانتشاو مرة ثانية في العام الثالث عشر من عهد تيانباو (754م) بعد جمع القوات، فكانت الهزيمة الثانية مع فقدان ما يقرب من 200 ألف جندي.

لم يهتم يانغ قوه تشونغ بمعاناة الناس. حدثت فيضانات ومجاعات شديدة باستمرار في منطقة قوانتسونغ في السنة الثانية عشرة من تيانباو. قلق الإمبراطور أن تؤثر المجاعة على حصاد المحاصيل، فأمر يانغ قوه تشونغ الناس بتقديم المحاصيل الجيدة له وقال إن "المطر لم يضر المحاصيل على الرغم من كميته الكبيرة"، وخدع الإمبراطور بوسيلة "نقل الأخبار الجيدة دون السيئة". قدم محافظ فوفنغ المذكرة إلى البلاط في وقت لاحق لإبلاغ الفيضانات المحلية فأمر يانغ قوه تشونغ تابعه باستجواب المحافظ ومعاقبة سلوكه في إعلان الواقع. لم يجرؤ أحد على إبلاغ الحقيقة إلى البلاط منذ ذلك الحين.

نهضت إمبراطورية عربية مع دمج الإدارة الحكومية بالإدارة الدينية في غرب آسيا، وهزمت تقريبًا جميع البلدان الأوروبية، ثم تحوّلت شرقًا وتمدّدت إلى آسيا الوسطى بمناسبة انهيار الإمبراطورية تانغ تدريجيًا. وبدأت قوات الإمبراطورية تانغ والإمبراطورية العربية الحرب في مدينة تالاس آسيا الوسطى (في كازاخستان الآن) في يوليو 751 م. وصلت قوة الإمبراطورية العربية إلى 200 ألف جندي بينما كانت قوة الإمبراطورية تانغ تتألف من عشرات الآلاف في ذلك الوقت (هناك دائمًا نسختان حول عدد قوات جيش تانغ، يعتقد البعض أنها تتألف من 60 إلى 70 ألف والآخر يعتقد أنها 20 إلى 30 ألف). قام جيش تانغ على يد قاو شيان تشي الجنرال الشهير بمعركة دامية مع العدو لمدة خمسة أيام تاركين ورائهم 70 ألف قتيلًا بفضل معدات متطورة ووسائل تكتيكية متقدمة. ومع ذلك فشلت قوة عسكرية تانغ في اختراق مدينة تالاس بسبب القوات القليلة.

وصلت تعزيزات الإمبراطورية العربية في اليوم الخامس من الحرب. وتمردت مجموعة "قه لوه لو" من الجيش الدخيل في جيش تانغ بعد رؤية الوضع غير الجيد. فهزم جيش تانغ سلالة مع أكثر من 20 ألف ضحية تحت الهجوم من الداخل والخارج.

كانت المعركة تالاس تؤثر عميقًا على نمط آسيا الوسطى. لم تعد الإمبراطورية تانغ قادرة على إدارة المناطق الغربية بعد هذه الحرب فانسحبت من المنافسة للسيطرة على آسيا الوسطى في النهاية، لذلك تغيّرت خريطة الصين منذ أن سافر تشانغ تشيان رأسًا إلى المناطق الغربية ثم أسلمت آسيا الوسطى تدريجيًا.

تمَّ القبض على بعض الحرفيين من أسرة تانغ في معركة تالاس حيث جلبوا صناعة الورق إلى الإمبراطورية العربية ثم إلى أوروبا.

لم تستطع هزيمة المعركة لجيش تانغ أن تحذر الإمبراطور ويانغ قوه تشونغ، فقد واصلا الغرق في خيال الفرح والطمأنينة المزدهر. ومع ذلك سيجيئ اضطراب أكبر بعد قليل وهذه ستكون فوضى آنشي التي ستحطّم فجأة حلم السلام والرخاء لسلالة تانغ وتصبح نقطة التحول من الازدهار إلى الانهيار.

القراءة الموسّعة: فوضى آنشي

تمرّد مفوض عسكري بفان هو يانغ وبينغ لو وخه دونغ آن لوشان مع تابعه شي سيمينغ في فان يانغ بتاريخ 16 ديسمبر من عام 755 تجاه تشانغان ولويانغ بعذر "قمع يانغ قوه تشونغ بمرسوم سري". وانهارت المقاطعات والمحافظات على طولها واحدة بعد أخرى محتلة أو مستسلمة لأن سلالة تانغ اعتادت على السلام لفترة طويلة وأهملت للتحضير الحرب. هاجم جيش آن لوشان مدينة لويانغ من فانيانغ في 34 يومًا فقط. واستولت قوات المتمردين على تشانغان في العام التالي، شعر إمبراطور سلالة تانغ الإمبراطور شيوان بالذعر فهرب قبل سقوط مدينته تشانغان وتحوّلت سلالة تانغ الغارقة في الفرح والطمأنينة من الازدهار إلى الحرب لحظة.

إذن كيف حدثت فوضى آنشي؟ لماذا لم تتمكّن الإمبراطورية تانغ من مقاومة تمرد آن لوشان وهي مجتمع مزدهر؟ كيف أثّرت فوضى آنشي على الوضع السياسي لسلالة تانغ؟... يجب أن نبدأ من البداية للإجابة على هذه الأسئلة.

ازدادت قوة الدولة ازدهارًا كل يوم بعد توحيدها من أسرة تانغ، قام الإمبراطور تاي وقاو وشيوان بشكل متكرر بالفتوحات فقمع مناطق شرق نهر لياو والترك الشرقي والغربي وتويوهون ما جعل الإمبراطورية تانغ تصبح دولة واسعة أراضيها. من أجل تعزيز السيطرة المركزية على الحدود وتعزيز الدفاع عنها، أقام الإمبراطور شيوان في العام العاشر من فترة كايوان (722 سنة) 10 مدن عسكرية في المناطق الحدودية بإدارة تسعة مفوّضين عسكريين ومفوّض مؤقت. المفوض العسكري يعادل القائد العسكري الذي يقود القوات لحرس الحدود ويصبح جيشه قويًا على نحو متزايد. كان المفوض العسكري في مدينة حدودية يملك 500 ألف جندي في حين أن الحرس الإمبراطوري المركزي كان فقط 120 ألف جندي في سنوات تيانباو، لذلك يشكّل وضعًا قويًا في الخارج وضعيفًا في الداخل.

وبالإضافة إلى ذلك، لا بد أن يحلّ الإمبراطور شيوان محل نظام الجيش البيتي بنظام تجنيد من أجل التعامل مع الحرب الحدودية. حلّ نظام تجنيد الجنود المحترفين مشكلة الصعوبات التجنيدية لكنه أيضًا زاد العبء على الحكومة المركزية. الأهم من ذلك، شكّل نظام تجنيد تبعية شخصية ثابتة بين الجنود والجنرالات ما أدّى إلى زيادة كبيرة في السيطرة للمفوض على الجيش. لقد أصبحت قوة المفوض أكبر وأكبر فأصبح "يملك أرضه وشعبه وجيشه وثروته" فتطوّر إلى وضع كان الذيل الضخم يصعب تحريكه تدريجيًا وأصبح المفوض العسكري أمير حرب محلي.

كان آن لوشان الأقوى وكان دخيلًا مختلط الأعراق، فوالده من قومية سوته باللقب كانغ ووالدته هي تركية. كان بارعًا في مجموعة متنوعة من اللغات الأجنبية ويجيد رشوة كبار الموظفين. فاز بمحبة الإمبراطور شيوان وثقته واهتمامه برشوة لي لينفو والتزلّف بالمحظية يانغ. تمرّد شي وتشيدان في شمال شرقي الدولة باستمرار في السنوات الأولى من تيانباو يقلقان الإمبراطور للغاية. أرسل آن لوشان قواته لقمع التمرد الأمر الذي جعل الإمبراطور سعيدًا جدًا فمنحه منصبًا هامًا.

آن لوشان "أحمق في منظره وخبيث في حقيقته"، اتخذ المحظية يانغ الأصغر منه بثمانية أعوام أُمًّا بالتبنِّي ببساطة من أجل إرضاء الإمبراطور. وهو بدين جدًا "يهبط البطن إلى الركبة". سخر الإمبراطور منه: "بطنك كبيرة جدًا وماذا داخله؟" فأجاب: "ليس هناك سوى قلب أحمر يفيض بالإخلاص لصاحب الجلالة". أسعدت هذه الإجابة الإمبراطور كثيرًا. لذلك سيطر آن لوشان على الدوائر الرسمية وعُيِّن كمفوض عسكري لمدن بينغ لو وفان يانغ وخه دونغ بجيش فيه ما يقرب من 200 ألف جندي فكان قويًا جدًا. كان الجيش بأكمله الذي تسيطر أسرة تانغ عليه مباشرة أقل من 80 ألف جندي في هذا الوقت. ونتيجة لذلك تمتع آن لوشان بالقوة العسكرية للتمرد ضد الحكومة المركزية.

وكان تمرُّد آن لوشان يرتبط أيضًا بمظالمه الشخصية مع يانغ قوه تشونغ في نهاية المطاف. بعد أن أصبح يانغ قوه تشونغ رئيسًا للوزراء، كان يتكبّر ويحسد الكفء. واستبعد آن لوشان عن قصد وقدّم شكوى ضده إلى الإمبراطور في وقت مضى قائلًا إنه يريد التمرد من أجل احتكار السلطة. أصبحت المسألة حادثة مسبِّبة لفوضى آنشي، فتمرّد آن لوشان تحت شعار "قمع يانغ قوه تشونغ بمرسوم سري" وهذا يعني إنه يريد "تنظيف جانب الإمبراطور". ومع ذلك، عندما استولى على لويانغ نصّب آن لوشان نفسه إمبراطورًا في لويانغ "إمبراطور يان الكبرى" وحوّل اللقب إلى "شنغ وو". هذا يظهر تمامًا أن "تنظيف جانب الإمبراطور" مزيّف والتمرّد صحيح.

وصل الإمبراطور شيوان إلى موقع ماوي في اليوم الثاني من هربه. حدث تمرّد لقوات الأمن فقتلوا رئيس الوزراء الماكر يانغ قوه تشونغ وأصرّوا على قتل المحظية يانغ. هذا هو تمرّد ماوي الشهير.

طالب الشعب الإمبراطور شيوان بالبقاء لقيادة قمع التمرد باستمرار بعد تمرّد ماوي، لكن الإمبراطور رفض ذلك وأصرّ على الهرب غربًا. ولحسن الحظ، رأى ولي العهد لي هنغ توافق إرادة الشعب عليه وبقي وسار في ظل دعم مجموعة من الوزراء إلى لينغ وو مكان المفوض العسكري شوفانغ وصعد العرش هناك باسم الإمبراطور سو. كان الإمبراطور سو يدعو الإمبراطور شيوان باحترام بالإمبراطور الأب بعد صعود العرش.

استدعى الإمبراطور سو الجنرالات من أسرة تانغ لنشر عمليات مكافحة التمرد بعد العرش. سرعان ما انضم الجنرال المشهور قو تسيي ولى قوانغبي إلى العمليات العسكرية في مكافحة التمرد. ونتيجة لذلك، تحسنت الحالة وبدأت أسرة تانغ عملية مكافحة التمرد الصعبة.

أما التمرّد فحدث فيه اقتتال داخلي خطير في هذا الوقت. قتل آن تشينغشيوي والده آن لوشان من أجل الاستيلاء على عرش الإمبراطور، وهو الذي لا يعرف سوى الاستمتاع بالنبيذ. انتهز جيش تانغ الفرصة لهجوم مضاد واستعاد تشانغان التي احتُلّت لأكثر من عام ثم استعاد لويانغ.

وأصبح شي سيمينغ بطل التمرد مرة أخرى في هذا الوقت. لم يرد أن يخضع لسيطرة آن تشينغشيوي لخلاف بينهما، لذلك قاد 80 ألف جندي للاستسلام إلى أسرة تانغ. عينت أسرة تانغ شي سيمينغ بمفوض عسكري بفان يانغ من أجل إظهار الشهامة. ومع ذلك، تمرد شي سيمينغ مرة أخرى بعد نصف عام وردد صداه مع آن تشينغشيوي المتمركز في مدينة يه. كان جيش تانغ يحاصر مدينة يه آنذاك. فلجأ آن تشينغشيوي إلى شي سيمينغ يَعِد بالتنازل عن عرش إمبراطور يان الكبرى له بعد خرق حصار مدينة يه. لا يمكن لشي سيمينغ أن يتحمّل طمع العرش فقاد الجيش لإنقاذ آن تشينغشيوي المحاصر في مدينة يه أولًا ثم قتله بحيلة لاحقًا.

أمر شي سيمينغ ابنَه شي تشاويي بالدفاع عن المدينة يه وقاد القوات إلى الشمال ونصّب نفسه إمبراطورًا ليان الكبرى في فانيانغ. احتلَّ جيش شي سيمنغ لويانغ فترةً وجعل جيش تانغ يقع في وضع سلبي. ظهر نزاع داخلي في التمرد مرة أخرى في اللحظة الحاسمة، فقتل شي تشاويي والده شي سيمينغ تمامًا كما قتل آن تشينغشيوي والده آن لوشان. استغل جيش تانغ الفرصة لهزيمة المتمرد واستعادة لويانغ مرة ثانية. شنق شي تشايي نفسه في طريقه

للهروب بعد الهزيمة. تمَّ قمع فوضى آنشي التي دامت ثماني سنوات عند هذه النقطة.

صقل الرأي: عواقب فوضى آنشي

دامت فوضى آنشي ثماني سنوات من انفجارها من 755 م إلى قمعها 763 م في أيام إمبراطورين، الإمبراطور سو والإمبراطور داي. وأصبحت هذه الحرب نقطة التحول من ازدهار إلى انهيار بالنسبة لأسرة تانغ وكانت عواقبها على الأسرة شديدة الخطورة على الرغم من أن هزيمة جيش تانغ المتمرد في النهاية وتحقيق هدف إعادة الدولة.

أولًا، تعرّضت أسرة تانغ لكارثة غير مسبوقة بسبب الحرب التي استمرت ثماني سنوات، وقد تلاشت الثروة المتراكمة في عهد كايوان في الحرب. "كانت القصور تحرق، ولم يبلغ عدد الأسر إلى الألف" في السهول الوسطى، وكانت الغالبية العظمى من الشعب تعيش التشرد والنزوح في ظل الحرب، وظهر مشهد الفقر في الحوض الأوسط والأسفل للنهر الأصفر بأكمله. انخفض عدد سكان أسرة تانغ فجأة من 52.92 مليون إلى 16.99 مليون بخسارة نحو 36 مليون شخص فتدهورت قوة المجتمع بعد فوضى آنشي.

ثانيًا، تسبّبت فوضى آنشي أيضًا في زيادة عبء الناس. فبعد الانخفاض الحاد في عدد السكان لم تعد القوى العاملة تكفي على الإطلاق. لا بد أن تزيد الضرائب حتمًا لأن الشعب يتحمّل مبلغًا كبيرًا من النفقات العسكرية والنفقات المالية للبلاط في ظل هذه الظروف. تكثّف استغلال الطبقة الحاكمة القاسي للشعب التناقضات الطبقية مما أدى إلى انتفاضات الفلاحين المتكررة في أواسط وأواخر أيام سلالة تانغ.

ثالثًا، تم إضعاف حكم أسرة تانغ بشدة واستمرت سيطرة الحكومة المركزية الموحدة على الإقليم في الضعف بعد فوضى آنشي. كانت أسرة تانغ تعاني من تدهور الازدهار في ذلك الحين. وشجّع الإمبراطور سو وداي المتمردين على الاستسلام وسمح لجنرالات المتمردين بمواصلة تولّي المسؤولية في المكان القديم وقيادة الجيش من أجل إحداث الشقاق والفوضى داخل المتمردين أثناء قمع التمرد. لعبت هذه التدابير دورًا إيجابيًا في قمع التمرد في أقرب وقت ولكن العيوب أيضًا واضحة فجعلت البلاد في حالة الانفصال. حيث كان الحكم الانفصالي في أواخر عهد أسرة تانغ استمرارًا لفوضى آنشي وتطوّرها في الأساس. كانت فوضى آنشي في الأصل تمردًا عسكريًا للحاكم العسكري ضد الحكومة المركزية. أصبح الحاكم العسكري الذي شارك في قمع التمرد أقوى فأقوى بعد قمعه له. بعد فوضى آنشي، لم

تستطع أسرة تانغ استعادة القوة العسكرية للمفوض المحلي فقط بل احتاجت إلى مكافأته. وأصبحت قوة المفوض العسكري المحلي تتزايد حتى ظهرت ظاهرة وراثية لمفوض عسكري لسلالة تانغ في أواخرها، فيصعب أن يعيّن البلاط المفوض العسكري الجديد بعد وفاة القديم، بل لا بد أن يتولّى ابنه أو تابعه منصبه. لم يعد هذا النوع من المفوض موظفًا لدى البلاط بل "إمبراطورًا محليًا".

رابعًا، فقدت أسرة تانغ السيطرة على الأقليات العرقية في المناطق المحيطة بها بعد فوضى آنشي. نقلت أسرة تانغ الجيش المتمركز أصلا في المناطق الغربية إلى البر الرئيسى لمكافحة التمرد بعد انفجار فوضى آنشي، وبالتالي صار مركز الدفاع الحدودي شمال غربي وجنوب غربي الحدود من الإمبراطورية تانغ فارغًا، فاستغلّ شعب الإمبراطورية التبتية الفراغ للسيطرة على ممر خشى.

خامسًا، دفعت فوضى آنشي إلى تحرُّك مركز الصين الاقتصادي نحو الجنوب مرة أخرى، وتسبّبت فوضى آنشي بضررٍ كبير للإنتاج الشمالي بحيث انتقل عدد كبير من أهل الشمال إلى الجنوب. كان الجنوب يستقر نسبيًا وكان انتقال الساكن الشمالي جنوبًا يأتي بتكنولوجيا الإنتاج المتقدمة مما أدّى إلى تعزيز التنمية الاقتصادية في جنوب نهر اليانغتسى. تمّ نقل المركز الاقتصادي للصين بالكامل إلى الجنوب منذ ذلك الحين.

مأساة في أواخر عهد أسرة تانغ

بدأت سلالة تانغ في التدهور خطوة بخطوة بعد فوضى آنشي. استغرقت هذه المرحلة ما يقرب من 150 سنة من نهاية فوضى آنشي في عام 763 م حتى اغتصاب تشو ون العرش في عام 907 م. حافظت سلالة تانغ من هذه المرحلة على الوحدة ظاهريًا، وفقدت الحكومة المركزية بالفعل سلطتها القانونية، وظهرت التناقضات التي يصعب تنسيقها في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والحياة الاجتماعية لأسرة تانغ في هذه المرحلة؛ أصبحت سلالة تانغ من هذه المرحلة تشبه شخصًا مريضًا كبيرًا في السن فضعف الجسم المريض أكثر حتى نهاية الحياة؛ كان بضعة عشر إمبراطورًا يحكمون الدولة على التوالي الإمبراطورُ داي وده وشون وشيان ومو وجينغ وون خلال هذه المرحلة ولكن لم يستطيعوا إعادة الازدهار إلى الأسرة.

وبطبيعة الحال، قلنا إن سلالة تانغ لم تقدّم أي مساهمات خلال 150 سنة تقريبًا يكون ذلك خطأ. شهدت أسرة تانغ أزمة مالية خلال فترة الإمبراطور ده. نفّذ رئيس الوزراء يانغ يان في عام 780 قانون الضريبتين من أجل حل الأزمة المالية، وهو رزمة متنوعة من الضرائب يتم تسليمها في الصيف والخريف. كان تغيير الإصلاح الضريبي الكبير كالتالي: كانت الضرائب الزراعية على حجم الأرض وليست على عدد الأسر منذ ذلك الحين. فيعتبر ذلك هو الإصلاح الرئيسي للنظام الضريبي الصيني القديم. تم تبسيط الإجراءات الضريبية وزاد الدخل المالي للحكومة المركزية بعد تطبيق قانون الضريبتين.

أراد الإمبراطور ده انتهاز الفرصة لتطهير قوات الحاكم العسكري واستعادة سلطة الحكومة المركزية. توفي المفوض العسكري بتشنغ ده لي باوتشن في ذلك الوقت وطالب ابنه لي وي يوه بالمنصب من بعده؛ كما توفي المفوض العسكري بتسى تشينغ لي تشنغ وطالب ابنه لي نا أيضًا بالمنصب.

رفض الإمبراطور ده مطالبهما رفضا قاطعا وأراد استعادة سلطة التعيين والتسريح للمفوض العسكري إلى الحكومة المركزية. بشكل غير متوقع، قام لي وي يوه بالتمرّد مع المفوض العسكري بوي بو وتسي تشينغ وفي أماكن أخرى.

من أجل قمع التمرد، اضطرت أسرة تانغ إلى مواصلة استخدام الطريقة القديمة لمحاربة الحاكم العسكري بالحاكم العسكري الآخر. عارض العديد من المفوض العسكريين المشاركة في مكافحة التمرد بعذر ظلم الحكومة لهم في المكافأة ونصب الأربعة أنفسهم أباطرة مباشرة. لم ينته الأمر هنا، بل اعتقد المفوض العسكري بهواى شي لي شيليه أنه قدّم مساهمات في مكافحة التمرد فساوم الحكومة بأن يسمي نفسه "مارشال الدولة". قام المفوض العسكري بجينغ يوان بتمرّد وهاجم تشانغان عندما قام الإمبراطور ده بتحريك القوات لقمع لي شيليه. فاضطر الإمبراطور ده إلى الهرب إلى فنغتيان (الآن محافظة تشيان بمقاطعة شانشي)، وتوّج المفوض العسكري المتمرد بجينغ يوان تشو تسي نفسه مباشرة. أبى لي شيليه أن يكون متخلفًا فنصّب نفسه أيضًا إمبراطورًا كتشو شي. وأخيرًا لم تستطع سلالة تانغ إضعاف الحاكم العسكري على الرغم من قمع تمرد تشو تسي ولي سيليه والآخرين، يمكن فقط اتخاذ الموقف المتساهل نحو واقع الحكم الانفصالي.

صعد الإمبراطور شون العرش بعد وفاة الإمبراطور ده لكنه اضطر إلى التنازل عنه بعد أقل من عام، فصعد الإمبراطور شيان العرش. ظهر نزاع الزمرة في القصر في هذه المرحلة، وتحاربت زمرة نيو برئاسة نيو سنغ رو وزمرة لي برئاسة لي دهيوه وكان الاحتكاك الداخلي يسيء للشؤون الدولية لسلالة تانغ.

الحق يقال، يعتبر كل من الإمبراطور ده والإمبراطور شيان إمبراطورًا يعزم على الإصلاح ولكن للأسف الشديد كانت قوات الحاكم العسكري قوية ويصعب هزها، كذلك لم يتضامن الموظف مع الإمبراطور. فلم تحقّق إصلاحاتهما النتائج المتوقعة وظلت حكومة أواخر تانغ تعاني من أمراض انفصال الحاكم العسكري دائمًا.

كان آخر مرض سياسي في أواخر عهد أسرة تانغ هو ديكتاتورية الخصي بالإضافة إلى انفصال الحاكم العسكري والنزاع بين زمرة نيو وزمرة لي.

كان المسؤول عن الحراسة والخدمات مثل التنظيف داخل القصر خصيًا ولا يملك قوة سياسية خلال فترة أوائل سلالة تانغ حيث كانت السياسة واضحة ومشرقة. لكن الإمبراطور شيوان فضّل الرجل الخصي قاو ليشي وأمره بمراجعة النصب التذكاري أثناء عهده. فبدأ الخصي صعود المسرح السياسي لأسرة تانغ منذ ذلك الحين، واكتسب تدريجيًا القوة العسكرية والسياسية والمالية بعد فوضى آنشي فوقعت سلطة الإمبراطور في يد الخصيان. كانت سيطرة الخصي على الحرس الإمبراطوري تصبح عادة منذ الإمبراطور ده، فغالبًا ما كان الخصي يسمِّم ويخلع ويتوّج الإمبراطور في أواخر عهد أسرة تانغ بهذه الطريقة.

تسبّبت القوة المفرطة للخصي في استياء الإمبراطور والموظفين العامين الذين حارب بعضهم ضد قوات الخصي. وصعد الإمبراطور شون العرش بعد وفاة الإمبراطور ده. منح الموظف المدني وانغ شون ووانغ بي حكم الشؤون القصرية المناصب الهامة، أيضًا رقى وانغ شو ون ووانغ بي المسؤولين مثل ليو تسونغ يوان، ليو يو شى، هانتاي، تشن جيان ووي تشي يى في محاولة لإضعاف قوة الخصيان. هذا هو "إصلاح وانغ شو ون" المشهور في تاريخ سلالة تانغ. ولكن قوات الخصي متشابكة يصعب هزها، أيضًا تواطأ الخصي والحاكم العسكري مما أدى إلى فشل الإصلاح في طريقه.

جعل تواطؤ قوتي الخصي والحاكم العسكري مع بعضهما البعض الشؤون السياسية لأواخر أسرة تانغ أعمق. كان الإمبراطور في وقت متأخر من سلالة تانغ تمامًا يشبه الدمية بدءًا من الإمبراطور شيان حتى زوال أسرة تانغ، حيث تمَّ تتويج التسعة من الأباطرة العشرة من قبل الخصيان وتتويج الأخير من قبل تشو تشيوان تشونغ بما فيهم قتل الإمبراطور شيان والإمبراطور جينغ من الخصي. أصبح الإمبراطور دمية يمكن التحكّم فيها من الخصيان فتبيّنت فوضى النظام السياسي لسلالة تانغ.

يأبي الإمبراطور ون أن يفقد السلطة فاستعمل لي شيون وتشنغ تشو لتخطيط قتل الخصيان في عام 835 ميلادي. فأمر لي شيون الجنرال هان يوه بتقديم المذكرة بعد التخطيط قائلًا إن ندى الليل وقع على شجرة الرمان في فناء الجنرال تسوه جين وو وخدع زعيم الخصي تشيو شيليانغ في الذهاب لرؤيته في محاولة اغتنام الفرصة للقضاء على الخصي. ومع ذلك، كشف تشيو شيليانغ وغيره من الخصيان العيوب بعد وصولهم فعادوا بسرعة واختطفوا الإمبراطور ون. لقد قاموا بقتل الانتقام للوزراء بقيادة خمسمائة حرس وقتلوا أكثر من ألف موظف مما أدّى إلى إفراغ الحكومة. هذا هو "حادث الندى"

الشهير. كان الإمبراطور ون يتنهّد فقط قائلًا إنه يتقيّد بالخادم بعد هذا الحادث فمات مكتئبا في وقت لاحق.

شهدت أسرة تانغ الإمبراطورَ وو وشيان ويي وشي وتشاو وآي بعد الإمبراطور ون لم يكن الأباطرة يقدرون على حل مشكلة الخصيان الدكتاتورية أيضًا التي قد تمدّدت إلى نهاية عهد أسرة تانغ.

وكانت آخر ضربة مميتة لأسرة تانغ هي الانتفاضة الفلاحية لوانغ شيان تشي وهوانغ تشاو. واندلعت هذه الانتفاضة في 875 م حيث كان جيش الانتفاضة يتقدم في السهول الوسطى بدون عقبة ويعبر نهر اليانغتسى أربع مرات والنهر الأصفر لمرتين، فاستولى على العاصمة الشرقية لويانغ والعاصمة الغربية تشانغان. ذُبح عدد كبير من أقارب الأسرة المالكة وكبار الموظفين فقط على يد الانتفاضة الفلاحية الضخمة التي دمّرت تمامًا النظام الاجتماعي بأسره مما جعل إمبراطورية تانغ تقع في الفوضى مرة أخرى.

ظهر عدد كبير من أمراء الحرب الانفصالية في حرب واسعة النطاق يحاربون بعضهم البعض فشكّل أقوى المجموعتين نهائيًا - تشو ون بالمقر كايفنغ (تم تغيير الاسم إلى تشو تشيوان تشونغ لاحقًا) ولي كه يونغ بالمقر تايوان. ألغى تشو ون الإمبراطور آي في عام 907م ونصّب نفسه إمبراطورًا وغيّر اسم الدولة إلى ليانغ. فانتهت أسرة تانغ عند هذه النقطة ودخل التاريخ فترة الأسر الخمس والدويلات العشر.

القراءة الموسّعة: الحاكم العنيد في أواخر أسرة تانغ - الإمبراطور جينغ

في كتاب الصينية للمدرسة المتوسطة، هناك نثر تقليدي مشهور (فو لقصر إبانغ) بقلم دو مو. إن النثر في الواقع عمل على استخدام الماضي للسخرية من الحاضر - نقد جو الفخامة المفرطة والانحلال خلال فترة باولي من عهد الإمبراطور جينغ باستخدام دروس البناء على نطاق واسع وحياة الترف والبذخ والفسق والخمول لإمبراطور تشين الأول. أشار دو مو نفسه بوضوح: "تم بناء القصور الكثيرة خلال فترة باولي والغرق في المجون والفجور فكتب (فو لقصر إبانغ)". ويعني ذلك أن الحاكم في فترة باولي كان يقوم بالبناء على نطاق واسع ويعيش حياة الترف ولم يكن الجو الرسمي والجو الاجتماعي صحّيا لذلك كتب (فو لقصر إبانغ) للانتقاد.

كان قصر إبانغ قصرًا بناه إمبراطور تشين الأول، وبيّن بناؤه الفاخر بالكامل فسق الإمبراطور وقسوته وفقًا للسجلات التاريخية. قام الإمبراطور جينغ بالبناء على نطاق واسع ابتداء من صعود العرش مترسمًا خطى إمبراطور

تشين الأول علنًا مما جعل السياسة الدولية في أواخر سلالة تانغ التي قد تدهورت من سيئ إلى أسوأ أكثر هشاشة. يمكن القول إن الإمبراطور جينغ هو "الحاكم العنيد" في أواخر عهد تانغ - كان بالتأكيد القمة من المرح ولن يصلح لتولّي منصب الإمبراطور بالتأكيد.

الإمبراطور جينغ لي تشان لم يضع الشؤون الوطنية في ذهنه، بل سعى إلى السعادة بعد صعود العرش. على سبيل المثال، لم يتمكن من الإصرار على حضور الديوان الملكي الصباحي الدوري للإمبراطور. مرة واحدة، جاءت مجموعة من الوزراء إلى البلاط لتحضير نقاش الشؤون ولكن لم يحضر الإمبراطور جينغ حتى ارتفاع الشمس ثلاث قصبات. كان على الوزراء الانتظار ولكن لم يأتِ الإمبراطور، وأغمي على بعض الوزراء بشكل مباشر بعد الوقوف في القاعة لفترة طويلة جدًا. صعد الإمبراطور جينغ العرش لفترة قصيرة في هذا الوقت، شعر الناس بخيبة الأمل لأنه كان عنيدًا إلى هذا الحد! نصح الإمبراطورَ جينغ مسؤولُ النصح لي بوه فحضر متأخرًا. نصحه موظف النصح ليو تشي تشو وبذل قصارى جهده لإقناع الإمبراطور. أظهر الإمبراطور جينغ نظرة مؤثرة للغاية في ذلك الوقت ولكن لم يتغير بعد ذلك. فإن حضور الديوان الملكي الصباحي هو مجرد شيء أرهب من الذهاب إلى ساحة المعركة بالنسبة له ونادرًا ما حضر الديوان الملكي الصباحي مرتين أو ثلاث مرات كل شهر فيما بعد. تصدّر الإمبراطور الصفّ في "الإضراب" و"التكاسل في السياسة"، كيف يَحكم البلد بشكل جيد؟

لم يكن الإمبراطور جينغ مسؤولا عن الشؤون السياسية بل اهتم بمتعته بشكل كبير. أراد فجأة القيام بالنزهة إلى جبل لي في نوفمبر السنة الأولى من عهد باولي (825م) وتثبط الوزراء بقوة لكن لم يستمع إليهم. قدّم مسؤول النصح تشانغ تشيوان يو النصيحة له بأن يسجد في القاعة قائلًا: "ليست للإمبراطور نهاية جيدة والذي زار الجبل لي منذ الإمبراطور يو لأسرة تشو، دفن إمبراطور تشين الأول هناك وتلاشت الدولة في العهد الثاني، بنى الإمبراطور شيوان قصر الاستراحة الملكية في جبل لي وتمرّد آن لوشان، ذهب الإمبراطور الراحل (الإمبراطور مو) إلى جبل لي وتوفي بعد عودته".

حدث اهتمام أكبر في الواقع بعد أن سمع الإمبراطور جينغ القول: "هل يكون جبل لي خطرًا إلى هذا الحد؟ فيجب أكثر أن أذهب إليه للتحقق من كلماتك". قال للمسؤولين حوله بعد زيارة جبل لي: "ليست كلمات الموظفين الساجدين موثوقة بالضرورة!" لم يأخذ آراء الوزراء على محمل الجد.

أحبَّ الإمبراطور جينغ أيضًا مشاهدة سباقات قوارب التنين في قصر يوتساو، يوما أصدر فجأة المرسوم لمسؤول الملح والحديد يريد بناء 30 قارب

سباق فطلب نقل الخشب إلى العاصمة للبناء. كان الإنفاق يستغرق نصف إجمالي الأداء الوطني من ذلك العام ووافق على طرح النصف بعد نصح مسؤول النصح تشانغ تشونغ فانغ وغيره من المسؤولين بقوة.

كما أحبَّ الإمبراطور جينغ لعب البولو، لا يلعب بمفرده فقط بل يطلب أيضًا من الجيش المحرّم وناس القصور المشاركة فيه. قد عقد حدث الرياضة في القصر في يونيو العام الثاني من عهد باولي (826م)، وهناك البولو والمصارعة وساندا والقتال والبرامج المتنوعة وغيرها من المشاريع وكذلك يتحمّس المشاركون في المشروع جدًا. كان الأكثر إبداعًا هو أن أمر الإمبراطور جينغ الجيش المحرّم وناس القصر والمعلم والحديقة الداخلية بلعبة البولو على حمار بعدة مجموعات، ووفقًا للسجلات التاريخية كان الإمبراطور جينغ يتمتّع بمعنويات عالية ذلك اليوم وينهي "الحدث الرياضي" حتى الهزيع الأول أو الثاني من الليل.

أحبَّ الإمبراطور جينغ أيضًا أن يصطاد، ورأى أن الصيد أثناء النهار ليس ممتعًا فصاد الثعلب ليلًا مع الخادم وسمّي ذلك "صيد الثعلب ليلًا". أظهرت جميع أنواع العلامات إدمان وابتداع وابتكار الإمبراطور جينغ الكثير من أنواع اللعب. إنه لاعب في لعبة البولو كما أجاد في القتال اليدوي وهوى الألعاب مثل المصارعة وشد الحبل وسباقات قوارب التنين. كان من الممكن أن يؤدّي جيدًا إذا شارك في برنامج تلفزيوني مثل عرض ترفيهي اليوم، لكنه سيئ للغاية كإمبراطور، فهو كان يلعب مع أحد الخصيان واسمه هرقل.

ومع ذلك، ليس لديه أي عقل إذا سعد الإمبراطور جينغ للغاية. فهجر هرقل وهو شخص رباه نفسه؛ وتعرّض الخصي حوله للضربة وعقوبات شديدة بخطأ صغير. كان الإمبراطور "عنيدًا" لدرجة أن الناس حوله لم يستطيعوا تحمله. وتوفي الإمبراطور جينغ أيضًا بسبب لعبه الجامح في النهاية.

خرج الإمبراطور جينغ لـ "صيد الثعلب ليلًا" مرة أخرى 8 ديسمبر العام الثاني من عهد باولي (826م)، كان سعيدًا جدًا بعد عودته إلى القصر فشرب الخمر مع الخصيان ليو كه مينغ، تيان وو تشنغ، شيوي ون دوان وجندي البولو سو تسوه مينغ، وانغ جيا شيان، شي دينغ كوان وغيرهم وكان عددهم 28 شخصًا. وكان ليو كه مينغ وسو تسوه مينغ والغير الذين يلعبون معه يقلقون دائمًا خوفًا من تعرّضهم للعقاب بحيث قتلوه أثناء تغييره الملابس في الداخل، كان الإمبراطور جينغ بالغًا من العمر 18 عامًا فقط، وقد مرّ عامان فقط على صعوده للعرش.

صقل الرأي: صراع الزمرة في أواخر عهد أسرة تانغ

لم يكن هناك خلاف حقيقي بين المفهوم والخط في أواخر عهد أسرة تانغ، وكان جوهر الصراع الكفاح من أجل السلطة. تعارض الجانبان أكثر فأكثر مع بعضهما البعض، وعندما يصل الجانب إلى قمة السلطة "لا يحترم ولا يُشفِق على الجانب الآخر" بالتأكيد.

عُيِّن زعيم زمرة لي لي دهيو رئيس وزراء في زمن الإمبراطور وو، فاستخدم على الفور السلطة في يديه لمحاربة زعيمي زمرة نيو نيو سنغ رو ولي تسونغ مين. خفّض رتبتهما بالأعذار المختلفة ثلاث مرات في أقل من شهرين وهجّرهما إلى شيونتشو (هويتشو) وفنغتشو على انفراد.

صعد الإمبراطور شيوان العرش في وقت لاحق ومنح رئيس زمرة نيو باي مين تشونغ المنصب الهام. عندما كان يملك السلطة قام بالانتقام مرة أخرى ضد زمرة لي، فتعرّض الموظف المصادق مع لي ده يو للتهجير. جمع باي مين تشونغ ذنوب لي ده يو وخفّض رتبته إلى الموظف العسكري بتشاوتشو ثم إلى موظف الخراج. لم يستطع لي ده يو تحمّل الضربة الشديدة فتوفي.

ارتبط مصير الموظف تمامًا بـ "الانضمام إلى الزمرة" خلال فترة النزاع بين زمرة نيو وزمرة لي. عندما تولى زعيم زمرة نيو رئيس الوزراء، كان سعي مسؤولي زمرة نيو وراء المنصب واكتساب شهرة سريعة. ولكن عندما تم استبدال رئيس الوزراء من قبل زعيم زمرة لي تعرّض مسؤولو زمرة نيو لتخفيض الرتب والضربة ومُنحت المناصب الشاغرة لأعضاء زمرة لي.

هناك عضو في زمرة لي يُدعى لي رانغ يي أصبح مسؤول تحرير المرسوم اعتمادًا على ترشيح رفيق الزمرة. وفقد لي ده يو السلطة في وقت لاحق فتعرّض لي رانغ يي لتخفيض الرتبة أيضًا. أصبح لي ده يو رئيس الوزراء مرة أخرى في الأيام الأولى من عهد الإمبراطور وو فارتقى لي رانغ يى أيضًا بثلاث رتب من نائب شانغشو إلى نائب تشونغشو ورئيس الوزراء.

إن مصير عضو زمرة نيو لي هان كذلك وخاصة "كُره بلي ده يو". عندما أمسكت زمرة نيو بزمام السلطة ترقّت رتبته الرسمية باستمرار وعُيِّن كنائب وزير وزارة شؤون الذاتية المدنية أخيرا. أزعج زعيم زمرة نيو لي تسونغ مين الإمبراطور فسحب الثقة منه في هذا الوقت. وتمّ تخفيض رتبة لي هان إلى موظف عسكري بفنتشو فيما بعد، "لم يُسمح له بالتوظيف في ثلاثة وعشرين عامًا"، ولم يعد إلى العاصمة حتى وفاته.

كما تورّط الشاعر الشهير باي جيوي يي في النزاع بين زمرة نيو وزمرة لي. لم ينضم باي جيوي يي إلى نزاع الزمرة، فقد صادق الغير بالشعر والنثر فقط فتفاعل مع أعضاء زمرة نيو. ومع ذلك لا يزال يحرِّض على كراهية لي ده يو. عندما أراد الإمبراطور وو منح باي جيوي يي المنصب الهام افترى لي ده يو عليه أمام الإمبراطور قائلًا إنه مريض بشكل خطير فلن يستطيع تولّي المنصب الهام. ونتيجة لذلك، غيّر الإمبراطور وو رأيه فلا يمكن أن يحصل باي جيوي يي على منصب هام.

هناك أيضًا قوى خصية متورطة في النزاع بين زمرة نيو وزمرة لي، واستخدم كلا الطرفين الخصي لمحاربة المنشق. على سبيل المثال، تواطأ زعيم زمرة نيو لي تسونغ مين مع الخصي وانغ جيانيان لاستبعاد لي ده يو. أما لي ده يو فتقرب من الخصي يانغ تشين يي لاستبعاد زمرة نيو تضامنا. بالإضافة إلى ذلك، هناك ارتباط وثيق بين الحاكم العسكري والنزاع بين زمرة نيو وزمرة لي. هناك حاكم عسكري دعم زمرة نيو وهناك أيضًا حاكم عسكري دعم زمرة لي. عندما أمسكت زمرة نيو بزمام السلطة كان بعض الحكام العسكريين يصفق بينما كان الآخرون غير راضين؛ وعندما أمسكت زمرة لي بزمام السلطة حدث التغيير في الموقف. نتيجة لذلك، فإن الأسس الثلاثة، الصراع الزمري والخصي والحاكم العسكري جعلت الوضع السياسي لأسرة تانغ فوضويًا ومدمرًا للغاية.

فيما يتعلّق بمسألة صراع الزمرة بين زمرة نيو وزمرة لي، أوضح تشن ين كه في "بحث النقاش للتاريخ السياسي لسلالة تانغ" أن معظم أعضاء زمرة نيو مسؤولون تمّ توظيفهم من خلال الاختبارات الإمبراطورية بينما كان أعضاء زمرة لي معظمهم من الوُجَهاء. فإن نزاع الزمرتين هو الصراع على السلطة بين الوجيه والعادي. ومع ذلك، فإن كتاب (تاريخ سلالة سوي وتانغ للصين من كامبريدج) أشار من خلال أدلة أكثر دقة إلى أن عدد الموظفين من الامتحانات الإمبراطورية ومن طبقة الوجيه للزمرتين متساو تمامًا، فالنزاع بين الزمرتين ليس "النزاع بين الوجيه والعادي". أجرى بعض العلماء تحليلًا إحصائيًا لأماكن ولادة أعضاء الزمرتين لاحقًا وكان الاستنتاج أن أعضاء زمرة لي كانوا في الأساس من طبقة الوجهاء من شاندونغ وأعضاء زمرة نيو كانوا من طبقة الوجهاء من شانشي وقانسو أساسًا، فكان النزاع بين الزمرتين صراعًا داخل الطائفة كليًا أو يمكن أن يطلق عليه النزاع بين طائفة شاندونغ وطائفة شانشي وقانسو. ولكن هناك شيء واحد مؤكد: لن يكون الفائز بغض النظر عن كيفية النضال بين زمرة نيو وزمرة لي. قد أفسد الصراع الزمري الأجواء الرسمية لسلالة تانغ كما ساهم في تسريع انهيار أسرة تانغ.

الفصل الرابع

العدد الثالث للإمبراطوية

أسرة سونغ الملكية وأسرة يوان الملكية

الأسر الخمس والدويلات العشر - عصر الفوضى بين أسرة تانغ وأسرة سونغ

يمثّل اغتصاب تشو ون سلطة أسرة تانغ وإنشاء أسرة ليانغ بداية عصر الأسر الخمس والدويلات العشر. كان عصر الأسر الخمس والدويلات العشر أساسًا استمرارًا لانفصال الحكم العسكرية في أواخر أسرة تانغ.

تمّ إنشاء أسر ليانغ وتانغ وجين وهان وتشو في حوض النهر الأصفر خلال هذه الفترة، وكانت تسمى ليانغ اللاحقة وتانغ اللاحقة وجين اللاحقة وهان اللاحقة وتشو اللاحقة في التاريخ من أجل التمييز بين الأسر الموجودة سابقًا، هذه هي "الأسر الخمس". وتشير "الدويلات العشر" إلى دويلات الحكم العسكرية الانفصالية العشر التي تمّ إنشاؤها في الجنوب بما فيها شو السابقة وشو اللاحقة ووو وتانغ الجنوبية وويوي ومين وتشو وهان الجنوبية وبينغ الجنوبية (جين نان) وهان الشمالية. دعونا نتحدث بإيجاز عن "الأسر الخمس" ثم "الدويلات العشر".

شنَّ تشو ون الحروب لسنوات بعد إنشاء ليانغ اللاحقة وفرض الضرائب الفادحة مما أدّى إلى شغب الشعب فتدهورت الأسرة بعد ذلك. قام ابن الشاتو لي كه يونغ لي تسون شيوي بتدمير ليانغ اللاحقة التي كانت موجودة لـ 16 عامًا وأسس أسرة تانغ اللاحقة. عرف لي تسون شيوي باسم الإمبراطور تشوانغ في التاريخ وكان يملك الكفاءة العسكرية للغاية ويوحِّد شمال الصين، لكنه لم يجدّد في حكم الدويلة فتوفي سريعًا في التمرد. ثم صعد ابن لي كه يونغ المتبنى لي سي يوان العرش. كان الشخص أكثر عقلانية ينفّذ سياسة النقاهة واستعادة القوى خلال عهده مما جعل الاقتصاد الشمالي يتطور. ومع ذلك، فإن الأوقات الجيدة لم تدم طويلا وسقطت أسرة تانغ اللاحقة أيضًا في صراع أهلي.

حصل صهر لي سي يوان والمفوض العسكري بهيدونغ شي جينغ تانغ على دعم تشيدان له منتهزًا فرصة صراع أهلي لتانغ اللاحقة على حساب التخلي عن المدن الست عشرة في منطقة يو يون. لقد تواطأ مع جيش تشيدان وأطاح بأسرة تانغ اللاحقة فأنشأ أسرة جين اللاحقة. الأمر الأكثر خزيًا هو أنه نصّب شي جينغ تانغ نفسه "الإمبراطور الابن" ودعا يهليوي دهقوانغ بكيدان باسم "الإمبراطور الأب" من أجل تعزيز عرشه.

ولكن لم تكن حياة "الإمبراطور الابن" على ما يرام وعليه أن يخدم "الإمبراطور الأب" بدقة، إذا كان غير محترم بعض الشيء ويتم توبيخه. توفي شي جينغ تانغ بعد ست سنوات. وما زال "الإمبراطور الأب" يهليوي دهقوانغ يرسل قوات إلى الجنوب فدمّر أسرة جين اللاحقة بعد صعود خليفته على عرش الإمبراطور لمدة خمس سنوات. نصب يلو ديقوانغ نفسه إمبراطورًا في كايفنغ في عام 947 وغيّر اسم الدولة إلى لياو ثم قاد القوات إلى الشمال.

أسس المفوض العسكري بخهدونغ لأسرة جين اللاحقة ليو تشي يوان بعد أن عرف بعودة إمبراطور لياو الأول يهليوي دهقوانغ إلى الشمال، ثم استولى على كايفنغ وحدّد العاصمة هناك.

لم تتواجد أسرة هان اللاحقة إلا لمدة أربع سنوات وأطاحها موظف الحرس بمدينة يهتشنغ قوه وي (محافظة دامنغ الآن، مقاطعة خبي). أنشأ قوه وي أسرة تشو اللاحقة واعتبر الإمبراطور الأول. كان حاكمًا أكثر ميثاقية فأصبحت النظرة الاجتماعية لأسرة تشو اللاحقة جيدة بعد حكمه. كان الخليفة الإمبراطورشي تشاي رونغ بعد وفاة قوه وي، أيضًا سياسيًا نادرًا يستعد لإعادة التوحيد أثناء إصلاح السياسة. لقد خطّط لنفسه أن يكون إمبراطورًا لمدة 30 عامًا، وأمضى عشر سنوات لفتح البلد وأنفق عشر سنوات لنقاهة الشعب، ثم استخدم عشر سنوات لابتكار السلام والازدهار. إنه لأمر مؤسف أنه توفي بعد خمس سنوات فقط من حكمه. حدث تمرد تشن تشياو الشهير بعد خمس سنوات أخرى، واغتصب تشاو كوانغ ين سلطة سلالة تشو اللاحقة وأسس أسرة سونغ.

استغلت دويلات الحكم العسكرية الانفصالية العشر في الجنوب الفرصة لتطوير الاقتصاد بمناسبة تداول الأسر الملكية في الشمال. استوطنت أسرة وو يوه وتانغ الجنوبية في الحوض الأوسط والأسفل من نهر اليانغتسي الخصب اللذين يعتبران "الأرض مترامية والقوة قوية والمواهب عديدة" في مختلف الحكم العسكرية الانفصالية، وأظهر الاقتصاد والثقافة مشهدًا مزدهرًا بعد أكثر من 20 عامًا من التطور.

تطوّرت أسرة شو السابقة وشو اللاحقة أيضًا بشكل كبير في منطقة سيتشوان خلال الفترة والسبب هو: لجوء عدد كبير من العلماء من السهول الوسطى إلى هناك في الفترة المضطربة حاملين ثقافة السهول الوسطى المتطورة.

الشيء الأكثر إثارة للإعجاب هو الدويلة وو يوه التي كانت تحت حكم تشيان ليو. عرف تشيان ليو أن الدويلة الصغيرة في وضع صعب في الأوقات العصيبة يحاول التوسط في الدبلوماسية ويتعامل مع الدويلة الكبيرة باحترام. حصل على البيئة السلمية لتطور أسرة وو يوه من خلال هذا الجهد الدبلوماسي. في الصين، قام بتعبئة الناس لبناء حاجر الصخرة وإنشاء بوابة لونغشان وبوابة تشجيانغ من أجل حل مشكلة متعلّقة بالماء - ودعا أحفاد النهر الذي قد روّضه تشيان ليو نهر تشيانتانغ لذكرى مساهماته في بناء سد الحجر على طول النهر. أيضًا قام تشيان ليو بتوسيع مدينة هانغتشو وبناء الطرق والأسواق في المدينة، كما وسع معبد لينغين وبنى معبد تشاوتشينغ ومعبد جينغتسي ومعبد لينغفنغ ومعبد يونتشي ومعبد ليوتونغ وما إلى ذلك. وتم بناء باغود لي فنغ وباغود ليو خه الباغود الأبيض أيضًا في هذا الوقت. قد وضعت النتائج الجيدة التي حصل تشيان ليو عليها في حكم وو يوه أساسا لتحديد سلالة سونغ الجنوبية العاصمة في هانغتشو.

كانت "الأسر الخمس" تقع جميعها في حوض النهر الأصفر في الشمال بينما تقع "الدويلات العشر" جنوب نهر اليانغتسي. تعد "الأسر الخمس" من صُلب السلالة في كتب التاريخ لأن سلطتها السياسية "تتابع أسرة تانغ وتبدأ أسرة سونغ"، ولكن وصل إجمالي "الأسر الخمس" فقط لفترة أربعة وخمسين عامًا في الواقع بستة ألقاب وثلاثة عشر إمبراطورًا، يمكن أن يعرف التغيّرات المتكرّرة في السلطة السياسية فيدلُّ ذلك على أن شمال الصين كان في ذلك الوقت بالفعل عالمًا مضطربًا. في المقابل، تمتعت "الدويلات العشر" بأطول حياة وطنية وكان حكمها أكثر فاعلية من "الأسر الخمس". وهذا يعني أن الشمال قد دُمِّر أكثر وأكثر بينما حقّق الجنوب تطورًا معيّنًا بعد هذه المرحلة. بدأ شمال الصين يتخلّف عن الجنوب منذ ذلك الحين.

القراءة الموسّعة: ثلاثة أسهم للي كه يونغ

اندلعت انتفاضة هوانغ تشاو في نهاية عهد أسرة تانغ، واضطرت أسرة تانغ إلى اللجوء إلى قوات الشاتو من أجل قمع المتمردين، فبنى الجنرال الشاتو لي كه يونغ نفسه حيث تمّ تعيينه من الأمير جين بفضل مساعدة أسرة تانغ على قمع انتفاضة هوانغ تشاو.

توفي الأمير جين لي كه يونغ من المرض في 908م. وقبل وفاته، سلّم ابنه لي تسون شيوي ثلاثة سهام يوصيه بها إكمال ثلاثة أحداث رئيسية: أولًا، رفع دعوى قضائية ضد الأمير يان ليو رن قونغ لأن لي كه يونغ كان يرشح ليو رن قونغ بالمفوض العسكري من لولونغ لأسرة تانغ، ولكن هزم ليو رن قونغ جنود لي كه يونغ بدوره في وقت لاحق واعتمد على عدوه تشو ون. ثانيًا، هو غزو تشيدان. قد تآخى لي كه يونغ وزعيم تشيدان يهليوي آباوجي في عام 907 يشكل تحالفًا عسكريًا للهجوم على تشو ون معًا. ومع ذلك خان يهليوي آباوجي الاتفاق في وقت لاحق وأقام علاقة ودية مع تشو ون للتعامل مع لي كه يونغ. الحدث الرئيسي الثالث هو القضاء على عدوه القديم تشو ون، قد دعا تشو ون لي كه يونغ لحضور مأدبة واغتنم الفرصة ليراه مخمورًا حتى يشعل النار فيه. كان لي كه يونغ محظوظًا بنجدة تابعه لإنقاذ نفسه. بالإضافة إلى ذلك، تنافس الاثنان على الدولة وفاز تشو ون في النهاية كما اغتصب سلطة أسرة تانغ وأسس أسرة ليانغ اللاحقة.

هذه الأسهم الثلاثة هي الوصايا السياسية الثلاث للي كه يونغ. وضع لي تسون شيوي الأسهم الثلاثة في الكم الحريري الخاص وعبده رسميًا في معبد العائلة، كل مرة يذهب إلى الحرب يأخذ الكم ويرسله إلى المعبد بعد الفوز بالنصر. كان هذا النوع من الممارسة له معنى النوم على القش ولعق المرارة لإمبراطور الدويلة يوه قو جيان، ويمكن من هنا معرفة أن لي تسون شيوي ليس شخصًا عاديًا.

كان لي تسون شيوي الابن البكر للي كه يونغ يبرز في أعمال الفروسية والرماية ويتمتع بجرأة وقوة منذ الطفولة. كان شجاعا وبارعا في القتال بعد البلوغ كما كان يحب الموسيقى والغناء والرقص وإلخ. كان متعدد المواهب.

ورث لي تسون شيوي رتبة الأمير جين بعد وفاة والده بسبب المرض. هزم جيش تشو ون البالغ 500 ألف جندي في قاويي (محافظة قاويي بمقاطعة خبي) في عام 911 ميلادي بفضل قدرته العسكرية المتميزة. ثم قهر منطقة يان وأخذ ليو رن قونغ وابنه ليو شو قوانغ إلى تايوان. كما انتصر على تشيدان وهزم جيش يهليوي آباوجي بعد ثلاث سنوات. سرعان ما خضعت جميع المحافظات والمدن في خبى للي تسون شيوي. نصّب لي تسون شيوي نفسه إمبراطورًا في ويتشو (شمال شرقي محافظة دامينغ بمقاطعة خبي) في عام 923 ميلادي، وكان الاسم الوطني تانغ يسميه للتاريخ أسرة تانغ اللاحقة ونقل العاصمة إلى لويانغ بعد ذلك. دمرت تانغ اللاحقة ليانغ اللاحقة لتوحيد الشمال

في ديسمبر من نفس العام. يمكن القول إن لي تسون شيوي بشكل أساسي أتمّ وصية والده الأخيرة بعد أكثر من عقد من القتال.

إذا نظرنا فقط إلى النصف الأول من حياة لي تسون شيوي، فإنه قصة ملهمة مثالية. ومع ذلك، انقلبت حياة لي تسون شيوي بعد إنشاء أسرة تانغ اللاحقة. كان رجلًا قويًا في الجيش لكنه شخص ضعيف في حكم البلاد. بعد تنصيب الإمبراطور، اعتقد لي تسون شيوي أنه قد أخذ الثأر لوالده والسهول الوسطى قد استقرت فبدأ يستمتع بنفسه. كان يحب مشاهدة الأفلام والتمثيل منذ الطفولة فغالبًا ما يرسم حبرًا ويرتدي أزياءًا للعرض على المسرح ويتجاهل الشؤون السياسية، أيضًا يأخذ الاسم الفني "لي تيانشيا" لنفسه بعد صعود العرش.

لقد فضّل الممثل مما جعله يفخر بالوزراء والجنرالات. لقد استبد بالجميع الغضب وما جرؤوا على الكلام حتى تودّد بعضهم إلى الممثل. الأكثر ضررًا بين الممثلين وهو جينغ جين. افترى جينغ جين على الوزير المخلص واتّهمه زورًا في التدخّل في الشؤون السياسية. كما استخدم لي تسون شيوي الممثل كأذنه وعينه للتجسس على كلمات وأفعال الوزراء. أثارت ممارسة تفضيل الممثل للي تسون شيوي استياء الجنود ووضعت الأساس للتمرد العسكري المستقبلي.

صدّق لي تسون شيوي وشايةً وقتل الجنرال قوه تشونغ تاو ظلمًا في عام 926، كما كاد يَقتل الجنرال البارز الآخر لي سي يوان الذي قدّم مساهمات عظيمة في الحروب. شنّ لي سي يوان تمردًا بدعم من الجنود وقاد الجيش إلى مهاجمة لويانغ في مارس من هذا العام. تسرّع لي تسون شيوي إلى القمع فأرسل الجيش. ومع ذلك، عندما ذهب الجيش إلى محافظة تشونغمو عاد لي تسون شيوي إلى لويانغ لأنه استمع إلى أن جيش لي سي يوان دخل بيان جينغ ولكن نصف الجنود هرب في أثناء الطريق. حاول مقاومة هجوم لي سي يوان بعد عودته إلى لويانغ ولكن تفرقت المعنويات في هذا الوقت. كان لي تسون شيوي يأخذ فطورًا ذات يوم. قام حراسه بالتمرد تحت قيادة القائد قوه تسونغ تشيان، ودخل الجنود المتمرّدون القصر وقتلوه بالسهام. ومن الهجاء أن قوه تسونغ تشيان كان ممثلًا في الأصل يرقيه لي تسون شيوي للقائد.

كتب الأديب الكبير في أسرة سونغ أويانغ شيو ردًا على مأساة لي تسون شيوي جملةً تقول "يمكن بالقلق إنهاض الدولة، يمكن بالملذات تدمير نفسه"، وهذا يعني أن يجعل العملُ الجاد الدولةَ تزدهر ويدمّرها السعي وراء

المتعة. كانت الملاحظة للنصف الأول من حياة لي تسون شيوي أنه "يمكن للقلق إنهاض الدولة"، يشير النصف الثاني إلى أنه "يمكن للملذات تدميره".

صقل الرأي: نهوض تشيدان

كان تشيدان فرع شيانبي في الأصل وتم فصله عن مجموعة يوون بقومية شيانبي خلال أسرة وي الشمالية ويعيش رئيسيًا في المناطق الشاسعة لمدينة تشيفنغ في منغوليا الداخلية وغرب لياونينغ. بعد ذلك، انقسم شعب تشيدان إلى ثماني قبائل: سيواندان، خه داه، فوفويو، يولينغ، ريليان، بيجيه، لي، وتوليويو، وكانت القبائل تعيش عادةً حياة بدوية قرب الماء وتنشئ علاقة تقديم هدايا الولاء مع أسرة وي الشمالية.

ارتبط تشيدان بسلالة سوي والأتراك على انفراد خلال عهد أسرة سوي واستمر في الترحّل في لياونينغ الغربية. عندما ذهب تشيدان جنوبًا إلى ينغتشو (الآن تشاويانغ، لياونينغ) في السنة الأولى من عهد دايه (605م)، تعرّض للهجوم من الأتراك فتم القبض على 40 ألف شخص وأُصيب هو بجروح فادحة.

كانت قبائل تشيدان تتبع لسلالة تانغ في عهد تشنقوان من أسرة تانغ. أنشأت أسرة تانغ إدارة سونغمو (المعروفة الآن باسم جنوب راية اليمين بالين منغوليا الداخلية) وعينت زعيم التحالف القبلي بتشيدان كوقه الجنرال اليسار وقائد إدارة سونغمو، وكافأه بلقب لي لإدارة شؤون تشيدان.

تمّ انتخاب زعيم التحالف القبلي خان وزعماء القبائل الثماني يليجين (المعروف أيضًا باسم الرئيس والإمبراطور) كل ثلاث سنوات وفقًا للنظام القديم لتشيدان. تم تدمير النظام القديم لاختيار زعيم كل ثلاث سنوات تدريجيًا مع تطور الاقتصاد الاجتماعي.

انخفضت قوة الدولة في نهاية عهد أسرة تانغ وارتفع لدى تشيدان مفهوم انتهاز الفرصة. اختار يليجين وخان القبيلة ديلا بدون إذن أسرة تانغ فبرز يهليوي أباوجي في هذا الموقف. شغل يهليوي أباوجي يليجين القبيلة ديلا في عام 901م، وهزم القبيلة شيوي وليوشي والغير من القبائل قائد الجيش ثم عُين يليجين القبيلة ديلا الكبرى لاحقًا يدير الشؤون العسكرية والسياسية. وهاجم منطقة شرق النهر وشمال الأسر الخمس في العام التالي، وهاجم جورشن ونهب منطقة شرق النهر الأصفر وشمال محافظة جي في السنة الثالثة. عندما أصبحت قوة تشيدان أقوى وأقوى تمت ترقية يهليوي أباوجي إلى أعلى منصب رسمي هو يوى يوه (رئيس الوزراء في أسرة السهول الوسطى) وأصبح الحاكم الفعلي على يد خان هندهجين. وبعد ذلك، هزم

يهليوي أباوجي جيش ليو رن قونغ لأسرة تانغ فذاعت سمعته على نطاق واسع.

تحالف يهليوي آباوجي والمفوض العسكري من منطقة شرق النهر الأصفر لأسرة تانغ في 905م. أرسل تشو ون الذي استعد لاغتصاب العرش سفيرًا لتشكيل تحالف مع يهليوي آباوجي في العام التالي. وهكذا أصبح يهليوي آباوجي خان تشيدان الجديد في 907 م بالاعتماد على القوة العسكرية القوية والسمعة المتزايدة يحل محل خان هندهجين من القبيلة ياونيان الذي "لا يحكم ولا يعمل".

واصل يهليوي آباوجي توسيع سلطته بعد أن تولى خان تشيدان، وأنشأ النظام السياسي في تشيدان واتقاه، واستوعب ثقافة الهان وطور المزارع، وأنشأ المدن والمحافظات لحكم شعب الهان مع نظام الهان. نصب يهليوي آباوجي نفسه إمبراطورًا وأنشأ رسميًا دولة تشيدان في عام 916 وحدد العاصمة في مدينة لينهوانغ (الآن جنوب محافظة ليندونغ، راية اليسار بالين، مدينة تشيفنغ، المغولية الداخلية)، ثم خلق لاحقًا خط تشيدان. إن يهليوي آباوجي إمبراطور لياو الأول.

قام يهليوي آباوجي بحملة شرقًا ضد دويلة بوهاي في عام 925، وحكم شعبها القديم وحدد ولي العهد يهليوي بي كملك دونغدان. أيضًا أراد القيام بحملة على السهول الوسطى في الجنوب لكن توفي في 926 م بالمرض.

نُصِّبت زوجته شوليوي بينغ وصيّة بعد وفاة يهليوي آباوجي وأدار الابن الثاني يهليوي ديقوانغ الشؤون السياسية وصعد العرش في 927 م باسم الإمبراطور تاي من دولة لياو.

انفجرت الحرب الأهلية في أسرة تانغ اللاحقة في عام 936، نصّب المفوض العسكري بهيدونغ شي جينغ تانغ نفسه "الإمبراطور الابن" وطلب من يهليوي دهقوانغ دعمه في مهاجمة تانغ اللاحقة بشرط التخلي عن المدن الست عشرة من منطقة يانيون. هزم يهليوي دهقوانغ جيش تانغ اللاحقة في جنيانغ ولويانغ وقاد 50 ألف فارس بنفسه وساعد شي جينغ تانغ في تدمير أسرة تانغ اللاحقة فأنشأ شي جينغ تانغ أسرة جين اللاحقة. زادت قوة تشيدان بشكل كبير بعد السيطرة على المدن الست عشرة من منطقة يانيون.

صعد الإمبراطور تشو من أسرة جين اللاحقة العرش في 944م، وكان لا يريد الاستسلام إلى تشيدان فقدّم المذكرة باسم الحفيد وليس باسم الوزير. انتهز الإمبراطور تاي الفرصة للذهاب جنوبًا، وفتح عاصمة جين اللاحقة

كايفنغ في عام 947 فانهارت جين اللاحقة. احتلت دولة تشيدان الآن معظم منطقة السهول الوسطى. غيّر يهليوي دهقوانغ اسمها إلى لياو فتم تأسيس أسرة لياو رسميًا في فبراير. نهب جنود تشيدان ممتلكات الشعب ما أدّى إلى مقاومة قوية من سكان السهول الوسطى على الرغم من أن الإمبراطور تاي أراد حكم الصين للمدى الطويل. وهكذا اضطر يهليوي دهقوانغ بقيادة الجيش إلى العودة شمالًا فتوفي بمرض في مدينة لوان تشنغ بمقاطعة خبي في النهاية.

وقع الوضع السياسي لأسرة لياو في صراع أهلي بعد يهليوي دهقوانغ وتأثر زخم الرخاء. ولكنه كان قد شكّل تشيدان دولة قوية للغاية في هذا الوقت. استخدم بلاط أسرة لياو الهانٍ الصينية كما أجرى العديد من الأباطرة دراسات صينية وكان موقفهم من تعلُّم الثقافة الصينية صادقًا أيضًا. قد قال السيد تشيان مو في هذا الصدد: "عندما نقارن يهليوي دهقوانغ وشي جينغ تانغ وليو تشي يوان، كان كلاهما الدخيل ولا يفهم الثقافة التقليدية الصينية ولكن الإنجازات ليهليوي دهقوانغ أفضل بكثير من شي جينغ تانغ وليو تشي يوان. وذلك لأن يهليوي دهقوانغ أراد بصدق تقليد الصين بل أراد شي جينغ تانغ فقط استخدام القوة العسكرية لتثبيت العرش، وهذا هو الفرق بين الحكم العسكرية لتانغ والأسر الدخيلة الخمس. كان الواحد منهم لديه مُثُل للتحسين والآخر ليس له ويسعى فقط إلى احتلاله. وسعى الشخص الذي يريد التقدّم إلى خطة طويلة الأجل بصفتة زعيم بارز بين القبائل. وما إمبراطور الآخر الذي يريد الاحتلال فقط حلما عالية لأنه وُلِد أصلًا في صفوف الجيش ويملك رجالًا أشداء وخيولًا قوية". إن تأكيد السيد تشيان مو مثير للتفكير. فإن إنشاء مؤسسة عظيمة يعتمد غالبًا على المثل الأعلى والسعي في ظل غياب الحفظ الثقافي اللازم للحكام.

من تمرّد تشن تشياو إلى معاهدة تان يوان

أصبح تنصيب أمراء الحرب الحكام في إحدى المناطق أنفسَهم إباطرة من خلال إطلاق انقلاب عسكري تيارًا شائعًا منذ انفصال الحكم العسكرية في أواخر عهد أسرة تانغ إلى الأسر الخمس، أصبح لي سي يوان من أسرة تانغ اللاحقة الإمبراطور بهذه الطريقة، وكان قو وي من أسرة تشو اللاحقة الإمبراطور بهذه الطريقة أيضًا. الآن جاء دور تشاو كوانغ ين ليكون الإمبراطور بهذه الطريقة.

كان الانقلاب العسكري الذي أطلقه تشاو كوانغ ين لصعود عرش الإمبراطور أشهر، أي تمرّد تشن تشياو.

حدث تمرّد تشن تشياو بين عشية وضحاها ولكن الخلفية السابقة ضرورية أيضًا لفهمها. توفي فجأة الإمبراطور شي تشاي رونغ الذي كان يخطط لمهاجمة يوتشو بمرض وعمره 39 سنة فقط في 959 م. ورث ابنه تشاي تسونغ شيون البالغ من العمر 7 سنوات عرش الإمبراطور.

فجأة تم سماع خبر أرادت دولة لياو مهاجمة دويلة تشو اللاحقة في اليوم الأول من الشهر الأول من العام 960. أرسل بلاط تشو اللاحقة بسرعة الجنرال الكبير تشاو كوانغ ين لمقاومة العدو. بشكل غير متوقع، قال تشاو كوانغ ين إن عدد الجنود والجنرالات صغير ولن يتمكن من القتال. في اليأس، اضطر البلاط إلى تكليف أعلى سلطة عسكرية لتشاو كوانغ ين ومنحه سلطة تحريك الجيش الوطني. لذلك انطلق تشاو كوانغ ين قائد الجيش من مدينة دونغجينغ (الآن كايفنغ، خنان) وهرع إلى الخط الأمامي. حدث التمرّد عندما هرع الجنود إلى محطّة تشن تشاو في شمال كايفنغ. كان اليوم الثالث من الشهر الأول من 960 م.

استيقظ تشاو كوانغ ين النائم على صوت صاخب في الصباح الباكر من هذا اليوم، وما إن ارتدى ملابسه حتى فُتح الباب. وبعد ذلك، وضع شخصان (تشاو قوانغيي وتشاو بو) رداءً أصفر يرتديه الإمبراطور على تشاو كوانغ ين.

ألقى تشاو كوانغ ين النائم نظرته إلى الخارج، فقط لرؤية مجموعة كبيرة من الجنود يركعون على الأرض جميعًا ويصرخون: "عاش! يحيا!".

تظاهر تشاو كوانغ ين بكُرْه وعجز في هذا الوقت وقال لأتباعه بلهجة مترددة للغاية: "تنصّبونني إمبراطورًا رغبتكم في الغناء. سأوافق عليكم إذا سمعتموني. وإلا، لا يمكنني تولي حكمكم".

"نحن رهن إشارتك".

لذلك أمر تشاو كوانغ ين في العلن أن يذهبوا إلى الجَبْهَة لمقاومة لياو ويعودون أولًا إلى كايفنغ لتنصيبه إمبراطورًا. وفي الوقت نفسه، اتفق مع الأتباع على ألا يزعجوا الإمبراطورة الأم والإمبراطور الصغير لأسرة تشو اللاحقة ولا يظلموا وزراء تشو اللاحقة ولا ينهبون الأسواق والمخازن. سيكافَأ الشخص الذي يطيع الأمر وسيُقتل الشخص الذي ينتهك الأمر.

بهذه الطريقة عاد تشاو كوانغ ين يقود الجيش المتمرد إلى كايفنغ. وخلع الإمبراطور الصغير تشاي تسونغ شيون عن العرش وأصبح هو نفسه الإمبراطور كما غيّر اسم الدولة إلى سونغ. فتأسّست أسرة سونغ وأصبح تشاو كوانغ ين إمبراطور سونغ الأول.

بدا أن أصبح تشاو كوانغ ين إمبراطورًا تحت إكراه الأتباع بسبب الحاجة الماسة وفقًا لتمرد تشن تشياو الموصوف في التاريخ الرسمي. يمكن وصف هذه الحال بكلمة شائعة: "لم يكن لديك وقت للتفكير، فتحدث أشياء جيدة". ومع ذلك، يعتقد بعض المؤرخين أن تشاو كوانغ ين خطّط لتمرّد تشن تشياو بأكمله مقدمًا وتظاهر بالإكراه مؤقتًا فقط للتستر على طموحاته في اغتصاب العرش.

اغتصب تشاو كوانغ ين الدولة من اليتيم والأرملة لأسرة تشو اللاحقة اعتمادًا على التمرد، اغتصب نفسُه دولة الآخر بهذه الطريقة فخاف من أن يقتديه الآخر لاغتصاب جبال أسرة سونغ بنفس الوسيلة. أخرج مشهدًا من "تجريد السلطة العسكرية بالخمر" خوفا من الجنرال المؤسس الدولة الذي يملك الجيش القوي. قدّم تشاو كوانغ ين مأدبة كبيرة ودعا الجنرال الذي أسس الدولة للحضور إلى المأدبة. قال لكبار الجنرالات مثل شي شوشين وقاو هوايده عند المأدبة: "لن أستطيع أن أصبح الإمبراطور بدون جهودكم

فأشكركم على مساهماتكم جدًا. لكن من الصعب جدًا أن أكون إمبراطورًا والآن لا أجرؤ على النوم طوال الليل!".

لقد اندهش شي شوشين وآخرون فسألوا عن السبب بسرعة، فواصل تشاو كوانغ ين يقول: "ليس من الصعب معرفة السبب، من الذي لا يريد عرشي الإمبراطوري؟".

سمع شي شوشين وآخرون شيئًا في الخطاب فأسرعوا إلى القول وهم يركعون: "لماذا قلتم هذه الكلمة، من يجرؤ على المعارضة والآن تم تحديد الإمبراطور؟".

قال إمبراطور سونغ الأول: "ليس صحيحا، إذا أراد أتباعكم الغناء فضعوا الرداء الأصفر عليكم على الرغم من عدم أي خيانة لكم، فلن تقدرون على مساعدة أنفسكم حتى إذا كنتم لا تريدون صعود عرش الإمبراطور".

حث الجنرالات الذين أسسوا الدولة الإمبراطور على منحهم طريقًا واضحًا.

أخبرهم تشاو كوانغ ين: "الحياة قصيرة جدًا، وما يطلبه الناس هو الثروة. أعتقد أن عليكم تسليم السلطة العسكرية وشراء الحقول الخصبة والمنازل الجميلة للاستمتاع بالحياة وكسب صناعة دائمة للخلف". فلا يوجد أي شك بيننا الإمبراطور والوزراء، أليس ذلك جيدًا؟".

في اليوم الثاني، رفع شي شوشين وقاو هوايده وجنرالات مؤسسون آخرون المذكرة مدّعين أنهم مرضى ويطالبون بنزع السلطة العسكرية فوافق تشاو كوانغ ين بمرح. هذا هو "تجريد السلطة العسكرية بالخمر" الشهير في التاريخ.

استردّ إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين السلطة العسكرية من أيدي الجنرالات المؤسسين وألغى نظام الحاكم العسكري الانفصالي الذي تسبّب في فوضى الأسر الخمس والدويلات العشر من خلال تجريد السلطة العسكرية بالخمر. في الوقت نفسه، جلب تشاو كوانغ ين أيضًا السلطة المالية المحلية وحق تعيين المسؤولين وعزلهم إلى الحكومة المركزية. نتيجة لذلك عاد نظام الإمبراطورية المركزي إلى المسار الطبيعي.

غزا تشاو كوانغ ين أنظمة الحكم الانفصالية في الجنوب واحدةً واحدةً بعد إنجاز التمركز. توفي إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين في 976 م، فصعد شقيقه تشاو قوانغ يي العرش باسم الإمبراطور تاي من سونغ. في عام

979 م، نجح الإمبراطور تاي من سونغ في فتح نظام الحكم المحلي الأخير في شانشي - أسرة هان الشمالية، فاستكمل مهمة توحيد الصين.

أيضًا أراد الإمبراطور تاي استعادة سيطرته على الأراضي المحتلة بشعب تشيدان فهاجم منطقة يوتشو التي تحتلها أسرة لياو. ولكن فشلت العملية، وهزم جيش سونغ كما هرب الإمبراطور نفسه وقد أُصيب بسهم. لكنه لم يقنع بالهزيمة فهاجم تشيدان مرة أخرى عام 986 م. لم يصل الجيش إلى يوتشو بعد، فقد هزمه شعب تشيدان بين بكين وباودينغ اليوم هذه المرة. استغل جيش تشيدان النصر لمطاردة جيش سونغ وظل يهاجم حتى جنوب مقاطعة خبي.

تمّ نقل مبادرة الحرب إلى أيدي دولة لياو التي يحكمها تشيدان بعد فشل هجومي على تشيدان. واصل تشيدان غزو السهول الوسطى وهاجم النهر الأصفر قريبا من عاصمة سونغ كايفنغ بعد أن صعد ابن الإمبراطور تاي الإمبراطور تشن العرش. لبعض الوقت، كان بلاط سونغ الشمالية في حيرة يتردد بين الحرب والصلح. ولحسن الحظ، هرع الإمبراطور تشن إلى تانيوان (غرب مدينة بويانغ بمقاطعة خنان) للقيادة تحت إصرار الوزير الداعم الحرب كوتشون. لقد حفّز ذهاب الإمبراطور تشن إلى الحرب معنويات للمدافعين إلى حدٍّ كبير وهزم هجوم تشيدان حيث قُتل الجنرال الكبير لدولة لياو شياو تالين بقوس سونغ أثناء فحص الأرض.

أُصيب تشيدان بنكسة في الهجوم فأرسل طلبًا للسلام إلى أسرة سونغ. بذلك اختتم الجانبان معاهدة تان يوان. قد تآخت الدولتان، وكانت سونغ تقدم 300 ألف ليانغ من الفضة و200 ألف نسيج حريرٍ سنويًا، أما دولة لياو فانسحبت من منطقة جنوب خبي المحتلة حديثًا وتراجعت شمالًا إلى بكين وداتونغ اليوم.

لم تنفجر حرب بين سونغ ولياو في المائة عام بعد توقيع معاهدة تان يوان، حيث تبادل الجانبان اللطف والحماس. إذا حدثت مجاعة في دولة لياو أرسلت سونغ أشخاصًا للمساعدة، كما جمع الإمبراطور شنغ من لياو وزراء الهان والدخيل لتقديم التعازي وبكت محظياته بالحزن بعد وفاة الإمبراطور تشن من سونغ.

هناك كتاب تاريخي رأى أن معاهدة تان يوان معاهدة مهينة وقّع عليها شعب سونغ في الماضي. يجب أن يتم تصحيح الرأي اليوم. حقق معاهدة تان يوان مكاسب للجانبين، فحصلت دولة لياو على ممتلكات واستعادت أسرة سونغ أيضًا بعض أراضيها. على وجه الخصوص حقّق توقيع المعاهدة هدف

تحقيق سلام دائم. لذلك، من الأفضل أن نقول إن معاهدة تان يوان كانت تطبيقًا ملموسًا لاستراتيجية "مقايضة السلام بالثروة" الدبلوماسية في أسرة سونغ بدلًا من القول إنه الأداء الضعيف لشعب سونغ في الجانب العسكري والدبلوماسي.

القراءة الموسّعة: ظل الشمع وصوت الفأس ومعاهدة الدولاب الذهبي

توفي إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين في 976م فصعد شقيقه تشاو قوانغ يي العرش. هناك قضية غامضة "ظل الشمع وصوت الفأس" في عملية نقل السلطة هذه.

كانت تصفر ريح باردة وتسقط الثلوج في ليلة 19 أكتوبر من هذا العام. استدعى إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين الشقيق الأصغر تشاو قوانغ يي إلى القصر حيث شربا الرجلان الخمر وجها لوجه وأمر الخصيان والمحظيات بالتراجع.

رأى الخصيان عن بعد عبر ظل الشمع إن كان الشقيقان تشاو كوانغ ين وتشاو قوانغ يي يشربان من وقت لآخر ويتحدثان في بعض الأحيان، غادر تشاو قوانغ يي الطاولة وهو يبدي التواضع.

استمرت المحادثة والشرب بين الأخوين لفترة طويلة جدًا. ولم ينته الشراب الليلي بعد الهزيع الثالث. في هذا الوقت تراكمت طبقة سميكة من الثلوج خارج القصر. فجأة رأى الخصيان من ظل الشمع أن إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين قرع الأرض وهو يحمل فأس العمود (نوع من القرطاسية)، وصرخ مرتين إلى تشاو قوانغ يي "يكمل بسهولة! يكمل بسهولة!" في الوقت نفسه. ثم خلع اللباس وذهب إلى الفراش ويكون الشخير كهزيم الرعد. بقي تشاو قوانغ يي للنوم في القصر تلك الليلة. وجد الخصيان إن كانت غرفة تشاو كونغ ين تصمت حوالي الهزيع الخامس، فدخلوا للفحص ووجدوا وفاة تشاو كونغ ين.

كانت وفاة تشاو كونغ ين الفجائية في ظل الشمع وصوت الفأس لغزا يصعب فهمه لمدى طويل. قال بعض الناس إن وفاة إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين كانت بسبب الإفراط في شرب الخمر، كما قال البعض الآخر إن تشاو قوانغ يي قتل أخاه تشاو كوانغ ين من أجل الاستيلاء على العرش. ولكن على أي حال، ورث تشاو قوانغ يي العرش كأخيه الأصغر بعد وفاة إمبراطور سونغ الأول باسم الإمبراطور تاي من سونغ.

قام الإمبراطور تاي بحملة على تشيدان شمالًا في عام 979 بعد صعود العرش بنتيجة الهزيمة الفادحة. لم يعلم البلاط أن الإمبراطور تاي نفسه كان ميتًا أو حيًا بمناسبة هزيمة جيش سونغ، وكان بعض الناس يستعدون لتتويج ابن إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين تشاو ده تشاو كإمبراطور جديد. كان الإمبراطور تاي خائفًا للغاية بعد العودة فدفع تشاو ده تشاو إلى الانتحار لاحقًا. توفي ابن آخر من تشاو كونغ ين تشاو ده فانغ في ظروف غامضة وعمره 23 عامًا فقط بعد ذلك بعامين.

من الواضح أن تؤدي وفاة ولدي تشاو كوانغ يي والحادث السابق لظل الشمع وصوت الفأس إلى الشكوك حول الإمبراطور تاي تشاو قوانغ يي، حتى يكفي الشك لزعزعة شرعية حكمه. ومع ذلك قدّم تشاو بو مذكرة سرية في السنة السادسة بعد صعود تشاو قوانغ يي عرش الإمبراطور، فزال قلق تشاو قوانغ يي هذا. قال تشاو بو في المذكرة السرية إنّ الإمبراطورة الأم دو من سونغ (أي والدة تشاو كونغ ين وتشاو قوانغ يي وتشاو قوانغ مي) كانت مريضة بشكل خطير في عام 961 م وخدمها إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين وعادت الإمبراطورة الأم دو وهي على شفا الهلاك تشاو بو إلى القصر لتسجيل الكلمات الأخيرة لشرح خلافة العرش في المستقبل وتقنع إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين بنقل العرش إلى أخيه تشاو قوانغ يي بعد وفاته. كانت هذه الوصية تخفَى في الدولاب الذهبي وتسمى "معاهدة الدولاب الذهبي".

لا إجماع مع اختلاف الآراء حول أن كانت معاهدة الدولاب الذهبي حقيقة أو مزيفة. إذا كانت مزيفة فهناك سجل واضح في التاريخ. ولكن إذا كانت حقيقة فلماذا لم تُخرَج بعد وفاة إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين وهي مهمة جدًا؟ هذا أيضًا غير معقول.

كان من الواضح أن معاهدة الدولاب الذهبي لعبت دورَ إهداء الفحم في يوم مثلج بالنسبة إلى تشاو قوانغ يي تحت ظل أسرة سونغ في ذلك الوقت. كان نقل إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين العرش إلى شقيقه الأصغر تشاو قوانغ يي على كلام والدته فلم يتخلص تشاو قوانغ يي من الشكوك في قتل أخيه فحسب بل صعد عرش الإمبراطور بحجة معقولة أيضًا، لذلك كانت شرعية حكمه في صلابة الصخر.

كان ظل الشمع وصوت الفأس ومعاهدة الدولاب الذهبي لديهما جميع أنواع الشكوك لا يمكن تأكيدها ولا يمكن تزييفها، أضاف إليهما علماء التاريخ وتمرّدَ تشن تشياو وأُطلِق عليهم اسم "القضايا الثلاث الغامضة في عهد أسرة سونغ المبكرة".

صقل الرأي: "تأثير الفراشة" لسلالة سونغ

كان للغموض الحديث نظرية تسمى "تأثير الفراشة"، وصفها الحي هو: أصبح التيار الهوائي الضعيف بخفقان الفراشة في النصف الجنوبي من الكرة بجناحيها في بعض الأحيان زوبعةً في ولاية تكساس بعد غضون أسابيع! المبدأ هو أن الحالة الأولية للأمر مهمة للغاية، وغالبًا ما يؤدي الاختلاف الطفيف في الحالة الأولية إلى اختلاف كبير في عملية التطوير والنتائج. بالنسبة لعهد أسرة سونغ، يعدّ تمرّد تشن تشياو وتجريد السلطة العسكرية بالخمر من جناحي الفراشة المخفوقين، وقد أثبتا مبدأ أسرة سونغ في احترام الثقافة واستصغار القوة بوضوح وبشكل لا لبس فيه. أثّر هذا المبدأ بعمق على المصير الوطني لسلالة سونغ بأكملها. ارتبطت الإنجازات العظيمة لسلالة سونغ في الاقتصاد والثقافة بهذا المبدأ كما ارتبط ضعف أسرة سونغ في العلاقات الدبلوماسية أيضًا به.

أصبح إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين إمبراطورًا بدعم الجنود، لكن كانت الأولوية الأولى بعد صعود عرش الإمبراطور هي بذل قصارى جهده لكبح سلطة الجنرال العسكري. فضّلت سلالة سونغ الأدباء والحكّام بحيث يكون وضع الأديب دائمًا أعلى من الجنرال العسكري من أجل كبح الأخير. حدّد إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين نظام الأجداد: "لن يُقتل الوزراء والأحكام". هذه وصية سياسية مهمة للغاية. نفّذ الأباطرة بإخلاص النظام وأخذوا موقف التسامح النادر مع المثقف خلال أكثر من ثلاثمائة سنة من عهد أسرة سونغ. قال تشاو كوانغ ين ذات مرة لرئيس الوزراء تشاو بو فيما يتعلق بأسباب المعاملة التفضيلية للمثقف: "كانت الحكم العسكرية الانفصالية خلال عهد الأسر الخمس تضرّ الناس شديدة. لا يمكن لأسرتنا العظمى أن تمنح الجنرال العسكري مناصب هامة وعلينا استخدام المثقف. حتى لو كان المثقف فاسدًا فإن ضرره أقل من عُشر الجنرالات.

أولت أسرة سونغ اهتمامًا خاصًا للامتحان الإمبراطوري من أجل إظهار المعاملة التفضيلية للمثقف. كان على المثقف النجاحُ في امتحان وزارة شؤون الذاتية المدنية بعد أن يصبح مجازًا في الفحوص الإمبراطورية إذا أراد المنصب الرسمي خلال عهد أسرة تانغ، ولكن دخل المثقف الأوساط الرسمية على الفور بعد النجاح في الامتحان الإمبراطوري في عهد أسرة سونغ. بالإضافة إلى ذلك، قبلت أسرة تانغ المجازين لثلاثين أو أربعين شخص في السنة ولن يكون أكثر من مائة. وزاد عدد المجازين الذين تم قبولهم بشكل كبير بحلول عهد أسرة سونغ. قبلت سلالة سونغ المجاز بما يصل إلى 700 شخص في السنة الثانية من عهد تايبينغ شينغقو (977م). كان عدد المثقفين المقبولين أكثر وبالطبع عدد المتقدمين للامتحان أكثر. كان هناك ما يصل إلى

10260 متقدم للامتحان في السنة الثامنة من عهد تايبينغ شينغقو (983م)، وما يصل إلى 17300 متقدم للامتحان في السنة الثانية من عهد تشون هوا (991م).

إن أسرة سونغ كانت العصر الذهبي للمثقف، وكان الأمر الذي أصبح العالمُ الطالب المجلّى في الامتحان الإمبراطوري الأعلى فيه شيئًا رائعًا شريفا. غالبًا ما يترأس الإمبراطور امتحان المقابلة الملكية بنفسه والمجاز في الفحوص الإمبراطورية هو ابن الإمبراطور. إذا كان الترتيب في المقدمة يكون بإمكانه الترقية بسرعة في الأوساط الرسمية. لذلك كلما يظهر الطالب المجلّى الجديد بعد امتحان المقابلة الملكية يأتي الجميع من الموظفين إلى الجمهور للمشاهدة.

لم تخلق المعاملة التفضيلية للمثقف في أسرة سلالة جوًا اجتماعيًا من احترام الثقافة واستصغار القوة فحسب، بل خلقت أيضًا نظامًا ناضجًا للخدمة المدنية. سيطر الإمبراطور بقوة على السلطات العسكرية والمالية وحق التعيين في الحكومة المركزية، ثم استخدم الأدباء الذين قرأوا القصائد والكتب للتعامل مع شؤون إدارية محددة والقيام بحكم المنطقة المحلية بدلًا من الإمبراطور. من الواضح أن نظام الخدمة المدنية أكثر عدلًا ومعقولًا من السياسة الأرستقراطية السابقة وأكثر أمانًا من الوضع الانفصالي في عهد أواخر أسرة تانغ إلى الأسر الخمس. دائمًا يستولي الجنرالات أو المحظيات أو الوزراء الكبار على السلطة قبل عهد أسرة سونغ، لكن لم تكن هناك أحداث اغتصاب الجنرالات أو المحظيات أو الوزراء الكبار للسلطة بعد إنشاء أسرة سونغ. علاوة عن ذلك، تم جمع عدد كبير من المواهب (وخاصة الأطفال العاديين الممتازين) بنجاح في الحكومة من خلال الاختبارات الإمبراطورية واسعة النطاق لاختيار موظفي الخدمة المدنية. يمكن للأطفال العاديين الممتازين الدخول إلى الأوساط الرسمية من خلال الامتحان الإمبراطوري والمشاركة في إدارة الدولة، ويعادل ذلك فتح القناة لصعود المواهب الأساسية ولن يتسبَّب في تجميد الطبقة الاجتماعية وتصلّبها. كل هذه يجعل سياسة أسرة سلالة أكثر استقرارًا من السياسة السابقة واقتصاد المجتمع وثقافته أكثر ازدهارًا.

تتّفق دوائر التاريخ الحالي على أن اقتصاد وثقافة أسرة سونغ أكثر ازدهارًا من أسرة تانغ. استمر الاقتصاد في النمو وأظهر المجتمع بأسره وضعًا مزدهرًا في ظل أفكار الحكم المدني في السنوات الستين أو السبعين الأولى من تأسيس أسرة سونغ. تم تطوير الإنتاج الزراعي لعهد أسرة سونغ بشكل لافت للنظر، فتم استيراد من فيتنام الأرزِ مزدوج الموسم الذي نضج بسرعة في أوائل القرن الحادي عشر، كما قامت سلالة سونغ ببناء العديد من مشاريع

الحفاظ على المياه على نطاق واسع وتوسيع مساحة زراعة الأرز مما أدّى إلى الإكثار من إنتاج الأرز بشكل كبير. أصبحت تقنيات مثل زراعة الشاي والمنسوجات والورنيش وحرق البورسلين أكثر نضجًا وتم النشر على نطاق واسع في عهد أسرة سونغ. ظهرت البوصلة والبارود والطباعة المنقولة من الاختراعات الأربعة الشهيرة في الصين القديمة في عهد أسرة سونغ، فيمكن معرفة تقدّم التقنية أيام أسرة سونغ.

تمّ تطوير التجارة بشكل جيد في عهد أسرة سونغ، وظهرت النقابات التجارية كما ظهرت مدن تجارية كبيرة تجمع فيها أعداد كبيرة من الناس. لا تقتصر الأنشطة التجارية على المناطق المحلية فحسب بل تمتد أيضًا إلى البلدان الأجنبية. كانت منتجات الشاي والحرير في أسرة سونغ محبوبة للغاية من قبل دول مثل لياو وجين وشيا الغربية. لا تكفي الأموال التي اكتسبتها أسرة سونغ من مهن التصدير هذه لدفع "الجزية" لهذه البلدان فقط، بل تتمكن من شراء الخيول وغيرها من المواد في الشمال.

غيّر التطور السريع للاقتصاد التجاري نمط الإنتاج من الاكتفاء الذاتي مما أدى إلى ميل التحضر والتجارة في المجتمع بأسره. بالإضافة إلى ذلك، صعد عدد كبير من الأطفال المدنيين إلى الساحة السياسية مع تحسن نظام الاختبارات الإمبراطورية مما أدّى إلى ضعف التأثير السياسي للأرستقراطية الغنية بالتزايد فأصبحت مرتبة الأشراف الوراثية أقل أهمية في عهد أسرة سونغ. كانت فكرة المساواة متجذرة بعمق في قلوب الناس بفضل اهتمام المجتمع بأسره بالتنمية الثقافية والتجارية فبدأ السعيُ وراء الثقافة والفن الأنيقُ يحصل على اهتمام غير مسبوق. يمكن القول إن أكبر خصائص سلالتي سونغ هي أن اتخاذ المجتمع بأسره خطوة كبيرة نحو التسويق والتحضر والمدنيين بتوجيه أفكار الحكم المدني. حققت سلالتا سونغ نتائج رائعة في مجالات ثقافية مختلفة مثل الفلسفة والتاريخ والأدب والرسم والخط. قال المؤرخ الشهير السيد تشن ين كه: "لقد تطورت ثقافة الأمة الصينية على مدى آلاف السنين ووصلت ذروتها خلال سلالة سونغ".

بالطبع، تسببت السياسة الوطنية لسلالة سونغ باحترام الثقافة واستصغار القوة في عيوب واضحة والأكثر وضوحًا هو الضعف العسكري. فقد فصل إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين بين سلطة قيادة الجيش وسلطة توزيع الجيش في تصميم النظام بسبب خوفه الشديد من الجنرالات والجنود. جعلت هذه السياسة أنه "لا يعرف الجنرالُ الجنودَ ولا يعرف الجنودُ الجنرال"، فلا يمكن أن تشكّل علاقة وثيقة بمصير مشترك بين الجنرالات والجنود مما جنّب الاحتكاك الداخلي للقائد العسكري لشن التمرد وتخريب السلطة

السياسية. ومع ذلك، أدى هذا النوع من تصميم النظام أيضًا إلى انخفاض قوة القتال نسبيًا لجيش أسرة سونغ حيث اتخذ المزيد من المواقف الدفاعية في العمليات الخارجية ولم يكن لديه القوة العسكرية القوية لأخذ زمام المبادرة مثل أسرة هان وأسرة تانغ. كان الجيش يتمتع بقوة القتال المنخفضة فيتعين عليه تجنيد عدد كبير من القوات الذي يستهلك قدرًا كبيرًا من النفقات العسكرية. بالإضافة إلى ذلك، فإن المعاملة التفضيلية لأسرة سونغ من المثقف وليست فقط بمنح الموظف المدني راتبًا مرتفعًا نسبيًا، بل أيضًا شكّلت مسؤولية زائدة عن الحاجة. استهلك الكثير من المسؤولين الزائدين الكثير من الموارد المالية من أسرة سونغ. أدّت الزيادة في الجنود والمسؤولين في نهاية المطاف إلى انتقال الدولة من الغنى والقوة إلى الفقر والضعف. قال السيد تشيان مو في هذا الصدد: "حاولت أسرة سونغ كبح الجنود والجنرالات بقوة لكنها لم تتمكن من التخلي عنهم على الإطلاق. حاولت أسرة سونغ بجهد تحسين الحكم المدني ولكنها لم تستطع تعليم أو تدريب الموظف المدني، فلم تتمكّن من استخدام الجيش على الرغم من امتلاكه بعدده الصغير فبدأ العدد بالتزايد. ولا يستطيع الموظف المدني أن يقدّم المساهمات على الرغم من معاملته المفضلة للغاية. ونتيجة لذلك أصبح الموظف المدني في موقع عالٍ ومنحت أسرة سونغ السلطة الكبيرة له ولكنه يضر الأسرة، كان الموظف المدني يشبه الجندي المتكبر والقاسي في امتصاص دم الدولة فقط".

إصلاح أسرة سونغ

هناك تسعة أباطرة في أسرة سونغ الشمالية: إمبراطور سونغ الأول، الإمبراطور تاي، الإمبراطور تشن، الإمبراطور رن، الإمبراطور ينغ، الإمبراطور شن، الإمبراطور تشه، الإمبراطور هوي، الإمبراطور تشين. نفّذت سلالة سونغ الشمالية حركتين إصلاحيتين خلال الفترة الممتدة من الإمبراطور رن إلى الإمبراطور شن، وهما سياسة تشينغ لي الجديدة التي ترأسها فان تشونغيان وإصلاح شي نينغ برئاسة وانغ أنشي. كانت الصعوبات المالية لسلالة سونغ تؤدي إلى هذين الإصلاحين أساسًا والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمرضي "المسؤولين الزائدين عن الحاجة" و"الجنود الزائدين عن الحاجة" العُضالين في أسرة سونغ.

جمعت أسرة سونغ السلطة الإدارية والمالية والعسكرية في الحكومة المركزية من أجل منع انفصال أمراء الحرب بعد تأسيس إمبراطور سونغ الأول تشاو كوانغ ين الدولة، وفي نفس الوقت نفّذت سياسة احترام الثقافة واستصغار القوة فكانت تستخدم موظفي الخدمة المدنية لحكم البلاد وتحرس الضباط العسكريين في كل مكان. وسّعت أسرة سونغ نظام الاختبارات الإمبراطورية ومنحت المنصب الرسمي للأدباء في الامتحان مما أدّى إلى تضخّم البيروقراطية فظهر العديد من "المسؤولين الزائدين عن الحاجة". بالإضافة إلى ذلك، طبّقت أسرة سونغ "قانون تغيير الجنود الحارسين دوريا" من أجل منع استبداد القائد العسكري مما أجبرها على تعهّد عدد كبير من الجنود. أدت هذه الممارسة إلى أن امتلكت أسرة سونغ "الجنود الكثيرين بدون الفعالية"، وهناك عدد كبير من "الجنود الزائدين" في الجيش. استهلك "المسؤولون الزائدون" و"الجنود الزائدون" قدرًا كبيرًا من الموارد المالية الحكومية في عهد أسرة سونغ مما تسبب في العجز المالي لسلالة سونغ.

حاربت أسرة سونغ شيا الغربية أثناء حكم الإمبراطور رن. أصبحت الموارد المالية لأسرة سونغ أصعب حتى على وشك الانهيار إلى جانب الحرب. عند فتح شيا الغربية استخدم الإمبراطور رن فان تشونغيان وهان تشي اللذين حققا إنجازات عظيمة في إدارة الشمال الغربي. عيّن الإمبراطور رن فان تشونغيان وهان تشي وفو بي كرؤساء الوزراء الثلاثة بعد حل الأزمة الحدودية من شيا الغربية، وعاملهم معاملة حسنة خاصة بفتح مقصورة باسم تيانتشانغ بشكل خاص ويستدعيهم جالسين ويلقي الأقلام لهم الأمر الذي جعلهم يقدّمون المذكرة وجها لوجه ويبدين خطة الإصلاح لإثراء الوطن وتعزيز الدفاع.

قدّم فان تشونغيان والآخرون "الأمور العشرة" بعد انتهاء المقابلة الملكية يعرضون بالتفصيل آراء الإصلاح. كانت آراء الإصلاح لفان تشونغيان والآخرين تنقسم إلى ثلاثة أجزاء: توضيح الإدارة الرسمية وإثراء الوطن وتعزيز الدفاع وإنشاء آلية "الترقية والتنزيل" التي تسمح للحكيم بالترقية وللجاهل للانسحاب. كانت الفكرة الشاملة لهذه المجموعة من الإصلاحات أنه إذا أرادت الدولة الجيش القوي فيجب عليها أولًا إثراء الناس؛ وإذا رغبت في تنفيذ سياسة إثراء الناس فيجب أولًا توضيح الإدارة الرسمية؛ وإذا أرادت توضيح الإدارة الرسمية فعليها إنشاء آلية ترقية الحكيم وتنزيل الجاهل.

قبل الإمبراطور رن كل آراء فان تشونغيان للإصلاح وتم إطلاق سياسة تشينغ لي الجديدة. ومع ذلك تسببت إصلاحات فان تشونغيان في معارضة العديد من البيروقراطيين. هناك تقليد في التعامل الحسن مع الأدباء والحكّام لأسرة سونغ لمئات السنين كما يتمتع المسؤولون بالعديد من الامتيازات. أقال فان تشونغيان المسؤولين غير المؤهلين وطردهم من الفريق البيروقراطي ذي الأجور الجيدة أولًا وقبل كل شيء إذا روّج الإصلاح، والذي لم يحرّك جبن البيروقراطي فحسب بل حطّم أيضًا وظائف بعض الناس بشكل مباشر. بهذه الطريقة كيف لا أحد اعترض على الإصلاح؟

يُطلق على أحد الأحكام في سياسة تشينغ لي الجديدة اسم "اختيار رئيس المسؤولين"، في المناطق المختلفة ثم تحميلهم مسؤولية فحص البيروقراطيين أدناه. رأى فان تشونغيان المسؤولين غير أكفاء في الكتب الصفية فحذف أسماءهم بدون رحمة عند اختيار رؤساء المسؤولين المختلف.

قال فو بي قلقًا عند رؤية إقالة فان تشونغيان المسؤول الجاهل حازما إلى هذا الحد: "من السهل حذف اسمه بقلم، هل تعرف أنك تبكي كل عائلته".

أجاب فان تشونغيان: "هل يكون بكاء العائلة أفضل من بكاء الناس في كل المنطقة؟".

إن قرار فان تشونغيان الحازم بإقالة المسؤول الجاهل صالح جدًا للدولة ولكن يكون كارثيًا لبعض المسؤولين. كان المسؤولون هم المجموعة التي كسبت مصالح سلالة سونغ العظمى، وما أراد معظم المسؤولين الحرمان من امتيازهم فوشوا تحالف السياسة الجديدة واتهموا فان تشونغيان وهان تشي وفو يى وأويانغ شيو وغيرهم بأنهم "زمرة".

تمّ عزل فان تشونغيان من منصب رئيس الوزراء السياسي في السنة الخامسة من عهد تشينغ لي (1045م) تحت معارضة المجموعة البيروقراطية، وفي نفس اليوم تم عزل فو بو من منصب نائب رئيس الوزراء العسكري. وسرعان ما تمت إقالة هان تشي من منصب نائب رئيس الوزراء العسكري وتم عزل أويانغ شيو من منصب رئيس المسؤولين بخبى. فطُردت جميع الشخصيات الرئيسية التي ترأس الإصلاح من البلاط عند هذه النقطة، وفشلت سياسة تشينغ لي الجديدة المنفَّذة لعام واحد فقط.

لا تزال التناقضات الاجتماعية لأسرة سونغ قائمة بعد فشل سياسة تشينغ لي الجديدة، وأصبح ضم الأراضي أكثر خطورة وظلت خزانة أسرة سونغ خالية. لم يرض كثير من الناس بشدة عن حالة الفقر والضعف هذه وأصبحت الدعوة للإصلاح أقوى وأقوى. لهذا السبب، تبع إصلاح أوسع نطاقًا وأعمق أثرًا وأكثر جدلًا بعد إقالة فان تشونغيان من أكثر من 20 عامًا، وهذا هو إصلاح شي نينغ برئاسة وانغ أنشي. يمكن القول إن إصلاح شي نينغ هو استمرار وتعميق سياسة تشينغ لي الجديدة، فكانت أهداف الإصلاحيين متماثلة تمامًا من أجل إثراء الوطن وتعزيز الدفاع.

من المؤكد أن وانغ أنشي شخصية مستقلة وفذة في الساحة السياسية لسلالة سونغ الشمالية تتمتع بمثل عليا سامية وحياة بسيطة كما تكون معرفته وأخلاقه من الدرجة الأولى. كان يأكل فقط الطعام الأقرب إليه ويكسل جدًا للمس الطعام البعيد عند تحضير المأدبة. كان الآخر مبتهجا عندما نجح في الامتحانات الإمبراطورية، ولكن كان وانغ أنشي هادئًا للغاية بعد نجاحه في الاختبار الإمبراطوري. يقال إنه لم ينظر إلى نتائج الامتحانات الإمبراطورية عندما نشرها لأنه اتخذ نفسه شخصًا يحمل مسؤولية كبيرة منذ فترة طويلة فما الذي استغرقه الاختبار الإمبراطوري؟ كيف لم أستطع النجاح فيه؟ من المؤكد أنه حصل بسهولة على المركز الرابع كمجاز في الاختبار الإمبراطوري. فقد أراد الإمبراطور أن يتركه بجانبه بفضل نتائج الاختبار الإمبراطوري الجيدة، لكن أظهر وانغ أنشي شخصيته مرة أخرى برفض العمل الجميل بجانب الإمبراطور وتقدّم بطلب تعيينه في القاعدة التحتية. غالبًا ما اضطر المسؤولون في القاعدة التحتية إلى المشاركة في المأدبة لكن لن يشرب

وانغ أنشي حتى نقطة من الخمر. وتستخدم كل أفكاره في التحقيق والبحث. بالإضافة إلى ذلك درس وانغ أنشي الكتب والكلاسيكية القديمة وألّف كتابًا لإعادة تفسير الكلاسيكيات الكونفوشيوسية بأفكار جريئة.

ورث الإمبراطور شن عرش الإمبراطور في 1067 م. كان الإمبراطور البالغ من العمر 20 عامًا مفعما بالنشاط ويملك حلم إثراء الوطن وتعزيز الدفاع. فقد أُعجب باسم وانغ أنشي منذ فترة طويلة وبدأ في منحه المناصب الهامة وعيّن وانغ أنشي كرئيس الوزراء السياسي لتنفيذ إصلاح شامل بعد عامين.

قام وانغ أنشي بتنفيذ سلسلة من الإصلاحات لتصحيح الأوضاع المالية وتعزيز الدفاع الحدودي عندما وصل إلى السلطة وكان التاريخ يسميه "إصلاح وانغ أنشي". كذلك حدثت السلسلة من الإصلاحات خلال عهد شينينغ من أسرة سونغ الشمالية فتُعرف أيضًا باسم "إصلاح شينينغ".

إن مضمون إصلاح وانغ أنشي هو ثلاثة عناصر رئيسية، قام من منظور الإدارة المالية بتطبيق قانون النقل متزامنًا مع قانون ضبط السعر بالسوق وقانون المحاصيل الناشئة وقانون المحافظة على المياه والمزارع وقانون فرض الضرائب حسب جودة الأراضي الزراعية استجابة لمشكلة الفراغ المالي في عهد أسرة سونغ. عينت الحكومة رئيس النقل للسيطرة على الوضع الإنتاجي من المحليات واحتياجات الحكومة فاستحوذ على المحاصيل ونقلها موحدا من أجل تقليل نفقات الدولة وفقًا لمبدأ "نقل البضائع الثمينة إلى المناطق الفقيرة، وكسب الموارد النادرة في البعيد بالموارد الوافرة في القريب"، وهو قانون النقل مزامنًا.

كانت الحكومة تشتري السلعة عندما يكون سعرها منخفضًا بما لا يضر المزارع، ثم تبيعها عندما يرتفع السعر، بحيث يمكن لطريقة ضبط الأسعار بالوسائل الإدارية أن تستقر في السعر كما تمكن الدولة من الاستفادة منها. إنها قانون ضبط السعر بالسوق.

كانت الحكومة تقرض أموالًا للمزارعين بقصد الربح عندما تبدأ السنابل بالحمل والمؤونة بالنضوب كل عام ويبلغ معدل الفائدة حوالى 20 ٪، وسيتم تسديد الدين والفائدة بعد الحصاد في الصيف والخريف. لا يمكن لهذه السياسة اتخاذ إجراءات صارمة ضد استغلال الفلاحين من قبل مرابين فحسب بل تمكّن أيضًا من زيادة دخل خزانة الدولة. يسمى قانون المحاصيل الناشئة.

كانت الحكومة تشجِّع على استصلاح الأراضي وتبني مشاريع المحافظة على المياه. ويمكن للسكان المحليين جمع الأموال لبناء مشاريع الحفاظ على المياه وفقًا لمستويات مختلفة من الأغنياء والفقراء ويمكنهم أيضًا اقتراض الأموال من حكومات المدن والمحافظات لبناء مشاريع حفاظ المياه. أرسل وانغ أنشي أيضًا الأشخاص لإعادة قياس الأرض وفرض ضرائب وفقًا لجودة الأرض، وهو قانون فرض الضرائب حسب جودة الأراضي.

نظرًا لحقيقة أن جيش أسرة سونغ لم يكن عدد أفراده كبيرًا، فقد قام وانغ أنشي بتنفيذ قانون تجنيد الفلاح وقانون نزع السلاح وقانون رعاية خيول الحرب من قبل الفلاح وقانون الإشراف على صنع الأسلحة. إن مضمون قانون تجنيد الفلاح هو تجميع الفلاحين الريفيين واتخاذ العائلات العشر كباو واحد، فاختارت بالغا واحدا كجندي باو إذا كان هناك أكثر من رجلين للأسرة، فكان التدريب العسكري للفلاحين خلال موسم الفراغ من أجل تعزيز قوة الدفاع الوطني.

قام وانغ أنشي بتنفيذ قانون نزع السلاح مخافة أن يكثر الجنود الزائدون لأسرة سونغ، والذي ينص على تقاعد الجنود بعد بلوغهم سن الخمسين ويجري اختبارات مختلفة على الجنود في نفس الوقت، وسيتم تغيير الجيش المحظور غير المؤهل إلى الجيش المحلي وتغيير الجيش المحلي غير المؤهل إلى السكان المدنيين. استخدم هذه الطريقة لقطع الجنود الزائدين عن الحاجة.

كان قانون رعاية خيول الحرب من قبل الفلاح يغيِّر مرعي الخيول الخاص المستأجَر من الحكومة أصلًا إلى أهالي الأسر الزراعية. إذا قامت أسر الفلاح برعاية الخيول طواعية يمكن للحكومة إعفاء الأسرة من بعض الضرائب مما يوفر للدولة الكثير من تكاليف رعاية الخيول. يشير قانون الإشراف على صنع الأسلحة إلى الإشراف الصارم على صنعها وتحسين جودتها.

سنَّ وانغ أنشي قانون الاختبارات الجديدة وألغى مادة دراسة التآليف الكونفوشية عند إصلاح طريقة اختيار المواهب، في حين أن تستند امتحانات المجاز أساسًا إلى التآليف والتكتيكات، علاوة عن ذلك تتم إضافة كليات الحقوق وفنون الدفاع والطب وكليات أخرى للتدريب الموظفين المتخصصين. ويتم التدريس المستهدف وفقًا لأسس الطلاب المختلفة الثلاثة من المستويات العليا والمتوسطة والدنيا داخل أعلى جامعة وطنية، يعتبر ذلك نظام المستويات الثلاث.

أدّت إصلاحات وانغ أنشي إلى إثراء خزانة الحكومة ورفعت قوة الدفاع الوطني كما وجهت ضربة قوية للأرباح غير القانونية للأسر القوية مما غيّر حالة الفقر والضعف إلى حد ما لأسرة سونغ الشمالية. ومع ذلك، تركت الإصلاحات الأذى للناس في درجات مختلفة بسبب التعيين غير السليم وضعف التشغيل في التنفيذ الفعلي خلال تنفيذها.

كانت الدولة تعاني من الجفاف وتدفّق عدد كبير من المناكب النازحين إلى العاصمة كايفنغ في السنة السابعة من عهد شينينغ (1074م). شك الناس في أن إجراءات وانغ أنشي الإصلاحية أغضبت الآلهة في مواجهة الكوارث الطبيعية الكبرى. رسم المسؤول تشنغ شيا "صورة النازحين" بمأساة المناكب وقدّمها إلى الإمبراطور شن وطلب إلغاء القانون الجديد قائلًا: "ستبكى مجرّد رؤية المأساة وهناك حال بعض الأشخاص أسوأ. إذا قبلت جلالتكم كلامي ولم تمطر بعد عشرة أيام، تقتلني خارج بوابة شيوان دي لحكم جريمتي في خداع الإمبراطور".

بعد رؤية الإمبراطور شن "صورة النازحين" ومذكرة تشنغ شيا الدموية، شاهد الخريطة مرارًا وتكرارًا وتنهّد مرات" و"ما استطاع النوم ليلتها". في اليوم الثاني أمر الإمبراطور شن حكومة كايفنغ بقبول النازحين وتوزيع أغذية الإغاثة للمساعدة، وأيضًا وقف طلب ديون المزارعين بسبب قانون المحاصيل الناشئة وقانون رعاية خيول الحرب من قبل الفلاح في نفس الوقت، كما تمت إزالة قانون فرض الضرائب حسب جودة الأراضي وقانون تجنيد الفلاح. أصدر الإمبراطور شن "مرسوم فحص النفس" بالذات يطلب كلمات صريحة. ومن قبيل الصدفة كانت السماء تمطر بغزارة وتم تخفيف الجفاف بعد ثلاثة أيام. هنّأه المسؤول المساعد واغتنم الإمبراطور شن الفرصة ليريهم "صورة النازحين" والخطبة التي قدّمها تشنغ شيا، "سجد هؤلاء الوزراء للاعتذار مرة ثانية". تمّ إلغاء إجراءات الإصلاح لوانغ أنشي وكان عليه نفسه طلب الاستقالة بعد هذا الحادث.

عُيِّن وانغ أنشي رئيسًا للوزراء مرة أخرى في السنة الثامنة من شينينغ (1075م) ولكنه لم يتلقَّ المزيد من الدعم، بالإضافة إلى ذلك ظهر انقسام داخل الطائفة الإصلاحية فلم ينفَّذ الإصلاح باستمرار. توفي الابن الأكبر لوانغ أنشي وانغ بانغ بمرض في السنة التاسعة من شينينغ (1076م) فاستقال وانغ أنشي من رئيس الوزراء وعاش في جيانغنينغ (نانجينغ الآن) منذ ذلك الحين، وتم التخلي عن تدابير الإصلاح المختلفة في سلسلة متتالية.

هناك الكثير من الجدال منذ تنفيذ إصلاح وانغ أنشي بالنسبة إليه. لقد حقق هذا الإصلاح نجاحًا كبيرًا ولكن هناك أيضًا العديد من المشكلات. قال

عالم الثقافة الصينية الأمريكي فاي تشنغ تشنغ في كتاب "الصين: التقليد والتغيير" لشرح سبب فشل الإصلاح.

يعتبر وانغ أنشي مثل وانغ مانغ "اشتراكيًا" في التاريخ ويلقى مزيجا من الثناء واللوم، لكنه لا ينتبه لقضية المساواة الاجتماعية مثل وانغ مانغ. كان بعض الإصلاحات التي أجراها مثل فرض ضريبة أرضية على المستويات ودين تخفيض الفائدة وإعفاء الفلاح من الضريبة تتقدم على الصعيدين الاقتصادي والسياسي. وكانت التدابير الأخرى مثل سيطرة الحكومة على أسعار السلع ونظام تجنيد الفلاح تستخدم إجراءات الأجيال السابقة للمجرد. فتسببت إصلاحاته بشكل طبيعي في المعارضة الحازمة لكبار ملّاك الأراضي وكبار رجال الأعمال والمرابين الذين كسبوا المصالح الكثيرة. نظرًا لأن معظم البيروقراطيين ينتمون أيضًا إلى فئة الملّاكين يعارضون أيضًا إصلاح وانغ أنشي. وقف معظم السياسيين الأكاديميين مثل سيما قوانغ وأويانغ شيوى وسو دونغ بو وغيرهم إلى جانب المعارضين في ذلك الوقت، وظل المؤرخون الأرثوذكس يؤنبون وانغ أنشي بشدة.

ومع ذلك، فإن معارضة المسؤولين والعلماء لم تكن بسبب المصالح الطبقية، بل تعكس جمود الحكم للدولة البيروقراطية الأكثر عمقًا في ذلك الوقت. كان تصلّب النظام أيضًا يعتبر مشكلة شائعة في الأجيال اللاحقة. وفي الوقت نفسه أدت الإصلاحات إلى الفوضى والاختلالات داخل النظام القائم. لذلك، لا يزال إصلاح وانغ أنشي يثير صراع الزمرة الحاد ويصبح أكثر حدة في العقود التالية على الرغم من أنه لم يمس النظام الأساسي في ذلك الوقت وقد عكس الممارسة السابقة فقط. توفي الإمبراطور شن في 1085 فألغت طائفة دعم القديم القانون الجديد على الفور بعد كسب السلطة. لقد تغيرت القوى القديمة والقوى الجديدة فذهبت المصالح الاقتصادية والعسكرية الناشئة للقانون الجديد سُدًى في النزاع الزمري، وغمر كلا الزمرتين في كارثة سياسية أكبر في اللاحق.

يشير فشل إصلاح وانغ أنشي إلى حدٍّ فقدان أسرة سونغ العظمى قدرتها على التجديد الذاتي والترقية وإعادة البناء، ولم يبقَ سوى مصير الهلاك في انتظار هذه الأسرة.

القراءة الموسعة: الصراع بين القديم والجديد في عهد أسرة سونغ

احترمت أسرة سونغ الثقافة واستصغرت القوة وكان لدى معظم الأدباء خصائص الجدل.

شهدت أسرة سونغ جدلًا حادًا بين الزمرة الجديدة والزمرة القديمة في عملية إصلاح وانغ أنشي. كان ممثل الزمرة الجديدة وانغ أنشي بينما ممثل الزمرة القديمة هو سيما قوانغ.

يُعرف سيما قوانغ باسم "الكونفوشيوسي البحت" وكان مؤرخًا وسياسيًا مشهورًا في عهد أسرة سونغ الشمالية، وقد امتدحت أجيال المستقبل مقالاته الأخلاقية. كان فطنا منذ صغره يقدر على قراءة "التعليق من تسوه" عندما كان عمره سبع سنوات وفعل أمر "كسر الوعاء لإنقاذ الصديق" الذي تعرفه النساء والأطفال. يعد كل من سيما قوانغ ووانغ أنشي من النبلاء من الدرجة الأولى كعملاق بين السماء والأرض، فليس الخلاف بين الاثنين نزاعًا بين رجل شرير ورجل نبيل، بل هو جدال ناجم عن آراء سياسية مختلفة بين النبلاء. على سبيل المثال، فيما يتعلق بكيفية إثراء الدولة، كان وانغ أنشي يدعو إلى توسيع الموارد ويدعو سيما قوانغ إلى تقليص المصاريف؛ وأصدر وانغ أنشي "قانون المحاصيل الناشئة" وأعرب سيما قوانغ عن معارضته قائلًا إن الحكومة أقرضت الأموال لكسب الأرباح اعتمادا على السلطة وهو أمر أكثر ضررًا من إقراض المدني بقصد الأرباح. كان بينهما جدال حار بسبب وجهات نظر سياسية مختلفة.

بالإضافة إلى ذلك، جاء وانغ أنشي من الجنوب فكانت آراء إصلاحه تمثّل نشاطًا متطرفًا جديدًا للمثقف الجنوبي. الصين لها مساحة شاسعة وهناك اختلافات كبيرة بين الشمال والجنوب، وأفادت بعض تدابير الإصلاح التي وضعها وانغ أنشي الجنوبي وتضر بالشمالي. سيما قوانغ هو شمالي فكان حسّاسا بشكل خاص لبعض الادعاءات التي لا تفضي إلى الشمال في إصلاح وانغ أنشي. لذلك أصبح زعيمًا للزمرة القديمة يعارض إصلاح وانغ أنشي.

توفي الإمبراطور شن وصعد الإمبراطور تشه العرش في عام 1085. كان الإمبراطور تشه صغيرًا فوقعت السلطة في يد جدته الإمبراطورة الأم. استشارت الإمبراطورة الأم استراتيجية حكم البلاد من سيما قوانغ، واقترح سيما قوانغ "فتح طريق النصح بشكل شامل" وحثَّ على ألّا يضيف العبء للفلاحين الفقراء قائلًا إن قانون تجنيد الفلاح وقانون رعاية خيول الحرب من قبل الفلاح والغير "تضر الدولة والشعب بدون فائدة"، وطلب إلغاء السياسات الجديدة لوانغ أنشي في الأصل.

قبلت الإمبراطورة الأم مطالبة سيما قوانغ وأمرته بالعودة إلى الإدارة. ألغى سيما قوانغ بسرعة سياسات وانغ أنشي بعد تولي منصبه، لكنه توفي بعد عام واحد فقط من عودته إلى الإدارة.

كان كلّ من وانغ انشي وسيما قوانغ من النبلاء الصالحين ولا يزال الخلاف بين الاثنين يمثّل نزاعًا سياسيًا. ومع ذلك، لم يتوقف "النزاع الزمري" بين الزمرة الجديدة والزمرة القديمة بعدهما فحسب، بل أصبح أكثر وأكثر حدة حتى نزاع المشاعر الشخصية والشؤون الذاتية. وكان كلا الجانبين يناقش من حمرة الوجه إلى حقد أسود، وتم نسيان سبب الجدل في النهاية فأصبح صراعًا على الكفاح المنافس وعلى كسب السلطة. عملت كل زمرة على إبعاد منافستها في البلاط الإمبراطوري عندما تحصل على السلطة. نتيجة لذلك، سقطت سياسة أسرة سونغ في مستنقع رهيب من الصراع الزمري بعد إصلاح وانغ أنشي.

أمسكت الزمرة القديمة بزمام السلطة فطردت الزمرة الجديدة خلال فترة الإمبراطور تشه؛ عرّف تساي جينغ الزمرة القديمة بـ "زمرة يوانيو الغدارة" خلال عهد الإمبراطور هوي ونقش أيضًا أسماء سيما قوانغ وسو شي والغير على اللوحة الحجرية وهي "نصب الزمرة يوانيو". شعر الإمبراطور هوي بعدم الارتياح في وقت لاحق فقام بتدمير النصب الحجري. اعتقد أحفاد الزمرة القديمة أن تعريف أسلافهم بـ "زمرة غدارة" من قبل الوزير الغدار كان نوعًا من التمجيد بعد بضع سنوات، لذا قاموا بإعادة نحت النصب. وصلت سلالة سونغ الشمالية أيضًا نهايتها تحت تقلّب وجه الأرض. في عام 1127، احتل جيش الإمبراطورية جين عاصمة سلالة سونغ الشمالية بيانجينغ (الآن كايفنغ) واستولى على إمبراطور تشين والإمبراطور هوي، كما نهب المدينة بيان ليانغ المزدهرة وهلكت سلالة سونغ الشمالية.

صقل الرأي: الفرق بين الإصلاحيين في أسرة سونغ

هناك العديد من الاختلافات التي تستحق التأمل فيها بين الإصلاحيين من سلالة سونغ على الرغم من نفس الأهداف. وفيما يتعلق بتجربة قائد الإصلاح، قال السيد تشيان مو: "كان كل معارض لفان تشونغيان يسمّى الشرير في ذلك الوقت؛ وكان معظم المعارضين لوانغ أنشي يطلق عليهم اسم النبلاء في ذلك الوقت". حتى النبلاء الذين وافقوا على إصلاح فان تشونغيان في ذلك الوقت مثل هان تشي وفو بي وأويانغ شيو وإلخ عارضوا أيضًا وانغ أنشي.

لماذا يظهر مثل هذا التباين الكبير؟ هناك العديد من الأسباب ويتعلق بالناس من ناحية. بادئ ذي بدء، كان فان تشونغيان ووانغ انشي يختلفان في الأسلوب. يمكن القول إن فان تشونغيان الزعيم الروحي لعلماء أسرة سونغ، وقد حفزت الجملة الشهيرة "يقلق قبل قلق الشعب ويمرح بعد مرح الشعب"

التي كتبها عدد الأجيال المقبلة. كان فان تشونغيان نفسه يوصي بالمواهب بشدة وحظيت مقالاته الأخلاقية باحترام كبير. لهذا السبب، تقدير الأجيال القادمة فان تشونغيان ليس بسبب المزايا التي حقّقها في الإصلاح بل يعتمد على نُبْل الأخلاق والأسلوب التعليمي لتوصية المواهب. وليس وانغ أنشي كذلك، كان محاطًا بالأشرار عندما يرأس الإصلاح ويُستخدم أيضًا بالشرير على الرغم أن مقالته الأخلاقية ليس لها عيوب كبيرة. لم يعارض الأشخاص الذين عارضوا وانغ أنشي في ذلك الوقت مثل سيما قوانغ وسو شي وما إلى ذلك شخصيةَ وانغ أنشي بل عارضوا سياسته الراديكالية واستخدامه الشرير. بالإضافة إلى الأساليب المختلفة للإصلاحيين، كانت أمزجة الإمبراطورين الداعمين الإصلاح أيضًا تختلف بشكل كبير. كان الإمبراطور رن الذي دعم إصلاح فان تشونغيان شخصا لطيفا نسبيًا، ولا يصرّ على ذلك بمجرد معارضته بشدة؛ وكان الإمبراطور شن الذي دعم إصلاح وانغ أنشي شخصًا ديكتاتوريًا يصرّ على تنفيذ الإصلاح بحزم رغما من المعارضة بشدة.

بالإضافة إلى ذلك، تكون اختلافات دقيقة في محور الإصلاح بين سياسة تشينغ لي الجديدة وإصلاح شي نينغ. أولت "سياسة تشينغ لي الجديدة" لفان تشونغيان اهتمامًا خاصًا لتوضيح الإدارة الرسمية، بينما انصبّ تركيز إصلاح شي نينغ لوانغ أنشي على ازدهار البلاد. لذلك، قالت الأجيال اللاحقة إن فان تشونغيان كان كونفوشيوسًا ووانغ أنشي عالما يدعم العالم هان في (طائفة فا). تعلّق آراء فان تشونغيان السياسية أولًا أهمية على اختيار الحكماء ثم على تنفيذ حكم القانون؛ ويبدو أنّ وانغ أنشي لا يهتم إلا بتنفيذ سيادة القانون ولا يهتم بشخصية المنفّذ. ولهذا السبب كان يوجد عدد كبير من النبلاء حول فان تشونغيان، ويحيط وانغ أنشي نفسه بالأشرار.

كان سبب فشل إصلاح وانغ أنشي في النهاية لأنه لم يعلّق أهمية سوى على حكم القانون ويهمل شخصية المؤدي. إذا كنت تريد سياسة تحقيق نتائج جيدة فعليها أن تكون أفضل بحد ذاتها بل يهمّها أيضًا الأشخاص الذين ينفذون السياسة. إذا كانت هناك سياسة جيدة فقط ولم يختر المنفّذ المناسب فسيتم تشويهها ما يتسبّب في عيوب مختلفة. وفقًا للحالة السائدة في عهد أسرة سونغ، إذا لم يوضح الإدارة الرسمية فلن يكفيَ للنقاهة واستعادة القوى؛ وإذا لم يستعد القوى فلن يثري الوطن ويعزز الدفاع. كان إصلاح وانغ انشي يتجاهل مشاكل الناس من ناحية ويتمسّك بشغف لإثراء الوطن وتعزيز الدفاع من ناحية أخرى، مما تسبّب في أنواع مختلفة من استغلال الناس في عملية التنفيذ. نتيجة لذلك، تعرّض إصلاح وانغ أنشي لمعارضة الطبقة البيروقراطية بشدة في المستوى الأعلى وواجهه عيب قاتل في كسب المصالح مع الشعب

في المستوى السفلي، فإن الفشل النهائي للإصلاح أمر لا مفر منه في ظل الهجوم على الوجهين.

أسرة سونغ الجنوبية التي رضيت بسيادة جزئية

لم يحتل جيش إمبراطورية جين عاصمة سلالة سونغ الشمالية بيان جينغ لفترة طويلة بعد أن استولى عليها في 1127م، بل نهبها ثم انسحب. عندما انسحب قام بتتويج تشانغ بانغتشانغ كإمبراطور زائف.

كان تشانغ بانغتشانغ في الأصل مسؤول أسرة سونغ واستسلم إلى إمبراطورية جين بعد ذلك فحقد الناس عليه حتى العَظْم. ولم يستطع تشانغ بانغتشانغ الحكم على أرض أسرة سونغ القديمة بعد انسحاب جيش جين، وفي يأس كان قادرًا فقط على إصدار المرسوم تحت اسم الإمبراطورة الأم منغ لتتويج الأخ الأصغر للإمبراطور تشين الأمير كانغ تشاو قو، وكان يعتبر بالإمبراطور قاو فبدأت سلالة سونغ الجنوبية.

اعتدت إمبراطورية جين جنوبًا بشكل واسع مرة أخرى بحجة خلع تشانغ بانغتشانغ في السنة الثانية من صعود الإمبراطور قاو على العرش. فرَّ الإمبراطور قاو جنوبًا إلى الجزيرة ثم هرب من الجزيرة إلى القارب ولم يتم القبض عليه أبداً.

كان جيش جين بالفعل في وضع غير مؤات على التضاريس بعد أن اتبع إلى الجنوب. كان جنوب حوض نهر اليانغتسي يمتلئ بأنهار متقاطعة ولم يعد سهلًا على الفرسان الركوب فيه. التقى جيش جين بعاصفة فهزمه جيش سونغ عندما وصل تشجيانغ. في وقت لاحق تغلّب جنرال سلالة سونغ الشهير هان شيتشونغ على جيش جين في هوانغ تياندانغ. فلم يتمكن جيش جين من القتال مرة أخرى واضطر إلى الانسحاب. لذلك انتقل الإمبراطور قاو العاصمة إلى لينأن (هانغتشو الحالية) واستقر الوضع السياسي.

قاد جنرالات أسرة سونغ الجيش لاستعادة العديد من المواقع الاستراتيجية انتهاز فرصة تعب الجيش جين. كان أشهر الجنرالات هو يوه في الذي قاد جيش أسرة يوه للقتال ضد جندي جين ولم يهزم على الإطلاق تقريبًا. لقد ارتعدت فرائص جيش جين عند سماعه جيش أسرة يوه وأبدى تنهد "يسهل هز الجبل ويصعب هز جيش أسرة يوه".

قاد يوه في الجيش للمهاجمة شمالًا يصل يانتشنغ القريبة من بيانجينغ في عام 1140. هنا هزم جيش أسرة يوه بقيادة يوه في جيش جين الأهم لقائد وانيان ووتشو. كان وضع المهاجمة الشمالية لأسرة سونغ الجنوبية رائعًا في هذه المرحلة. كذلك كان يوه في طموحا أيضًا يلتقي مع أتباعه" عندما نهاجم عاصمة إمبراطورية جين نشرب على كيفنا!".

ولكن أمرت أسرة سونغ الجنوبية يوه في بالأوامر الـ 12 التالية تحثه على التراجع في هذا الوقت. اتضح أن الإمبراطور قاو لم ينو مطاردة جيش جين انتهاز النصر واستعادة الأرض المفقودة. ودعا إلى التماس "إمبراطورية جين" لضمان حكمه.

كان يوه في عاجزًا واضطر إلى التراجع. أيضًا قام الإمبراطور قاو ورئيس الوزراء تشين هوي بسجن يوه في بتهمة "غير موجودة" بعد التراجع والعودة إلى البلاط، وقتلاه في عشية رأس السنة الميلادية الجديدة (1142م).

كان يوه في الروح الرئيسية للفصيل الداعم للتحارب في أسرة سونغ الجنوبية، وتمّ احتقار جميع المسؤولين المدنيين والعسكريين تقريبًا الذين دعموا معاداة يوه في لإمبراطورية جين بعد مقتله، فسيطر "الفصيل الداعم للحل الرئيسي" من سلالة سونغ الجنوبية على الشؤون السياسية وذهبت جهود قضية المهاجمة الشمالية أدراج الرياح. وقّعت أسرة سونغ الجنوبية اتفاقًا مع إمبراطورية جين لتسليم كامل منطقة شمال الصين المحتلة من قبل جين في العام الذي قُتل فيه يوه في، ولم تحتفظ أسرة سونغ العظمى سوى وادي نهر اليانغتسى والمناطق الجنوبية من فوجيان وقوانغدونغ وأصبحت سلالة ترضى بسيادة جزئية.

تطوّرت دولتا سونغ وجين بشكل منفصل واستقرتا نسبيًا بعد الإمبراطور قاو. شنت جين عدة غزوات في الجنوب ولكن تم التخلي عنها في منتصف الطريق. أيضًا نفذت أسرة سونغ الجنوبية الحملة الشمالية خلال فترة الإمبراطور شياو ولم تحقق نتائج ملموسة.

لم تكن قوة الإمبراطورية جين جيدة كما كانت من قبل في القرن الثالث عشر، ولم تقدر على مهاجمة الجنوب، بل كان من الضروري أيضًا اتقاء الجيش المغولي الناشئ بتزايد من الشمال الغربي.

شهد التاريخ مشهدًا مشابهًا لافتًا للنظر في هذا الوقت. عندما واجهت أسرة سونغ الشمالية إمبراطورية لياو التي أسسها شعب تشيدان، سرعان ما نهبت قبيلة جورتشن المنطقة الشمالية الشرقية وأسّست الإمبراطورية جين. هاجمت أسرة سونغ الشمالية وجين بشكل مشترك إمبراطورية لياو في وقت لاحق. دمرت إمبراطورية جين إمبراطورية لياو في 1125 م بمساعدة أسرة سونغ الشمالية. ثم دمرت جين أسرة سونغ الشمالية في عام 1127. عندما واجهت أسرة سونغ الجنوبية إمبراطورية جين، نهض المغول بسرعة في الأراضي العشبية الشمالية. في عام 1206، وحّد تيموتشن القبائل المغولية فأطلق عليه لقب "جنكيز خان". هاجم إمبراطورية جين بقيادة الجيش مرارًا وتكرارًا مع ابنه وو كواتاي. في هذا الوقت تضافرت أسرة سونغ الجنوبية مع المغول للهجوم على إمبراطورية جين. يبدو أنه إعادة مشهد مهاجمة لياو من قبل أسرة سونغ الشمالية وإمبراطورية جين، ولكن الدور تغيّر قليلًا. تم الاستيلاء على إمبراطورية جين التي انهارت بقوات التحالف بين المغول وأسرة سونغ في 1234م.

بعد انهيار إمبراطورية جين، لم تحصل أسرة سونغ الجنوبية على السلام فحسب بل واجهت عدوًا أقوى - الجيش المغولي الذي واصل الغزو جنوبًا وهزمه جيش سونغ في 1235 م. ولكن الجيش المغولي لم يقبل أن يفشل بل غزا جنوبًا مرارًا وتكرارًا في وقت لاحق.

فاز قوبلاي بعرش خان في عام 1260. أعاد قوبلاي خان خطة القضاء على أسرة سونغ الجنوبية بعد الفوز بالعرش. قام الجيش المغولي بقطع سونغ عام 1267. غيّر قوبلاي اسم الدولة إلى "يوان العظمى" عام 1271، وفي العام التالي حدد العاصمة في دادو (بكين الآن) فتم تأسيس أسرة يوان رسميًا. في عام 1276، حاصر الجيش المغولي عاصمة سلالة سونغ الجنوبية مدينة لينان، فاستسلمت الإمبراطورة شيه آخذة الإمبراطور قونغ الذي كان عمره خمس سنوات فقط وسلمت الخاتم اليشمي الإمبراطوري.

لم يرغب بعض الوزراء القدامى في أسرة سونغ الجنوبية الاستسلام لسلالة يوان فشكّلوا بلاطًا في المنفَى وكانوا يصرّون على التوسط مع أسرة يوان. شن الجيش الأخير من سلالة سونغ الجنوبية وجيش سلالة يوان معركة حاسمة في ياشان (الآن مدينة نانيامن، قوانغدونغ) في 1279. هزم سونغ يونيو فحمل رئيس الوزراء لو شيوفو الإمبراطور تشاو بينغ البالغ من العمر ثماني

سنوات في البحر للموت. كان مشهد موت الوزير والإمبراطور في سبيل الدولة يعتبر النهاية المأساوية لسلالة سونغ العظمى.

يمكن القول إن انهيار أسرة سونغ نتيجة لتراجع ثقافة الزراعة في الصين بعد قمة الازدهار. كانت أسرة سونغ هي الأسرة الحاكمة ذات الاقتصاد الأكثر ازدهارًا والثقافة الأكثر ازدهارًا والفن الأكثر عمقًا والتكنولوجيا الأكثر تطورًا وأعلى مستوى المعيشة في التاريخ الصيني. وصلت سلالة سونغ إلى ارتفاع غير مسبوق في مجالات الملاحة وبناء السفن والطب والتكنولوجيا والزراعة. تشير التقديرات إلى أن الناتج المحلي الإجمالي لسلالة سلالة سونغ مثّل 50٪ من المجموع العالمي وكانت أول قوة اقتصادية في العالم. كان الاقتصاد السلعي لعهد أسرة سونغ يزدهر للغاية حتى ظهرت نبتة الرأسمالية في بعض الأماكن. ومع ذلك، فإن أسرة سونغ كانت تعاني من ضعف قاتل، أي أنها اتبعت دائمًا السياسة الوطنية المتمثلة في "احترام الثقافة واستصغار القوة"، مما أدى إلى ضعف القوة العسكرية وعدم القدرة على مقاومة قوميات البدو الرحل ببساطة.

كانت الشعوب البدوية مثل تشيدان وجورتشن ومنغوليا تصطاد على الخيول دائمًا وحياتهم اليومية تقريبًا في حالة حرب، لذا تمتعوا بأكثر شجاعة مقارنة بسلالة سونغ. غالبًا ما يُهزم نظام ذو اقتصاد مزدهر ومعيشة ثرية وحياة سليمة وقوة عسكرية ضعيفة بنظام قبيلي ذي ثقافة متخلفة وقوة عسكرية قوية. وتم تدمير الإمبراطورية الرومانية التي تمتعت باقتصاد مزدهر وثقافة متطورة بسبب الغزو البربري في الغرب، وكان ذلك الأمر كذلك في محاصرة أسرة سونغ وتدميرها من قِبل لياو وجين ويوان من نفس الحقيقة.

إذا كان شخص يريد أن يعيش حياة طويلة وصحية فمن الضروري الحفاظ على التشغيل المتناغم لمختلف الأعضاء في الطب الصيني التقليدي، "يجب التنشيط المتبادل بين المعدِن والخشب والماء والنار والتراب بدلًا من الحد المتبادل". هذا هو الحال بالنسبة لشخص واحد والشيء نفسه بالنسبة لبلد ما. لا يجب أن يقوم أي بلد بعمل جيد في الشؤون الداخلية فحسب بل عليه أيضًا القيام بعمل دبلوماسي جيد؛ ويجب أن يطور اقتصاده وثقافته فضلًا عن قوة الدفاع الوطني. لا غنى عن درجة الحضارة وقوة الاستعداد العسكري ولا يمكن المَيْل إلى أي أحد منهما. كان الدرس المستفاد من انهيار أسرة سونغ أن لا تملك الأسرة الحاكمة ذات الاقتصاد المزدهر والثقافة المزدهرة القوة العسكرية الكافية لحماية حضارتها.

كانت الأسرة الحاكمة التي تناقضت مع أسرة سونغ هي أسرة تشين، وكانت أسرة تشين تتمتّع بقوة قوية للغاية تشنّ حربًا جنوبًا وشمالًا وتستخدم

القوات بروح عدوانية، فحقّقت إنجازات عظيمة في الفتوحات ولكنها دمرت الشؤون الداخلية بحكم الدولة بعقوبة شديدة. أخيرًا، أثارت انتفاضة الفلاحين وانهارت السلالة أيضًا. كان العيب القاتل لدى أسرة تشين هو "قوي القوة وضعيف الثقافة للغاية"، بينما كان الزحار لأسرة سونغ هو "قوي الثقافة وضعيف القوة للغاية". كان مزاج السلالتين يختلفان ولم يتعاملا مع التوازن بين القوة والثقافة، كانت أسرة تشين تضعف الثقافة بالقوة، أما سلالة سونغ فأضعفت القوة بالثقافة.

القراءة الموسعة: الفلسفة المثالية الكونفوشية في أسرة سونغ - تطور جديد للكونفوشيوسية

كانت أسرة سونغ سلالة متطورة الثقافة للغاية فطوّر شعب سونغ الكونفوشيوسية إلى مرحلة جديدة - مرحلة الفلسفة المثالية في جانب الفلسفة.

كان الاتجاه السائد لدراسة الكونفوشيوسية في عهد أسرة سونغ هو استطلاع نظرية العِلَل والحياة فسّمته الأجيال اللاحقة باسم الفلسفة المثالية في أسرة سونغ. كانت الكونفوشيوسية في سلالة سونغ هي الفلسفة المثالية الكونفوشية، وهي عبارة عن مجموعة من الأيديولوجية التي طوّرها شعب سونغ بعد التعلّم من علوم البوذية والطاوية. تمّت تسمية شي جي وهو يو وسون فو في عهد أسرة سونغ الشمالية بالسادة الثلاثة للفلسفة المثالية الكونفوشية، ولكن الرواد الفعليون هم السادة الخمسة من سلالة سونغ الشمالية شاو يونغ وتشو دونيي وتشانغ تساي وتشنغ هاو وتشنغ يي. ومن بينهم اعتبر تشو دونيي المنشئ الحقيقي للفلسفة المثالية الكونفوشية في أسرة سونغ، فجمع بين أيديولوجية الطاوية المتمثلة في عدم الفعل وأيديولوجية الكونفوشيوسية المتمثلة في الوسط موضحًا المفاهيم الأساسية والأيديولوجية العلمية لها. ومع ذلك فلا بد أن يكون تشو شي متفوّقًا في الفلسفة المثالية الكونفوشية في أسرة سونغ.

عاش تشو شي من عهد الإمبراطور شياو إلى الإمبراطور نينغ لأسرة سونغ الجنوبية يرث نظرية تشنغ هاو وتشنغ يي ويستكمل إحياء الكونفوشيوسية. كان تشو شي يعدّ أستاذًا كونفوشيوسًا رائعًا بعد كونفوشيوس ومينسيوس في تاريخ الفكر الصيني. سُمِّيت أفكاره الأكاديمية بـ "نظرية الأستاذ تشو" فيما بعد.

يعتقد تشو شي أن هناك "منطقًا" معينًا في الكون، و"المنطق" هو شكل ومقياس أكثر اكتمالا للأشياء. كل شيء له منطق والمنطق الإجمالي هو

"تايجي". ويجب أن نبدأ من "التنقيب عن مبادئ الأشياء لاكتساب المعرفة" من أجل فهم "تايجي" والتعرف عليه، إذا نعرف منطق أكثر من شيء واحد فيمكننا التعرف على "تايجي" أكثر.

يتمتّع تشو شي بمعرفة عميقة وأساليب تحليل معقّدة، ولا يستطيع إعادة تفسير الكلاسيكيات الكونفوشيوسية من الفلسفة فحسب، بل يجيد ترويج تعليم الكونفوشيوسية بطريقة ملموسة وشعبية وحياتية. وكان أكبر تأثيره على الأجيال اللاحقة كتاب تفسيره لتبسيط وتعميم الكونفوشيوسية. وأعاد كتاب "ملاحظات الكتب الأربعة" المحرر به تفسير "رسالة العلم الكبير" و"كتاب الحوار" و"رسالة المحجة الوسطى" و"كتاب منفوشيوس" بفكر الفلسفة المثالية. أصبح هذا الكتاب في وقت لاحق الكتاب الرسمي للكونفوشيوسية يضرب تأثيره في أعماق الشعب. حتى اليوم، لا يزال كتاب "ملاحظات الكتب الأربعة" من تشو شي أهم مرجع لتعلّم الكونفوشيوسية.

بالإضافة إلى ذلك، قام تشو شي أيضًا بتحرير "ملاحظات الطقوس للصغير" وهو يهدف إلى تثقيف الشباب للالتزام بالمعايير الأخلاقية، وألّف "ملاحظات رسالة العلم الكبير" و"احتياجات الأطفال" ويطرح مجموعة من المعايير السلوكية الملموسة للغاية للأطفال تشتمل على الطعام واللباس والطعام والمواصلات والتكلم والقراءة والكتابة للأطفال. إن الفكرة الأساسية هي تعليم الأطفال كيفية "التهذيب" أي فهم "الاحترام" في الحياة والحفاظ على وحدة وتطهير الباطن والظاهر وعدم انغماسهم.

تعرّض تشو شي سيد الكونفوشيوسية الكبير في الأخلاق للقمع الشديد من قبل السلطات خلال حياته. تمّ تشويه مذهبه باعتباره "تعلُّمًا زائفًا" كما شُوِّه شخصه بالقول إنه احتلّ ثروة الصديق الراحل وهناك "علاقة غير شرعية" بينه وبين راهبة. ترك تشو شي العالم وحده تحت الضغط السياسي في 1200م. رُفع عنه الظُلم وأعاد البلاط سمعته بعد تسع سنوات، ولم تعد نظريته "تعلّمًا زائفًا" ولم يعد أتباعه "زمرة مزيّفة". أصدر الإمبراطور لي مرسوما لمنح تشو شي لقب الأستاذ الكبير والدوق الوطني شين ودعا إلى دراسة "ملاحظات الكتب الأربعة" في عام 1227. منذ ذلك الحين تغيّرت نظرية تشو شي من "التعلم الزائف" إلى النظرية الرسمية وأصبحت مدرسة بارزة، وقد اتخذت الأجيال اللاحقة حتى الامتحانات الإمبراطورية تفسير تشو شي للكلاسيكيات الكونفوشيوسية كإجابة قياسية.

صقل الرأي: نظام الممالك سونغ ولياو وجين وشيا الغربية

كان تاريخ السلالة الصينية التقليدي يتّخذ من أسرة سونغ السلالة الأرثوذكسية في الصين وتضع دولة لياو وجين وشيا الغربية خارج دائرة التاريخ الصيني، ولم يعد هذا النمط من السرد مقبولًا اليوم. من المؤكد أن أسرة سونغ هي الأسرة الأرثوذكسية في تناوب التاريخ ولكن أراضيها لا تغطي كل المساحة من سلالتي هان وتانغ. لم تشمل الأراضي الصينية لأسرتي هان وتانغ أراضي أسرة سونغ فحسب بل احتوت على أراضي لياو وجين وشيا الغربية. لذلك يمكننا القول إن الصين في عهد أسرة سونغ لم تكن دولة موحّدة بل هي نظام القوى الوطنية، أي أن أسرة سونغ ولياو وجين وشيا الغربية وغيرها من سلالات التعايش شكّلت معًا "الصين" في تلك الفترة.

كانت العلاقة بين لياو وجين وشيا الغربية وسلالة سونغ تختلف عن العلاقة بين شيونغنو والترك والأسرة الحاكمة الوسطى. والسبب هو أن شيونغنو والترك ليستا دولتين بالكامل في عهد أسرة هان وتانغ، وكان هدفهما الرئيسي هو نهب الثروة والسكان بغزو الحدود. أما دولة لياو وجين وشيا الغربية فمختلفة فقد أقامت جميعًا البلاد تحارب أسرة سونغ أو تتعايش معها، كان الهدف الرئيسي ليس نهب الأرض، بل طلبت من سونغ تقديم "جزية" وإعطاء الحرير والذهب والفضة لها. حتى أعادت بيع الحرير الذي أهدته أسرة سونغ للغرب من أجل الربح. ولهذا السبب، لم تستخدم أسرة سونغ الضربات العسكرية التقليدية كخيار أول للأعداء الشماليين بل كانت تشتري السلام بالمال، كما اشترت أيضًا خيولًا من هذه البلدان. تعاونت سونغ ولياو أيضًا في تجارة التوابل في وقت السلم حيث نقلت أسرة سونغ التوابل التي تم إنتاجها في جزر بحر الصين الجنوبي إلى إمبراطورية لياو ثم شحنتها إمبراطورية لياو إلى الغرب. ونتيجة لذلك زادت أسرة سونغ من حجم تجارة تصدير التوابل وحصلت إمبراطورية لياو أيضًا على ربح العبور لتجارة التوابل. بالتأكيد كانت هذه العلاقة تمثّل تعاونًا تجاريًا بين الدول يختلف تمامًا عن الطريقة التي استخدمتها سلالتي هان وتانغ الوسائل العسكرية لمحاربة القبائل البدوية مثل شيونغنو والترك.

إن كلًّا من لياو وشيا الغربية قد قبلتا الثقافة الصينية إلى حدٍّ كبير، ولا تتفقان مع سلالة شيونغنو والأتراك في عهدي هان وتانغ. كانت الحضارة حتى في بلدان شمالية داخلية (مثل لياو وشيا الغربية) تصل إلى مستوى عالٍ للغاية في ذلك الوقت على الرغم من وجود خلاف الأساليب بين الجنوب والشمال. كان السيف الفولاذي الذي أنتجته شيا الغربية حادًّا للغاية يتمتّع بالجودة الأفضل من سيف أسرة سونغ. أيضًا ورثت إمبراطورية لياو ثقافة أسرة تانغ بشكل جيد فامتدت مهاراتها الطبية والحساب بالفعل إلى صفوف الشعب ويماثل مستواها مستوى سونغ. علاوة على ذلك، فإن مثقفي لياو وشيا الغربية

درسوا الكلاسيكيات الكونفوشيوسية الصينية مثل علماء أسرة سونغ. ابتكر كلا البلدين كلماتهما الخاصة ولم يكن المستوى العام للتعليم منخفضًا. هذا يدل أيضًا على أن تعلّم نظام البدو الشمالي أيضًا الثقافة المتقدمة في السهول الوسطى خلال عهد أسرة سونغ أنهى التصيين تقريبًا.

صعود الإمبراطورية يوان وسقوطها

كانت منغوليا أمة قديمة وأسلافها من أبناء شعب شيوي تعود إلى أسرة مغولية مع شيانبي وتشيدان. تم توزيع المغول في الجزء الشمالي من داشينآنلينغ ومنطقة نهر أرجون يطلق عليهم التتار وتعرّضوا للترك خلال عهد أسرة سوي وتانغ. هاجمت أسرة تانغ الترك مرارًا وتكرارًا بعد النهوض فانتهز المغول الفرصة للتخلص من السيطرة التركية ولجأوا إلى أسرة تانغ. فانتقلوا غربًا ودخلوا الهضبة المغولية منذ ذلك الحين.

شكّل المغول العديد من القبائل على مرج شمال الصحراء الشمالية وغوبي. كانت هناك حروب مستمرة بين هذه القبائل من أجل نهب السكان والماشية والأرض. في النهاية وحّد بطل الأراضي العشبية القبائل المغولية وصعد عرش خان المغولي في 1206م وتم تكريمه باسم جنكيز خان.

شرعت الإمبراطورية المغولية بسرعة في طريق التوسع الخارجي بعد التوحيد. دمَّر الجيش المغولي إمبراطورية لياو الغربية في عام 1218؛ وهاجم جنكيز خان دولة خوارزم قائد الجيش بنفسه على حجة سرقة القافلة المغولية وقتلها في عام 1219. اجتاح الجيش المغولي مناطق شاسعة من آسيا الوسطى وآسيا الغربية وبلاد فارس والهند. قام الجيش المغولي بتدمير شيا الغربية أثناء رحلة العودة بعد المهاجمة شيا الغربية.

توفي جنكيز خان عشية الاستيلاء على شيا الغربية وصعد ابنه الثالث ووكوتاي عرش خان. وشن هجوما على دولة جين. قامت أسرة سونغ الجنوبية بخطأ استراتيجي كبير في هذا الوقت وتوصلت إلى اتفاق مع المغول: تم الهجوم المشترك على دولة جين وعادت الأرض الواقعة جنوب النهر الأصفر إلى سونغ والأراضي الواقعة شمال النهر الأصفر إلى منغوليا. كان قرار أسرة

سونغ الجنوبية بمثابة إدخال الذئب إلى الغرفة. أدرج الجيش المغولي على الفور أسرة سونغ الجنوبية في قائمة الفتح بعد تدمير دولة جين.

اتّخذ ووكوتاي قرار المهاجمة الغربية مرة أخرى في السنة الثانية من القضاء على دولة جين كمن يهاجم روسيا وبولندا والمجر اليوم. كان هجوم قوات الغازية الغربية المغولية شرسا كأنها تدخل بولندا والمجر اليوم وتهزم قوات التحالف البولندية والألمانية في جنوب بولندا بعد احتلال موسكو وكييف. ثم غزا الجيش المغولي بغداد وسوريا. بنى المغول أربعة خانات كبيرة في المناطق النائية من أوراسيا بعد سنوات من الحرب: دولة تشينتشا حكمت أوروبا الشرقية والجزء الأوروبي من روسيا وشمال القوقاز اليوم؛ ودولة تشاختاي حكمت المنطقة بين شمال جبال تيانشان وجنوبه وبين نهر آمو ونهر سير؛ دولة ووكوتاى والمنطقة الحاكمة في شينجيانغ وآسيا الوسطى اليوم؛ دولة ايلخانان والمنطقة الخاضعة للسيطرة في إيران والعراق اليوم. كانت الخانات الأربع الكبرى تمتد من أوروبا إلى آسيا وتتمتّع بمساحة شاسعة غير مسبوقة.

ورث حفيد جنكيز خان قوبلاي عرش الخان المغولي في عام 1260. وغيّر اسم البلد إلى "يوان العظمى" وحدد العاصمة في دادو (بكين الآن) فتأسست أسرة يوان رسميًا في 1271م. استولى جيش يوان على عاصمة أسرة سونغ الجنوبية لينآن في عام 1276. وطارد جيشَ سونغ الجنوبية والشعبَ الذين أصروا على مقاومة بعد ذلك بقوة هادلة، وهزم جيش سونغ في معركة ياشان عام 1279 للقضاء تمامًا على قوات المقاومة ووحد الصين.

شنَّ قوبلاي خان عدة حروب في آسيا بعد ذلك. أرسل قوات إلى اليابان في 1274 و1281 ولكن الأساطيل المغولية حطمها إعصار مفاجئ في البحر ففشلت عملية الاستيلاء على اليابان. وبالمثل حاول المغول مهاجمة فيتنام وميانمار وأماكن أخرى وفشلت العملية أيضًا بسبب الحرب البحرية السلبية. هذا يدل على أن الجيش المغولي المتغطرس والشجاع على الأرض فقد مصلحته عند مواجهة البحر ولم يتمكن من الاستمرار في تحقيق انتصارات.

كانت أراضي أسرة يوان غير مسبوقة فأصبحت مشكلات العرق والإثنية معقدة للغاية. ومع ذلك، فإن سياسة أسرة يوان في التعامل مع القضايا العرقية فظّة إلى حدٍّ ما: ينقسم الناس إلى أربعة مستويات وفقًا لترتيب الفتح. منغولي من الدرجة الأولى؛ والشخص المختلف من الدرجة الثانية، في إشارة إلى مجموعة من مختلف الأمم من آسيا الوسطى إلى أوروبا؛ وشخص من الدرجة الثالثة، وهو الصيني والجورتشني والتشيداني قبل

القضاء على أسرة سونغ الجنوبية؛ والجنوبي من الدرجة الرابعة، يشير إلى شعب أسرة سونغ الجنوبية المُحتلّة أخيًرا. كما نصت قوانين أسرة يوان بوضوح على أنه لم يُسمح للهان والجنوبي بالرد إذا ضرب المغولي والشخص المختلف بل عليهم اللجوء إلى الحكومة فقط. لم يتحمّل المجرم سوى بعض مصاريف الجنازة حتى لو قُتل الهان والجنوبي؛ لكن إذا قتلت الدرجة الرابعة الدرجة الأولى تكون المشكلة خطيرة، فلا يُقتل المجرم وحده فحسب بل يتم شمل عائلته وتعميم ممتلكاته.

ينص قانون أسرة يوان أيضًا على أنه لا يُسمح للصيني من الهان بالصيد وممارسة فنون القتال والتجمع للبيع والشراء والقرابين والسير في الليل. فيما يتعلق بتعيين المسؤولين فإن المناصب الرسمية للدوائر المهمة مثل جهة تشونغشو ومجلس الإمبراطورة وجهة المراقبة لا تُمنح سوى للشعب المغولي، وحتى المناصب المحلية الثانوية يتولّاها المغولي والشخص المختلف في الغالب. لم يستطع الهان والجنوبيي أن يتولّى المنصب ويكون فقط مسؤولًا يوميًا يخدم المغولي والشخص المختلف حتى ولو عُيِّن بمنصب.

كان المغولي يجيد الغزوات ويضعف في الحكم. حصل أبناء وأبطال جنكيز خان على قدر كبير من الأرض وتعادل الخانات الأربع الكبرى التي حكمها أبناؤه الأربعة أربع ممالك مستقلة. من الواضح أن هذا الهيكل الإداري سهل الانقسام ولا يفضي إلى التوحد. من المؤكد أنّ قوبلاي لم يتمكن من التعامل بنجاح مع العلاقة داخل الأسرة عندما حكم الدولة. أولًا رفضت تشينتشا الاعتراف بسيادة كوبلاي، ثم انفصل تشاختي، وكانت دولة ايلخانان مكتفية ذاتيًا بسبب العوائق الجغرافية على الرغم من أنها كانت مرتبطة اسميًا بقوبلاي خان. ونتيجة لذلك فإن موقف قوبلاي خان المغولي خان كان غير صحيح ولا يمكن أن يأمر مختلف قبائل الإمبراطورية المغولية، فكل ما يمكنه فعله هو أن يكون إمبراطور السهول الوسطى.

حقّقت أسرة يوان أيضًا بعض الإنجازات تحت حكم كوبلاي: علم كوبلاي خان نظرية الكونفوشيوسية لحكم البلاد وعيّن مجموعة من المسؤولين الهان وأصلح بعض الأنظمة المغولية المتخلفة واعتمد النظام السياسي لسلالة السهول الوسطى. مكنت تدابير التصيين هذه كوبلاي من الفوز بلقب الإمبراطور الحاكم وتخفيف التناقضات الطبقية والتناقضات العرقية إلى حدٍّ ما. من المؤسف تدهور حكم أسرة يوان بسرعة بعد وفاة كوبلاي. فشل البعض من الأباطرة بعده في معركة السلطة وتوفي البعض مبكرين واغتيل البعض وكان البعض غارقًا في المجون والفجور. أدّت غطرسة الحاكم إلى تسريع انهيار أسرة يوان، فكان الوضع السياسي مضطربًا وأصبحت التناقضات

العرقية والطبقية حادة بشكل متزايد واستمر شعب الهان في التمرد في أماكن مختلفة عندما وصل عهد الإمبراطور شون.

انهار المجرى الأدنى للنهر الأصفر في عام 1344، ما أدّى إلى إغراق مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية وتهجير العديد من المزارعين. لقد بذلت أسرة يوان جهودًا كبيرة للسيطرة على الفيضانات وجندت أسرة يوان 200 ألف شخص لبناء سد النهر حتى عام 1351 فحلت مشكلة فيضان النهر الأصفر. قاد زعيم كنيسة لوتس البيضاء الناشطة في منطقة جيانجواي هان شانتونغ انتفاضة فلاحية واسعة النطاق أثناء عملية حل مشكلة فيضانات النهر الأصفر. تجمع شيوي شوهوي وقوه تسى شينغ وتشن يو ليانغ وفانغ قوه تشن وتشانغ شيتشينغ وغيرهم من الأبطال في الانتفاضة في وقت لاحق.

انتهز تشو يوان تشانغ الفرصة للارتقاء وجمع الكثير من جنرالات وجنود أقوياء في جيش الانتفاضة المضاد لليوان. قضى على تشن يوليانغ وتشانغ شيتشينغ وفانغ قوه تشن وغيره من المتمردين في الجنوب، ثم توجه إلى المهاجمة الشمالية وهاجم القوة الرئيسية لجيش يوان. فقد الجيش المغولي شجاعته بالفعل في هذا الوقت.

أصبح تشو يوان تشانغ الإمبراطور في ينغتيان (نانجينغ الآن) في عام 1368 وأسس أسرة مينغ بعد هزمه للقوة الرئيسية لجيش يوان، فانتهى حكم أسرة يوان في السهول الوسطى. أرسل تشو يوان تشانغ جيشًا كبيرًا لمطاردة جيش يوان الذي هرب شمالًا في وقت لاحق واستولى على عاصمة أسرة يوان دادو. فأسرع الإمبراطور شون إلى الشمال بالفرار وحافظ على نظام في شمال الصحراء الشمالية وغوبي والذي كان معروفًا باسم "يوان الشمالية". كان نظام يوان الشمالي قد هلك بحلول عام 1399. اختفت أسرة يوان الممتدة من القارة الأوروبية إلى الآسيوية التي أنشأها المغول حتى ذلك الوقت.

لقد ارتفع النظام المغولي سريعًا في التاريخ وانخفض سريعًا بعد تأسيس أسرة يوان. كانت العملية برمتها مثل الجيش المغولي الذي يهرع وينهب ثم يغادر بسرعة. خلقت الأمة المغولية إمبراطورية عظيمة ممتدة من أوروبا إلى آسيا عن طريق السباق والخيول، كان مثل هذا الفتح الدموي كارثة هائلة على بلدان شيا الغربية وجين وسونغ ودول آسيا الوسطى. أدّى تدمير الشعب المغولي سونغ وإنشاء يوان أيضًا إلى تراجع في الاقتصاد والثقافة بقدر ما يتعلق الأمر بالتاريخ الصيني. جعل تأسيس أسرة يوان الصين تتوحَّد لأول مرة بالكامل من قبل شعوب الشمال البدوية وكانت الحضارة الصينية محبطة تمامًا بغزو الأقليات العرقية لأول مرة. تركت المسألة التأثير النفسي

الهائل على الشعب الصيني. يمكن القول إن النظام الإمبراطوري في الصين بدأ في الانخفاض منذ عهد أسرة يوان، وفقد التطور الإيديولوجي والثقافي الصيني أيضًا الجو الموسع الحي والمتقدم خلال عهد أسرة هان وتانغ.

لكن المؤرخ البريطاني الشهير توينبي رأى الأهمية الإيجابية لإنشاء إمبراطورية يوان من قبل المغول من منظور التبادلات الحضارية ما يشير إلى أن الإمبراطورة المغولية جعلت العديد من الحضارات الإقليمية على اتصال مع بعضها البعض. وقال إن البعثة التي تذهب وتعود في السهل الأوراسي المنتظم كان لها الدور الثقافي أكثر أهمية من الإنجازات السياسية. استخدم المغول القوة القوية لفتح القناة الأوراسية، وأصبح طريق الفتح في زمن الحرب طريقًا تجاريًا خلال فترة السلام. جاء الفرس والعرب واليهود إلى الصين باستمرار على طول هذا الطريق، وفي الواقع أنه "جعل العديد من الحضارات الإقليمية تتصل سريعة مع بعضها البعض".

القراءة الموسعة: إمبراطور لوبان الإمبراطور شون

كان الإمبراطور شون آخر إمبراطور لعصر أسرة يوان وكان ذكيًا للغاية يتلقى تعليم علم الصينيات الجيد ويجيد فن الخط أيضًا. إنه لأمر مؤسف أن الإمبراطور شون لم يستخدم ذكائه لحكم البلاد بل لدراسة النجارة والهندسة المعمارية. وفقًا للسجلات التاريخية فقد صمّم قارب تنين كبير بطول 120 قدم وعرض 20 قدم. كان القارب الكبير الفاخر يشبه التنين الحقيقي بحيث تتحرّك العين والفم والمخالب والشعيرات عندما يسير في الماء وتوجد أماكن لتناول الطعام وأماكن للعب وأماكن لعقد اجتماعات فوق قارب التنين، وهناك تصميمات مختلفة في أماكن مختلفة؛ كان المسؤول المدني والعسكري أيضًا يمتلك غرفًا مختلفة على متن القارب هذا، وتحتوي الغرف المختلفة على أثاثات مختلفة، يمكن الوصف بأنه مصمّم بشكل رائع جميل. حتى الملابس التي يرتديها البحارة على متن قارب التنين تمّ تصميمها من قبل الإمبراطور شون بعناية، "هناك أربعة وعشرون بحار على المتن يرتدون القميص الأرجواني والحزام الذهبي والوشاح ويحملون الزانة على جانبي القارب".

تنعكس موهبة الإمبراطور شون بشكل واضح في تصميم قارب التنين فأعطاه الناس العاديون لقب إمبراطور لوبان. كان لوبان مؤسس النجارة ومرادفًا لعامل ماهر وصانعًا مبدعًا. يقال إن الإمبراطور شون كان فخورًا للغاية لسماع أن الناس يطلقون عليه ذلك.

بالإضافة إلى ذلك، اخترع الإمبراطور شون أيضًا نوعًا من الساعة، أي ساعة دقاقة أصلية. كانت هذه الساعة تدقُّ في وقت محدّد كل يوم ويرقص

فينيكس الأسد عليها مع الدقات.

كانت الساعة التي اختبرها الإمبراطور شون قد قدَّمت لإمبراطور مينغ الأول تشو يوان تشانغ كغنيمة عندما استولى جيش مينغ على دادو. قال تشو يوان تشانغ بعد رؤيتها: "كان يهتم بذلك ويهمل الشؤون الوطنية، فأدى إلى الضارة دون المنفعة.

أمر تشو يوان تشانغ بتحطيم الساعة بعد سماع القول.

صقل الرأي: مصير إمبراطورية المرج والفاتحين

عادةً ما تدرج كتب التاريخ الصينية سلالة يوان كواحدة من سلالات الصين وتعتبر الإمبراطورية المغولية التي أنشأها جنكيز خان أيضًا نظامًا سياسيًا للصين. في هذا الصدد، يحمل المؤرخ شيوي تشوه يون وجهات نظر مختلفة حيث قال: "لا يمكننا اتباع العادات القديمة وتبسيط عصر الغزو الأجنبي. في الواقع لا تسيطر الإمبراطورية المغولية على الصين فقط بل يجب أن تكون تشويهًا لتاريخ السلالة الصينية. والسبب هو أن الإمبراطورية الضخمة التي أنشأها جنكيز خان تمتد من شمال شرقي آسيا شرقًا إلى آسيا الوسطى والشرق الأوسط غربًا وتصل إلى شبه الجزيرة الهندية جنوبًا. تمّت توصية الخان المغولي بالعديد من الخانات، وامتلك أبناء جنكيز خان الأربعة الأراضي الخاصة والتي تعرف باسم الخانات الأربع العظمى. كان الابن الاصغر يدير الصين والنصف الشرقي للسهوب المغولية. فكانت الصين لا تمثّل إلا خُمس الإمبراطورية المغولية ولا تزال جزءًا صغيرًا في مثل هذه المجموعة الكبيرة من التعايش المتعدد، على الرغم من أن الصين قد غزتها منغوليا.

أسس كوبلاي خان سلالة يوان وحكم الجزء الصيني في وقت لاحق وهذا بمثابة نمط قائم بذاته، ويمكن أن يطلق على الأراضي تحت حكمه اسمُ "الصين". لكن قد انتخبت الإمبراطورية المغولية خان مرارًا وتكرارًا ولم يتلقَّ كوبلاي الدعم الجماعي من الخانات الأخرى، فنصَّب نفسه خانًا بالذات يتميّز بالشهرة الفضفاضة. علينا أن نميّز معاملة الإمبراطورية المغولية الكبرى التي تمّ إنشاؤها خلال فترة جنكيز خان وأسرة يوان التي أنشأها كوبلاي خان، لأن معظم المناطق التي غزاها جنكيز خان ليست داخل الصين. يجب أن يكون الموقف العقلاني: لا يمكن للصيني أن يستولي على المنطقة الشاسعة التي غزاها جنكيز خان، ولا يتعيّن عليه اتخاذ أسرة يوان التي أنشأها كوبلاي خان كتاريخ خارج الصين.

كانت السلالة المغولية سلالة فاتحة بشكل عام، فقد تسببت في العديد من الكوارث في عملية الفتح ولم تغيّر الهيكل الاجتماعي للصين فحسب بل أيضًا النمط السياسي والثقافي للعالم إلى حدٍّ ما. ولكن لم تشكّل الإمبراطورية المغولية نظام دولة موحد ومستقر في عملية استخدام العنف لغزو أوراسيا. تفككت الإمبراطورية المغولية تدريجيًا بعد جنكيز خان خاصة بعد كوبلاي خان. من بينها تحولت سيادة تشينتشا تدريجيًا واستقلّت روسيا من تشينتشا. أما دول تشاختاي وووكواتاي وإيلخانان فأصبحت الإمبراطورية التيمورية والإمبراطورية المغولية (Mughal Empire) بعد تطور طويل المدى.

شهدت مختلف خانات الإمبراطورية المغولية العظمى عملية توطين في تطورها وتم تذويبها من قبل ثقافة المنطقة الحاكمة في نهاية المطاف. تم أخيرًا تحويل تشينتشا روسيا وتمّت تحويل الغالبية العظمى من تشاختاي ووكوتاى وإيلخانان إسلاميًا وقد تمّ تصيين أسرة يوان التي أسسها كوبلاي خان. تم تذويب أحفاد الإمبراطورية المغولية التي غزت أوروبا وآسيا بالسيف والخيل ودمجوا في الأمم المختلفة على القارة الأوراسية الشاسعة في نهاية المطاف، وغيروا أسلوب الحياة واللغات والإيمان حتى قد نسي البعض التاريخَ القديمَ الذي قد كان أسلافهم فيه من مغول.

الفصل الخامس

من الإمبراطورية إلى الجمهورية

أسرة مينغ الملكية وأسرة شينغ الملكية

وجمهورية الصين

"الإمبراطور الكثير الشكوك والوساوس"

تشو يوان تشانغ

توفي تشو يوان تشانغ مؤسس أسرة مينغ في عام 1398 بعد استيلائه على العرش لمدة 31 عام كامل. قبل موته، قال في وصيته: "لقد مرّ واحد وثلاثون عامًا منذ تلقيت مشيئة الله، قلقت من الخطر وعملت بجد واجتهاد يوميًا، ساهمت في خير الناس. لكن جئت من النسب الفقير، ولم أكن أعلم كثيرًا مثل القدماء، ولا أستطيع أن أضاهيهم". قال إنه عمل بجدّ من أجل البلاد لمدى الحياة، ولكن على كل حال، لم تكن لديه ثقافة كثيرة، فهو أسوأ بكثير من القدماء. ينبغي أن نقول إنّ تشو يوان تشانغ لا يزال شخصًا يعرف ذاته، وتقييمه لنفسه مناسب جدًا.

كان تشو يوان تشانغ مؤسس أسرة مينغ الملكية قد وُلد في درك المجتمع الأسفل، والمستوى الثقافي له منخفض، لقد رعى البقر لملّاك الأراضي وكان راهبًا ويعيش اعتمادًا على التسوّل من أجل لقمة العيش في صغره، وكانت حياته صعبة للغاية. بعد أن أصبح إمبراطورًا، كان معروفًا بطبيعته الانعزالية والصارمة، وكان يشكّ في وزرائه، قتل الناس بلا رحمة، يمكن القول إنه قاس لا يرحم. لا يثق بأحد، وهدف بكل جهوده إلى السيطرة على السلطة في يديه، إنه "الإمبراطور الكثير الشكوك والوساوس" الشهير (كلمة تشيان مو).

قتل تشو يوان تشانغ كبير الوزراء (هو وي يونغ) بجريمة "احتكار السلطة وتشويه القانون" في عام 1380، وأصدر إلغاء نظام كبير الوزراء: "ممنوع للملوك اللاحقين مناقشة وإعداد منصب كبير الوزراء، سيتلقى الوزير الذي يقترح على إعداد ذلك المنصب عقوبة الإعدام". منذ ذلك الحين، تم إلغاء

نظام كبير الوزراء الذي يساعد الإمبراطور في معالجة الشؤون السياسية منذ إقامته في أسرة تشن الملكية.

بعد إلغاء نظام كبير الوزراء، حلل تشو يوان تشانغ السلطة التي كانت في الأصل تابعة لتشونغ شو تشنغ (الأمانة المركزية) إلى ستة مجالس، ثم أنشأ منصب "الأمين الكبير"، وشكلت مجموعة من الأمناء مجلس الوزراء التابع للإمبراطور، وصاغ المرسوم والتعليمات الإمبراطوري بديلا للإمبراطور، كما عالج الوثائق الرسمية اليومية لمساعدة الإمبراطور في التعامل مع الشؤون الحكومية. لم يكن لدى الوزراء الكبار في البداية قوة حقيقية بأيديهم ولم يتمكنوا من التصرف إلا بناءً على أمر الإمبراطور. لكن بدأت قوة الوزراء الكبار أقوى فأقوى بعد النمو، في فترة تشانغ جيوي تشنغ، كان الوزير الكبير الرئيسي قد استولى على حق رئيس الوزراء.

بالإضافة إلى إلغاء رئيس الوزراء، هناك أمر سيئ آخر سيئ بدأ من تشو يوان تشانغ، ألا وهو "ضرب الوزير في البلاط (المحكمة)" - ضرب الوزير علنًا في البلاط باستخدام شريط الخيزران أو مثل هذا، هذا ينتهك بشكل خطير القول القديم بأن "لا تُنفّذ العقوبة على الأدباء والحكام"، فهذا الأمر هو إهانة خطيرة لشخصية الأدباء والحكام، بل هو أيضًا الدوس الفظّ للروح الأدبية.

أدرك الإمبراطور الأول لسلالة سونغ الحاكمة (تشاو كوانغ ين) أن العسكريين كانوا مغرورين للغاية بعد منتصف أسرة تانغ الحاكمة، لذلك نفّذ السياسة الوطنية "تشجيع الأدباء وشلّ العسكريين" في سلالة سونغ الحاكمة، وعامل الأدباء والحكام بصفة تفضيلية. بعد ثلاثمائة عام من تراكم الأدباء والحكام في عهد أسرة سونغ، شكّلت ثقافة احترام الأدباء والدعوة إلى الروح الأدبية في الصين، كما شكّلت تقاليد سياسية أدبية تتمثل في أن الأدباء والحكام شجعان في تحمّل المسؤولية وساعدوا الإمبراطور في حكم البلد. لكن بعد أن أسّس تشو يوان تشانغ سلالة مينغ الحاكمة، لم يثق بالأبطال الذين كافحوا معه للحصول على العرش، ولم يثق في الأدباء والحكام العليمين، بل اعتقد أن كلاهما سيشكل تهديدًا لسلطة الإمبراطور. فبدأ قتلهم بلا رحمة واختلق القضايا الظالمة وقتل الأبطال من جهة، ومن جهة أخرى قام بإهانة وتدمير الأدباء والحكام من خلال طريقة "ضرب الوزير في البلاط"، مما أجبرهم على الاستسلام الكامل لسلطة الإمبراطور، فقط خدموا الإمبراطور، لا يضايقونه أبدًا. جميع أفكار تشو يوان تشانغ وممارساته يتم النظر إليها من ديكتاتورية الإمبراطور، بغض النظر عن التطور المتوازن والصحي للمجتمع بأسره، في الواقعي إنه ممارسة وضع الأنانية على الدولة.

إلى جانب ذلك، أسس تشو يوان تشانغ أيضًا الخدمة السرية (جين يي وي) من أجل تعزيز مركزية الإمبراطور. خدم جين يي وي الإمبراطور مباشرة، وجمع معلومات استخبارية للإمبراطور، وراقب واعتقل الوزير للإمبراطور. تمتّع جين يي وي بالامتيازات، يمكن القبض على أي شخص، بما في ذلك أقرباء العائلة المالكة، ويمكنه إعدام الشخص المعتقل دون محاكمة علنية. يُطلق على السجن الذي أنشأه جين يي وي اسم "السجن الخاص"، هو السجن الذي وافق عليه الإمبراطور خصيصًا. تم تنفيذ "قضية هو وي يونغ" و"قضية لان يو" التي اختلقهما تشو يوان تشانغ من أجل قتل الأبطال من خلال جين يي وي. في قضية هو وي يونغ، قُتل أكثر من 20 موظفًا حكوميًا كبيرًا وكل أفراد عشيرتهم، أيضًا قتل أكثر من 30 ألف من خلال التورط المستمر. وفي قضية لان يو، قتل أكثر من 15 ألف شخص بسبب التأثير والتورط. بعد تطهير تشوان يوان تشانغ المتعمد، تمّ القضاء على كافة الآباء المؤسسين لسلالة مينغ الملكية تقريبًا.

أقلق الحكمُ الإرهابي الجميعَ في أوائل سلالة مينغ. حضر الموظفون الحكوميون اجتماع البلاط كل يوم، ولا يعرفون ما إذا كان بالإمكان العودة إلى المنزل بأمان، نتيجة ذلك، قالوا وداعًا والوصية للزوجات قبل الخروج. لذلك، انتقد الباحث (تشاو يي) في أسرة تشينغ أن مدى قسوة تشو يوان تشان غير مسبوق.

بالطبع، في نفس الوقت الذي قتل فيه الأبطال، كره تشو يوان تشانغ أيضًا فساد المسؤولين الحكوميين، وكانت شدة معاقبة المسؤولين الفاسدين غير مسبوقة أيضًا. ونص على "قطع رأسه وسد جسمه بالقش" لو اختلس أكثر من 60 ليانغ فضة (قديمًا، وحدة قياس للفضة) - إن قتل المسؤولين الفاسدين لا يخفف حقد تشو يوان تشانغ، بل قشر جلودهم وسدّ القش في أجسامهم، هو اتخذ هذا الأسلوب المرعب لتحذير الموظفين الحكوميين من أن لا يكونوا فاسدين. وفقًا للإحصاءات، في عهد هونغ وو الذي حكمه تشو يوان تشانغ، كان هناك الآلاف من حالات البيروقراطيين الفاسدين الكبار والصغار الذين عانوا من قطع الرأس وتعليقه أو التمزيق والتقطيع أو تطهير العشيرة، وكان عدد المسؤولين الذين قطعت رؤوسهم أكثر من 10 آلاف. في ظل العقوبة الشديدة التي فرضها تشو يوان تشانغ، كانت الإدارة الرسمية في أسرة مينغ المبكرة صافية نسبيًا، وتم تخفيف اضطهاد الشعب إلى حد كبير.

كان تشو يوان تشانغ يتعاطف مع الناس أيضًا، وينفّذ سياسة ضريبية خفيفة السخرة وقليلة الضرائب، ويشجع على استصلاح الأراضي وإقامة منشآت الري. وقد عززت هذه التدابير تطوير الزراعة في عهد أسرة مينغ

ولعبت دورًا مهمًا في الحفاظ على الاستقرار الطويل الأجل لسلالة مينغ الملكية.

علّق تشو يوان تشانغ أيضًا أهمية كبيرة على التعليم الثقافي، فأنشأ مدارس بجهود وأكمل مجموعة التعليم من المركزية إلى المحلية - نظام الامتحانات الإمبريالية. ومع ذلك، واجهت الامتحانات الإمبراطورية لأسرة مينغ مشاكلها، أي اعتبرت الكلاسيكيات الكونفوشيوسية (خاصة "أربعة كتب من الكونفوشيوسية") التي فسرها (تشو شي) كأساس للامتحان. في عقيدة الكونفوشيوسية، كان هناك تقليد ينصح وينتقد الأدباءُ والحكام الإمبراطورَ، لكن تشو يوان تشانغ كره هذه النقطة، فحذف هذا الجزء من الكلاسيكيات الكونفوشيوسية، وحتى أن بعض الفصول في كتاب منسيوس تم حذفه بشدة من قبل تشو يوان تشانغ. بعد هذا التحوّل، يمكن اعتبار التعليم المقبول الذي قبله علماء الكونفوشيوسية في عهد أسرة مينغ نوعًا من التعليم لغسل المخ، والغرض الأساسي من هذا النوع من التعليم هو تربية الناس وتحويلهم إلى عبيد موالين للإمبراطور تمامًا.

باعتبار الإمبراطور المؤسس لسلالة مينغ الملكية، أحب تشو يوان تشانغ حكم البلاد بالقتل والذبح، قتل الأبطال عبر اختلاق القضايا الظالمة، ودمر الوزراء المدنيين والعسكريين من خلال ضربهم في البلاط، وأرعب المسؤولين الفاسدين من خلال تقشير جلودهم وسد أجسامهم بالقش، كل التدابير الوحشية المتنوعة له تهدف إلى جمع السلطة في يد الإمبراطور وحده. يمكن القول إن حكم تشو يوان تشانغ جعل مركزية الإمبراطورية نظاما، وهذا التأثير بعيد المدى للغاية، ولم يغّير عهد أسرة مينغ هذا الوضع فحسب، بل تم استخدامه وتقويته أيضًا من قبل أسرة تشينغ اللاحقة. فرضت سلالتا مينغ وتشينغ الحكم الاستبدادي على الصينيين، وقمعتا حيوية الفكرة والثقافة الصينية، وألحقت الضرر الذي لا يمكن تقليل تقييم شدته بالنمو الروحي الكامل للشعب الصيني.

المعلومات الإضافية: قضية هو وي يونغ وقضية لان يو

بعد أن أصبح تشو يوان تشانغ الإمبراطور المؤسس لسلالة مينغ الحاكمة، أصبح مستشاره (لي شان تشانغ) رئيس الوزراء اليساري، وعُين الجنرال الشهير (شيوى دا) رئيس الوزراء الأيمن. لأن شيوى دا قاد القوات خارج البلاط طوال العام، فكان نفوذ لي شان تشانغ أقوى في البلاط وصار قائد مجموعة هواي شي.

في الأصل كان تشو يوان تشانغ يحصل على العرش اعتمادا رئيسيا على قوة مجموعة هواي شي، وجاءت أغلبية أبطاله من مجموعة هواي شي القديمة. ومع ذلك، بعد أن سيطر تشو يوان تشانغ على السلطة باستقرار، لم يكن تشو يوان تشانغ راضيًا عن القوة المفرطة لمجموعة هواي شي فأراد قمعها، لذلك أراد أن يحل محل لي شان تشانغ.

كان تشو يوان تشانغ يود الحلول مكان لي شان تشانغ بـ (ليو جي) الواسع الحكمة والكثير الدهاء.

ليو جي ممثل عن مدرسة تشيدونغ، وهو يعلم واضحا أنه من الصعب عليه أن يمارس موهبته في البلاط الإمبراطوري عندما تأخذ مجموعة هواي شي السلطة، لذلك رفض ذلك بعزم. ونصح تشو يوان تشانغ بعدم استبدال لي شان تشانغ، لأن لي شان تشانغ كان "قادرًا على التوفيق بين الجنرالات".

كما سأل تشو يوان تشانغ (ليو جي)، من يناسب ليكون رئيس الوزراء من بين يانغ شيان، وانغ قوانغيانغ، هو وي يونغ؟

اعتقد ليو جي أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة ليسوا مناسبين لرئيس الوزراء، والسبب هو أن يانغ شيان "له موهبة رئيس الوزراء، لكن لا يوجد روح رئيس الوزراء"؛ وانغ قوانغ يانغ "ضعيف القدرة"، يانغ شيان أكثر موهبة منه؛ هو وي يونغ مستحيل أكثر، هذا الشخص مثل حصان سيئ، لو تسمح له أن يقود العربة، لا بد أن تتقلب العربة.

رأى تشو يوان تشانغ أن المرشحين أعلاه ليسوا مناسبين، فدعا ليو جي لأن يشغل منصب رئيس الوزراء مرة ثانية، وقال: "وزيري، في الواقع لا يوجد هناك مرشح أفضل منك"، أنت أنسب مرشح لتكون رئيس الوزراء لي.

قال ليو جي رافضًا: "مرضي شديد للغاية، ولا أستطيع تحمّل معاودته، أنا متأسف لذلك". هذا يعني أنني لست مرشحًا مناسبًا لرئيس الوزراء، من الأفضل أن تجد شخصًا آخر.

أخيرًا اختار تشو يوان تشانغ (هو وي يونغ) وفقًا لتوصية لي شان تشانغ. كان هو وي يونغ هو لئيمًا ماهرًا في التزلّف والتملّق، وكره نشر ليو جي الكلمات الرديئة عنه للغاية، فانتقم، حتى قتل ليو جي بالسمِّ أخيرًا. الأمر الأكثر أهمية هو أنه مستبدّ ومتغطرس بعد أن أصبح هو وي يونغ رئيس الوزراء، هذا لا يتّفق مع فكرة تشو يوان تشانغ الحاكمة المتمثلة في تعزيز السلطة الإمبريالية والديكتاتورية الاستبدادية. وهكذا، أعدم تشو يوان تشانغ هو وي يونغ بتهمة "احتكار السلطة وتقريب الجماعات" في عام 1380. بعد إعدام هو

وي يونغ، قام تشو يوان تشانغ برفع مستوى ذنبه واستمر في قتل أقربائه وأصدقائه، فقتل عددًا كبيرًا من الأبطال، بمن فيهم لي شان تشانغ. من الواضح أنه استغلّ قضية هو وي يونغ لتطهير الأبطال وتحقيق غرض إلغاء نظام رئيس الوزراء.

حالة قضية لان يو متشابهة مع قضية هو وي يونغ. لان يو هو أخو زوجة (تشانغ يو تشون) الذي يُعرف بقدرته القوية على الكفاح. بعد تأسيس أسرة مينغ الملكية، تم تلقيب لان يو بالجنرال العام. عندما ملك السلطة القوية في قبضة يده، أصبح غرورًا ومتكبِّرًا، مما جعل تشو يوان تشانغ يشعر أن قوة الجنرال تشكل أيضًا تحديًا للقوة الإمبريالية. فأعدم تشو يوان تشانغ (لان يو) بتهمة "التمرد" في عام 1393، وقتل أكثر من 15 ألف شخص بسبب العقوبة الجماعية، فقتل تقريبًا جميع الجنرالات الذين استولوا على السلطة بالثورة أو الانتفاضة.

الغرض الأساسي من اختلاق قضية هو وي يونغ وقضية لان يو من قبل تشو يوان تشانغ هو قتل الأبطال الذي يهدف إلى إزالة التهديدات المحتملة وتعزيز القوة الإمبريالية. من أجل احتكار السلطة في أيدي الإمبراطور، يمكن القول إن تشو يوان تشانغ مارس كل الحيل. إذا كان حق السلطة قد يهدد القوة الإمبريالية، فيقتل رئيس الوزراء؛ وإذا كانت قوة الجنرال قد تهدِّد القوة الإمبريالية، فيقتل الجنرال. هذا يبدو أنه "التقى بالشيطان، فقتله، والتقى ببوذا، فقتله".

ملخّص وجهة النظر: ما التأثير الذي ألغى به تشو يوان تشانغ نظام رئيس الوزراء

إن التأثير الذي ألغى به تشو يوان تشانغ نظام رئيس الوزراء كان خطيرًا للغاية. قال المفكر هوانغ تسنغ شي في عهد أسرة مينغ وأوائل أسرة تشينغ: "سوء السياسة في عهد أسرة مينغ بدأ من إلغاء نظام رئيس الوزراء من قبل الإمبراطور الأول". والسبب هو أن السلطة وقعت بالكامل في يد الإمبراطور وحده بعد إلغاء نظام رئيس الوزراء، ولكنه فرض أيضًا مطالب عالية للغاية على قدرة الإمبراطور. الإمبراطورية العظمى مثل هذه لها شؤون سياسية كثيرة، لو عالج الإمبراطور كل الشؤون بمفرده، يجب أن يكون بارعًا في السياسة، ونشيطًا، أيضًا يجب أن يكون مجتهدا ورشيدًا للغاية، حتى يصبح "إمبراطورًا حكيمًا رشيدًا". إذا لم يكن الأمر كذلك، فإن الوضع السياسي سوف يتدهور بالتأكيد. أثبت التطور التاريخي اللاحق لسلالة مينغ أن الاعتماد

على ظهور "الإمبراطور الحكيم الرشيد" على مر الأجيال عند حكم البلد هو أمر مستحيل!

في الفترة من عام 1368 إلى 1644، كان هناك 16 إمبراطورًا في عهد أسرة مينغ، منهم ثلاثة أو أربعة فقط نجحوا في عملهم، أما الباقي، فكلهم راسبون وكانوا "أباطرة مع مشكلة" مشهورين. خاصة الأباطرة في منتصف وأواخر أسرة مينغ، كان معظم الأباطرة مكابرين وغير طبيعيين ومؤذيين. على سبيل المثال، مينغ شيان تسنغ، مينغ وو تسنغ، مينغ شي تسنغ، مينغ شن تسنغ، مينغ قوانغ تسنغ، مينغ شي تسنغ وإلخ، كلهم أباطرة غير أكفاء. إن مينغ شيان تسنغ - تشو جيان شن له عقدة أوديب العميقة، وضع محبة وثقة لسيدة محظيات الإمبراطور (وان) التي كانت أكبر منه سنًا بـ 19 عامًا، وتركها أن تكون مغرورة تفعل الشرور. مينغ وو تسنغ - (تشو هو تشاو) باعتباره إمبراطورًا، لكنه يريد أن يُعلن نفسه ذاتيًا باسم "الجنرال العام". في الأصل يجب التعامل مع الشؤون السياسية في القصر، لكنه كان يتجوّل في كل مكان وكان حريصًا على" المداعبة "(التقى الإمبراطور النساء التي يحبّهن خلال سفره، وداعب الإمبراطور (هو يسمّى بالتنين) معها (هي تسمّى بالعنقاء). حتى لو عاد إلى بكين، فعاش في "بيت الفهد" دائمًا وانغمس في الملذات. أعجبت مينغ هو تشنغ (تشو هو تسونغ) الطاويةُ، فلم تهمّه الشؤون السياسية على مدار السنة، بل تخيّل يوميًا أنه أصبح ملاكًا وإمبراطور إكسير الحياة. مينغ شن تسنغ (تشو يي جيون) هو أيضًا إمبراطور مشهور مهمل في العمل، لقد سجل رقمًا قياسيًا بعدم حضور اجتماع البلاط لمدة ما يقرب من 30 عامًا. مينغ قوانغ تسنغ (تشو شانغ لوه) أحب جمال النساء للغاية، وتوفي بسبب تناول "حبة حمراء". كان مينغ شي تسنغ (تشو يو شياو) متحمسًا للنجارة وكلّف الخصي (وي تشونغ شيان) بالسلطة السياسية. من ناحية، تطلبت ترتيبات النظام بعد إلغاء نظام رئيس الوزراء من أن يكون كل أباطرة أسرة مينغ رشيدين، هكذا سيكونون أكفاء للعمل، ولكن من ناحية أخرى، كان الأباطرة في منتصف وأواخر أسرة مينغ غير قادرين على ذلك. لم يؤدِّ التباين الهائل إلى التراجع والانهيار النهائي لسلالة مينغ فحسب، ولكن أيضًا تسبّب في فقدان الصين مكانتها الرائدة في العالم خلال عهد أسرة مينغ وفقدت فرصًا تاريخية مهمة. منذ ذلك الحين، تخلّفت الصين تدريجيًا عن الغرب.

كما جعلت ممارسة إلغاء نظام رئيس الوزراء حصول الشخص الآخر على القوة العظمى، هم خصيان. كان تشو يوان تشانغ يحظر تدخل الشؤون السياسية على الخصيان بشكل صارم، وأنشأ لوحة حديدية في القصر، وهناك: "يجب ألّا يتدخل الخصيان في الشؤون السياسية". كما وضع شروطا على عدد الخصيان ودرجتهم ووظيفتهم وأسلوب لباسهم، حتى اشترط على تعيين

الخصيان الذين كانوا أميّين. يمكن القول إن تشو يوان تشانغ فكّر مليًا في تنفيذ هذه الترتيبات، والغرض الوحيد هو منع الخصيان من التدخل في الشؤون السياسة بأكبر قدر ممكن. ومع ذلك، فإن التاريخ ما زال يسجل مزح تشو يوان تشانغ، بعد وفاته لبضع سنوات، أصبحت اللوائح التي وضعها خلال حياته ورق للنفايات. بعد أن أصبح تشو دي إمبراطورًا، سرعان ما أرسل خصيًا لقيادة الجيش، ثم أرسل خصيًا شهيرًا (تشنغ خه) قاد الأسطول الضخم للإبحار. منذ ذلك الحين، نمت القوة السياسية للخصي أكبر وأكبر، حتى ظهر الخصي الكبير مثل ليو جين، وى تشونغ شيان، وأيضًا تم تطوير "حزب الخصيان".

لا شك أن تشو يوان تشانغ رجل سياسي قوي نادر، لكن مهما كان الرجل السياسي القوي قويًا، ولا يمكنه السيطرة على الوضع السياسي إلا أثناء وجوده على قيد الحياة. بعد وفاته، بعد أن أصبح جسمه مع اللحم والدم تمثالًا، ما إذا ودّ الخلفاء أن يأخذوا "وصيته السياسية" على محمل الجد، وما إذا ودّ الخلفاء أن يضعوا "وصيته السياسية" موضع التطبيق، فهذا الأمر لا يستطيع السيطرة عليه. علّق (لي يا بينغ) ذات مرة على تشو يوان تشانغ في كتاب "الأحداث الماضية السياسية في الإمبراطورية": "أفكار تشو يوان تشانغ دقيقة، عند النظر في القضايا الرئيسية، غالبًا ما تجول حول القاعة وفكّر مرارًا وتكرارًا. عندما اعتقد أنه رتّب كل شيء تمامًا بدون أي عيب، لكن نسي أن أولاده وأحفاده ليسوا جميعهم مدمنين على العمل مثله، هم يولدون في خير القصر العميق، وفي أحضان النساء المليئات برائحة المسحوق، نشأوا بين الخصيان الذين لا ينتمين إلى الذكور أو الإناث. لذلك تغيّرت ملامح خطة تشو يوان تشانغ كليًا في الوقت اللاحق".

كما قال المؤرخ الأمريكي جون كينج فيربانك إن تشو يوان تشانغ "جعل دورُه الشخصي يتمتّع بأسلوب النظام بعد إلغاء نظام رئيس الوزراء"، "أعتقد أن الإمبراطور يمكنه فعل ما يريد بكل حرية بعد ذلك". نظرًا لأن الإمبراطور يمكنه فعل ما يريد بكل حرية، فيمكنه أن يكون مجتهدًا أو بسيطًا أو هادئًا أو صاخبًا. لذلك، بعد تشو يوان تشانغ، فإن ظهور الكثير من الأباطرة المضحكين في عهد أسرة مينغ هو أمر منطقي حقًا.

من معركة جينغنان إلى معركة تو مو بو

كان لدى الإمبراطور الأول تشو يوان تشانغ لسلالة مينغ الحاكمة ستة وعشرون ولدًا، وجعل أكبر ابن له عمرًا (تشو بياو) يكون ولي العهد، وأنعم على بقية أبنائه بلقب الإمارة (باستثناء الابنين اللذين توفيا مبكرًا). إنه لأمر مؤسف أن ولي العهد تشو بياو توفي في عام 1392، فأنعم تشو يوان تشانغ على أكبر حفيد عمرًا له (تشو يون ون) بلقب ولي العهد. هكذا بعد وفاة تشو يوان تشانغ في عام 1398، ورث تشو يون ون العرش، وهو الإمبراطور جيان ون من سلالة مينغ الملكية.

نظر أعمام الإمبراطور جيان ون الذين بلغ عددهم أكثر من 20 إليه نظرة استعلاء، وهم ملكوا جيوشهم، شعر الإمبراطور جيان ون بالتهديد الذي جاء من كل أمير. لذلك، ناقش مع الوزراء تشي تاي، هوانغ تسى تشنغ، فانغ شياو رو وغيرهم في اتخاذ التدابير لسلب سلطاتهم.

بالطبع إن الأمراء لن ينتظروا موته، من بينهم أمير يان (تشو دي) الذي كانت سلطته الأقوى بينهم، قام بالثورة مع شعار "تطهير اللئام بجانب الإمبراطور" فشنّ معركة جينغنان في عام 1399.

بعد أربع سنوات من الحرب الأهلية، استولى جيش الأمير يان (تشو دي) على عاصمة نانجينغ، وأصبح تشو دي إمبراطورًا في وقت لاحق، لكن الإمبراطور جيان ون مجهول المصير. اشتبه تشو دي بأن الإمبراطور جيان ون فر إلى خارج البلاد، فأرسل أشخاصًا للبحث عنه في الخارج. الشخص الذي أرسله للبحث عن الإمبراطور جيان ون هو الخصي الشهير تشنغ خه.

قاد أرسل تشو دي الخصي تشنغ خه أسطولًا ضخمًا في عام 1405 وغادر رسميًا مدينة ليوجياقانغ من تايسانغ لمحافظة جيانغسو وبدأ الإبحار إلى

الغرب. وفقًا للسجلات التاريخية، بلغ طول أكبر سفينة في أسطوال تشنغ خه للإبحار 151.8 متر وعرض 61.1 متر، وهو أكبر من مساحة ملعب كرة القدم. احتوت هذه "السفينة الكنزية" الكبيرة على أربعة طوابق وتسع زانات، ويمكنها فتح اثني عشر شراعًا، وبلغ الحجم المزاح للسفينة 1.4 طن، واحتاج إلى أكثر من 200 شخص لإطلاق الإبحار. في فترة الحرب العالمية الثانية، الحجم المزاح للسفينة الحربية "بسمارك" الألمانية العملاقة هو فقط 40 ألف طن. في عصر خالٍ من القوة الميكانيكية، يعدُّ بناء مثل هذه السفينة الكبيرة معجزة. يمكن القول إن تكنولوجيا الملاحة الصينية في بداية القرن الخامس عشر كانت تتصدر المستوى الأول العالمي.

كان عدد ركاب الأسطول الذي قاده تشنغ خه أكثر من 27 ألف شخص، من بينهم مسؤولون وجنود وبحارون ومحاسبون ومترجمون وإلخ، وعدد الجنود أكبر. لكن غرض هذا الأسطول الذي يضم أكبر عدد من الأفراد العسكريين للإبحار ليس التغلب على العدوان، بل مجرد "تباهي القوة العسكرية للخارج وإظهار ازدهار الصين".

قام تشنغ خه الذي قاد الأسطول الضخم بزيارة جميع البلدان من ناحية والبحث عن الإمبراطور جيان ون من ناحية أخرى. تمّ الترحيب بهم من قبل ملوك ورؤساء مختلف الدول على طول الطريق، لأنهم لم يستطيعوا تخيُّل وجود مثل هذه الدولة والأساطيل القوية في العالم، وعبّروا جميعًا عن طاعتهم لعهد أسرة مينغ. قام تشنغ خه بمكافأة الملوك والزعماء والمسؤولين على جميع المستويات في دول نانيانغ (الاسم القديم لأرخبيل الملايو أو لشبه الملايو وأندونيسيا أو لجنوب آسيا الشرقية) نيابة عن الإمبراطور تشو دي من سلالة مينغ الملكية العظمى. عندما رجع أسطول تشنغ خه، ركب العديد من الملوك والرسل سفينة تشنغ خه إلى الصين لتقديم الهدايا إلى الإمبراطور تشو دي.

رحلات تشنغ خه البحرية هي إنجاز في تاريخ الرحلات البشرية. وصل أسطول تشنغ خه إلى أكثر من 30 دولة في آسيا وإفريقيا بالتتابع، حيث وصل إلى الساحل الشرقي لأفريقيا إلى أقصى حد ممكن، وفتح خطوط الملاحة من الصين إلى شرق إفريقيا، مما ربط المناطق البحرية الشاسعة بين آسيا وأفريقيا. سبقت رحلة تشنغ خه البحرية بـ 87 عامًا من اكتشاف كولومبوس للعالم الجديد وبـ 93 عامًا من اكتشاف دا غاما للطريق البحري الجديد وبـ 116 عامًا من وصول ماجلان إلى الفلبين.

لم يجد تشنغ خه الإمبراطور جيان ون خلال رحلاته البحرية، أيضًا لم يحتل الأراضي أو يسلب الثروة كما فعله الملاحون الغرب اعتمادا على ميزة

الملاحة، وجوهر هذه العملية البحرية الصخمة مشروع وجه الدولة الذي كلّف مبلغًا عاليًا. ويمكن اعتبارها أيضًا دبلوماسية بالمال، حصلت أسرة مينغ تكريم دول نانيانغ لها وتقديم الهدايا إليها باستخدام تجارة الشراء. قام تشنغ خه بسبع رحلات بحرية على التوالي، حيث قدمت دول نانيانغ هدايا إلى سلالة مينغ أكثر من ثلاثمائة مرة، هناك أكثر من عشر مرات في السنة في المتوسط، يبدو أنه شكّل اتجاه تقديم الهدايا من آلاف دولة إلى سلالة مينغ الحاكمة، مما جعل سلالة مينغ العظمى تتمتع بالاحترام الكافي.

أنفقت رحلات تشنغ خه البحرية الكثير من الموارد المالية، مما أدى إلى انتقادات من العديد من الوزراء في ذلك الوقت، وقال بعض الناس: "كانت رحلات الخصي البحرية سانباو (الاسم السابق لتشنغ خه ما سانباو) قد أنفقت مئات آلاف ليانغ من فضة ومات عشر آلاف جند ومدني من ذلك، رغم أنه كسب كنوز، ما هو الفائدة للبلد؟" هذا النقد معقول للغاية. ما اشترى أسطول تشنغ خه من الخارج من الكماليات مثل التوابل والأحجار الكريمة والحيوانات الغريبة، وذلك لم يساعد الاقتصاد الوطني وحياة الناس. لذلك، سرعان ما لفّت الرحلة البحرية إلى الخارج أعلامها وكمّت طبولها بعد وفاة تشنغ خه.

في عهد حكم منيغ تشنغ تسو (تشو دي)، بالإضافة إلى المآثر البحرية لرحلات تشنغ خه البحرية، هناك العديد من الأحداث الرئيسية الجديرة بالذكر. أولًا، نقل تشو دي عاصمة سلالة مينغ من نانجينغ إلى بكين وأكمل قضية نقل العاصمة. وثانيًا، قاد تشو دي الجيش إلى منغوليا خمس مرات وعزّز الحدود الشمالية. ثالثًا، استفاد تشو دي من سلطة البلاد وجمع "يونغ له دا ديان"، وهي مجموعة الوثائق التي تتمتع بصفة موسوعية في الصين القديمة.

بعد وفاة تشو دي، خلف ابنه (تشو قاو تشي) العرش، وهو مينغ رين تسنغ. توفي مينغ رين تسنغ بعد أن أصبح إمبراطورًا لمدة عام، ونقل منصب الإمبراطور إلى ولي العهد تشو تشانجي، وهو مينغ شيوان تسنغ. استولى مينغ شيوان تسنغ على سلطة الإمبراطور لمدة عشر سنوات. في عهد مينغ رين تسنغ وابنه مينغ شيوان تسنغ، استقرت الإمبراطورية العظمى مينغ في كل مكان، وكان الناس يعيشون ويعملون بسلام وهدوء، وقد وصف كتاب التاريخ هذه الفترة بـ "عهد الاستقرار والازدهار على حكم الإمبراطورين رين وشيوان". لكن هذه المرة امتدت 11 سنة فقط، وبعد حكم مينغ تشوان تسنغ، خلف مينغ ينغ تسنغ (تشو تشي تشن) العرش. بحلول حكم مينغ ينغ تسنغ، بدأت سلالة مينغ الحاكمة تنهار، وسرعان ما تراجعت قوة البلاد. حدث التراجع النموذجي هو معركة تو مو بو، حيث كادت تميت أسرة مينغ.

بعد تلاشي أسرة يوان الملكية، قاد الإمبراطور شون من سلالة يوان النبلاء المغول للفرار من العاصمة (بكين الآن) واستمر في حكم منطقة شمال السور العظيم. بعد ذلك، انقسمت منغوليا إلى ثلاثة أجزاء: تتار، وا لا، وو ليان ها. قاتلت القبائل الثلاث بعضها البعض وأرسلت أحيانًا قوات إلى جنوب السور العظيم لمضايقة حدود أسرة مينغ. بعد فترة طويلة من الحرب، ضعفت قوة التتار وأصبحت قبيلة وا لا أقوى.

كان حكام أسرة مينغ يخشون دائمًا أن يكون المغول أقوياء، فقد نقل الإمبراطور تشو دي العاصمة من نانجينغ إلى بكين وراقب عن كثب شمال السور العظيم، وشكّل "اتجاه حفاظ الإمبراطور على باب الدولة" للحد من الغزو المغولي.

ومع ذلك، في عهد مينغ ينغ تسنغ، كان لدى قبيلة وا لا المغولية زعيمًا يسمى بـ (يه شيان)، وكان يريد أن يتعامل مع أسرة مينغ تجاريًا، على سبيل المثال، بيع الخيول المغولية بسعر جيد، كما قدم هدية إلى أسرة مينغ راغبًا في الزواج من أميرة من سلالة مينغ. من الواضح أن مثل هذا الطلب يمكن حلّه سلميًا من خلال المفاوضات. لكن لم يعالج الخصي (وانغ تشن) الذي أحبه ووثق به مينغ ينغ تسنغ هذا الأمر جيدًا، لم يخفض سعر الخيول المغولية بشكل كبير فحسب، بل أعاد أيضًا المهر الذي أهدى يه شيان إلى أسرة مينغ من أجل الزواج من الأميرة. هذا أفقد ماء الوجه ليه شيان كثيرًا.

من أجل العثور على احترامه، جمع يه شيان جيشه في عام 1449 لمهاجمة أسرة مينغ. تحت هجوم الجيش المغولي، خسر جيش مينغ مرارًا وتكرارًا.

بعد انتشار أخبار الهزيمة الحربية إلى بكين، ما زال مينغ ينغ تسنغ يطلب من وانغ تشن لمناقشة التدابير المضادة. وفكرة وانغ تشن هي أن الإمبراطور قاد الجيش بنفسه للقتال. قال وانغ تشن إن ممارسة أسلوب أبي الجدّ (تشو دي) المتمثل في قيادة الجيش بنفسه للقتال سيحصل على النجاح التام بلا شك. استمع مينغ ينغ تسنغ إلى إغراء الخصي وانغ تشن، وقام بجمع جيش بعدد 500 ألف جندي في غضون يومين، وانطلق قائدا الجيش في العجل.

بسبب التنظيم غير السليم، لم يكد الجيش يقاتل مع قوة قبيلة وا لا، حتى توفي كثير من الجنود بسبب البرودة والجوع، ممكن القول إن إرسال الجيش غير سليم. عندما وصل جيش مينغ إلى مدينة داتونغ، جاءت أخبار الهزيمة من الجبهة. عند سماع حالات الحرب المأساوية التي وصفها الرسول

من الجبهة، شعر الخصي وانغ تشن بالخوف الشديد وقرّر العودة إلى بكين مع الجيش.

عاد جيش مينغ بسرعة إلى بكين، فلم تكن المشكلة خطيرة، ولكن في وقت التراجع، طلب وانغ تشن من الإمبراطور مينغ ينغ تسنغ المرور بمسقط رأسه ويتشو، "زار الإمبراطور مسقط رأسه" لإظهار مكانته. نتيجة لذلك، عندما وصل جيش مينغ إلى توموبو، تعرّض لهجوم مفاجئ من قبل جنود المطاردة من قبيلة والا. لم يجد جيش مينغ أسلوب الكفاح في العجل، فتم "قتل 30 جندي فارس تمامًا". حتى الإمبراطور مينغ ينغ تسنغ نفسه تمّ أسره من قبل جيش وا لا. أما الخصي وانغ تشن الذي قدّم حيلة سيئة للإمبراطور، فقُتل من قبل الجنرالات مينغ الذين حقدوا عليه. هذا الحدث هو "معركة تو مو بو" الشهيرة.

يمكن القول إنّ "معركة تو مو بو" هي نقطة تحوّل أسرة مينغ من الازدهار إلى الانهيار. بعد هذه الحرب، تم هزم قوات مينغ المؤلفة من 500 ألف جندي، وتم أسر الإمبراطور نفسه، كما قُتل جميع الوزراء المدنيين والعسكريين الذين تبعوا الإمبراطور والذين تجاوز عددهم أكثر من 50، مما جعل أسرة مينغ مصدومة للغاية. من أجل الاستجابة لحالة الطوارئ، اقترح الوزراء على الإمبراطورة الأرملة أن تجعل الأمير تشينغ (تشو شي يو) يخلف العرش، وهو مينغ داي تسنغ.

بعد أن أسرت قبيلة وا لا مينغ ينغ تسنغ، بدأت تستولي على السهول الوسطى بقوة. أمر الزعيم يه شيان كل آمر ثغر على الحدود لأسرة مينغ بفتح بوابات المدينة باسم رجوع أب الإمبراطور الحاضر، واغتنم الفرصة للاستيلاء على المراكز الهامة على الحدود. في أكتوبر من هذا العام، استولت قبيلة وا لا على باي يانغ كو، تسي جينغ قوان، جيوى يونغ قوان (مراكز هامة على الحدود) حتى اقتربت من بكين مباشرة.

في مواجهة غزو قبيلة وا لا، كان بلاط دا مينغ قلقًا جدًا، حتى اقترح بعض الوزراء خطة نقل العاصمة للهروب. لحسن الحظ أنّ مساعد الوزير (يوي تشيان) من وزارة الحربية كان يحاول جاهدا أن يفنّد آراء غيره، ونظّم الجيش للتمسك بالحفاظ على العاصمة، وأمر القوات المسلحة من جميع أنحاء البلاد بالذهاب إلى بكين لمساعدة الإمبراطور.

وزّع يوي تشيان جنرالات له لقيادة القوات بعدد 220 ألف جندي لمقابلة العدو خارج بوابات العاصمة التسع. بعد أن قاد الجيش إلى خارج المدينة، أمر

حراس بوابة المدينة بإغلاقها من أجل إظهار تصميمه على عدم العودة إلى المدينة إلا بعد إتمام هزيمة قوات والا.

أشرف يو تشيان على سلاح الفرسان في التقاتل مع القوات ليه شيان، وأغرى قوات يه شيان لمطاردة نفسه بتكتيك الهزيمة. وقع يه شيان في الفخ كما توقّع، عندما قاد الجيش وصل إلى بوابة ده تشنغ حيث وقع في كمين جيش مينغ وتمّ هزمه. حاول يه شيان أن يهاجم بوابة شي تشي، فهُزم مرة ثانية لأن حراس هذه البوابة لقد قاموا بالإعداد المبكر للدفاع أيضًا.

ما إن رأى يه شيان أن أسرة مينغ كان لها إمبراطور جديد، وفقد مينغ ينغ تسنغ الذي أسره قيمته، حتى أطلق سراحه، وأعلن أيضًا تراجع قواته. عند هذه النقطة، فازت أسرة مينغ بفوزها في حرب بكين الدفاعية.

أشرف يوي تشيان على حرب بكين الدفاعية، وقدّم مساهمة كبيرة، وحظى باحترام ومحبة الشعب، لكنه أساء إلى مينغ ينغ تسنغ. شنّ مينغ ينغ تسنغ "معركة سلب البوابة" واغتصب العرش من مينغ داي تسنغ. اختلق مينغ ينغ تسنغ الذي أعاد خلف العرش القضية الظالمة، فقتل يوي تشيان.

كشفت معركة تو مو بو بالكامل أوجه القصور في ديكتاتورية الخصيان في سلالة مينغ. بعد هذا الحادث، لم يتم القضاء على هذا العيب القاتل فحسب، بل أصبح أكثر شراسة. أما الخصيان الذي جلبوا المصائب على البلاد وعلى الشعب في أسرة مينغ، بالإضافة إلى وانغ تشن في عهد مينغ ينغ تسنغ، فكان هناك (وانغ تسي) في عهد مينغ شيان تسنغ، وليو جين في عهد مينغ وو تسنغ، ووي تشونغ شيان في عهد مينغ شي تسنغ، وكان جميع هؤلاء الخصيان لديهم السلطة التي تقدر على تقليب السلالة.

كان مينغ وو تسنغ (تشو هو تشاو) في الخامسة عشرة من عمره فقط عندما أصبح إمبراطورًا، كان مدمنًا على اللعب، استحوذ الخصي (ليو جين) على هذه الميزة له، وكثيرًا ما أخذ مذكرة إلى العرش وطلب منه القراءة والتعليق عندما كان يلعب مينغ وو تسنغ في ذروة سعادته، قال مينغ وو تسنغ في هذا الوقت: "لماذا تزعجني مهما كان الأمر؟ قرِّر بنفسك". "استولى ليو جين على سلطة مجلس الوزراء في يديه بهذه الطريقة.

قبِل ليو جين بشكل مفرط ومجنون رشاوى المسؤولين الحكوميين خلال تمسكه بالسلطة. في ذلك الوقت، عندما ذهب المسؤولون المحليون إلى العاصمة، اضطروا إلى منح 20 ألف ليانغ من الفضة إلى ليو جين، وإذا لم يكن هناك الكثير من المال، فاضطروا إلى الاقتراض من الأثرياء في بكين

موقتا، وبعد عودتهم إلى الأمكنة المحلية، فكّروا في الاستغلال والسلب عن عامة الناس. عندما فقد ليو جين سلطته ونفوذه في وقت لاحق وفُتّش منزله وصودرت أملاكه، وُجد 2.5 مليون ليانغ من الذهب من منزله وأكثر من 50 مليون ليانغ من الفضة، وليس من الممكن حساب كنوز أخرى.

كان وي تشونغ شيان خصيًا مشهورًا آخر في أسرة مينغ، حيث كان يسيطر على الشؤون السياسية اعتمادا على حب وثقة مينغ شي تسنغ له. لجأ العديد من الوزراء في البلاط إلى وي تشونغ شيان واعتبروه والدًا بالتبنّي، وصفوا بأنّ "عمره تسعة آلاف عام"، وبالتالي تمّ تشكيل "حزب الخصيان". تحكمت قوات "حزب الخصيان" بحزم في الخدمة السرية بالمصنع الشرقي والمصنع الغربي، وفرضت حكم الإرهاب وقمعت أعضاء حزب دونغلين، وأفسدت الشؤون السياسية بأكملها. حتى وفاة مينغ شي تسنغ، بدأ الإمبراطور تشونغ تشين الذي خلفه اتخذ تدابير حاسمة لمعاقبة وي تشوانغ شيان وأعضاء "حزب الخصيان" بصرامة. ومع ذلك، فإن أسرة مينغ في هذا الوقت كانت مليئة بالمشاكل والمخاطر في كل مكان.

المعلومات الإضافية: الإصلاح تشانغ جيوي تشنغ

بدأت سلالة مينغ الحاكمة تنهار منذ عهد مينغ ينغ تسنغ، وفي الفترة الوسطى والمتأخرة لعهده، كانت ظاهرة ضم الأراضي خطيرة للغاية. ملك بعض كبار ملاك الأراضي 70 ألف هكتار في جنوب نهر اليانغتسى. ملك عائلة الأمين الكبير وحدها (شيوي جيه) لمجلس الوزراء 240 ألف مو (وحدة مساحة صينية) من الأرض من حيث مجال البلاط. ما يقرب من نصف الأراضي في البلاد ملكها ملاك الأراضي الكبار. أثار هذا الوضع تناقضًا اجتماعيًا وتسبّب في الأزمة المالية في عهد أسرة مينغ (لأن كبار المسؤولين وملاك الأراضي الكبار حاولوا ما أمكنوا دائمًا من تجنّب الضرائب). من أجل تسوية الأزمة، أطلق رئيس مجلس الوزراء (تشانغ جيوي تشنغ) خلال فترة وان لي في عهد أسرة مينغ حركةَ الإصلاح والتجديد المشهورة الذي تسمى بـ "إصلاح تشانغ جيوي تشنغ" في التاريخ.

تشانغ جيوي تشنغ كان من أهل جيانغلينغ بمقاطعة هوبي، كان مُجازا في الفحوص الإمبراطورية في عام 1547، حصل على تقدير منيغ مو تسنغ لأنه كان متميزًا وبارزًا. بدّل تشانغ جيوي تشنغ رئيس مجلس الوزراء السابق (قاو قونغ) بدعم الخصي (فنغ باو) في عام 1572. بعد وفاة منيغ مو تسنغ، استولى مينغ شن تسنغ على العرش. كان مينغ شن تسنغ في العاشرة من عمره فقط في ذلك الوقت، وكانت والدته الإمبراطورة الأرملة (لي) تثق بتشانغ جيوي

تشنغ، لذلك كان تشانغ جيوي تشنغ يستطيع تولي زمام سلطة الشؤون السياسية ويقوم بالإصلاح في الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

أنشأ تشانغ جيوي تشنغ أولًا "لائحة المراقبة والحساب" وفحص بدقة الموقف الذي نفّذ فيه المسؤولون الحكوميون على جميع المستويات أوامرَ البلاط، ونزعهم العنداء الذين تمسكوا بالأساليب القديمة وعارضوا الإصلاح واختار وارتقى القوى الجديدة التي تدعم الإصلاح وفقًا لنتيجة التدقيق. نصت لائحة المراقبة والحساب على أن كل ديوان يجب عليه وضع الموعد النهائي وتسجيله في الدفاتر لاستكمال الواجبات الرسمية وفقًا لإلحاح الأمر قبل معالجتها، وإذا تم إكمال الأمر في غضون المهلة الزمنية المحددة، يبطله في الدفاتر؛ إذا لم يتم إكماله في الوقت المحدد، سيتم فرض العقوبة. نفّذ تشانغ جيوي تشنغ "لائحة المراقبة والحساب" بشكل صارم للغاية، وسعى إلى "يجب تنفيذ القانون بعد إصداره، ويجب أن يكون تنفيذه فعالا". عزّز تنفيذ هذا القانون مركزية السلطة ورفع فعالية الديوان في أسرة مينغ.

قام تشانغ جيوي تشنغ بتنظيم المعدات العسكرية في المجال العسكري، وقام بتجميع الجيش الجديد وتدريبه، وعيّن عددًا كبيرًا من الجنرالات المشهورين للدفاع على الحدود. كما تبادل الشاي والحصان مع قومية تتار وحقّق السلام من خلال التجارة. منذ ذلك الحين، أصبح الدفاع عن الحدود في الشمال أكثر تماسكًا، ففي العشرين أو الثلاثين عامًا الماضية، لم تكن هناك حرب كبيرة بين سلالة مينغ وتتار، بحيث يتم إعفاء الشمال مؤقتًا من أضرار الحرب وتطوّر الإنتاج الزراعي.

قام تشانغ جيوي تشنغ بجرد الأراضي في البلاد، وبعد التحقيق، كانت مساحة الأراضي الإجمالية أكثر بـ 3 ملايين هكتار من عهد هونغتشي. قام تشانغ جيوي تشنغ أيضًا بإصلاح النظام الضريبي وطبّق "لائحة توحيد الضرائب"، حيث تمّ توحيد ضرائب الأراضي والسخرة الأصلية والخدمات المتنوعة الأخرى، فرض الضريبة وفقًا لكمية الحقل، لو ملكت حقولًا أكثر، ففرضت ضريبة أكثر، وبالعكس أيضًا، الأمر الذي زاد مصادر الضرائب للحكومة وحسّن الوضع المالي في البلاد. كما اختار تشانغ جيوي تشنغ المسؤولين لترويض النهر الأصفر ونهر هوايخه والقناة. بعد إنجاح ترويض النهر الأصفر، صار بالإمكان أن تصل السفن إلى بكين مباشرة.

جرت الإصلاحات الشاملة لـشانغ جيوي تشنغ لمدة عشر سنوات وحققت نتائج رائعة. رفع الإصلاح الفعالية التشغيلية للدولة في أسرة مينغ، كما زاد الإيرادات المالية لحكومة أسرة مينغ بشكل ملحوظ، وأحيا وطوّر الاقتصاد

والمجتمع إلى حد ما. لذلك يسمى شانغ جيوي تشنغ إشادة باعتباره "رئيس الوزراء الذي أنقذ البلاد". ومع ذلك، نظرًا لحقيقة أن العيوب التاريخية المتراكمة عميقة جدًا، فقد أصبحت راسخة الأرومة، ولا يمكن لإصلاح شانغ جيوي تشنغ أن يقلب بشكل أساسي تراجع أسرة مينغ. علاوة على ذلك، أغضب إصلاح شانغ جيوي تشنغ قوة المصالح المكتسبة وأثار الهجوم المضاد من المعارضة. في 1582، توفي شانغ جيوي تشنغ من المرض. هاجمت القوات التي عارضته جميعا تشانغ جيوي تشنغ على الفور، وأمر مينغ شن تسنغ الذي كان غير راض عن تشانغ جيوي تشنغ على الفور بإلغاء المنصب الرسمي لتشانغ جيوي تشنغ وفتّش منزله وصادر أملاكه. ونتيجة لذلك، فإن مختلف تدابير الإصلاح التي طبّقها تشانغ جيوي تشنغ قبل وفاته انتهت مع وفاته.

بعد فشل إصلاح تشانغ جيوي تشنغ، تبخّر الأمل الأخير في الانتعاش لسلالة مينغ الحاكمة، ما انتظر سلالة مينغ الحاكمة هو طريق الانهيار وحده.

ملخّص وجهات النظر: انحراف ضخم بين نظام تقديم هدايا الولاء والتجارة العالمية

نظام تقديم هدايا الولاء هو تقليد قديم تعاملت الصين القديمة فيه مع العلاقات مع دول ما وراء البحار، وجوهر هذا النهج هو أن الإمبراطور الصيني يعتبر الدول المجاورة دويلة تابعة للصين مع عقلية "الدولة المركزية". يجب على الدويلة التابعة أن تقبل اعتراف وإنعام الإمبراطور عليه باللقب، فضلًا عن الالتزام بتقديم الهدايا إلى الدولة المتسلطة، في حين أنّ على الصين حماية الدويلة التابعة عسكريًا وتقديرها اقتصاديًا بكثير. إن جوهر هذا النوع من العلاقات الدبلوماسية هو أن الجانب الصيني قد تبنّى وسيلتي قوة الردع والإغراء بالمصالح من أجل "إخضاع الناس البعيدين بالفضائل" وتعبير الدول المجاورة خارج الصين عن استسلامها إلى الصين، وبالتالي تحقيق تأثير الدفاع عن النفس. في نظام تقديم هدايا الولاء هذا، اتخذت الصين دائمًا الأهمية السياسية في الاعتبار الأول، أما الأهمية التجارية والاقتصادية، فهي فرعية وثانوية.

ومع ذلك، في القرن الخامس عشر، ومع التوسع المستمر للتجارة العالمية، فإن نظام تقديم هدايا الولاء الذي تبنّته الصين دائمًا لم يواكب تطور العصر. إنّ الزمان من القرن الخامس عشر إلى القرن السادس عشر يُعتبر عصرَ اكتشاف جغرافي وعصرَ إبحار كبير معترف به في تاريخ العالم. اكتشف الملاحون الأوروبيون طريقًا جديدًا لا يمرّ برأس الرجاء الصالح في إفريقيا وصولا إلى الهند والصين، ممّا يمثّل بداية عصر "العولمة". منذ ذلك الحين، لم

تعد تقتصر رؤية الناس ونطاق الأنشطة على منطقة معيّنة، بل تنتشر على الكرة الأرضية بأسرها. تعززت العلاقات الاقتصادية بين قارات العالم بشكل كبير، وزادت التجارة الدولية بسرعة، وشكّلت السوق العالمية تدريجيًا. في عصر العولمة هذا، من المؤكد أن الصين لا يمكنها أن تبتعد عنها.

كان البرتغالي هو الأولَ الذي دخل إلى المحيط الهندي واحتل بعض المدن التجارية الرئيسية على الساحل الغربي للهند وقام بتجارة التهريب على الساحل الجنوبي الشرقي للصين. بعد البرتغاليين، تبعهم الإسبان ووصلوا إلى جزر الفلبين وفتحوا طريق الحرير البحري الذي باع الحرير الصيني إلى الغرب. وثم تنافس الهولنديون مع البرتغاليين والإسبان تجاريًا، وأنشأ الهولنديون شركة الهند الشرقية المتحدة في عام 1602، وكان مقرّها في باتافيا (اليوم جاكرتا لأندونيسيا). كانت هذه القوى الأوروبية الناشئة تتاجر مع الصين وتنقل الحرير والخزف الصيني إلى أوروبا وأمريكا الجنوبية.

في البداية، كانت أسرة مينغ دائمًا تقع في وضع الفائض التجاري المهيمن خلال مزاولة التجارة مع البرتغاليين والإسبان والهولنديين. ومع ذلك، فإن الفائض التجاري لا يمكن أن يعوّض عن أوجه القصور في النظام. لا يتماشى نظام الحكم الاستبدادي الإمبراطوري الذي طبّقته أسرة مينغ داخل البلاد ونظام تقديم هدايا الولاء دبلوماسيا مع عصر "العولمة" الجديد. تطلّب النموذج التجاري الجديد من المنظمات الاقتصادية الأكثر فعاليةً والضمانات المؤسساتية والبيئات الاجتماعية الأكثر قدرةً على ضمان نمو الاقتصاد المستمرّ، من الواضح أن هذه الأشياء لا تقدر سلالة مينغ المستبدة الإمبراطورية على توفيرها. لذلك، فاتت أسرة مينغ الحافلة الأولى من "العولمة" ففات الصينَ اتجاهُ التنمية في العالم بأسره.

يشبه تطوّرُ المجتمع تطويرَ البرامج الجديدة وترقيتها، إن الوقت بعد القرن الخامس عشر هو الوقت الذي طوّر وارتقى الغربيون فيه برنامجًا جديدًا يسمى "العولمة" باستمرار، وفي نفس الوقت، كانت أسرة مينغ لا تزال منغمسة في أحلامها القديمة في الاستبداد الإمبراطوري ونظام تقديم هدايا الولاء، ورفضت تحميل "البرنامج الجديد". بعد بضع سنوات، عندما حقّق الغربيون نموًا سريعًا على أساس "البرمجيات الجديدة" الخاصة بهم، كانت الصين متخلفة كثيرًا عن الغرب بسبب تنفيذ سياسة "عزل البلاد عن العالم الخارجي" الطويل الأجل.

تلاشي سلالة مينغ الملكية ونشوء سلالة تشينغ الملكية

الإمبراطور الأخير لسلالة مينغ كان مينغ سي تسنغ (تشو يو جيان)، وهو المعروف أيضًا باسم الإمبراطور تشونغتشن. عندما أصبح إمبراطورًا في عام 1627، كان عمره 17 عامًا فقط، عمره مثل عمر الطالب في السنة الثالثة للمدرسة الثانوية اليوم. عندما انتقلت أسرة دامينغ إلى يد هذا الصبي، كانت فوضى مليئة بالاضطرابات الداخلية والغزو الأجنبي.

تتمثل الاضطرابات الداخلية في السياسة والاقتصاد. من الناحية السياسية، فإن الآلة الحاكمة لسلالة مينغ قد فسدت من الداخل بعد أكثر من مائتي عام من العمل، اشتدت دكتاتورية الخصيان والصراع الحزبي، والبيئة السياسية سيئة للغاية. من الناحية الاقتصادية، في هذا الوقت، كانت مالية سلالة مينغ تواجه خطر الانهيار، حيث تركزت أغلبية الأراضي في أيدي كبار ملاك الأراضي والنبلاء، وفقد الكثير من المزارعين أراضيهم. لجأ بعض هؤلاء الفلاحين إلى الملاك وأصبحوا فلاحين مستأجرين؛ بينما غادر الآخرون منازلهم وهربوا ليصبحوا لاجئين. ما إن زاد عدد اللاجئين حتى زاد حدوث أعمال الشغب من الناس الجياع في الأماكن المختلفة، فارتفعت انتفاضات الفلاحين هنا وانخفضت هناك.

تمثّل الغزو الأجنبي في نشوء سلالة هو جين الحاكمة التي أنشأتها قومية مان، التي هي واحدة من أعقاب قومية نيوي تشن، وظلت تعيش في شمال شرق الصين. خلال فترة يونغ له في عهد أسرة مينغ، أراد البلاط قمع بقايا يوان الشمالي، فأنشأت قيادة الشرق البعيد في الجزء الشمالي الشرقي

من الصين للسيطرة على قبائل نيوي تشن. بحلول عام 1616، توحّد الزعيم نورهاتشي (nurhachi) من قبيلة نيوي تشن في جيان تشو كل العشائر، وأنشأ نظام هو جين، وعاصمتها هيتوالا (الآن محافظة شينبين في مقاطعة لياونينغ) واستولى على لياودونغ. عندما لاحظت أسرة هو جين أن سياسة أسرة مينغ أصبحت فاسدة بشكل متزايد، وأصبح الدفاع عن الحدود عاطلًا بشكل متزايد، هاجمتها مرارًا وتكرارًا واحتلّت أكثر من 70 سورًا وخندقًا للمدينة في منطقة لياودونغ. في عام 1636، استولى ابن نورهاتشي (هوانغ تاي جي) على السلطة، وغيّر لقب البلد وكان هو جين إلى داتشينغ، وأنشأ رسميا سلالة تشينغ الحالمة التي ناهضت أسرة مينغ.

سقطت أسرة مينغ في عهد تشونغتشن في حالة الصعوبات المتشابكة الداخلية والخارجية. شكلت انتفاضة الفلاحين مجموعتين مسلحتين كبيرتين تارة، إحداهما يقودها لي تسيتشنغ والأخرى بقيادة تشانغ شيان تشونغ. تجسّست أسرة تشينغ خارج شانهايقوان على السهول الوسطى في كل لحظة، وقامت بالمهاجمة بمجرد أن أتيحت لها الفرصة.

يجب أن يقال إنه الإمبراطور تشونغتشن لا يزال يريد شحذ الهمة وإنقاذ سلالة مينغ في ظل الإضطرابات الداخلية والغزو الأجنبي. في الشهرين الأولين منذ استيلائه على العرش، تم القضاء على نفوذ الخصي وي تشونغ شيان و"حزب الخصيان" واستعاد السلطة السياسية. هذه الخطوة جعلت الكثير من الناس يرون الأمل؛ وأيضًا كان مجتهدًا للغاية في التعامل مع الشؤون السياسية، يستيقظ بمجرد سمع صياح الديك وينام في وقت متأخر من الليل، ويعمل ليلًا ونهارًا. وكثيرًا ما استدعى الوزير لمناقشة سياسات حكم البلاد الأفضل. ذات مرة، لم يحضر الاجتماع الصباحي للبلاط بسبب "شعوره بالتعب القليل"، فتعرّض لنقد مساعدي مجلس الوزراء. لم يغضب الإمبراطور تشونغتشين، بل كتب مرسوما إمبراطوريا بنفسه، حيث انتقد انتقادات شديدة للذات وامتدح مساعدي مجلس الوزراء الذين انتقدوه. هذا السلوك حرّك شعور الكثير من الناس. كان الإمبراطور تشونغتشن بسيطًا جدًا منذ الطفولة، وعندما تدرّب على الكتابة في صغره، إذا كانت الورقة كبيرة، وبقت الهوامش بعد إكماله من تقليد القالب، فيكتب الكلمات في بقية المكان لتجنب الهدر. بعد أن أصبح الإمبراطور، كان لا يزال يحتفظ بهذا النوع من الأسلوب المتمثل في الجدّ في العمل والبساطة في الحياة، صعب عليه ترك الثوب المتكسر، فطلب من الإمبراطورة ترقيعه تمامًا ومواصلة ارتدائه.

الاضطرابات الداخلية والغزو الأجنبي، حل أي مشكلة أولًا؟ هذه المشكلة أقلقت الإمبراطور تشونغتشن كثيرًا. كما طرح هذا السؤال لجمع آراء الوزراء، ولكن النتيجة هي أن آراء الوزراء لم تكن موحدة، مما أدّى إلى عدم تقرير هذا الأمر رغم القيام بالمناقشة وفات أسرة مينغ كثير من الفرص.

تبنّى الإمبراطور تشونغتشن بعض الوقت استراتيجية "ضرورة حلّ الاضطرابات الداخلية قبل مقاومة الغزو الأجنبي" من الأمين الكبير لمجلس الوزراء (يانغ سي تشانغ)، فجمع القوى المهيمنة لقمع انتفاضة الفلاحين. لكنّ الضباط والجنود الذين أرسلتهم سلالة مينغ كانوا أكثر وحشية من ما يسمى "قطاع الطرق"، وغالبًا ما قتلوا عددًا كبيرًا من الأشخاص الذين فروا، وتظاهروا بأنهم جنود من جيش المتمردين، من أجل طلب المكافأة من البلاط. وسّعت هذه الممارسة التناقض بين الحكومة والشعب، مما أدى إلى لجوء العدد الكبير من الناس إلى جيش الانتفاضة الفلاحية.

في البداية، تركّزت انتفاضة الفلاحين بشكل أساسي في شنشي وشانشي، لكن حتى عام 1633 توسعت انتفاضة الفلاحين إلى مقاطعات خنان وهوقوانغ وتشيلي وسيتشوان والأماكن الأخرى، لتصبح انتفاضة فلاحية وطنية. من بين هؤلاء المتمردين الفلاحين، كان تشوانغ وانغ (لي تسي تشنغ) أقوى نفوذًا، حيث احتل خنان وشنشي عام 1640. ذات مرة كاد أن يتمّ القضاء على انتفاضة لي تسي تشنغ الفلاحية من قبل جيش مينغ، وأشعلت قومية مان حربًا في لياودونغ. لاحظ الإمبراطور شونغتشن أن حالة الدفاع عن الحدود خطيرة، فحشد بسرعة القوات التي تقاتل مع لي تسي تشنغ للدفاع عنها. ونتيجة لذلك، نجا جيش انتفاضة الفلاحين لي تسي تشنغ وأصبح أقوى.

بالطبع إن الإمبراطور شونغتشن ارتكب أيضًا العديد من الأخطاء في عملية إنهاء سلالة مينغ. الإمبراطور تشونغتشن نفسه وتناقض، ولديه جانب حاسم وحازم في التعامل مع الأمور، ولكن لديه أيضًا جانبًا كبيرًا في الشكوك والوساوس وغير حاسم، ولديه جانب متمثّل في الانضباط الذاتي وبساطة الحياة، ولديه جانب جمع الأموال والبخل المتمثّل في عدم إنفاق فلس واحد إلا في الحالة الملحّة. على جانب التعامل مع الوزراء، لديه جانب يعرف كيفية الاستفادة من مواهب الأكفاء والاهتمام بهم، وله أيضًا وجه قليل الرحمة؛ في جانب تعامله مع يوان تشونغ هوان، يانغ سي تشانغ، هونغ تشنغ تشو وإلخ، عندما اهتم بهم، لا يخالف لهم كلمة، وأعطى امتيازات لهم، لكن بمجرد قلب ظهر المجنّ لهم، يكون قاسيًا بلا رحمة، قال اقتلهم، فقتلهم، مما يؤدّي إلى عدم تنفيذ العديد من السياسات الجيدة إلى النهاية وعدم تحقيق النتائج المتوقعة. وفي جانب تعامله مع الأقوام، يكون متعاطفًا مع معاناة الناس

وكثيرًا ما انتقد نفسه، ولكن أيضًا عزّز شدة السخرة ووضع بينه وبين الناس اللُّجّة العميقة والنيران المحرقة. الأمر الخطير بشكل خاص هو أن الإمبراطور تشونغتشن كان مترددًا في مواجهة اختيار رئيسي يتمثل في "ضرورة حلّ الاضطرابات الداخلية قبل مقاومة الغزو الأجنبي" أو "ضرورة مقاومة الغزو الأجنبي قبل حلّ الاضطرابات الداخلية"، والنتيجة هي أنّه فقد السيطرة على الوضع الداخلي والخارجي كليًا وفشل تمامًا.

في عام 1644، أصبح لي تسي تشينغ إمبراطورًا في مدينة شيآن، وكان لقب البلاد (داشون). هاجم جيش لي تسيتشنغ بكين على طول الطريق. في هذا الوقت، كان وو سانقوي يقود أفضل وحدة من الجيش لأسرة مينغ ويدافع عن غزو قومية مان في شانهايقوان. استولى جيش انتفاضة لي تسيتشينغ الفلاحية على بكين دون أي جهد. كاد الإمبراطور تشونغتشن أن يقع في ورطة لا مخرج له منها، فانتحر بشنق نفسه على شجرة في تل الفحم (الآن جينغشان) في شمال المدينة المحرمة. هلكت أسرة مينغ منذ الحين، واستولى لي تسى تشنغ على العرش فى بكين بصفته إمبراطورًا لـ (داشون).

يبدو أن الموقف يتحرك في الاتجاه الصالح لـ (لي تسيتشينغ)، لكن سرعان ما فسد جنرالاته، وعذّبوا العائلة المالكة والأسرة النبيلة في العاصمة وسرقوا المال والحسان بشكل مفرط. دعا لي تسيتشينغ وو سانقوي إلى الاستسلام فوافق، لكن الجنرال الكبير ليو تسنغ مين التابع لـ (لي تسيتشينغ) سلب منزل وو سانقوي، وأخذ المحظية المفضلة لوو سانقوي التي تسمى بـ (تشن يوان يوان). بعد أن عرف وو سانقوي هذا الأمر، كان غاضبًا للغاية، فأصدر تنديدًا رسميًا بـ (لي تسيتشنغ)، وأرسل رسالة إلى الأمير الوصي على العرش (دوه إر قون) لأسرة تشينغ، طلب المساعدة والهجوم المشترك على قوات لي تسيتشنغ. كان جيش دوه إر قون لأسرة تشينغ مستعدًا لدخول السهول الوسطى، لذلك تناغم الجانبان مع بعضهما البعض والتوصل إلى اتفاق لمواجهة لي تسي تشنغ بشكل مشترك.

قاد لي تسيتشنغ القوة الرئيسية للقتال مع وو سانقوي وجيش تشينغ في شانهايقوان، ولكن الإمبراطور لي تسيتشنغ هرب وهو الذي تولّى العرش لمدة 42 يومًا فقط من بكين التي انتقلت من يد داشون إلى داتشينغ.

بعد احتلال جيش تشينغ لمدينة بكين، تولى ابن هوانغ تاي جي (اسمه ايتشن جيويهلوه - فولين) على العرش، وهو الإمبراطور شونتشي. كان يطلب بلاطُ أسرة تشنغ من وو سانقوي بصفته حاكمَ شانشي مطاردةَ لي تسيتشنغ باستمرار كمكافأة له. طارد وو سانقوي طوال الطريق، وسرعان ما أخمد انتفاضة جيش لي تسيتشنغ الذي قُتل سبب فشله.

المعلومات الإضافية: قتل الإمبراطورُ (تشونغتشن) وزيره يوان تشونغ هوان ظلمًا

كان يوان تشونغ هوان (1584-1630) أشهر الجنرالات في الفترة المتأخرة من عهد مينغ، كان مثقفًا، وكانت لديه الشجاعة وأحب التحدث عن المواضيع العسكرية. في السنة الثانية من عهد تيان تشي (عام 1622)، خرج من داخل السور العظيم للتحقق من التضاريس ووضع العدو خارج السور العظيم، بالذات طلب الدفاع عن لياودونغ شخصيا بعد رجوعه. بعد كسب الموافقة، قام بحراسة نينغ يوان (الآن مدينة شينغتشنغ في مقاطعة لياونينغ). في الشهر الأول بالتقويم القمري من السنة السادسة من عهد تيان تشي (عام 1626)، قاد نورهاتشي الجيش الذي بلغ عدده 60 ألف جندي لمهاجمة مدينة نينغ يوان. أصرّ يوان تشونغ هوان على الدفاع عن مدينة نينغيوان المعزولة (لقد تراجع جيش مينغ في المناطق ذات الصلة بالتوالي)، صدّ هجوم نورهاتشي بأقل من 20 ألف جندي وفاز في معركة نينغ يوان التي تعرف في التاريخ باسم "نصر نينغ يوان العظيم". في السنة الثانية، هزم يوان تشونغ هوان (هوانغ تاي تشي) الذي جاء للهجوم في مدينتي نينغ يوان وجين تشو، ووصف التاريخ بأنه "نصر نينغ جين العظيم". تمت ترقية يوان تشونغ هوان إلى رتبة شانغشو (من كبار الموظفين في الصين القديمة) وزارة الحربية ونائب الرئيس الأيمن لوزارة الشؤون العسكرية بسبب عمله العسكري المجيد، وكان يشرف على منطقة جينغ لياو وكان يسمى "مشرف يوان".

لو أراد (هوانغ تاي تشي) مهاجمة مدينة بكين عبر شانهايقوان، كان عليه أن يقضي على يوان تشونغ هوان، لذلك صمّم خدعة لزرع الارتياب بين صفوف العدو. بادئ ذي بدء، أرسل هوانغ تاي تشي إعلانًا إلى يوان تشونغ هوان وطلب فيه إجراء تفاوض للسلام. وافق يوان تشونغ هوان على ذلك لأن جيش مينغ يحتاج أيضًا إلى الوقت للتحضير للحرب. في الوقت نفسه، طرح هوانغ تاي تشي الشروط وطلب من يوان تشونغ هوان مناقشة التفاوض بإحضار رأس الجنرال الشهير (ماو ون لونغ). اتضح أن ماو ون لونغ هرب إلى الجزر الساحلية عندما استولى أهالي المانشو على لياودونغ، وقام بتجنيد أكثر من 400 ألف شخص قاموا بمهاجمة أهالي المانشو مرارًا وتكرارًا.

ارتكب يوان تشونغ هوان خطأً كبيرًا في هذا الوقت، قبِل شروط هوانغ تاي تشي، وتوجّه إلى الجزيرة الصغيرة التي كان عسكر ماو ون لونغ فيها بحجة مكافأة الجنرالات والجنود طعامًا وشرابًا، وقتل ماو ون لونغ. وصل خبر هذا الحادث إلى البلاط، وأدهش الإمبراطور تشونغتشن كثيرًا. على الرغم من أنه أعطى يوان تشونغ هوان حقّ "الإعدام قبل الإعلام"، قرّر يوان تشونغ هوان بنفسه قبل استشارة الإمبراطور قتل الجنرال ماو ون لونغ الذي عسكر في

منطقة من أجل البلاط، وكانت ممارسته مفرطة إلى حدٍّ ما. على الرغم من أن الإمبراطور تشونغتشين لم يحقق في مسؤولية يوان تشونغ هوان عن "قتل ماو ون لونغ دون استشارة"، إلا أنه حذّره بالفعل.

بالتالي، تجنّب هوانغ تاي تشي المرور بشانهايقوان وهاجم بكين بعد تحويل طريقه إلى جنوب صحراء الصين. عندما كان يوان تشونغ هوان يتفقد شانهايقوان، أُبلغ أن هوانغ تاي تشي هاجم بكين، فقاد بسرعة تسعة آلاف جندي متفوق وتوجّه إلى بكين للإنقاذ.

قاد يوان تشونغ هوان نخبة الجنود وهزم الجيش لأسرة هو جين عند بوابتي قوانغ تشيوى وبوابة تسوه ان، مما دافع عن أمن العاصمة. ولكن في حلول تحوّل بكين من الخطر إلى الأمان، انتشرت شائعات في بكين، وقيل إن يوان تشونغ هوان هو من أحضر الجيش لأسرة هو جين. لم يميِّز الإمبراطور تشونغتشن بين الصواب والخطأ، فرفض مباشرة دخول يوان تشونغ هوان العاصمة، فأمر مرؤوسه (مانقوي) بقيادة الجيش لدخول العاصمة وحراستها.

عرف هوانغ تاي جي أن يوان تشونغ هوان عسكر خارج العاصمة، فطلب من جنديين التحدث خارج خيمة الخصيين لأسرة مينغ، وقالا إن هوانغ تاي جي لديه اتفاق سري مع يوان تشونغ هوان، وستنجح خطتهما، وسمحا للخصيين بالاستماع إلى ذلك، ثم أطلق سراحهما.

تلقّى الإمبراطور تشونغتشن التقرير السري من الخصي، سقط في الفخ كما توقع، واستدعى يوان تشونغ هوان إلى القصر بحجة محادثة الراتب العسكري. في ذلك الوقت، كانت مدينة بكين تحت الحراسة المشددة وأغلقت تسع بوابات، واضطر يوان تشونغ هوان للجلوس في السلة ورُفع إلى سور البوابة بالحبال. عندما وصل إلى القصر، لم يناقش الراتب العسكري، فقد أمر الإمبراطور تشونغتشن بالقبض عليه، وحُكم عليه بالسجن الخاص التابع لجين يي وي، ثم أعدم يوان تشونغ هوان بتهمة "التمرد" وبطريقة التمزيق والتقطيع.

لم يتعاطف الناس في بكين مع "المشرف يوان" فحسب، بل "اشتروا لحمه بالمال" "شراء قطعة من لحمه بفلس، حجمها مثل إصبع، لا بد من شتمه عند أكله... تم بيع لحم يوان تشونغ هوان". يمكن القول إن قضية إعدام يوان تشونغ هوان بطريق التمزيق والتقطيع أكبر قضية ظالمة في عهد تشونغتشن. قتل الإمبراطور تشونغتشن وزيرَه يوان تشونغ هوان ظلما، يمكن القول إنه "دمّر السور العظيم بنفسه".

ملخّص وجهات النظر: العلاقة بين "مالية من أسلوب هونغ وو" وتلاشي أسرة مينغ

"مالية من أسلوب هونغ وو" هو مفهوم طرحه المؤرخ السيد هوانغ رينيو، حيث وجد من خلال بحثه أن الأزمة المالية هي أيضًا عامل مهم في العديد من الأسباب التي أدّت إلى زوال أسرة مينغ. إن تورّط أسرة مينغ في أواخر أيامها في حالة الأزمة المالية لا ينفصل عن السياسة المالية التي اتخذها تشو يوان تشانغ في بداية عهد أسرة مينغ. ذلك لأن السياسات المالية والاقتصادية لسلالة مينغ لها اتساق، صُمّمت من قبل الإمبراطور المؤسس تشو يوان تشانغ لعهد أسرة مينغ، تميزت بالتخلي عن جهود التسويق وإعادة المالية والاقتصاد إلى الوضع القائم على اقتصاد الفلاحين على نطاق صغير. تمثّل جوهر "مالية من أسلوب هونغ وو" في الحفاظ على الحد الأدنى لمستوى التشغيل الوطني مع مبدأ التوفير، وعدم التفكير في زيادة الإيرادات المالية. حذّر تشو يوان تشانغ الموظفين الحكوميين عدة مرات من أن أي شخص يجرؤ على زيادة دخل خزانة الدولة يعتبر عدوًا للبلاد. بتوجيه من هذا المفهوم، فإن الضرائب الأساسية للدولة هي ضريبة زراعية، ولا تعلّق الدولة اهتمامًا على ضريبة التجارة والضرائب الجمركية أبدًا.

يعتقد السيد هوانغ رينيو أن اهتمام مينغ تاي تسو (تشو يوان تشانغ) الرئيسي منذ البداية كان بمثابة تأسيس وحفاظ على الوضع السياسي الراهن، ولم يهتم بالتنمية الاقتصادية. في خطته المالية، أولى القليل من الاهتمام للمحتويات الأخرى إلى جانب إنشاء نظام مالي موحد في جميع أنحاء البلاد. يتم دائمًا تحديد معايير ممارسته وضرائبه على أدنى مستوى بدلًا من الأعلى، وقيّدت هذه الممارسة فعليًا تطوير الأنشطة الاقتصادية أكثر تقدمًا، وبالتالي يمكن للإدارات الأقل تطورًا أن توجد أيضًا في نظام الضرائب الموحد. يمكن القول بلا مبالغة إن العديد من الاتهامات مثل فساد الحكومة وعلل الموظفين الرسمين والقبح الاجتماعي المرتبط بالمالية العامة وركود الأعمال التجارية وما إلى ذلك يرجع إلى التدابير المالية التي بناها مينغ تاي تسو جزئيًا أو كليًا، بشكل مباشر أو غير مباشر. حكومة مينغ لم تخلق الظروف الملائمة للتنمية الاقتصادية فحسب، ولكن أيضًا عارضت بنشاط المشاركة في الأنشطة التجارية بصفة إيجابية.

من ناحية ما يتعلق بالإدارة الاقتصادية، يمكن القول إن مفهوم "مالية من أسلوب هونغ وو" هو تراجع كبير في السياسة الاقتصادية. نحن نعلم أن معظم حكام الصين القديمة كانوا يهتمون بالزراعة ويقيّدون التجارة، ولكن في عهد أسرة سونغ، أولى سونغ ياي تسو (تشاو كوانغ ين) اهتمامًا كبيرًا بالصناعة والتجارة منذ بداية تأسيس سلالة سونغ الحاكمة، وبالتالي كانت

حركة الصناعة والتجارة في أسرة سونغ مزدهرة للغاية. في وقت لاحق، بعد إصلاح وانغ أنشي، تم دفع المجتمع التجاري لسلالة سونغ إلى قمة جديدة.

لكن لم يستطع مينغ تاي تسو (تشو يوان تشانغ) أن يتماشى مع اتجاه التنمية هذا، كره إصلاح وانغ أنشي شديدًا وقال: "عيّن الإمبراطور (سونغ شن تسنغ) وانغ أنشي لإدارة الأموال، كسب اللئامُ السلطة، وكان العالم في الفوضى. يجب أن نحذر من ذلك". عادت السياسة المالية إلى الإطار القديم المتمثل في الاهتمام بالزراعة وتقييد التجارة، واعتبر أبسط الضريبة الزراعية جوهر الضرائب المالية، تم بناء أسرة دامينغ على اقتصاد الفلاحين على نطاق صغير. وهذا يعني أن أسرة مينغ لا تشجع على تطوير الصناعة والتجارة. منذ ذلك الحين، أصبح اقتصاد أسرة مينغ هيئة مسطحة ضخمة، باستثناء الآلاف من الأسر الفلاحية، الباقي هم الحكام. واجه الأقوام البلد مباشرة، ولا توجد مؤسسة تجارية كوسيطة، ولا يمكن تطوير المؤسسات التجارية والتقنية مثل التدقيق والمحاسبة. نتيجة لذلك، عندما تواجه البلاد الشؤون الاجتماعية أكثر وأكثر تعقيدًا، فلن تتمكن من إيجاد الوسائل التقنية المناسبة للتعامل معها. عندما تتراكم المشكلات الاجتماعية وتصبح التناقضات الاجتماعية أكبر وأكبر، يصبح "عمل الحفاظ على الاستقرار" لعهد أسرة مينغ أصعب فأصعب.

والأهم من ذلك، نظرًا لأن مصادر الإيرادات المالية في البلاد مفردة بشكل مفرط، عندما كانت عملية ضم الأراضي خطيرة، انخفضت الإيرادات الضريبية لسلالة مينغ تدريجيًا، واندلعت الاضطرابات الداخلية والغزو الخارجي معًا، احتاج البلاد إلى إنفاق الكثير من المال لمواجهة حرب لياودونغ الخارجية وقمع انتفاضة الفلاحين الداخلية. في هذا الوقت، لم تستطع أسرة مينغ إيجاد طريقة أفضل للتنظيم والتحكم في السياسات الاقتصادية إلا زيادة استغلال المزارعين. كلّما كان استغلال الفلاحين أثقل، كلما زادت انتفاضة الفلاحين، وأصبح حلقة مفرغة. أخيرًا أطاحت انتفاضة لي تسيتشنغ الفلاحية بسلالة دامينغ.

حكم أسرة تشينغ المبكرة

قاد (دوه ار قون) جيش تشينغ ودخل السهول الوسطى في عام 1644، وادعى في البداية المساعدة في القضاء على "قطاع الطرق" (انتفاضة الفلاحين)، ولكن بعد إتمام مطاردة جيش انتفاضة الفلاحين لي تسيتشنغ، احتلت قومية المانشو نفسها بكين وبدأت في حكم السهول الوسطى.

كان هناك العديد من المسؤولين المدنيين والعسكريين في عهد أسرة مينغ، ولم يكونوا مستعدين لقبول حكم المانشو، فوجدوا حفيد العائلة المالكة لأسرة مينغ ودعموه في أن يكون الإمبراطور، وأسسوا بلاطًا صغيرًا في نانجينغ، كان نظام مينغ الجنوبي. من المؤسف أن إمبراطور ومسؤولي أسرة ن مينغ الجنوبي كانوا منشغلين بالتمتّع والتقاتل الداخلي، ولم يتمكنوا من مقاومة هجوم جيش تشينغ بشكل فعال.

في عام 1645، حاصر جيش تشينغ مدينة يانغتشو، وكان الجنرال (شي كه فا) الذي دافع عن يانغتشو لا يريد أن يستسلم حتى الموت، وقام بتنظيم كافة المدنيين والجنود في المدينة وكافح معهم بالحياة. وأخيرًا استخدم جيش تشينغ المدفع لفتح الجدار واستولى على المدينة. تمّ القبض على شي كه فا وقتله. بدأ جنود تشينغ الغاضبون في ذبح أقوام يانغتشو، وقتلوا 800 ألف شخص في غضون عشرة أيام، وأصبحت مدينة يانغتشو المزدهرة فجأة جحيمًا في الدنيا، وسمى كتاب التاريخ هذه المجزرة "عشرة أيام في يانغتشو". في وقت لاحق، استولى جنود تشنغ على مدينة نانجينغ، وتمّ القبض على إمبراطور أسرة مينغ الجنوبية ونُقل إلى بكين لإعدامه.

خلال عملية تقدّم جيش تشنغ إلى الجنوب، أصدر أيضًا أمر "حلق الشعر وتغيير الثوب"، وينصّ على أنه يجب على جميع الرجال حلاقة النصف الأول الأمامي من الشعر وترك ضفيرة خلفهم في غضون عشرة أيام، ذلك

من أجل الاتساق مع رجل المانشو من حيث التسريحات المشكلة. هذا الأمر أغضب جميع أهالي الهان واعتقد الجميع أن تسريحات الشعر والأزياء هي العادات الثقافية التي خلّفها أسلافهم، فكيف يمكنهم التغيير؟ لذلك، حول أمر حلق الشعر وتغيير الثوب، بدأ شعب جنوب حوض نهر اليانغتسي الصراع العنيف مع جيش تشنغ. في صيف عام 1645، واجه أهالي جنوب حوض نهر اليانغتسي بعدد 100 ألف نسمة هجومًا من 240 ألف لجيش تشينغ، ودافع عن المدينة المعزولة لمدة 81 يومًا، مما أدّى إلى مقتل 75 ألف شخص لجيش تشينغ، بمن فيهم 3 أمراء و18 جنرالًا. في يوم الاستلاء على المدينة، أمر جيش تشينغ ذبح المدينة بادعاء" قتل المدينة بأكملها ثم ختم السلاح". نتيجة لذلك، كان أهالي المدينة في جنوب حوض نهر اليانغتسي بأكملهم "اعتبروا أن الموت الأول أمر محظوظ، ولم يستسلم أحد". كافح شعب جيادينغ أيضًا للمقاومة، وبعد سقوط المدينة، عانى من ذبح جيش تشينغ أيضًا.

في المناطق الساحلية لمقاطعة فوجيان، كان (تشنغ تشينغ قونغ) يفضّل قطع علاقته مع والده (تشنغ تشي لونغ) على الاستسلام لسلالة تشينغ. رفع لافتة "خيانة الوالد لإنقاذ البلاد" ودعا الناس إلى القتال ضد أسرة تشينغ واستعادة أسرة مينغ. من أجل الحصول على قاعدة مكافحة تشينغ واستعادة أسرة مينغ، قاد تشنغ تشينغ قونغ الجيش وهزم الهولنديين الذين احتلوا تايوان واستعاد تايوان إلى الصين.

من أجل عزل العلاقة بين سكان المناطق الساحلية وتشنغ تشينغ قونغ والقوات الأخرى المناهضة لتشينغ، أصدر حكام أسرة تشينغ أمر "الهجرة من الساحل" لإجبار سكان المناطق الساحلية في شاندونغ وجيانغسو وتشجيانغ وفوجيان وقوانغدونغ وغيرها من الأماكن على مغادرة الساحل والهجرة إلى الداخل. لم تؤدِّ هذه الهجرة الإجبارية إلى كارثة عميقة على سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية فحسب، بل إنها دفعت أيضًا لتنفيذ "سياسة الباب المغلق" لأسرة تشينغ الحاكمة. منذ ذلك الحين، تبنّت أسرة تشينغ سياسة التهرّب والحصار وعدم الاتصال مع قوات البحر. أدت هذه السياسات مباشرة إلى عزل الصين عن العالم الخارجي.

بعد الفتح الدموي، أنشأت أسرة تشينغ نظامًا مستقرًا. في وقت لاحق، بدأ حكام أسرة تشينغ في تعديل سياساتهم، وحاولوا بذل قصارى جهدهم للحفاظ على السلطة في أيدي الإمبراطور تارة، وحاولوا تعلّم ثقافة السهول الوسطى تارة أخرى، واستخدموا سياسة التقريب والتسامح لإدارة البلاد. من أجل تقليل شكوك وسوء التفاهم لشعب الهان، تابع حكام أسرة تشينغ نظام أسرة مينغ بشكل أساسي في السياسة، وأعدّوا مجلس الوزراء والوزارات

الست وإلخ. ومع ذلك، تم تبني طريقة إدارة "نظام المسار المزدوج للمانشو والهان" في جميع الوكالات الإدارية، أي تم تعيين الرئيسين من قومية المانشو والهان، كان أهل المانشو يتولون السلطة الأساسية، وأهالي الهان مسؤولون عن تنفيذ الأعمال المحدّدة.

منذ الإمبراطور شون تشي، أخذ أباطرة أسرة تشينغ زمام المبادرة في تعلّم اللغة الصينية والكتابة الصينية. في السنة الأولى من تولي الإمبراطور شون تشي على عرشه، أنعم على حفيد كونفوشيوس من الجيل 65 باسم "يان شنغ قونغ" معربًا عن موقف الأيديولوجية لنظام تشينغ المتمثل في "احترام كونفوشيوس". بعد الإمبراطور شون تشي، سافر كل من الإمبراطور كانغشي وتشانلونغ مرارًا وتكرارًا إلى تشيويفو في شاندونغ للإعراب عن الموقف الأيديولوجي لسلالة كينغ من "احترام كونفوشيوس". كما استأنفت أسرة تشينغ نظام الاختبارات الإمبراطورية لاختيار الموظفين الحكوميين، وشجعت الناس على "الكتب الأربعة وأمهات الكتب الخمس" (الكتب الأربعة: رسالة العلم الكبير، رسالة المحجة الوسطى، كتاب الحوار، كتاب منفوشيوس. أمهات الكتب الخمس (كتاب الأغاني، كتاب التاريخ، كتاب تقلبات الزمن، كتاب الطقوس، حوليات الربيع) للمدرسة الكونفوشيوسية. حصلت هذه الممارسات على دعم الأدباء والحكام في السهول الوسطى ولها فائدة كبيرة في استقرار النظام الاجتماعي.

بعد حكم الإمبراطور شون تشي، دخلت أسرة تشينغ مرحلة "المجتمع كانغ تشان المزدهر" في عهود كانغشي ويونغتشنغ وتشانلونغ. كان كانغ شي إمبراطورًا حكيمًا مشهورًا، وحظت مواهبه الأدبية والعسكرية بالتقدير العالي. كان يستولى على العرش من السنة الثامنة من عمره ويتولى زمام السلطة في السنة الرابعة عشرة من عمره. قام أولًا بتطهير الوزير (آو باي) الذي احتكر السلطة، ثم قمع عصيان الدويلات الثلاث التابعة (وو سانقوي، قن جينغ تشونغ، شانغ كهشي)، وتم نقل كل السلطة إلى المركز. في الشؤون الخارجية، كبح توسع روسيا القيصرية، ووقّع (معاهدة نيبوتشو الصينية الروسية)، مما حدّد الحدود الشرقية بين الصين وروسيا، ومكّن شمال شرق الصين من الحفاظ على السلام لأكثر من 150 عامًا. بعد حل مشكلة الأقاليم الشمالية الشرقية للصين، أرسل الإمبراطور كانغشي قوات الجيش لقمع الثورة إلى ولاية تشون قا إر هان في شمال غربي البلاد، وهزم زعيمها قاردان، وقام بقمع نظام أسرة تشنغ التي تدّعي استعادة سلالة مينغ ومعارضة سلالة تشنغ في تايوان، بعد وفاة تشنغ تشنغ قونغ، استسلم ابنه تشنغ جينغ أيضًا إلى أسرة تشينغ في عهد الإمبراطور كانغ شي.

مقارنة مع مواهبه العسكرية، يبدو أن مواهب الإمبراطور كانغشي الأدبية كانت أكثر إثارة للإعجاب. اقترح تحرير وتعديل "قاموس كانغشي" الذي جمع ما يقرب من 50 ألف شخصية صينية؛ كما قام بتنظيم وتحرير أكثر من 900 مجلد من "كافة الأشعار في أسرة تانغ" وأكثر من 10 آلاف مجلد من "تكامل الكتب القديمة والحديثة"؛ حتى أنه أرسل المبشرين للذهاب إلى البلاد لقياس التضاريس والأرض، ورسم أول خريطة مقاسة للصين - "خريطة حدود الإمبراطورية الشاملة".

توفي كانغشي بعد أن استولى على العرش لمدة 61 عامًا، وخلفه ابنه الرابع الإمبراطور يونغ تشنغ (ين تشن). على الرغم من أنه استولى على العرش لمدة 13 عامًا، إلا أن إنجازاته السياسية كبيرة أيضًا. لقد قام بتنظيم الإدارة الرسمية، واتخذ إجراءات صارمة ضد الحرب، وحقق العديد من الإنجازات في تعيين الأفراد والإدارة المالية. خلال عهد الإمبراطور يونغ تشنغ، بلغ مخزون أسرة تشينغ 60 مليون ليانغ من فضة، وهي المرحلة الأكثر غناء في سلالة تشينغ الحاكمة.

بعد عهد يونغ تشنغ، ورث تشيانلونغ عرش أسرة تشينغ. لقد أصبحت البلاد مزدهرة وقوية بفضل جهود جدّه وأبيه، في عهد الإمبراطور تشيانلونغ، قام بالحملة الانتقامية باستمرار وأسس ما يسمى "عشرة إنجازات عسكرية"، قهر الميانمار وعنان في الجنوب وقمع الصراع الأهلي في التبت. وما يجدر الثناء عليه أكثر هو إدارة التبت. في عام 1750، حدث التمرد في التبت، أرسل الإمبراطور تشيانلونغ قوات لتسوية الوضع واغتنم الفرصة لدمج السلطة الدينية للأمة التبتية في الإطار الإداري لسلالة تشينغ. ابتكر طريقة "سحب القرعة في الزجاجة الذهبية" لتحديد تناسخ مرشح الدالاي لاما والبانتشن لاما. جعلت هذه الممارسات نظام التبت مستقرًا في ذلك الوقت واستخدمتها الأجيال اللاحقة.

المعلومات الإضافية: الضغط السكاني في سلالة تشينغ الملكية

يبلغ عدد سكان الصين الآن 1.3 مليار نسمة، وهي أكثر دول العالم سكانًا، لكن في التاريخ كان نمو سكان الصين بطيئًا للغاية لأن معظم العهود كانت في العصر الزراعي، حتى سلالة سونغ الحاكمة تجاوز عدد السكان 100 مليون نسمة. في السنوات الأخيرة من عهد أسرة مينغ، بلغ إجمالي عدد سكان البلاد 150 مليون نسمة، وكان النمو السريع للسكان يحدث فقط في عهد أسرة تشينغ. خلال فترة تشيانلونغ، تجاوز إجمالي سكان البلاد 300 مليون. في أوائل عهد أسرة تشينغ، كان السبب في النمو السكاني السريع

يرجع بشكل أساسي إلى التطور السريع للاقتصاد، وفّر توسّع الاقتصاد الكلي الضمان المادي للنمو السكاني المتواصل. بالطبع إن سياسة كانغشي المتمثلة في إعلان "زيادة عدد السكان في المجتمع المزدهر وعدم تثقيل السخرة والضريبة أبدًا" في عام 1712 قد حفّزا أيضًا النمو السريع للسكان.

قبل عهد أسرة تشينغ، كان النمو المستمر للسكان يعتبر دائمًا رمزًا للازدهار. كان حكام أسرة تشينغ يظنون ذلك أصلًا. ومع ذلك، عندما تعدّى عدد السكان 300 مليون نسمة، كان الإنتاج على الحقول يصعب في تلبية احتياجات عيشة الناس أكثر فأكثر. خلال فترة تشيانلونغ، لاحظ الباحث (هونغ ليانغ جي) في أسرة تشينغ أنّ النمو السكاني يؤدي إلى الضغط الهائل على المجتمع وطرح "نظرية السكان" الخاصة به، ويمكن تلخيص المحتوى بثلاث نقاط: أولًا، لا يمكن أن يتناسب معدل نمو الأراضي المزروعة مع معدل نمو السكان. ثانيًا، عندما يكون الضغط السكاني كبيرًا للغاية، من أجل حل فائض السكان، من الضروري استخدام "طريقة التكيّف مع السماء والأرض" و"طريقة التكيّف الملكية". ما يسمى بـ "طريقة التكيّف مع السماء والأرض" فهي كوارث طبيعية مثل الفيضانات والجفاف والطاعون وما إلى ذلك، والكوارث الطبيعية سوف تسبِّب انخفاضًا كبيرًا في عدد السكان. يشير ما يسمى "طريقة التكيّف الملكية" إلى أنّ الحكومة تحرّك الموارد من خلال الهجرة واستصلاح الأراضي والإغاثة وما إلى ذلك من أجل إطعام المزيد من الناس إلى أقصى حد. ثالثًا، إذا كانت كل من "طريقة التكيّف مع السماء والأرض" و"طريقة التكيّف الملكية" غير صالحة، فإن الزيادة السريعة في عدد السكان ستؤدِّي إلى الاضطرابات الاجتماعية.

يمكن اعتبار انتفاضة اللوتس البيضاء في السنوات الأخيرة من عهد تشيانلونغ والسنوات الأولى من عهد جياتشينغ أزمةً اجتماعية ناجمة عن الضغط السكاني إلى حد ما. في أوائل أيام أسرة تشينغ، دخل عدد كبير من المهاجرين إلى منطقة جينغ شيانغ عند تقاطع مقاطعات سيتشوان وهوبى وخنان، حيث عاشوا اعتمادا على تنمية الغابات الأصلية. بحلول منتصف حكم أسرة تشينغ، بلغ عدد سكان هذه المنطقة الحد الأقصى الذي يمكن أن تستوعبه. في ظل هذه الظروف، بمجرد مواجهة الكارثة، سيتم تهجير الفلاحين ويصبحون نازحين، من الضروري أن يؤدي ذلك إلى الاضطرابات الاجتماعية مع زيادة النازحين.

حدثت انتفاضة اللوتس البيضاء. في أواخر عهد تشيان لونغ، ضمّ البيروقراطيون وملّاك الأراضي ورجال الأعمال الأثرياء الأراضي، ما أدّى إلى نزاعات اجتماعية أكثر حدة. لقد ارتفع عدد سكان منطقة جينغ شيانغ، حيث أن

نصيب الفرد من الأراضي الصالحة للزراعة أصبح غير كافٍ بشكل خطير، ونقص الغذاء قد حدث، وارتفعت أسعار المواد الغذائية بشدة، وكان هناك الجياع أكثر فأكثر. في هذا الوقت، إلى جانب الحياة الباهظة للطبقة الحاكمة والمسؤولين الفاسدين، تزايد شعور مقاومة الناس مع ذلك. نجح الزعيم الديني لدين اللوتس البيضاء في استغلال استياء الناس من البلاط بنجاح، وطرح عقيدة ما يسمى بـ "آخر السنة" و"تغيير مجرى الأحداث وتغيير العالم" في مقاطعة خنان. وفي وقت لاحق، بشر قادة دين اللوتس البيضاء (ليو سونغ وليو تششيه وسونغ تشيتشينغ) وغيرهم في مقاطعات هوبي وسيتشوان وآنهوي والأماكن الأخرى، واقترحوا "تناسخ مترايا، يجب مساعدة أسرة تشو" (أسرة تشو تقصد سلالة مينغ الحاكمة، بقصد معارضة تشنغ واستعادة مينغ خفيا). لقد وعدوا المؤمنين بأنهم لا يستطيعون فقط تجنيبهم جميع كوارث الحريق والسكين، ولكن المؤمنين أيضًا "لا يميّزون بعضهم البعض عند تناول الطعام"، "يساعد بعضهم البعض ويموت بعضهم من أجل البعض، ويمكن التجوّل في العالم بدون أي نقود". هذه الدعايةُ بالمساواة وتصوير حياة الشعب بالواقعية تميل إلى تلبية مطالب الشعب الأساسي. لذلك، تطوّر دين اللوتس البيضاء بسرعة، وقام قادته بتحويل شعار "لا يميّزون بعضهم البعض عند تناول الطعام" إلى تصريف السرقة المنظمة باسم "سلب الأسر الغنية". أدّت السرقة المنظمة أخيرًا إلى انتفاضة مسلحة هائلة في عام 1795. أخذ متمردو دين اللوتس البيضاء العلم الأبيض كشعار، ولفّوا رؤوسهم بالقماش الأبيض، اتصلوا ببعضهم البعض، وكان الزخم كبيرًا.

استمرت انتفاضة اللوتس البيضاء في الانتشار، مما أثر على مقاطعات هوبي وشنشي وسيتشوان وخنان وقانسو لمدة تسع سنوات. استخدمت أسرة تشينغ عددًا كبيرًا من القوات وأنفقت 200 مليون ليانغ من الفضة (أي ما يعادل العائد المالي لأسرة تشينغ لمدة أربع سنوات) لتسوية الاضطرابات الاجتماعية. تسبب قمع هذا الاضطراب في إلحاق ضرر كبير بأسرة تشينغ، وأنهى عهد أسرة تشينغ "مجتمع كانغ تشان المزدهر" وتحول إلى الانخفاض.

ملخّص وجهات النظر: اضطهاد الأديب لسلالة تشينغ

دخل حكام أسرة تشينغ إلى السهول الوسطى كأقليات عرقية، وقد تميّز حكمهم بـ "صفة قبلية" متميزة، أي أن جميع سياساتهم كانت الأولوية الأولى منها للمساعدة في الحفاظ على مكانة حكم قومية المانشو. لذلك، حين فتح حكام أسرة تشينغ الأرض وطوّروا الاقتصاد، أنشأوا أيضًا عددًا كبيرًا من قضايا اضطهاد الأديب للسيطرة على عقول الناس.

على سبيل المثال، في فترة يونغ تشنغ، عُيّن (تشا سيتينغ) مساعد الوزير لوزارة المراسم كممتحن في مقاطعة جيانغشي، وطرح سؤال الامتحان بعنوان "وي مين سو تشي" (الكلمات الصينية)، وقد قُبض عليه بسبب السؤال وانتحر، السبب هو أن بعض الأشخاص شرح كلمتي «وي» و«تشي» التي يمكن اعتبارهما قطع رأس الكلمتين يونغ تشنغ من حيث أسلوب الكتابة. خلال فترة تشيان لونغ، كان المثقف (تشيوان تسووانغ) يريد كتابة مقالة لتقدير الإمبراطور تشونتسي، ومن بينها جملة «تطهير لصّ سلالة تشنيغ الحاكمة للحفاظ على سلام العالم. شرح الإمبراطور تشانلونغ أنه وضعت كلمة "اللص" فوق كلمة «تشينغ» (سلالة شينغ الحاكمة)، فكيف تجرّأ على ذلك؟ هذا تمرّد. في رأي اليوم، فإن اضطهاد الأديب لأسرة تشينغ هو ببساطة «البحث عن العظام في البيضة»، ولا يوجد سبب على الإطلاق. صنعت عدة أجيال من الأباطرة في أوائل أسرة تشينغ ما مجموعه أكثر من 100 قضية لاضطهاد الأديب، وكثير منهم تعرضوا للقتل بسبب كتابة مقالة أو أشعار، كما عانت أسرهم وأصدقاؤهم وطلابهم من العقوبة الجماعية.

دمّر اضطهاد الأديب الذي أنشأه حكام أسرة تشينغ الحيوية الأيديولوجية والإبداع الثقافي للصين. كان للحكام والأدباء أصلًا المشاعر والعواطف في اعتبار العالم مسؤوليتهم الخاصة في الصين القديمة، لكن تحت الضغط العالي من اضطهاد الأديب الواسع في أسرة تشينغ، اضطر العلماء إلى التخلي عن المثل العليا وروح تحمّل المسؤولية، وبدلًا من ذلك تحوّلوا إلى البحث في «علم البحوث النصية» و«دراسة النقوش» وغيرها من العلوم البعيدة عن السياسة ولا توجد مخاطر لها. بعد فترة طويلة من الزمن، تحوّل المثقّفون من الحكّام والأدباء ذوي الكرامة الأخلاقية إلى عبيد كانوا على استعداد لخدمة القوة الإمبريالية.

حتى عندما نظّم الإمبراطور تشيانلونغ تحرير «المكتبة الكاملة من أربعة أقسام (سيكو كوانشو)» فإنه ما زال لا ينسى خصي ثقافة السهول الوسطى بعقلية الاستبداد. أمر الإمبراطور تشيان لونغ بتجميع جميع الكتب المهمة وأعد كتابة أكبر سلسلة من الكتب على الإطلاق، تحمل اسم «سيكو كوانشو». ينقسم كتاب «سيكو كوانشو» إلى أربعة أقسام، بما يشمل على كافة الكتب في الصين القديمة بشكل أساسي، بمناسبة تنظيم العدد الكبير من الكتب القديمة، في الوقت نفسه أمر تشيان لونغ الناس بأن يغتنموا هذه الفرصة لتدمير الكتب غير المواتية لحكام أسرة تشينغ. يمكن القول إن تنظيم تشيان لونغ "سيكو كوانشو" هو مشروع ثقافي رائع ظاهريًا، لكنه جوهريًا فرصة لإجراء مراجعة الكتب القديمة الصينية الشاملة - دمّر جميع الكتب القديمة التي لا تساعد حكام أسرة تشينغ. وفقًا لبعض الإحصاءات، عندما قام

تشيان لونغ بتحرير «سيكو كوانشو»، تم تدمير أكثر من 150 ألف كتاب، وتم تدمير أكثر من 170 نوع من القطع وأكثر من 80 ألف قطعة. بالإضافة إلى ذلك، انتهز تشيان لونغ هذه الفرصة لتدمير أرشيفات أسرة مينغ بشكل منهجي، مما أدّى إلى بقاء 300 قطعة فقط من الأرشيفات لأسرة مينغ، ويقدر أنه تم تدمير ما لا يقل عن 10 ملايين نسخة من أرشيفات أسرة مينغ. لذلك، قال المؤرخ (وو هاو): «قامت أسرة تشينغ بتحرير كتاب سيكو كوانشو، والكتب القديمة قد ماتت».

إنّ نظام الإمبراطورية الذي استمر لأكثر من ألفي عام في الصين فقد في الواقع حيويته حتى عهد أسرة مينغ. كان هناك الكثير من الأباطرة غير الموثوق بهم في أسرة مينغ المتوسطة والمتأخرة، وهذا يمكن أن يفسّر أيضًا أن إعطاء الإمبراطورية العظمى لشخص واحد هو أمر غير معقول من جانب واحد. إن شرور الديكتاتورية الاستبدادية لا يمكن أن يشعر بها الناس العاديون فحسب، بل إن الإمبراطور الذي هو الحاكم الأعلى لا يستطيع تحمّل ذلك. بعد أن استبدلت أسرةُ تشينغ أسرة مينغ، استمر نظام الإمبراطورية، وكانت درجة الاستبداد للإمبراطور أقوى من حكم أسرة مينغ. السبب في أن أسرة تشينغ حققت حالة "مجتمع كانغ تشان المزدهر" لم يكن يرجع إلى الابتكار المؤسسي والابتكار الثقافي، ولكن السبب الوحيد وراء ذلك هو أن حكام أسرة تشينغ "وضعوا النبيذ الجديد في الزجاجات القديمة"، وفقط نقلوا الدم للنظام الإمبراطوري الذي كان على وشك الزوال اعتمادا على الحيوية الخاصة. يمكن اعتبار ما يسمى بـ "مجتمع كانغ تشان المزدهر" آخر توهج للسراج قبيل انطفاء النظام الإمبراطوري إلى حدٍّ ما.

تراجع أسرة تشينغ

التاريخ مليء بالسبب والنتيجة. غالبًا ما كان سبب انهيار السلالة السابقة يجعل حكام الأسرة الجديدة أكثر يقظة ويتحقق الحكم الرشيد. غالبًا ما دُفنت بذور التراجع اللاحق في عصر مزدهر نادر.

ينطبق هذا على سلالة تشينغ الملكية. ربما نظرًا للاستفادة من دروس الأباطرة غير الموثوقين الكثر في الفترة الوسطى والمتأخرة من سلالة مينغ، كان أباطرة أسرة تشينغ المبكرة مجتهدين ومتلهفين للتعلّم، إلى جانب التوتر العقلي والقلق الثقافي الناجمين عن الحكم، كان الأباطرة مثل كانغشي ويونغ تشنغ وتشيان لونغ يحكمون البلاد بكل حذر وانتباه وجهد. بفضل هذه الظروف، تم ظهور ما يسمى بـ "مجتمع كانغ تشان المزدهر".

كان "مجتمع كانغ تشان المزدهر" بمثابة فترة مستقرة ومنظمة نسبيًا، ولكن في ظل هذا العصر المزدهر، ظهرت بالفعل عوامل التراجع. في الفترة اللاحقة من حكم تشيان لونغ، تحولت أسرة تشينغ إلى الحظ السيئ. المظهر الأكثر مباشرة للأسباب وراء تراجع الرخاء هو أن مزاج الحاكم الأعلى ليس جيدًا جيلًا بعد جيل. بالطبع كان عهد تشيان لونغ الأكثر ازدهارًا من حيث درجة الرخاء والقوة للبلاد، لكن من حيث مزاج الإمبراطور الشخصي، فإن تشيان لونغ الذي كان مُغرَمًا بالطموحات وكسب الأمجاد دون يونغ تشنغ الذي بذل الجهود في إنعاش الوطن؛ كما يونغ تشنغ الذي كان قاسيا وقليل الرحمة دون تشيان لونغ الحليم. السبب الآخر لتراجع أسرة تشينغ من الازدهار يرجع إلى البيروقراطيين الفاسدين والمتدهورين بشكل متزايد في أسرة تشينغ. في بداية أسرة تشينغ، كان الحكام ممتلئين بالاحترام لشعب الهان في السهول الوسطى، ولم يجرؤوا على التسبّب بأي قصور. بعد أكثر من 100 عام من العصر المستقر، ظنوا أن حكمهم صلب، وأن قلب الاحتراس تراجع تدريجيًا، بل إن الجانب البشع من الإنسانية يكشف بشكل متزايد، وهناك اختلاس

وفساد واسع النطاق في السياسة. على سبيل المثال، فضّل تشيان لونغ وزيره (خه شن) في عمره الأخير، فاختلسه بصفة مجنونة. حتى إن الإمبراطور (جيا تشينغ) كبح خه شن وفتّش منزله وصادر أملاكه، وجد أنه كان هناك عدد لا يُحصى من الكنوز في منزله، وكان مبلغ منزله يصل إلى 8 مائة مليون، أي ما يعادل العائدات المالية لسلالة تشينغ لمدة 10 سنوات. اختلس إلى درجة مرعبة، لذلك هناك قول مفاده إن "سقط خه شن، شبع جيا تشينغ". إن خه شن هو مجرد مثال واحد للفساد في الأوساط الرسمية لأسرة تشينغ، في ذلك الوقت، كان العديد من مسؤولي أسرة تشينغ مختلسًا وفاسدًا، وأصبح جو الأوساط الرسمية فاسدًا بشكل متزايد.

بعد فساد الإدارة الرسمية، زاد التناقض بين الحكومة والشعب، وتجاوز النمو السريع للسكان الحد العرضي للحبوب التي تنتجها الأراضي المزروعة، وكانت التناقضات الاجتماعية والتناقضات الطبقية في السنوات الأخيرة من فترة تشيان لونغ حادة للغاية، وظاهرة تمرّد الشعب الناجم عن تعسّف المسؤولين غير نادرة. في السنوات الأولى من عهد جيا تشينغ، اندلعت انتفاضة اللوتس البيضاء الواسعة النطاق التي تسبّبت في إصابة أسرة تشينغ بجروح خطيرة، وانتهى الوضع المزدهر منذ ذلك. حتى عهد داو قوانغ، اندلعت حرب الأفيون بين الصين وبريطانيا، والتي فتحت بداية تاريخ الصين الحديث.

إن السبب وراء أهمية حرب الأفيون هو أنها تمثّل تحولًا كبيرًا في العلاقات الخارجية لأسرة تشينغ: من نظام تقديم هدايا الولاء التقليدي الذي تعوّد الصينيون عليه إلى نظام المعاهدات العالمي. تمّ إكمال هذا التحوّل بالإجبار، لكن هذا يعني أيضًا أن الاتجاه العام للتبادلات الصينية الغربية لا يمكن وقفه. كانت حرب الأفيون نتيجة لانحطاط أسرة تشينغ وأيضًا بداية اكتشاف الصينيين للغرب وفهم الغرب والتعلّم من الغرب.

قبل حرب الأفيون، كانت الصين دولة منعزلة في العالم، ولم تنضمّ إلى أي منظمة دولية، ولم توقّع معاهدة مع دول أخرى في العالم باستثناء معاهدة نيبوتشو الموقّعة مع روسيا خلال عهد كانغ شي. ما وفّق مع حالة العزلة الدولية هو أنّ النظام التجاري الصيني غير معقول للغاية. في عام 1757، أمر الإمبراطور تشيان لونغ بأن تكون مدينة قوانغتشو ميناءً تجاريًا وحيدًا، ومن ثم تم النص على أنه يجب على الأجانب التواصل مع "البنك العام" (Cohong) من أجل التجارة مع الصين. وبالتالي سيطر "البنك العام" على الحق الحصري في التجارة الخارجية واستخدم هذا الامتياز لابتزاز رجال الأعمال الأجانب واستغلالهم تعسفيًا. في عام 1792، أرسل جورج الثالث إمبراطور

الإمبراطورية المتحدة وفدا إلى الصين برئاسة اللورد ماكارتني آملًا في التجارة مع الصين. لكن رفض الإمبراطور تشيان لونغ المغرور متطلبات التجارة البريطانية مباشرة. بعد ثلاثة وعشرين عامًا، أرسل البريطانيون وفدًا إلى الصين لمواصلة طلب التجارة. تمّ طرد الوفد من البلاد مباشرة لأنه رفض ممارسة مراسم السجود أمام الإمبراطور جيا تشينغ.

كانت أسرة تشينغ متعجرفة للغاية في وقت تراجعها، كل ذلك لأنها لم تفهم اتجاه العالم. عندما كان الإمبراطور تشيان لونغ منشغلًا باللعب في جنوب نهر اليانغتسي، مرَّ العالم بالتغيرات الهائلة، حيث قام بريطاني اسمه واط بتحسين المحرك البخاري، وبدأت الثورة الصناعية. وفي القارة الأمريكية، قامت مجموعة من المهاجرين البريطانيين بتأسيس البلد الجديد المسمى بالولايات المتحدة، هذا هو بلد بلا أباطرة على الإطلاق. وفي أوروبا، أطلق الشعب الفرنسي الثورة العظمى، وأعدم الإمبراطور لويس السادس عشر، وطرد النبلاء أيضًا، ونشأت الجمهورية الفرنسية. في هذا الوقت، تمت ترقية الغرب إلى عصر التصنيع، كما تم تأسيس النظام الديمقراطي المتمثل في "السيادة للشعب"، وأصبحت مفاهيم حقوق الإنسان مثل "الحرية والمساواة والأخوة" إجماعًا اجتماعيًا تدريجيًا. لكن الصينيون لا يعرفون شيئًا عن هذا، في نظر الصينيين، لا يعد الغربيون سوى الأهماج ذوي الأنف العالي والعيون الزرقاء. من الأفضل عدم التعامل مع مثل هؤلاء الناس. هذا المفهوم المحافظ جعل الصين منعزلة عن النظام العالمي بنفسها وأصبحت متخلفة أكثر فأكثر.

أراد الغربيون برئاسة الإمبراطورية المتحدة تطوير التجارة على نطاق عالمي، ولن يتخلوا عن السوق الصينية الضخمة في الخارج. بما أنه لا يمكن تحقيق الغرض من التجارة مع الصين عن طريق المفاوضات الدبلوماسية، فإنهم اختاروا استخدام تجارة الأفيون لفتح باب الصين. إن الكميات الكبيرة من مداخيل الأفيون لا تضرّ صحة الشعب الصيني فحسب، بل تسبّبت أيضًا في تدفق كبير من الفضة الصينية إلى الخارج، مما تسبّب في ارتفاع حاد في سعر الفضة، مما أدى إلى الأضرار الجسيمة للمجتمع الصيني. ثم أمر الإمبراطور داو قوانغ الوزير الإمبراطوري (لين تسه شيوي) بالذهاب إلى قوانغدونغ لحظر الأفيون. حظر لين تسه شيوي أكثر من 20 ألف صندوق من الأفيون بتدابير صارمة مثل حصار السفارة البريطانية ورهن رجال الأعمال البريطانيين، وفي يونيو 1839، تم تدمير الأفيون المحظور على شاطئ هومن.

زادت حملة تدمير الأفيون الصارمة من شدة الصراع بين الصين وبريطانيا بسرعة. من أجل إنقاذ ماء الوجه وتحقيق التجارة، أجاز البرلمان البريطاني قرارًا في عام 1840 لشن الحرب على الصين. في حرب الأفيون،

أرسلت الإمبراطورية المتحدة في البداية 7 آلاف جندي فقط، بل زاد العدد تدريجيًا إلى 20 ألف. وبمجرد الاعتماد على هذه القوة، هزمت الإمبراطورية المتحدة سلامة تشينغ الحاكمة التي كان عدد سكانها الإجمالي أكثر من 400 مليون وعدد القوات تصدّر المركز الأول في العالم. هذا يكفي ليدلّ على أن الصين قد تخلّفت بالفعل. لم تقدر الصين وجيوشها التي بقيت في الفترة الزراعية القديمة على معارضة البلدان الصناعية المتقدمة. بعد هزيمة حرب الأفيون، وقّعت أسرة تشينغ على "معاهدة نانجينغ" مع البريطانيين، وقامت حكومة تشينغ بتعويض البريطانيين عن 21 مليون ليانغ من فضة، وتنازلت عن هونغ كونغ للإمبراطورية المتحدة، وفتحت خمسة موانئ تجارية - قوانغتشو وفوتشو وشيامن ونينغبو وشانغهاي في نفس الوقت. سمحت للبريطانيين أن يقوموا بالتجارة والعيش في هذه الأماكن الخمسة.

ومع ذلك، فإن حرب الأفيون لم تغيّر جذريًا مفهوم الشعب الصيني، وما زال مسؤولو أسرة تشينغ يستخدمون الأساليب الدبلوماسية القديمة للتعامل مع البريطانيين ولم يكونوا راغبين في تنفيذ شروط المعاهدة. على سبيل المثال، نصّت "معاهدة نانجينغ" على أنه يمكن لرجال الأعمال البريطانيين العيش في مدينة قوانغتشو، ولكن في الواقع لا يستطيع البريطانيون دخول قوانغتشو. عندما كان البريطانيون يتفاوضون مع المسؤولين الصينيين، لم يستجب أحد، اتخذ المسؤولون الصينيون حيلة الاختباء والمماطلة لاستهلاك صبر الشعب البريطاني. لذلك أسفر عن المزيد من الاحتكاك والتناقضات بين الجانبين الصيني والبريطاني. في عام 1856، أرسل حاكم مقاطعة قوانغدونغ (يي مينغ تشي) القوات لركوب السفينة التجارية "يالوه" البريطانية للتفتيش، وأثار هذا الحادث الحرب مرة أخرى. هذه المرة، شكلت بريطانيا وفرنسا جيشًا متحالفًا وهاجمتا بكين، فرَّ الإمبراطور شيان فنغ إلى ره خه، ونهبت قوات التحالف البريطانية والفرنسية حديقة يوان مينغ يوان وأحرقتها.

في نفس الوقت الذي تعاني سلالة تشينغ الحاكمة من الغزو الأجنبي خارجيًا، اندلع العصيان المدني داخل البلاد باستمرار. كان سبب العصيان المدني نتيجة لإجبار الحكومة الشعب على الإنتقاض، والثاني هو إعادة إشعال فكر "معارضة تشنغ واستعادة مينغ" الذي يكمن بين الأقوام باستغلال تراجع سلالة تشينغ الملكية. خلال 11 عامًا منذ اندلاع حرب الأفيون في عام 1840 وانتفاضة إمبراطورية تايبينغ السماوية في عام 1851، اندلعت في أسرة تشينغ "اضطرابات مدنية" كل عام. أدى تراكم "الاضطرابات المدنية" في النهاية إلى حركةإمبراطورية تايبينغ الهائلة.

زعيم تمرّد إمبراطورية تايبينغ السماوية هو هونغ شيوكوان. أسس مسيحية تايبينغ ونظّم الفلاحين لمحاربة أسرة تشينغ تحت راية الدين. كان على رأس انتفاضة الفلاحين في قرية جينتيان في مقاطعة قوانغشي في عام 1851، ثم استولى على محافظة يونغان، وبنى إمبراطورية تايبينغ السماوية، وادعى هونغ شيوكوان أنه إمبراطور السماء وتحدى حكومة تشينغ رسميًا. تقدّم جيش تايبينغ على طول الطريق، وفي عام 1853، سيطر على مدينة نانجينغ واتخذها عاصمة، وغيّر اسمها إلى تيانجينغ، مما شكّل وضع التنافس مع أسرة تشينغ للسيطرة على البلاد. تم القضاء على إمبراطورية شيبينغ السماوية حتى عام 1864 من قبل جيش شيانغ، واستمرت لمدة 14 عامًا وكانت أكبر ثورة فلاحية في التاريخ من حيث النطاق.

في عملية قمع حركة إمبراطورية تايبينغ الهائلة، تم تأسيس جيش هونان وزننغ غوفان. بدأ هو وزملاؤه وطلابه بمزاولة شؤون التغريب وتعزيز التصنيع في الصين. أقاموا صناعات عسكرية ومدنية حديثة وأصلحوا المؤسسات العسكرية والدبلوماسية والثقافية والمؤسسات ذات الصلة في محكمة تشينغ. كانت هذه قوة تقدمية في ذلك الوقت. ومع ذلك، بعد أكثر من 30 عامًا من مزاولة شؤون التغريب، هزمت الصين في الحرب الصينية اليابانية الأولى، واضطرت مرة ثانية إلى التوقيع على المعاهدة المذلة والتنازل عن الأراضي والتعويض عن الأموال. إن هزيمة الصين في الحرب الصينية اليابانية الأولى وتوقيعها اللاحق على معاهدة شيمونوسيكي بين الصين واليابان يرمز إلى الفشل النهائي لحركة التغريب التي لم تجعل الصين قوية حقيقيًا.

تسبّبت هزيمة الصين في الحرب الصينية اليابانية الأولى باقتسامها من قبل القوى الكبرى الخارجية. عندما رأت البلدان مكاسب حقيقية حصلت اليابان عليها في الصين، فإنها تنافست على سلبها وتطالبت بتحديد مجالات النفوذ. كما دفعت الحرب الصينية اليابانية الأولى الصينيين لأن يستيقظوا فجأة: لو لم تستطع حركة التغريب إنقاذ الصين، فأين يجب أن تتوجّه الصين؟ هناك فكرتان "الإصلاح" و"الثورة".

الشخصية التمثيلية التي اقترحت مشروع الإصلاح هي كانغ يو وي، والذي بعد توقيع معاهدة شيمونوسيكي بين الصين واليابان، استنهض المجازين المحليين في بكين لتقديم الرسالة المشتركة وهي الدعوة إلى نقل العاصمة والقيام بالحرب ضد اليابان، وهذا هو "حملة تقديم رسالة مشتركة" المشهورة. كشفت "حملة تقديم رسالة مشتركة" مقدمة الإصلاح الدستوري والتجديد. وصل الإصلاح الدستوري والتجديد إلى ذروته في عام 1898 (عام وو شيوي)، في هذا العام قدّم كانغ يو وي رسالة إلى الإمبراطور قوانغشو، وطرح

سلسلة من مقترحات الإصلاح. قدّر الإمبراطور قوانغشو كانغ يو وي كثيرًا. لذلك، نفّذ كانغ يو وي وليانغ تشي تشاو وتان سي تونغ وغيرهم الإصلاح والتجديد بدعم الإمبراطور قوانغشو. في غضون 103 أيام، أصدر الإصلاحيون أكثر من 200 إجراء إصلاحي، مثل نزع المناصب للعديد من الوزراء العنيدين والمتدينين، وإلغاء بعض المؤسسات غير الضرورية، وإلغاء رسالة ذات أجزاء ثمانية، وهلم جرّا.

لقد أدّى الإصلاح الدستوري والتجديد إلى تحطيم الوظائف الآمنة للعديد من الأشخاص، مما تسبب في معارضة بعض المسؤولين المحافظين. والأهم من ذلك أن الإمبراطور قوانغشو سرّح أعدادًا كبيرة من المسؤولين، بحيث أشعر الإمبراطورة الأرملة تسيشي بسقوط سلطتها. ونتيجة لذلك، أطلقت الإمبراطورة الأرملة تسيشي انقلابًا سياسيًا وسجنت الإمبراطور قوانغشو وأمرت بالقبض على المتورطين في الإصلاح والتجديد، وأعلنت عن فشل حركة الإصلاح الدستوري والتجديد. هرب كانغ يو وي وليانغ تشي تشاو والآخرون إلى اليابان، بينما قتل وتان سيتونغ ولين شو ويانغ شنشيو وليو قوانغدي ويانغ روي وكانغ قوانغرين، الأشخاص الستة في تساي شي كو، هم يسمون بستة رجال نبلاء ووشيوي.

بعد فشل حركة الإصلاح الدستوري والتجديد، فإن الشيء الوحيد المتبقي هو "الثورة". ممثل الاقتراح الثوري هو سون يات سين، وقد قدّم عريضة إلى لي هونغ تشانغ في سنواته الأولى لعرض اقتراحات الإصلاح، لكن لي هونغ تشانغ تجاهلها. وخلص سون يات سين بالتالي إلى أن الحديث عن الإصلاحات مع حكام أسرة تشينغ هو بمثابة مناقشة مع النمر لكسب جلده. فقط من خلال إطلاق الثورة المسلحة والإطاحة بأسرة تشينغ بالكامل، يمكن إنقاذ الصين نهائيًا. في عام 1894، أنشأ سون يات سين المنظمة الثورية "جمعية إحياء الصين" في هونولولو.

بعد فشل حركة الإصلاح والتجديد في عام 1898، تم الاعتراف بمقترح سون يات سين الثوري من قبل العديد من أفراد النخبة الاجتماعية. تطورت القضية الثورية بسرعة، حيث تم تأسيس الجمعيات الثورية في جميع أنحاء البلاد، وقد وحّد سون الجمعيات الثورية في جميع أنحاء البلاد لتشكيل "جمعية التحالف الثوري الصيني". أطلقت جمعية التحالف الثوري الصيني العديد من الانتفاضات المسلحة لكن فشلت كلها. ومع ذلك، في 10 أكتوبر عام 1911، أطلق الحزب الثوري في جيش هوبى الجديد انتفاضة ووتشانغ مع نقل جيش تشينغ إلى سيتشوان لقمع حركة حماية السكك الحديدية في مقاطعة سيتشوان، وكانت هذه الانتفاضة ناجحة.

بعد انتفاضة ووتشانغ، أعلنت المقاطعات استقلالها واحدة تلو الأخرى وانهارت إمبراطورية تشنغ منذ ذلك الحين. في 12 فبراير من عام 1912، أقامت الإمبراطورة الأرملة لونغ يو مع الإمبراطور بو يي البالغ 6 سنوات من عمره اجتماع الصباح الأخير في المحكمة وأصدرت كتاب التنازل عن العرش، معلنةً أن "حكم السلطة قد نسب إلى البلاد بأكملها، وتم تعيينها كهيئة دستورية جمهورية، مما خفّف شعور الناس الذي كمن في كراهية الفوضى والرغبة في السلام، وإظهار عدل البلاد". تمثّل هذه الخطوة النهاية الرسمية لسلالة تشينغ التي مرت بـ 26 عامًا، وأعلنت أيضًا أن نظام الإمبراطور الذي كان قد بدأ منذ تشين شي هوانغ ومر بأكثر من ألفي عام قد وصل إلى نهايته.

المعلومات الإضافية: المرتان من تقييم ماركس لإمبراطورية تايبينغ السماوية

كان هونغ شيوكوان سيوتساي (عالم سقط من رتبته)، أما مسيحية تايبينغ التي أسسها، فهي فقط إستخدام اسم "الله" في المسيحية، وأعلن أن يهوه هو الأب السماوي ويسوع هو الأخ السماوي، وهو الشقيق تسوع السماوي. ادّعى أنه تلقى رؤى الأب السماوي والأخ السماوي لإنقاذ العالم. مسيحية تايبينغ تركت أيضًا محتوى يعلّم المسيحيين الصبر، وشدّدت على المعارضة بين الخير والشر، ودعت المؤمنين إلى "القضاء على الشيطان من أسرة تشينغ". في الوقت نفسه، وعلى لسان عبادة الإله الحقيقي الوحيد "الله"، حظرت إمبراطورية تايبينغ السماوية أيضًا عبادة الأسلاف، ودمّرت تماثيل كونفوشيوس، وأحرقت الكلاسيكيات الكونفوشيوسية. هذا في الواقع تصرّف همجي يتحدّى النظام والمعتقدات الأخلاقية الصينية. حول هذه النقطة كما قال لي تسه هو: "إن إله هونغ شيوكوان ليس حلم الأخوة للبرجوازية الحديثة، ولكن الإله المنتقم للإخوان الفلاحين". يمكن القول إنّ مسيحية تايبينغ التي أسسها هونغ شيوكوان تهدف في الحفاظ على حكمه على لسان "الله" وحق الإله.

عندما قاد هونغ شيوكوان إمبراطورية تايبينغ السماوية لمهاجمة أسرة تشينغ، لم يكن للقوى الكبرى الغربية حكم واضح على الوضع في الصين، ولم يعرفوا ما إذا كانوا سيدعمون محكمة تشينغ أو يدعمون إمبراطورية تايبينغ السماوية. مع مرور الأزمنة، أصبح جانب الجهل والسخافة لهونغ شيوكوان ومجموعته الحاكمة معروفًا عند الناس بشكل متزايد. خاصة بعد اتخاذ تيانجين كعاصمة، تدهورت الطبقة الحاكمة في إمبراطورية تايبينغ السماوية بسرعة، وانغمست في الملذات تارة وشكّ وضغط بعضهم البعض تارة أخرى. قال هونغ شيوكوان وغيره من الناس إن الملوك كانوا إخوانًا متساوين ولدوا للأب السماوي، لكن النتيجة كانت تقاتل بعضهم البعض؛ لقد بشّروا بإلغاء الملكية

الخاصة وأقاموا بلادًا سماوية جميلة متمثلة في" هناك حقول، نحرثها معًا، هناك طعام نتناوله معًا، هناك ملابس نرتديها معًا، هناك مال ننفقه معًا، لا يوجد عدم عدل في أي مكان، لا يوجد عدم دفء لأي شخص"، ولكن في الواقع، جمع هونغ شيوكوان والملوك الكثير من الثروة، ودعوا إلى أن يعيش الزوج والزوجة منفصلين وأقرّوا نظام الزواج الأحادي، ولكن الإمبراطور السماوي هونغ شيوكوان لديه 88 محظية، هذا العدد أكثر من محظيات إمبراطور أسرة تشينغ. كيف سمحت المسيحية بذلك؟ في هذه المرحلة، أنف المبشرون الغربيون من مسيحية تايبينغ بشدة، وتم عكس المواقف الغربية تجاه إمبراطورية تايبينغ السماوية، واختاروا أخيرًا دعم أسرة تشينغ، وشكّل الأمريكي فريدريك وول أيضًا فريق الأسلحة الأجنبية وتحارب مع جيش تايبينغ.

كان ماركس هو أفضل من يصف تغيير موقف الأجانب من إمبراطورية تايبينغ السماوية. بعد فترة وجيزة من تمرد تايبينغ، كتب ماركس مقالًا لدعم التمرّد، وتوقّع شاعريًا: "الإمبراطورية الأقدم والأكثر توحيدًا في العالم، تحت تأثير عدد كبير من الأقمشة المطبوعة من قبل البرجوازيين البريطانيين في ثماني سنوات، أصبحت بالفعل عشية التغيير الاجتماعي، من المؤكد أن هذا التغيير سوف يجلب نتائج مهمة للغاية لحضارة هذا البلد. إذا فرَّ متمردونا الأوروبيون إلى آسيا في المستقبل القريب ووصلوا في النهاية إلى السور العظيم ووصلوا إلى بوابات الحصون الأكثر تمردا ومحافظة، فقد سيرون الكلمات مثل هذا: جمهورية الصين - الحرية والمساواة والأخوة".

من الواضح أن هذا النوع من النبوءات متفائل للغاية، بعد 12 عامًا، في عام 1862، عندما عرف ماركس الموقف تمامًا، انتقد بلا رحمة مرة أخرى إمبراطورية تايبينغ السماوية في مقال "تسجيل أحداث الصين": "بالإضافة إلى تغيير السلالة، لم يقترحوا أي مهمة على أنفسهم، ليس لديهم أي شعارات، إن الرعب الذي جلبوه للناس أسوأ من الرعب الذي أعطاه الحكام القدامى. ويبدو أن مهمتهم بأكملها تتعارض مع الركود والفساد بالتدمير القبيح، وهذا النوع من التدمير ليس له أي إمكانية في التطوير... جيش تايبينغ هو تجسيد للشيطان الذي تصورته الأوهام الصينية، لكن فقط في الصين يوجد مثل هذه الشياطين. مثل هذه الشياطين هي نتاج للحياة الاجتماعية الراكدة!".

ملخّص وجهات النظر: لماذا فشلت حركة التغريب؟

من أوائل الستينيات إلى منتصف التسعينيات في القرن التاسع عشر، خلال الثلاثين عامًا الماضي، أمرت حركة التغريب الرياح والمطر في الصين لفترة طويلة. هي نوع من إصلاح الحماية الذاتية الذي تبنّته محكمة تشينغ خلال

الصعوبات الداخلية والخارجية المتشابكة. في ذلك الوقت، كانت هناك القوى الكبرى التي نظرت إلى الصين في الخارج، وأيضًا هناك تمرّد إمبراطورية تايبينغ السماوية داخليًا، وفي ظل هذه الظروف، قرّر بعض مسؤولي محكمة تشينغ قمع تمرّد إمبراطورية تايبينغ السماوية التي كانت "خطر القلب"، ثم محاولة مقاومة العدوان الأجنبي الذي كان يُعتبر "خطر الأطراف". تحقيقًا لهذه الغاية، بدأوا في تنفيذ ما يسمى "الاعتماد على الذات والسياسة الجديدين" لإدخال ودراسة العلوم والتكنولوجيا الغربية المتقدمة (أولًا التكنولوجيا العسكرية)، حاولوا الحصول على الدعم العسكري عبر تحسين العلاقة مع الغرب من ناحية، من ناحية أخرى، أرادوا تحقيق التصنيع في الصين عبر هذه الطريقة، أخيرًا حقّقوا المطاف المتمثل في الاعتماد على الذات.

من المؤكد أن فكرة مدرسة التغريب جيدة، ولكن في البداية، كان تظهر ظاهرة عدم الصلة بين النظام والتكنولوجيا في حركة التغريب. وفقًا لقول تشانغ تشي دونغ، فإن تعلّم الغرب في حركة التغريب هدفه في" العلوم الصينية التقليدية هي أساس، والعلوم الغربية هي للتطبيق"، يعني الحفاظ على النظام والأيديولوجية الكاملة لإمبراطورية تشينغ و"عدم زعزعتها" وفقط تعلّم التكنولوجيا الغربية. ولكن لا يعرفون أن "الأساس" و"التطبيق" لا ينفصلان في كثير من الحالات. كما قال يان فو: "نتحدث عن الأساس والتطبيق، هذا بناء على نفس الجسد، جسم البقر كأساس، يستخدم في تحمّل الوزن من حيث التطبيق، جسم الحصان كأساس، يستخدم في السفر البعيد من حيث التطبيق. لم أسمع أن جسم البقر يستخدم في السفر البعيد". السبب بسيط للغاية. إذا ظل النظام والأيديولوجية في الصين بأكملهما على حالهما، فإن مجرّد تعلّم التكنولوجيا المتقدمة في الغرب لن يساعد في "الاعتماد على الذات"، هذا مثل نقل أرجل الخيول على جسم الأبقار إجباريًا. فشل كل منهما بسبب عدم التطابق بينهما وتقييد بعضهما البعض. أثبت فشل حركة التغريب أخيرًا حكم يان فو، ويمكن القول إن الانفصال الخطير بين "الأساس" و"التطبيق" هو السبب الأساسي لفشل حركة التغريب. أخبرت حركة التغريب الأجيال القادمة بفشلها أن التغيير التكنولوجي والتنمية الصناعية وحدهما لا يستطيعان الاستمرار لمدة طويلة لو لم يكن هناك تنسيق مناسب للتغيّرات المؤسسية.

الجزء الآخر المنفصل من حركة التغريب هو أنها تسعى إلى تحقيق الهدف المتمثل في ازدهار وقوة البلاد القوية، لكن في عملية التشغيل الفعلي، لا تسمح فقط لأصحاب المستوى الأدنى بالاستمتاع بفوائد التغيير، ولكن أيضًا تسبّبت في كساد معيشة الناس إلى حد ما. حركة التغريب هي تغيير من أعلى إلى أسفل، وقد كان التغيير دائمًا قائمًا على الدولة وليس على

معيشة الشعب. مهما أسست مدرسة التغريب المؤسسات العسكرية وأنتجت الأسلحة والسفن، كان الغرض الرئيسي تعزيز القوة العسكرية والقوة الصناعية لمحكمة تشينغ، ولم تفكّر كثيرًا فيما إذا كان باستطاعة الأفراد العاديين الاستفادة من هذا التغيير. وحتى من أجل تحقيق الازدهار الوطني المزعوم، فإنهم ما زالوا لا يترددون في انتهاك المصالح الحيوية للناس العاديين.

قامت حركة التغريب ببناء خطوط السكك الحديدية وبناء السفن وتطوير صناعة الآلات والتعدين، وهذه الصناعات تحتاج الصين إليها بالطبع، إلا أن رفع مستوى الصناعات غالبًا ما يؤدي إلى فقدان بعض عمال المستوى الأدنى لوظائفهم. لذلك، في ظل نظام اجتماعي مسؤول، يجب على الحكومة أن تأخذ في الاعتبار قدرة على تحمّل الناس للتكاليف في المستوى السفلي خلال عملية تعزيز التغيّر التكنولوجي وتحقيق التحديث الصناعي، ويجب ألّا تدع الأشخاص الأقل مستوى يعيشون حياة بائسة أكثر. لكن ليست حركة التغريب هكذا. ترك تطوير النقل بالسكك الحديدية وصناعة الشحن البحري عددًا كبيرًا من "أصحاب السفن" و"أصحاب السيارات" و"الحمّالين" العاطلين عن العمل. لقد تمّ استبعاد هؤلاء العمال من المستوى الأدنى عن المهن القديمة من قبل حركة التغريب، وأيضًا من الصعب الدخول إلى المهن الجديدة، فلا يرافقهم إلا الضيق والاستياء اليومي. لذلك، في ذلك الوقت، انتقد بعض الناس حركة التغريب قائلًا إنها "استغلال مصالح الفقراء لإثراء المسؤولين الحكوميين". حتى ممثّل مجموعة التغريب (لي هونغ تشانغ) يعترف بأن "الغربيين المألوفين عن حركة التغريب اليوم غالبًا ما يكونون منفصلين عن الإدارة الرسمية ومعيشة الشعب".

نظرًا لأن حركة التغريب "الفصل" عن معيشة الشعب، وحتى "استغلال مصالح الفقراء لإثراء المسؤولين الحكوميين"، فمن المعقول أنها لم تحصل على دعم الجمهور العام. بدون مشاركة ودعم الجمهور العام، أليس فشل في النهاية معقولًا؟ مهما كان إصلاحًا أو تغييرًا للتكنولوجيا، إذا لم ينطلق من مستوى الشعب، ولا يعتبر تحسّن معيشة الشعب كنقطة انطلاق وموطئ قدم، فقط يعتبر الأشخاص السفليين كأداة لتحمّل آلام الإصلاح، إذن، من الضروري تخلّي الجمهور العام عن هذا النوع من الإصلاح. يمكن القول إن هذا درس مهم آخر لحركة التغريب.

أخيرًا، يجب أن نتحدث عن مشكلة توظيف الأشخاص في حركة التغريب. قال ماو تسي تونغ ذات مرة: "بعد تحديد الخط السياسي، الكوادر هي العوامل الجذرية". لذا ما هو النوع من "الكوادر" الذين عيّنهم ورفعهم لي

هونغ تشانغ وتشانغ تشي دونغ وغيرهم في حركة التغريب؟ ببساطة، إن الأشخاص المعينين الذين يتعاملون مع شؤون التغريب بعيدون عن العمل المجيد والأخلاق. من ناحية، اشترى نشطاء التغريب هؤلاء السفن وأنتجوا الأسلحة، وفتحوا المناجم وتدربوا على القوات محاولين بفاعلية في إدخال الصناعات الغربية الحديثة والتقنيات المتقدمة إلى الصين، ومن ناحية أخرى، اختلس هؤلاء الأشخاص وشاركوا في الفساد من خلال عمل حركة التغريب، مما تسبّب في تجمّع مجموعة من المتوددين للقوى تحت راية حركة التغريب، ابتعد الأشخاص العادلون المثاليون والأخلاقيون الذين يخجلون من التعامل مع اللئام عن شؤون التغريب بشكل متزايد، والنتيجة هي ظاهرة غريبة للموارد البشرية: كانت حركة التغريب قوة متطورة في ذلك الوقت، إلا أن الأشخاص المتورطين فيها كانوا معظمهم "الفاسدين" الذين سعوا وراء الشهرة والثروة ولم يكن لديهم سلوك أخلاقي. حتى أنّ ممثل مجموعة التغريب (تشانغ تشي دونغ) يعترف بهذه النقطة، وقال: "الجو في السنوات الأخيرة، الأشخاص الذين عرفوا شؤون التغريب، معظمهم سعى وراء الأرباح الخاصة". لخّص (ليانغ تشي تشاو) هذه الفترة من التاريخ قائلًا إنّ المتوّرطين في حركة التغريب هم "سافلون طوال أعمارهم".

لقد وقعت مهنة متقدمة تمامًا من الناحية النظرية أخيرًا في أيدي مجموعة من "مكتسبي الأرباح الخاصة"، وذلك يكشف غرابة التغيّر المتعدِّد للتاريخ. يكشف التشابكُ بين التقدم النظري مع السلوك الفاسد في العمليات الفعلية الفصلَ الخطير بين تعامل مجموعة التغريب مع الأشخاص والأمور. قال (لي آو) ذات مرة: "إن الكفاح مع أي نوع من الأشخاص أهم من هدف القتال في بعض الأحيان". بما أن "معظمهم سعى وراء الأرباح الخاصة في حركة التغريب"، فليس من المستغرب إن انتهت بالفشل.

عواصف وأمطار جمهورية الصين

نجحت ثورة 1911 بقيادة سون يات سين في الإطاحة بأسرة تشينغ وأنهت نظام الاستبداد الإمبراطوري آخذه بعين الاعتبار المكانة الثورية النبيلة التي يتمتّع بها سون يات سين، الذي انتخبه ممثلو المكاتب الحكومية الإقليمية سون يات سين في مدينة نانجينغ في نهاية ديسمبر 1911 كرئيس مؤقّت لجمهورية الصين.

في 1 من يناير 1912، تم تأسيس الحكومة المؤقتة لجمهورية الصين في نانجينغ.

حتى وقت إنشاء الحكومة المؤقتة لجمهورية الصين، لم يتنازل إمبراطور أسرة تشينغ عن عرشه بعد. لا تزال القوة الحقيقية في المنطقة الشمالية في يد (يوان شيكاي) الذي سيطر على قوات الجيش. لم يكن لدى حكومة نانجينغ المؤقتة التي أنشئت حديثًا القوات الكافية لتوحيد البلاد، لذا لم تتمكن إلا من التوصل إلى حل الوسط مع يوان شيكاي: إذا وافق يوان شيكاي على الجمهورية وكان بإمكانه دفع تنازل إمبراطور أسرة تشينغ عن عرشه بشكل سلبي، فوافق سون يات سين على منح اللقب الرئاسي المؤقت ليوان شيكاي.

بعد الوساطة، نجح يوان شيكاي حقًا في دفع تنازل إمبراطور أسرة تشينغ عن عرشه. في اليوم الثاني من تنازل بو يي عن عرشه، نشر يوان شيكاي إعلانًا عن موافقته على الجمهورية، كما استقال سون يات سين كرئيس مؤقت لجمهورية الصين وفقًا للاتفاقية السابقة. في وقت لاحق، حلف يوان شيكاي اليمين كرئيس مؤقت ثان لجمهورية الصين في 10 مارس 1912 في بكين.

قبل منح لقب الرئيس المؤقت إلى يوان شيكاي، صاغ سون يات سين ورفاقه "دستورًا مؤقتًا" في محاولة لتقييد سلطته. لكن بعد أن أصبح يوان شيكاي رئيسًا، استمرت سلطته في التوسع. من أجل تقييده، أعاد (سونغ جياورين) حليفُ سون يات سين تنظيم جمعية التحالف الثوري الصيني ليصبح حزب الكومينتانغ (الحزب القومي) في أغسطس 1912 وفاز في انتخابات الكونغرس عام 1913. وفقًا للوائح، سيتولى سونغ جياورين منصب رئيس مجلس الوزراء، وهذا المنصب يكفي للحد من توسيع سلطة يوان شيكاي. لكن لم يُسمح بهذا الأمر من قِبل يوان شيكاي، فقد أمر باغتيال سونغ جياورين.

بعد اغتيال سونغ جياورين، قام سون يات سين وغيره من أعضاء حزب الكومينتانغ بـ "الثورة "مرة أخرى، هي "الثورة الثانية". انتهز يوان شيكاي الفرصة ليعلن أن حزب الكومينتانغ كان حزبًا فوضويًا واستخدم القوة لقمع "الثورة الثانية". في أكتوبر 1913، انتخبت الهيئة البرلمانية يوان شيكاي رئيسًا لجمهورية الصين. في وقت لاحق، أصدر يوان شيكاي بالقوة دستورًا جديدًا، نص على أن الرئيس يستطيع أن يتوظف مدى الحياة.

بعد أن أصبح يوان شيكاي رئيسا مدى الحياة، كان لا يزال غير راضٍ عن ذلك، فاستعاد النظام الملكي في 12 ديسمبر 1915، وأصبح إمبراطورًا. تسبّبت هذه الخطوة في الغضب الشعبي، حيث نظّم الجنرال (تساي إ) أولًا الجيش في مقاطعة يونان وعارض يوان شيكاي بالقوة، وساندته المقاطعات الأخرى. في ظل تخلي أنصاره عنه وتنكّر أتباعه له، توفي يوان شيكاي مرضًا بعد توليه العرش لمدة 83 يومًا.

بعد وفاة يوان شيكاي، انقسم أمراء الحرب الشماليون إلى ثلاثة فصائل رئيسية: فصيلة وان، فصيلة تشي، وفصيلة فنغ، تقاتل أمراء الحرب من مختلف الفصائل من أجل السلطة. تحليل المؤرخ جون كينج فيربانك لهذا الموقف هو: "للثوار حزب ولا قوات في عام 1911، فلم يتمكّنوا من السيطرة على السلطة. لأمراء الحرب اليوم قوات ولا حزب، فهم ضعفاء أيضًا. استمروا في استخدام وإساءة استخدام الكونغرس والشعار، هذا دلّ بالضبط على أنهم يفتقرون إلى المبادئ والمؤسسات الكافية. منذ عام 1913، عندما تم إحياء التسلح، تفككت الأحزاب. ولا يمكن لأي شخص الجمع بين القوات العسكرية الناشئة مع المنظمات السياسية الجديدة. وقد انهارت الحكومة الصينية تحت حكم إمراء الحرب وتحمّل الشعب المصاعب الثقيلة، لقد وصل المجتمع الصيني إلى ذروة الفوضى بعد قرن من التراجع".

عندما حكم أمراء الحرب من فصيلة وان الصينَ، أعلنت الصين الحرب على ألمانيا في عام 1917 وانضمت إلى قوات الحلفاء في الحرب العالمية

الأولى. ومع ذلك، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عقدت القوى الغربية مؤتمر السلام في باريس، والذي نقل الامتياز الألماني الأصلي في شاندونغ الصين إلى اليابان، وكانت حكومة أمراء الحرب الشماليين على استعداد لتوقيع العقد. بعد وصول هذا الخبر إلى الصين، أثار الضجة في الرأي العام. في 4 مايو 1919، خرج عدد كبير من الطلاب إلى الشوارع للاحتجاج على الخونة من حكومة أمراء الحرب الشماليين. هذه هي "حركة الرابع من مايو" الشهيرة.

لم تؤدِّ حركة الرابع من مايو إلى ولادة الحزب الشيوعي الصيني الذي تأسس عام 1921 فحسب، بل أعادت إشعال الثورة الجمهورية عند انخفاض المد أيضًا. أعاد سون يات سين تنظيم حزب الكومينتانغ لمعارضة حكومة بيانغ آنذاك. تلقى سون يات سين الدعم من الاتحاد السوفياتي وأنشأ الحكومة الوطنية الجنوبية في مدينة قوانغتشو. في ذلك الوقت، قدّم الاتحاد السوفياتي عددًا كبيرًا من الأسلحة إلى الحكومة الوطنية الجنوبية، وتم جمع الأموال الثورية المطلوبة التي احتاجت حكومة قوانغتشو إليها بواسطة المستشار الشهير بورودين للأممية الثالثة. في مقابل دعم الاتحاد السوفياتي، حدّد حزب الكومينتانغ بقيادة سون يات سين السياسات الرئيسية الثلاث "تعاون مع روسيا، تعاون مع الحزب الشيوعي، ودعم العمال الزراعيين" والسماح لأعضاء الحزب الشيوعي الصيني بالانضمام إلى حزب الكومينتانغ. وبهذه الطريقة، تعاون الاتحاد السوفياتي وحزب الكومينتانغ والحزب الشيوعي في عام 1924 لتأسيس مدرسة ضباط القوات البرية لحزب كومينتانغ الصيني في قوانغتشو، أي أكاديمية هوانغبو العسكرية الشهيرة، وأصبح تشيانغ كاي شيك الذي كان موضع تقدير لسون يات سين مديرَ أكاديمية هوانغبو العسكرية.

في مارس 1925، توفي سون يات سين في بكين بسبب المرض.

في يونيو 1926، قررت اللجنة المركزية للكومينتانغ توجيه الحملة الشمالية لهزيمة أمراء الحرب الشماليين بالقوة وتوحيد الصين. انتصرت الحملة الشمالية وهُزم أمير الحرب (وو بيفو). أعلن تشانغ شويليانغ بحزم "تغيير العلم" في نهاية عام 1928 بعد مقتل والده تشانغ زولين على يد اليابانيين. وحّد نظام الكومينتانغ بقيادة شيانغ كاي شيك البلاد بشكلها.

وقت فوز الحملة الشمالية خطوة خطوة، أمر تشيانغ كاي شيك بـ "تطهير الحزب" في شنغهاي في 12 أبريل 1927، حيث اعتقل وأعدم عددًا كبيرًا من أعضاء الحزب الشيوعي الصيني. لقد قطعت علاقة التعاون بين حزب الكومينتانغ والحزب الشيوعي منذ هذا الوقت، وأجبرت قوات الحزب الشيوعي على الانسحاب من المدينة وانتقلت إلى الريف، وتم تشكيل الجيش

الثوري الصيني من العمال والفلاحين في منطقة جينغ قانغ شان في مقاطعة جيانغشي.

إن الفترة من 1928 إلى 1937 كانت فترة وطد حزب الكومينتانغ قوته وحقّق منجزاته. نفّذت حكومة الكومينتانغ سلسلة من بناء البنية التحتية، وحقّق تطور الاقتصاد والثقافة والتعليم والقضاء والجوانب الأخرى إلى حد ما، فاتخذت الصين خطوة أخرى نحو التصنيع والتحديث.

في عام 1937، شنّت اليابان حرب عدوان واسعة النطاق على الصين، فسقطت أرض الصين مرة أخرى في الحرب. بعد مقاومة العدوان الياباني للأمة بأسرها، فاز الشعب الصيني بانتصار حرب المقاومة ضد العدوان الياباني.

لم يأتِ السلام إلى الشعب الصيني. فقد اندلعت الحرب الأهلية بسبب انهيار محادثات السلام بين حزب الكومينتانغ والحزب الشيوعي، واستمرت هذه الحرب من عام 1946 إلى عام 1949. ونتيجة لذلك، أطاح الحزب الشيوعي تمامًا بالقوة الرجعية للكومينتانغ وأنشأ الصين الجديدة.

المعلومات الإضافية: "السيد ده" و"السيد ساي" المدافعين في حركة الثقافة الجديدة

كانت فترة جمهورية الصين فترة من الفوضى في التاريخ الصيني، ففي هذا العالم المضطرب، تحت حكم أمراء الحرب الشماليين، انطلق المثقفون الصينيون في حركة الثقافة الجديدة بعيدة المدى في مجال الأيديولوجية والثقافة.

بعد سلسلة من الاستكشافات مثل حركة التغريب، والإصلاح الدستوري والتجديد، وثورة 1911، أدرك بعض المفكرين البارزين في الصين أن السبب وراء تأخر الصين هو أنها تفتقر إلى مفهوم الجمهورية الديمقراطية في العقل الوطني. لإنقاذ الصين، يجب تنوير العقل من الأيديولوجية الثقافية. وهكذا، في 15 سبتمبر 1915، أسس (تشن دو شيو) "مجلة الشباب" في شنغهاي، هذا يرمز إلى بداية حركة الثقافة الجديدة. يعدّ تشن دو شيو ديموقراطيًا راديكاليًا، فهو كره حكم أمراء الحرب في ذلك الوقت بشدة وأمل في تحقيق الديمقراطية الحقيقية في الصينية، ولتحقيق النظام الديمقراطي، من الضروري القضاء على الأخلاقيات الأبوية والإقطاعية. ودعا الشباب إلى عدم الوقوع في حب المجتمع الذي سيموت، والعمل بجد من أجل خلق الصين الشابة.

انتقلت مجلة الشباب إلى بكين في عام 1916 وتم تغيير اسمها إلى "الشباب الجدد". اتحد عدد كبير من المثقفين البارزين حول "الشباب الجدد" مثل هو شي، لي داتشاو، لو شون، تشو زورين، تشيان شيوان تونغ، الذين كتبوا مقالات للدعوة إلى الديمقراطية (السيد ده) والعلوم (السيد ساي)، ونوّروا عقول الناس من مجالات السياسة والأيديولوجية والأكاديميين والأدب والفن، ونشروا مفهوم الديمقراطية والجمهورية.

منذ عام 1917، رفع تشن دو شيو وهوي شي والآخرون راية "الثورة الأدبية"، ودعوا إلى اللغة العصرية، وعارضوا اللغة الصينية الكلاسيكية؛ ودعوا إلى الأدب الجديد وعارضوا الأدب القديم. بادرت مجلة "الشباب الجدد" في تطبيق ذلك، تم تغيير الكلمات إلى اللغة العصرية واستخدمت علامات الترقيم الجديدة من الرقم الأول من المجلد الرابع الذي نشر في يناير 1918 لنشر بعض القصائد الجديدة. في مايو 1918، نشر لو شون أول رواية باللغة العصرية "مذكرات مجنون" في تاريخ الأدب الصيني الحديث في مجلة "الشباب الجدد"، حيث قام بجلد الطقوس القديمة بلا رحمة. تحت تأثير "الشباب الجدد"، سرعان ما تحوّل بعض المنشورات التقدمية إلى اللغة العصرية، مما جعل وجه الصحف الوطنية جديدًا.

لقد نشّطت حركة الثقافة الجديدة قدرة تفكير وإبداع الشعب الصيني، ففي أقل من 20 عامًا، ظهر الأدب الصيني حالة "دع مئة زهرة تتفتّح"، وبذلك حقّق إنجازات كبيرة، وبرز عدد كبير من الكتاب والفنانين المشهورين، مثل لو شون، هو شي، ماو دون، لاو شه، با جين، شين تسونج ون، شو زيمو، تشو تسى تشينغ، شو بيهونغ، تشانغ دا تشيان، هوانغ بين هونغ وإلخ.

بفضل الحركة الثقافة الجديدة، تحسّن الوضع الاجتماعي للمرأة بشكل مستمر، دخل عدد كبير من النساء العاملات إلى المصنع، وحصل العديد من النساء على التعليم العالي الحديث وحتى الدراسة في الخارج.

خلال هذه الفترة، ترسخت الثقافة الحديثة في الصين، حيث أدخلت الصين المفاهيم التعليمية الحديثة والدورات التعليمية الغربية ودرّبت عشرات الآلاف من طلاب الجامعات. أصبحت جامعة بكين وجامعة تسينغهوا وجامعة تحالف جنوبي الغرب في وقت لاحق وغيرها من الجامعات الشهيرة أرض جمع الأدباء الكبار مع العقول المفتوحة، وذلك ترك تأثيرًا بارزًا في تاريخ التعليم الصيني. وبرزت مجموعة من المعلمين البارزين في عملية إدارة المدارس، مثل تساي يوانبي، وجيانغ منغلين، وتشو كه تشن، ولوه جيالون وما إلى ذلك. بالإضافة إلى التعليم العالي، توجد مدارس ثانوية جديدة الطراز في كل مكان، وتوجد مدرسة ثانوية جديدة في كل مقاطعة تقريبًا. لقد حقّقت حركة الثقافة

الجديدة مثل هذه الإنجازات الهائلة في سياق الفوضى السياسية وكانت لها آثار بعيدة المدى، لا يمكن إلا أن يقال إنها معجزة.

ملخّص وجهات النظر: تشكيل مفهوم الدولة القومية

على الرغم من أن تاريخ جمهورية الصين يبلغ 38 عامًا فقط، إلا أنه ذو أهمية كبيرة. إنه جزء لا غنى عنه من عملية التحوّل للتحديث في الصين، وفي هذه المرحلة، بدأت الصين في التحوّل من البلد الزراعي التقليدي إلى البلد الصناعي الحديث، كما تحوّل النظام السياسي الصيني من الإمبريالية إلى الجمهورية (على الرغم من أنه لم يتم نقله بالكامل). تحولت البيئة الثقافية الصينية أيضًا من "أبواب المعرفة الأربعة (تعاليم كونفوشيوس، التاريخ، الفلسفة، الآداب)" إلى الثقافة الجديدة والأفكار الجديدة التي ترأسها "السيد ده" و"السيد ساي"؛ كما تحولت العلاقات الدبلوماسية الصينية من نظام تقديم هدايا الولاء الأصلي إلى نظام المعاهدات السائد في العالم، وشهدت المؤسسات الوطنية والأكاديميات الحديثة في الصين تطورات مرضية خلال هذه الفترة. باختصار، هذه المرحلة هي فترة بدأت فيها الصين كسر عزلتها والاندماج في العالم وتحويل نفسها للتحديث المتسارع. لكنني أعتقد أن أهم نتيجة للعواصف والأمطار لجمهورية الصين هي تشكيل الوعي الوطني للأمة في عقول جميع الصينيين.

مفهوم "العالم والوطن" في المفهوم الصيني التقليدي والدولة القومية الحديثة ليسا نفس المفهوم. في عصر القوة الإمبريالية، لم يكن المواطنون العاديون يهتمون كثيرًا بالسياسة الوطنية (لأن الرعاية كانت بلا فائدة)، فقد كانت معظم عواطفهم مثبتة على الجيران والأقرباء والمسؤولين الكبار في بلداتهم، أحبوا إغلاق الباب وتشكيل النمط القائم على ذاته. كما قال المثال: "السماء عالية والإمبراطور بعيد". لكن بوصول فترة جمهورية الصين، تغيّر هذا المفهوم الثقافي تمامًا. تنازل الإمبراطور عن عرشه، وتفكك نظام الإمبراطور، وأصبح العالم أكبر. لم تعد الصين مستقلة عن العالم، بل أصبحت دولة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعالم. في ظل هذه الظروف، برزت الأفكار الثقافية المختلفة، انتشر المفهوم الغربي للجمهورية الديمقراطية والحرية والمساواة بين الناس على نطاق واسع مما أعاد بناء طريقة تفكير الناس.

خلال جمهورية الصين، كانت الصين في كثير من الأحيان في حالة من التفتت، وكانت القوى الغربية الكبرى دائمًا قد "سال لعابها تجاه مصالح الصين" وقسمت مجالات نفوذها في الصين. مما لا شك فيه أن حالة الفقر والضعف هذه جعلت الصينيين يشعرون بالإهانة، لذلك أصبح "إنقاذ الصين"

حقيقة يواجهها الشعب الصيني كل يوم. دفع الشعورُ بالأزمة في "إنقاذ الصين" الناسَ إلى التفكير باستمرار: كيف يمكننا أن نجعل الصين أقوى؟ أين يجب أن تذهب الصين؟ يقوم الأشخاص المختلفون بالدراسة والاستكشاف وإيجاد الطرق من الزوايا المختلفة. وقد تحدث المناظرات الحامية بسبب الآراء المختلفة، لكن الهدف العام هو "العثور على حقيقة إنقاذ الوطن وإنقاذ الشعب". هذا النوع من جو العصر ساهم في الصحوة الشاملة للأمة الصينية، خاصة في حرب المقاومة ضد العدوان الياباني، عندما واجهت الأمة الصينية أزمة الانقراض، أصبح الوعي الوطني للأمة الصينية شديدًا غير مسبوق، حيث "تمّ إجبار الجميع على الهتاف الأخير"، وتمّت تعبئة جميع الصينيين والشرع في حرب الدفاع عن المنزل والبلاد، يمكن القول "لا يوجد فرق بين الشمال والجنوب، بغضّ النظر عن العمر أو الشباب، بغض النظر عمن، هناك مسؤولية الدفاع عن الأرض والمقاومة ضد العدوان الياباني على كاهل الجميع، ويجب أن يكون الجميع مصممين على التضحية بكل شيء". من أجل كسب النصر في حرب المقاومة ضد العدوان الياباني، وضع حزب الكومينتانغ والحزب الشيوعي النزاع جانبًا وحقّقا التعاون الثاني، من أجل المقاومة ضد العدوان الياباني، تخلى بعض أمراء الحرب الذين فكروا في الأصل في الاستيلاء على الأراضي عن مصالحهم الخاصة وقادوا الجيش للقتال من أجل البلاد. بسبب إتمام تكوين الوعي الوطني القومي المتيقظ، على الصينيين الكفاح من أجل حياتهم من أجل كسب النصر في هذه الحرب. في حرب المقاومة التي استمرت أربعة عشر عامًا، فقدت الصين 7 ملايين جندي، وكان عدد المدنيين الذين لقوا حتفهم مباشرة من الحرب لا يقل عن 20 مليونًا، وهذا بالتأكيد هو سور الصين العظيم الذي صنعه الشعب الصيني باللحم والدم. بعد دفع الثمن الباهظ، هزمت الصين اليابان في النهاية.

منذ حرب الأفيون، هُزِمت الصين مرارًا وتكرارًا في الحروب الأجنبية، وفي كل مرة تُهزم فيها، يتعيّن عليها التنازل عن الأراضي ودفع التعويضات والتوقيع على المعاهدات غير العادلة. هذا التاريخ المهين أعيدت كتابته أخيرًا في حرب المقاومة ضد العدوان الياباني، وبعد 14 عامًا من المعارك الدامية، هزمت الصين اليابان، وهذه ليست فقط شهادة على استيقاظ وعي الأمة الصينية، ولكن أيضًا يعزِّز المفهوم الوطني والقومي للصين.

يمكن القول إن حرب المقاومة التي دامت أربعة عشر عامًا كانت كارثة ضخمة فرضتها اليابان على الشعب الصيني. لكن الشعب الصيني مثل طائر الفينيق في النار، يولد مجددا عن طريق الحرب القاسية.

بعد تحقيق النصر في حرب المقاومة ضد العدوان الياباني، ظهرت الصين على الساحة السياسية في العالم بصفتها الدولة المنتصرة وأصبحت واحدة من الأعضاء الخمسة الدائمين في الأمم المتحدة. إنّ المكانة الدولية لأسرة تشينغ المتأخرة الضعيفة والفقيرة غير صالحة للمقارنة معها.

Notes

[1 ←]
قومية هو تقصد كل القوميات غير قومية هان في الشمال والغرب من الصين القديمة.